



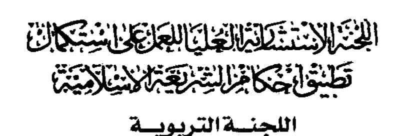
اللجنة التربوية

موسوعة الأسرة

الجزء الخامس



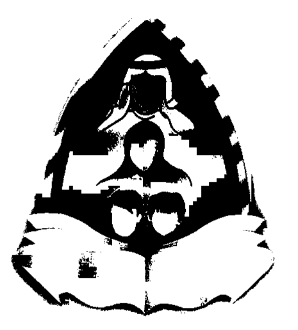


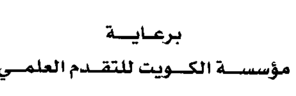




موسوعة الأسرة

الجزء الخامس







بسم الله الرحمن الرحيم

فهرسة مكتبة الكويت الوطنية أثناء النشر

301.42 الخرافي : عبدالمحسن الجارالله
موسوعة الأسرة : الجزء الخامس / عبدالمحسن الجار الله الخرافي - ط1
- الكويت
الديوان الأميري، اللجنة الاستشارية العليا ... 2009
ج5 (697 ص) : 24 سم
ردمك : 8 - 0 - 966 - 99906 - 978

1 - الأسرة العربية 2 - الأسرة في الاسلام 3 - الأسرة والمجتمع
أ. الديوان الأميري - اللجنة الاستشارية العليا للعمل على استكمال تطبيق أحكام الشريعة الاسلامية (ناشر)

رقم الايداع : 111 2009
ردمك : 8 - 0 - 966 - 99906 - 978

الطبعة الأولى
١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م

الفهـــرس

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

أعضاء هيئة تحرير موسوعة الأسرة

المشاركون في تحرير مادة الجزء الخامس

١ - د. إبراهيم عبدالحميد الصياد
٢ - د. أحمد عبدالغني محمد النجولي الجمل
٣ - د. أسماء بنت عبدالعزيز الحسين
٤ - د. بهير أحمد ناصر
٥ - أ. جيهان سعد العتيبي
٦ - د. خالد بن عبدالكريم اللاحم
٧ - د. رقية بنت محمد المحارب
٨ - أ. ريم ناصر السبيعي
٩ - د. سوسن إبراهيم التركيت
١٠ - أ. عبدالقيوم قاسم محمد الطاهري
١١ - د. علي بن عبدالعزيز بن علي الشبل
١٢ - أ. غدير خالد الشهري
١٣ - فهد بن إبراهيم أبو العصاري
١٤ - د. كلثوم الكندري
١٥ - لطيفة فيصل مندني
١٦ - د. محمد المأمون محمد علي المحرزي
١٧ - د. محمد محمد المؤتمن محمد علي
١٨ - أ. مرام ناصر الفرهود
١٩ - أ. مشعل محمود المطيري
٢٠ - أ. نزهة طلعت عصر
٢١ - أ. نوال فهد الرشيدي

بين يدي الجزء الخامس

يعالج هذا الجزء موضوعين رئيسيين يمثلان قمة الاهتمامات عند المهمومين بقضايا الوطن وتنميته، وعند أصحاب القرار المسؤولين عن المجتمع برمته، وذلك سواء بسواء.

الموضوع الأول: الأسرة والانتماء الوطني:

الذي يتصدّر هذا الجزء، وهو موضوع يشغل بال الباحثين في الوقت الحاضر، وما يموج فيه من عوامل الحراك الثقافي والفكري، وما ينجم عن العولمة من آثار تمس **الإنسان** في كيانه، وفي هذا الحيّز سوف يلحظ القارئ الآتي:

أولًا: الانتماء الوطني، ضرورة حياتية، لا يمكن التفريط فيها، وهي مسؤولية الأسرة بالدرجة الأولى.

ثانياً: الجميع شركاء - مع الأسرة - في صياغة هذا الانتماء، وحمايته من الانحراف إلى انتماءات أخرى، قدر تبرز في الساحة نتيجة للمناهج الدخيلة على المجتمع.

ثالثاً: الانتماء ينتظم ثلاث دوائر: الدائرة المحلية، الدائرة العربية، الدائرة الإسلامية.. ولكل دائرة انتماؤها الخاص بها،

والمتكامل مع الدائرتين الأخريين، وكلها تتماشى مع إطار الدائرة العالية - الإنسانية - في سبيل تنمية الإنسان وبلوغ أهدافه في الحرية والعدل وإحقاق الحق.

رابعاً: الدين والأخلاق، وعامتان أساسيتان في فهم وتثبيت الانتماء الوطني، والواجبات والحقوق، كلاهما رافدان - على الإنسان والوطن - يغذيان بعضهما بعضاً في حركة تبادلية، وطردياً مع تقدم الاثنين معاً: الإنسان والوطن.

الموضوع الثاني: الأسرة والمهام التربوية :

والذي يأتي في القسم الثاني من هذا الكتاب، وليس الترتيب هنا مقصوداً، فلا أحد ينكر دور التربية في تشكيل «الإنسان» منذ الولادة حتى البلوغ، إنما هذا يتم في «وطن» يشعر الإنسان فيه بالانتماء، والذي يولّد بدوره «الأمن» والذي تسعى «التربية» تحت ظله - أن تحقق وظائفها، والتي من أهمها:

١ - إعداد الإنسان في مراحل نموه الأولى إعداداً شاملاً متكاملاً روحياً واجتماعياً ونفسياً وجسمياً، بما تسمح به قدراته واستعدداته، وبما يمكنه من مواجهة تحديات المستقبل.

٢ - نقل الخصائص الذاتية للمجتمع، جيلاً بعد جيل، ونقل الأنظمة الاجتماعية من عادات وقيم وأعراف، وتوريث هذا كله، بما يحمله من مفاهيم وسولكيات وغيرها إلى الأجيال اللاحقة.

٣ - التربية هي الوسيلة الأعظم في تربية ما يطلق عليه «الضمير» أو أحياء الوازع الديني، والذي ينمو منذ مرحلة الطفولة، وتأتي التربية لتصاحب نمو الطفل حتى النهاية، ومعها أداة التفرقة بين الصواب والخطأ.

٤ - التربية هي ضمان جودة الأداء البشري، والمتميز بهُوية حضارية واضحة، مع قدرته على التعامل مع مشكلات الواقع سواء أكان ذلك في الحياة الخاصة أم في الحياة العامة، أم في الحياة العملية.

٥ - من وظائف التربية - التي يغفل عنها الكثيرون - تطويع «علوم الجمال» لجعلها ميداناً من ميادين التربية لتحقيق أهدافها، ومنها تنمية الحس الجمالي عند الفرد، وإطلاق الحواس الخمس لفهم وإدراك ما في الإنسان والكون والحياة من قيم ورؤى.

وأخيراً.. فإن هذا الجزء «الخامس» يمثل حلقة متصلة بما سبقها، وبما هو قادم من الأجزاء.. وكلها تحقق في النهاية ما بدأ به الجزء الأول من هذه الموسوعة المباركة، نحو إشاعة الجوانب المعرفية المصحوبة بالأهداف الوجدانية والأمثلة التطبيقية، وتقديمها للأسرة في برامج منهجية، حتى تواصل الأسرة تحقيق المهام المناطة بها في مرحلة الحياة.

إن الكويت - وهي بلد المنشأ - إذ تقدم هذا الجزء الخامس من

موسوعة الأسرة، لا تدعي أن المحتوى يمثل نهاية «الصواب»، وبالتالي فلا صحة بعد ذلك لشيء آخر، إنما تقدم - وفق الإمكانات المتاحة - اجتهادها، والذي قام على إعداده وإبرازه في صورته المعروضة بعض التربويين من الأكاديميين وغيرهم، وهي ترجو أن يجد الصدى المكافئ للجهد المبذول.

وهو الموفق إلى سواء السبيل.

د. عبدالمحسن الجار الله الخرافي

رئيس هيئة التحرير

عناصر
الجزء الخامس
لموسوعة الأسرة
ومضامينها

عناصر الجزء الخامس من موسوعة الأسرة ومضامينها

الباب السابع: الأسرة والانتماء الوطني

م	العنصر	المضامين
الفصل الأول: دور الأسرة في تكوين المفاهيم وتنمية القيم الوطنية والإسلامية:		
١	الانتماء للأسرة: نشأته وتنميته	١ - دور الأسرة في تكوين الانتماء لدى النشء. ٢ - دور الأسرة في تنمية الانتماء للأرحام.
٢	الانتماء في العالم المعاصر	١ - ضرورات الانتماء في عالم متغير. ٢ - آثار العولمة على مفاهيم الإنشاء.
٣	الأسرة وتكوين الانتماء الوطني	١ - دور الأسرة في تنمية التناغم بين الانتماء الأسري والانتماء الوطني. ٢ - دور الأسرة في تفهم النشء لقضايا البلاد وفي تبنيها.
٤	الأسرة وتنمية الثقافة	١ - المفاهيم التربوية للثقافة. ٢ - دور الأسرة في تكوين الانتماء للثقافة المسلمة. ٣ - دور الدين في تنمية الثقافة المتوازنة.

م	العنصر	المضامين
٥	الأسرة وتعزيز الانتماء للإسلام	١ - الأسرة وتعزيز الانتماء للإسلام في جانب العبادات. ٢ - الأسرة وتعزيز الانتماء للإسلام في جانب السلوك والمعاملات.
الفصل الثاني : الدولة والمواطنة في الأسرة :		
٦	الأسرة في أنشطة الأجهزة الرسمية المؤثرة في ثقافة المجتمع (التربية، والإعلام، والإرشاد الديني)	١ - الأسرة في أنشجة أجهزة التربية. ٢ - الأسرة في أنشطة أجهزة الإعلام. ٣ - الأسرة في أنشطة أجهزة الإرشاد الديني.
٧	دعم الأسرة المحتاجة وتعزيز الانتماء	١ - تحسس احتياجات الأسر المتعففة. ٢ - دور الزكاة والصدقات في جسر الهوة بين طبقات المجتمع.
الفصل الثالث : دور الأسرة تجاه النظام العام :		
٨	الأسرة وتربية المسؤولية للنشء	١ -دور الأسرة في تكوين آداب الحوار لدى النشء. ٢ - دور الأسرة في تكوين اتجاهات المبادرة نحو قضايا المجتمع لدى النشء.

م	العنصر	المضامين
٩	دور الأسرة في الموازنة بين الانتماء الوطني والاختلاف الفكري	١ - دور الأسرة في تكوين آداب الاختلاف لدى النشء. ٢ - دور الأسرة في تكوين اتجاهات نحو احترام آراء الغير لدى النشء.
١٠	الموازنة بين ممارسة المسؤولية وتعزيز قيم وسلوك الحوار في الأسرة	١ - مقومات المسؤولية وأساليبها. ٢ - التزام الوالدين لفلسفة الثواب والعقاب كما شرعها الإسلام. ٣ - نماذج من التراث الإسلامي.
الفصل الرابع: بعض الممارسات الأسرية السلبية المؤثرة في الجانب الوطني للأسرة :		
١١	التفكك الأسري وآثاره السلبية على مفهوم الانتماء	١ - أثر التفكك الأسري على انتماء الطفل للأسرة والأرحام. ٢ - الآثار السلبية للتفكك الأسري على سيكولوجية الطفل.
١٢	النزاع في الأسرة وآثاره على الموازنة بين مفاهيم المسؤولية والحوار	١ - آثار النزاع الأسري على مفاهيم الغلو أو التهاون في ممارسة المسؤولية. ٢ - الأسرة والأطفال بين الصدام والحوار.
١٣	تدني المستوى الأخلاقي في بعض الأسر وآثاره على منظومة القيم العامة	١ - مظاهر تدني المستوى الأخلاقي للأسرة. ٢ - أثر المستوى الأخلاقي للأسرة على منظومة القيم العامة لدى الأطفال.

م	العنصر	المضامين
الفصل الخامس: دور النظام السياسي تجاه الأسرة في الكويت :		
١٤	التنظيم المؤسسي لشؤون أسر ذوي الاحتياجات الخاصة	١ - بيان الجهات الرسمية الراعية لشؤون الأسرة. ٢ - برامج الدعم الأسرية. ٣ - الأسرة والأطفال ذوو الاحتياجات الخاصة.
١٥	التنظيم المؤسسي لشؤون أسر ذوي الاحتياجات الخاصة	١ - موقع الأسرة في الدستور. ٢ - الأسرة في السياسة العامة للدولة. ٣ - دور اللجنة الاستشارية العليا للعمل على استكمال تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية نحو الأسرة.
الفصل السادس: بعض الممارسات السلبية للنظام الاجتماعي وآثارها في الجانب الأسري :		
١٦	الأثر السلبي لعدم التفاعل مع المشكلات الأسرية	١ - الأثر السلبي لإهمال شؤون الأسرة على النشء. ٢ - الأثر السلبي لإهمال شؤون الأسرة على الاستقرار الاجتماعي.
١٧	الموازنة بين سياسة تمكين المرأة ومتطلبات الاستقرار الأسري	١ - تمكين المرأة في الإسلام. ٢ - مشكلات العولمة في مجال تمكين المرأة. ٣ - الاستقرار الأسري وحقوق المرأة.

م	العنصر	المضامين
١٨	الآثار السلبية لإهمال المجتمع للأوضاع المعيشية للأسر	١ - الأثر السلبي لإهمال الأوضاع المعيشية للأسر على الاستقرار الاجتماعي. ٢ - فلسفة الخدمات الطلابية المقدمة بمختلف أنواعها وأثرها في تحسين الأوضاع.
الفصل السابع : المسؤولية والموقع الاجتماعي للأسرة :		
١٩	المسؤولية العامة للأسرة ومتطلباتها	١ - مسؤولية الأسرة في التفاعل مع حاجات المجتمع المدني. ٢ - متطلبات مسؤولية الأسرة.
٢٠	نماذج مشرقة من عالم النساء	١ - من أمهات المؤمنين رضي الله عنهم. ٢ - الآل والأصحاب رضي الله عنهم أجمعين.

الباب الثامن : الأسرة والمهام التربوية

م	العنصر	المضامين
الفصل الأول : اسس تربية الفرد في الأسرة :		
٢١	الأساس العقدي في تربية الفرد في الأسرة	١ - مصادر التربية العقدية. ٢ - أهمية العقيدة في حياة الفرد. ٣ - ثمار التربية العقدية في حياة الفرد.

م	العنصر	المضامين
٢٢	الأساس البيئي في تربية الفرد في الأسرة	١ - ملامح التربية البيئية. ٢ - القواعد العامة للحفاظ على البيئة. ٣ - دور الفرد في الحفاظ على البيئة.
٢٣	وسائل التربية عند الفتن	١ - الإعداد التربوي لمواجهة الفتن. ٢ - وسائل التربية في زمن الفتن.
الفصل الثاني : التربية الدينية في الأسرة :		
٢٤	ملامح التربية الإسلامية في الطفولة	١ - موقع الطفل في الإسلام. ٢ - حكمة الإسلام في الإنجاب وحقوق الجنين. ٣ - حقوق الأبناء على الآباء. ٤ - حقوق الأيتام.
٢٥	رعاية الأسرة للطفولة وبرامج الوقاية للطفل	١ - الطب الوقائي في الأسرة من أجل الطفل. ٢ - عناصر الطب الوقائي في الأسرة. ٣ - من برامج الوقاية وفق هدى الإسلام. ٤ - اهتمام الأطفال بالنظافة. ٥ - الطفل والأمراض المعدية.
٢٦	الاتجاهات والقيم في تربية الطفل المسلم	١ - ركائز البناء الإيماني عند الطفل. ٢ - تدريب وتربية الطفل المسلم من خلال العبادات: الصلاة، الصوم، الحج.

م	العنصر	المضامين
٢٧	نماذج من سيرة الرسول ﷺ وصحابته لدى الطفل	١ - من سيرة الرسول ﷺ في الأدب. ٢ - من سيرته في الحياء. ٣ - من سيرته في الصدق. ٤ - من سيرته في لأمانة. ٥ - من سيرته في حفظ الأسرار.
٢٨	أساليب التنمية الجسمية وفق هدي الإسلام	١ - حاجات نمو الطفل في المجال الجسمي والفسيولوجي. ٢ - أساليب التنمية الجسمية وفق هدى الإسلام.
٢٩	الألعاب.. وتنمية الطفل	١ - وسائل البناء (الألعاب - تنمية الهوايات). ٢ - تنمية الجوانب الفنية لدى الطفل.
٣٠	القصة.. وتنمية الطفل	١ - القصص. ٢ - الرسوم.
٣١	القراءة.. وتنمية الطفل	١ - تنمية القراءة. ٢ - المكتبة.
الفصل الثالث: التربية الأخلاقية في الأسرة:		
٣٢	ملامح التربية في المراهقة وأهميتها	١ - مفهوم المراهقة ومراحلها. ٢ - أبرز المشكلات والتحديات السلوكية في حياة المراهق. ٣ - طرق علاج المشكلات. ٤ - التعامل مع المراهق علم وفن.

م	العنصر	المضامين
٣٣	الإطار التربوي لمراحل النمو عند الجنسين حتى البلوغ	١ - العلاقة بين الجنسين في مراحل النمو المختلفة. ٢ - توصيات تربوية للآباء والأمهات. ٣ - البلوغ: مظاهره وأسبابه.
٣٤	الآثار السلبية للعلاقات الجنسية المحرمة	١ - الانحراف عن المنهج الإسلامي وآثاره. ٢ - الضوابط العامة في مواجهة الانحرافات. ٣ - المخاطر التربوية للانحرافات: الخلقية، الاجتماعية، الاقتصادية، الصحية.
٣٥	بين منظومة الأخلاق ومنظومة الدين	١ - ماذا نعني بالمنظومة الأخلاقية. ٢ - إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق. ٣ - موقع (من ترضون دينه وخلقه) في المجتمع.
الفصل الرابع: التربية الجمالية في الأسرة:		
٣٦	التربية الجمالية وأهميتها	١ - تعريف التربية الجمالية وأهميتها. ٢ - كيف يتم تعزيز التربية الجمالية؟ ٣ - التربية الجمالية ومرحلة صياغة الطفولة. ٤ - تربية الطفل على المفاهيم الإيجابية وتكوين الحس الأخلاقي.

م	العنصر	المضامين
٣٧	دور الوسائط التربوية في التربية الجمالية	١ - دور الفرد في تنمية التربية الجمالية. ٢ - دور الأسرة في تنمية التربية الجمالية. ٣ - دور المدرسة في تنمية التربية الجمالية. ٤ - دور المجتمع في تنمية التربية الجمالية. ٥ - الأسباب التي تؤدي إلى افتقاد التربية الجمالية.
الفصل الخامس: الوسائط والبيئات التربوية ودورها في المجتمع:		
٣٨	وسائط تربوية: المسجد - الديوانية - الجمعيات	١ - موقع المسجد في المنظومة التربوية. ٢ - الديوانية كوسيط تربوي. ٣ - الجمعيات الأهلية ودورها التربوية.
٣٩	من وسائط التربية الإعلام	١ - وظائف المدرسة وأهميتها. ٢ - توجيهات المدرسة المعاصرة. ٣ - التكامل بين المدرسة والمجتمع.
٤٠	المدرسة كوسيط متعدد الأغراض	١ - الإعلام التربوي وأهدافه. ٢ - دور الإعلام المعاصر في بناء الأسرة.

الباب السابع

الأسرة والانتماء الوطني

الفصل الأول

دور الأسرة في تكوين المفاهيم
وتنمية القيم الوطنية والإسلامية

١ - الانتماء للأسرة: نشأته وتنميته.

٢ - الانتماء في العالم المعاصر.

٣ - الأسرة وتكوين الانتماء الوطني.

٤ - الأسرة والانتماء للثقافة.

٥ - الأسرة وتعزيز الانتماء للإسلام.

الانتماء للأسرة: نشأته وتنميته

ليست «الأسرة» مجرد نظام اجتماعي ضمن الأنظمة الأخرى التي تغطي مناحي الحياة كلها - ومن ضمنها هذا النظام الاجتماعي فقط - إنما هي أيضاً جماعة اجتماعية أساسية في المجتمع تتميز بالآتي:

١ - أنها أولى الروابط الاجتماعية التي يتفاعل معها الفرد، وعليها يعتمد الطفل في مراحل عمره الأولى، من حيث الغذاء والملبس، والرعاية.. وغيرها.

٢ - أنها المحضن التربوي الذي يتلقى فيه الطفل كل ما يتعلق بثقافة المجتمع، وقيمه وموروثاته الاجتماعية.

٣ - أنها الإطار العام الذي يحدّد تصرفات أفرادها، ويشكل سلوكهم في ضوء توقعات المجتمع من أعضائه.

٤ - هي أول رابطة اجتماعية يتلقى عنها الطفل لغة قومه، وخبراتهم واتجاهاتهم، بالإضافة لتدريبه على الأدوار الاجتماعية بالخبرة المباشرة ليكون عضواً في المجتمع والأسرة.

٥ - الأسرة وسيط بين المجتمع وأفراده فهي تشارك في نقل التراث الحضاري للمجتمع، وتسهم في تنشئة الأجيال، وتكوين شخصياتهم، وتزويدهم بتوقعات المجتمع بالنسبة لسلوك الأدوار الاجتماعية التي يعد الأفراد لشغلها في المستقبل.

٦ - الأسرة لها دور وظيفي متعدد الأهداف خاصة في علاقاتها التبادلية مع بقية النظم السائدة في المجتمع، فالأسرة همزة وصل بين المجتمع وأعضائه وهي وسيط فعّال بين الطرفين.

من هنا يرى بعض التربويين مثل «جون ديوي Dewey»: أن مادة الدراسة الأولى في المدرسة ينبغي أن تكون امتداداً لحياة الطفل في الأسرة[١].

وقد كشفت الدراسات السيكولوجية عن فاعلية الأسرة في حياة الطفل، ومدى أثرها في تكوين شخصية الطفل الآنية أو المستقبلية، خاصة في مجالات الانتماء، وتحديد دوائر هذا الانتماء.

إن الأسرة من أكثر النظم الاجتماعية في المجتمع تفاعلاً مع النظم الأخرى، وذلك لأنها محور جميع النظم الاجتماعية، سواء كانت اقتصادية أم سياسية أم تربوية... إلخ.

ولذلك نجد أن التربويين يعلقون الآمال الكبار على دور الأسرة في إعداد الطفل المرحلي، عبر قيام الوالدين بواجباتهما إزاءه، وذلك في كافة المجالات، مثل: النمو الجسمي والروحي وغيرهما. وهنا يبدو أن دور الأسرة في غاية الأهمية إذا أخذنا في الاعتبار أنها ذات مسؤولية مباشرة في صياغة الدائرة الأولى من دوائر الانتماء، وهي الدائرة اللصيقة بالأسرة ككيان اجتماعي.. ويظهر هذا من خلال

(١) السيد علي شتا وآخرون، علم الاجتماع التربوي، ص ١٣٥.

تعرض الطفل لثقافات وتأثيرات خارجية كثيرة، ومن ثم إلى التركيز على بعض المفاهيم التي يحتاج الوالدان إلى تغذية الطفل بها، ودور الأم هنا أكبر من دور الأب، لأنها تقضي معظم وقتها مع الطفل في مراحل نشأته الأولى، وبالتالي تسهم في دور أكبر في التربية.

ولا شك أن ثقافة الأم تلعب دوراً كبيراً في تكوين الانتماء لدى الطفل، ومن هنا فإن الأم المتعلمة تختلف عن الأم التي لم تنل حظاً من التعليم، والأخيرة تختلف عن الأم التي نالت حظاً من التعليم، لكنها لا تعكس هذا على السلوكيات والأعمال اليومية داخل الأسرة، وذلك في إطار من الالتزام بالدين كنظام كامل وشامل لكل قضايا الحياة.

هنا يبدو أن الأم التي تمارس حياتها في ضوء تعاليم دينها سوف تغذي طفلها بهذه التعاليم، والذي بدوره يطالع أمه في تصرفاتها، ويبدأ يقلدها تارة، ويقتبس منها تارة أخرى، وينفذ تكاليفها وأوامرها ومن ثم تنشأ البذرة الأولى في تأسيس الالتزام لدى الطفل.

إن الالتزام المشار إليه سابقاً هو مظهر من مظاهر الانتماء والذي يحتاج إلى الآتي:

أولاً : تنمية هذا الانتماء عبر مواقف حياتية تربوية، من مثل الحفاظ على الوقت، والأمانة، والصدق في الحديث، والبعد عن العدوان، والتعامل مع الآخرين، وطاعة الوالدين، والحفاظ على العبادات وغيرها.

ثانياً : عقد جلسات عائلية تكون صورة مصغرة للدروس المدرسية، يُرَكَّز فيها على المفاهيم المراد تغذية الطفل بها، والتي تسير في نفس الطريق لتحقيق الهدف ذاته.

ثالثاً : المتابعة الفردية أو الجماعية من قبل الأسرة لتصرفات الطفل، وتقويمها أولاً بأول.

رابعاً : تعرض الطفل لبرامج ميدانية خارج نطاق الأسرة، ولكن تحت إشرافها المباشر، وهذه البرامج تشمل الرحلات الطوعية، والسفرات الاختيارية، مثل: أداء العمرة، وزيارة المناطق الأثرية، سواء المحلية أو الخارجية، والمشاركة في المناشط الاجتماعية الهادفة، وكل هذا وفق المفاهيم التربوية السابق ذكرها.

من جهة أخرى، فصلة الرحم تعني الإحسان إلى ذوي القربى من النسب والأصهار ومن في مستواهم، وَتَفَقُّد أحوالهم، والسؤال الدائم عنهم، ومتابعة ذلك، وتقديم كافة أنواع الدعم التي يحتاجون إليها، سواء بالإنفاق المباشر عليهم أو غير المباشر، وذلك في حده الأعلى من الصلة، أما الحد الأدنى فيتمثل في الزيارات الودية المتابعة في المناسبات، خاصة الأعياد، وتقديم الهدية المناسبة، وعدم هجرهم أو الانقطاع عنهم.

ودور الأسرة في تعزيز صلة الأرحام كمظهر من مظاهر الانتماء يبرز في المواقف الآتية:

١ - إعطاء دور للخال والعم، ومن في حكمهما داخل الأسرة عن طريق مشاركتهما في المناسبات الخاصة التي تقيمها الأسرة، كالأفراح والأتراح وغير ذلك، وأخذ رأيهما في القضايا ذات العلاقة بأوضاع الأسرة، والمتغيرات المحيطة بها، والاستماع إلى آرائهما ونصائحهما في كيفية حل المشاكل التي تواجه الأسرة، ومطالعة الطفل عن قرب لما يجري حوله.

٢ - توجيه الطفل - في مواقف معينة - نحو العم أو الخال أو من في حكمهما، وذلك في مجال الصحبة، والزيارة، واللقاء الدوري العائلي، وتعويد الطفل على النظر بعين الحب أولاً، والمهابة ثانياً إلى الأقارب من الدرجة الأولى، وتربيته على آداب الحديث معهم، ، والاستماع إليهم.

٣ - صحبة أولاد الخال وأولاد العم، ومن في حكمهما، واللعب معهم، والمشاركة معاً في البرامج التي تقيمها الأسرة، خاصة البرامج الترويحية، بهدف تمتين الصلة، وإعطاء الطفل الفرصة العملية لاحقاً لاكتساب أهمية الحرص على الأقارب في كل المجالات.

٤ - حضور الدروس التي تحث على صلة الأرحام، سواء عبر حلقات العلم في المساجد، أو الندوات، أو الجلسات التي يعقدها كبار العائلة الواحدة، وشرح أهمية دوام الصلة بهم، والإحسان إليهم، وزيارتهم.

٥ - تعويد الطفل على تقديم بعض أنواع الدّعم - بتوجيه من الوالدين - نحو أسر الأقارب التي تشكو قلة الدخل، أو تتعرض لظروف حياتية صعبة، وحبّذا لو يتم ذلك بصورة جماعية.

٦ - لفت نظر الطفل إلى أن بعض الأقارب قد يكونوا من الأيتام، أو أن أمهاتهم مطلقات، أو أرامل، وبالتالي تربية الطفل على أن هؤلاء الأقارب أولى من غيرهم عند التعرض لقضايا المساعدة، ومن ثم توليد مشاعر المشاركة الوجدانية لهذه الحالات، والعمل على ترجمة ذلك إلى مشاركة عملية في تقديم ما تتفق عليه الأسرة من وسائل الدعم والإحسان.

وفي نفس السياق، فإن دور الأسرة في تنمية الانتماء للأرحام يحقق لدى الطفل الفوائد التربوية الكثيرة والتي منها: -

١ - العُزوة النفسية التي يحتاجها الطفل منذ نشأته وحتى مراحل عمره المتقدمة.

٢ - التواصل العاطفي بين الطفل وبين أرحامه والذي يحقق له استثمار هذه المشاعر للثبات في الجوانب الانفعالية، والاتزان الإيجابي.

٣ - الفهم السليم والذي يتكون لدى الطفل عند استقباله لشرح آيات الله تعالى في كتابه الكريم، عندما يطالع أهمية الإحسان إلى

الوالدين ﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾[1]، ومن ثم الإحسان والبر بأقارب الوالدين ﴿وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾[2]، ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ﴾[3]، ﴿وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْمَرْحَمَةِ﴾[4].

٤ - التطبيق العملي لتوجيهات الهدى النبوي الشريف، والذي دلّت عليه الأحاديث النبوية، من مثل قوله ﷺ: **«من سَرَّهُ أنْ يُبْسَط له في رزقه أو يُنسأ له في عمره فَلْيَصِل رَحمه»**[5].

٥ - البعد عن مواطن العزلة والشعور بالاغتراب، وما يؤدي ذلك من علل اجتماعية وأمراض - للأسف - بدأت تنتشر في المجتمع، مثل القلق، والتوتر، والاكتئاب، وغيرها.

٦ - تنمية القيم العظيمة والتي عمل الوالدان على تغذية الطفل بها، والعمل على استمرارها، مثل: التراحم، والتكافل، ودفع هذه القيم حتى تأخذ الأبعاد القومية والعالمية داخل الأخوة الإسلامية، والأخوة الإنسانية.

* * *

(١) سورة الإسراء، آية ٢٣.
(٢) سورة الأحزاب، آية ٦.
(٣) سورة النساء، آية ١.
(٤) سورة البلد، آية ١٧.
(٥) صحيح البخاري، حديث رقم ١٩٦١، وصحيح مسلم، حديث رقم ٢٥٥٧.

الانتماء في العالم المعاصر

لا شك أن دوائر الانتماء في العالم المعاصر قد تتأثر سلباً أو إيجاباً لدى الإنسان المسلم في مراحل حياته، وهذا يخضع للعوامل الآتية:

١ - قرب الإنسان أو بُعده عن مواطن الصراع والحروب والأحداث الجسام التي تمر بالمتجمعات حوله، وآثارها عليه وعلى من يرتبط به.

٢ - مقاومة الإنسان للضغوط التي تفرضها بعض البيئات الضاغطة، من مناهج دراسية مُلزمة أو إجبارية، أو تطبيق قوانين لا تتفق مع فطرة الإنسان، وتتناقض مع حقوقه الإنسانية، أو تنفيذ توصيات لمؤتمرات دولية مثل مؤتمرات السكان المُنْعَقِدة في كل من بكين والقاهرة، والتي تتناول قضايا الأسرة وموقعها، وحقوق التكاثر، وصحة التكاثر، والصحة الجنسية والمراهقين وصغار السن والإجهاض، وغيرها من التوصيات التي قد يتعارض بعضها مع المفاهيم الإسلامية للعلاقة الزواجية.

٣ - مدى الالتزام بالمنظومة القيمية والأخلاقية التي تقوم بها المناهج والبرامج التربوية والثقافية الرسمية منها والأهلية في تعزيز أو توهين الإنسان حيال مفهوم الانتماء وما يحمله من تبعات.

من جهةٍ أخرى فإن الانتماء يظل قائماً سواءً كان العالم متغيراً أم مستقراً، ومن ثم فإن الإنسان المسلم يظل منتمياً وفق الأصول الآتية:

أ - **احترام الدين**، فالدِّين الغالب في المجتمع هو الدِّين الإسلامي يشكل مُحركاً داخلياً للفرد نحو التقدم، وإتقان العمل، ومراعاة الصالح العام، ودعم المحتاجين، والتعايش والانفتاح الواعي على الآخر، وفي الوقت ذاته لا يعني احترام الدين سلب الأقليات حقها في ممارسة معتقداتها.

ب - **المقاصد الشرعية**، وينبثق التمسك بها من تدين المجتمع، وتمسكه بالإسلام، والمقاصد الشرعية هي المعايير التي يجب أن تحكم سلوك الفرد والمجتمع ومؤسساته الرسمية والمدنية.

ج - **الموروثات الثقافية الإيجابية**، فالموروثات هي من أهم ما يعبر عن طبيعة المجتمع وظروفه وثقافته، ولكن بالضرورة يلزم استبعاد السلبيّ منها والتأكيد على الإيجابيّ.

د - **اللغة العربية**، وهي لغة المجتمعات العربية ووعاء ثقافتها، واللغة الرسمية للدولة، ولذلك على جميع المواطنين والمقيمين احترامها وإتقانها والاستمتاع بثقافتها.

هـ - **القدر المشترك من الآداب والتقاليد العامة للمجتمع**، والذي يجب على الأقل في الأماكن العامة احترامه من قبل كل المواطنين، وغيرهم من الأجانب وغير المسلمين، مثل: عدم

المجاهرة بالأكل في شهر رمضان، وعدم ارتداء الملابس الفاضحة، والامتناع عن شرب المسكرات.

وفوق ذلك هناك أصول ثانوية أخرى منها ما يطلق عليه «طبيعة العصر» وما يحمله هذا العصر من توازنات دولية وما يزخر به كذلك من تطلبات كما سنرى لاحقاً.

طبيعة الانتماء وظروفه ومتطلباته في العالم المعاصر :

وهذه تكاد تكون أموراً حاكمة في أيامنا هذه التي نشاهد فيها ظاهرة العولمة في مختلف المجالات الثقافية والاقتصادية والسياسية والفكرية، إضافة إلى سيطرة التطور التكنولوجي المتسارع، واختفاء المفاهيم والأوضاع التي عهدتها البشرية على مدى تاريخها، فيما يخص الخصوصية الثقافية والدولية والوطنية والحدود والسيادة وما إلى ذلك مما سيواجهه الجيل الناشئ كواقع عملي في الحياة، حينما يأتي دورهم في تحمل المسؤولية.

وبالتالي، من الضروري أن نمعن النظر في فهم خصائص العصر ومطالبه، ومن ثم تحديد متطلبات التجاوب معه، وما يسببه ذلك من تحديات للمجتمع الكويتي على وجه الخصوص، ومن الأمثلة الهامة على هذه القضية، موضوع التكنولوجيا المتقدمة، والفجوة الرقمية بين الدول النامية (ونحن منها) والدول المتقدمة (التي نشأت لديها التكنولوجيا المتقدمة المعاصرة)، إذ يجب الوقوف على حقيقة هذه المشكلة العالمية، والنظر فيما إذا كان يكفي لها تزويد المتعلمين

بأجهزة الحاسب الآلي وخطوط الإنترنت، أم أن الموضوع يحتاج إلى نقلة نوعية في المناهج تمكن المتعلمين من التفاعل مع مجالات المعرفة، وأدوات المعلومات، بما يمكنهم من تنمية مهارات التعلم والعمل اللازمة للعصر الذي نعيش فيه.

وقد جعلت حالة العولمة البشر جميعهم شركاء في الاستفادة من مستجدات التقدم العلمي والتكنولوجي في معظم المجالات، ورغم أن البعض أخذوا يتخوفون من سيطرة قوى عظمى - أو القوة الأعظم - من حيث محاولتها فرض ثقافتها ومصالحها الاقتصادية على غيرها من الدول والشعوب، وهذا وإن كان طبيعياً لأن ذلك شأنها دوماً على مدى مراحل التاريخ - إلا أنه ليس أمراً مطلقاً وتحت سيطرتها بالكامل، ولا أدل على ذلك، من أن بعض الحركات والتيارات الفكرية في الولايات المتحدة الأمريكية نفسها تحذر من آثار العولمة على مجتمعها، فيقولون: أنهم بدأوا يغيرون من طعامهم وملبسهم واهتماماتهم الثقافية، ووسائل معيشتهم ومعتقداتهم، بل وحتى من دمائهم (نتيجة اختلاط الأعراق) بقدر يثير القلق والخوف على تغير العوامل التي نشأت على أساسها حضارتهم المعاصرة، والتي حددت مكامن قوتها، أنها العولمة التي تحدث فيهم ذلك، وهم محقون في تخوفهم هذا، **ويستفاد من ذلك أن العولمة لا تقسم البشر إلى فريقين أحدهم يكسب دوماً منها، والآخر يخسر على الدوام.**

إذاً . . علينا جميعاً – نامون أو متقدمون – أن ندرس **كيف يمكن أن نتعايش مع هذه الحالة، وأن نستفيد منها قدر الإمكان، ونقلل من أعراضها الجانبية على حياتنا ومسيرة تقدمنا.**

آثار العولمة على مفاهيم الانتماء:

أ – القدرة على شحذ الفاعلية الروحية للأمَّة[1]:

في مجال شحذ الفاعلية الروحية للأمة، ليس من الضروري أن تتطابق الفاعلية الروحية لكل الفئات التي تكون الأمة، وإنما يكفي أن تلتقي كل الفعاليات الروحية على قدر مشترك يحقق للجميع انطلاقة حضارية واحدة.

وليس من الضروري كذلك أن تتطابق مناهج الإعداد الروحي لدى فئات الأمة المختلفة ما دامت هذه المناهج قادرة على شحذ الفعاليات الروحية المشتركة عند الجميع.

ورغم الأهمية القصوى لشحذ الفاعلية الروحية في مرحلة الانطلاقة الحضارية، فإن الحاجة لهذه المهمة تظل قائمة لاستمرار الحضارة، حيث تمدها الحضارة بوسائل جديدة تواكب بها مقتضيات العصر، وعندما تنسى الأمة هذه المهمة في أية مرحلة

(١) ثغرة في الطريق المسدود، دراسة في الانتماء والبعث الحضاري، دار آفاق الغد – القاهرة، ص ١٩ – ٣٥ (بتصرف).

تبدأ مشاكلها مع محاولة البقاء، حتى في مرحلة الانحطاط، من الرغبة في المحافظة على مجرد البقاء.

وطبيعة الفعاليات تحدد طبيعة الحضارة، فإذا تعلقت بالجانب المادي للإنسان فحسب أنتجت حضارة مادية، وإذا ما تعلقت بجوانبه الروحية والمادية معاً أنتجت حضارة إنسانية.

وفاعلية الأمة يجب أن تكون واقعية، حتى لا يصاب الإنسان باليأس عندما لا يستطيع لها تحقيقاً، واليأس هو أول الطريق للبعثرة النفسية للأمة وهو أخطر مرض في مرحلة الانطلاق.

وعملية بث الفاعلية في روح الإنسان، مشيّد الحضارات، عملية هامة تحتاج إلى علم بها، وصبر عليها، ورعاية لها. ولا ضير هنا من تعدد **طرق بث الفاعلية** .

وعموماً فإن المهم أن نجد توجيه الطاقة الروحية المبثوثة في اتجاهٍ واحد، أو بوتقة واحدة تمثل المصلحة القومية المشتركة.

وهنا يبرز سؤال:

من الذي يقوم بمهمة شحذ الفعالية الروحية للأُمَّة ؟

إنها مهمة القدوة، حيث تترجم رسالة ما إلى تصور ذهني وسلوك عقدي يضيء بالقدوة أكثر مما يضيء بالفلسفة، ويجمع حوله القلوب والأفئدة، فتنساب في سلوك جماعي مُوحد تحسّه في تصرف البسطاء من الناس كما تراه في تصرف علمائهم.

إن الحضارة في مرحلة النضج سوف ترث كل تصورات وأخلاقيات هؤلاء النفر القدوة الذين وضعوا بذورها، كما ورث المجتمع المسلم القيم والأخلاقيات الإسلامية التي تجسدت في شخص الرسول العظيم محمد ﷺ وجيل الصحابة من حوله.

كما أن طبيعة الرسالة سوف تحدد معالم الحضارة وتطبعها بطابعها، ولسنا ننفي احتمال تغيير مسار حضارة من الوجهة النفسية حتى بعد بلوغ مرحلة النمو، حيث يبرز هنا دور المصلحين الذين يظهرون من وقت لآخر، ويرون بعين حضارية الانحرافات الظاهرة والخفية فيحاولون تصحيح المسار، وذلك تحقيقاً لقول رسول الله ﷺ: «**إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها**»[1].

وتصبح مهمة هؤلاء المصلحين في منتهى الصعوبة في أمة وصلت إلى درجة عالية من القوة المادية والرخاء المادي، إلا أن يتوفر استعداد نفسي خاص لدى الأُمَّة يجعلها تتقبل توجيهات المصلح، كما يحدث في أعقاب هزيمة بالغة أو زلزال حضاريّ.

وفي هذه الأحوال ربما يجد المصلح طريقه سهلاً لتصحيح مسار أُمَّته الحضاري.

والجماعات الحضارية التي يؤسسها النفر القدوة لا بد أن تفرغ لمهمة شحذ الفعّالية الروحيّة، وإثارة الوعي الحضاري عند

(١) رواه أبو داود (٤٢٩١).

المؤسسة الأُولى للحضارة أَلا وهي الإنسان المستعد للتلقي والإبداع الحضاريين فيما بعد.

واللبنة الأولى في أي منهج لإثارة الوعي الحضاري متمثل في التصور النظري والسلوك العقدي المنبثقين عن الرسالة التي آمن بها النفر القدوة.

وفي ختام الحديث عن شحذ الفعّالية الروحية للأُمَّة نسجل ملاحظتين:

الأولى: أننا استخدمنا لفظة الفعالية لنؤكد بها أن المطلوب ليس هو الروحية المخدرة التي تعزل الإنسان متقوقعاً على نفسه بعيداً عن مجتمعه، وإنما هي الروحية التي تجعل كل فعالياته متعلقة ببناء المجتمع.

والثانية: إن وجود جماعة حضارية لا تعني وجود حضارة، وإنما يعني وجود جنين للحضارة، وإن سلوك رجال هذه الجماعات الحضارية سيظل نبراساً لكل الأجيال الحضارية التي تأتي من بعدهم، وقدوة تعرف ولا تكاد تدرك.

ب - القدرة على استيعاب علوم الغرب وتكنولوجياته:

إنّ حضارة الغرب التي تبدو في غاية التعقيد قامت على أساس العلم، ومدخلنا إليها لن يكون إلا عن طريق شحذ الفعالية العلمية للأُمَّة، وسبيلنا إلى شحذ الفعالية العلمية هو جهازنا التعليمي المتطوّر.

ولقد أمضى الغرب زهاء خمسة قرون يبني قلاعه العلمية والتكنولوجية، وكان لكل فرع من فروع العلم والتكنولوجيا مسيرة معينة تتميز بفترات التكدّس، ثم فجائيات الإبداع.

وما أوتي الإنسان من العِلْم إلَّا قليلاً. . . فما زلنا ننتظر فجائيات إبداعية تحدث نقلة أساسية في مستوى العلوم والتكنولوجيا.

وينبغي على أُمَّة كَأُمَّتنا. . تقف عند أبواب القلاع العلمية والتكنولوجية لحضارة الغرب، أن تستوعب علوم الغرب وتكنولوجياته، ووضع جدولة زمنية مثلى لتتابع إدخال علوم وتكنولوجيات، حتى إذا استوعبت مرحلة بدأت بالأخرى. . وهكذا.

النظرية التي نؤمن بها هي أن المسار التاريخي لتطور العلوم والتكنولوجيا لا بد أن يؤخذ في الاعتبار تماماً عند محاولة تدريب المجتمع الناشئ علمياً وتكنولوجياً. وإن الأُمَّة الجادة يمكنها أن تختصر ٤٠٠ عام من تاريخ التطوّر العلمي والتكنولوجي للعالم الغربي إلى ٤٠ عاماً أو أقل، ولكنها لا يمكنها أن تستسيغ الحضارة دفعة واحدة مهما أوتيت من مال.

إن التكنولوجيا الحديثة نشأت من تزاوج العلم والحرفية، وإصرار المجتمع على هذا التزاوج في صورة مراكز تطوير الصناعات المختلفة.

ولذلك فنقطة البدء هي تعليم الحرف وانتشارها بين الأغلبية

الساحقة من أبناء المجتمع، بينما يتوجه قسم للتعليم الفني ليكون قادراً على تطوير الحرفية وإنمائها، وينفر في نفس الوقت عدد من ذوي العقول النادرة لتتبع العلوم، والنظر في إمكانية خدمتها للتكنولوجيا المستحدثة. وإن توجيه الأغلبية الساحقة لتعلم الحرف يجب أن يبدأ مبكراً في المدارس الابتدائية والإعدادية والثانوية، حيث يجب أن يُعاد النَّظَر كاملاً في أهداف تعليمنا ما قبل الجامعي، وما يحقق هذه الأهداف من مناهج مختلفة.

فعلى سبيل المثال إذا أرادت دولة كمصر أن توجه ٨٠٪ من أبنائها لأعمال حرفية، و١٠٪ لأعمال فنية، و٥٪ للعلوم والآداب والبحوث، و٥٪ لشحذ الفعالية الاجتماعية للأُمَّة، فإنه من الواضح جداً أن برامج التعليم الحالية لا بد من تغييرها تغييراً جذرياً حتى نقترب من هذه الغاية المرجوّة.

وإذا أردنا الاستفادة من الغرب في هذه المجالات، فلا بد أن نعي أن المجتمع خارج الأسوار التعليمية التقليدية يشارك مشاركة فعّالة في التدريب والتعليم.

إن واحداً من أرباب التكنولوجيا الحديثة، لن يسمح بتعليمها لآخر. هذا هو الواقع في عالمنا المعاصر، وإنه لن يمكننا الحصول على دقائق التكنولوجيا المعاصرة حتى لو دفعنا من أجلها المال الوفير. وإن طريقنا إليها لا بد أن يمر بمراحل علمية مختلفة تشبه التطوّر الزمني في بلاد الغرب.

إن العلم هو الذي يصنع من أبجديات الحروف كلاماً مفهوماً نسميه تكنولوجيا، ويظهر فيما بعد أدباء يصنعون أدباً يختلط فيه العِلْم والذَّوق والفَنّ فيكون مُمَيِّز الحضارة بعينها.

ونؤكد هنا على عدّة ملاحظات حول عملية الاستيعاب:-

- أن لا يسبق العِلْم الحالة التكنولوجية كثيراً، فيؤدي ذلك إلى انفصاله عنها، ويصبح ذلك كارثة على العِلْم وكارثة على التكنولوجيا.
- ولا يمنع ذلك وجود قلّة في الجامعات ومراكز البحوث تعمل عند مشارف العلوم، مهمتها بالنسبة لمجتمع نَام هو التطوير المستمر للعلوم، لتصبح أكثر ملاءمة لتحقيق الهدف التكنولوجي.
- أن تتضح الغايات الاجتماعية من التعليم بصورة مركزة، حيث يجب أن نسأل أنفسنا دائماً: أي نوع من التدريب والتعليم ينتج إنساناً صالحاً لهذه الوظيفة الاجتماعية؟ ونقلع عن السؤال: أي وظيفة اجتماعية تصلح لهذا الخريج؟!

فإجابة السؤال الأول تربط الغاية من التعليم بمناهجه، أي أنها تضع شروطاً واضحة له، فإذا كانت المهمة الاجتماعية مثلاً هي شحذ الفعالية الروحية للإنسان حتى يصبح على أهبة الاستعداد الحضاري لأمته، وظهر لنا من النظر الثاقب في هذه المهمة أنها ذات عناصر مختلفة من عقائد وأخلاق وتاريخ ودراسات ميدانية معاصرة، وظهر لنا كذلك أن مناهج مختلفة يجب أن تضطلع بها جهات مختلفة سواء في دور التعليم الرسمية، أو في أماكن

العبادة، أو في وسائل الإعلام المختلفة، إذا تحدد هذا كله بشكلٍ واضح فإنه سوف يحدد أيضاً بوضوح مناهج الإعداد للذين سيضطلعون بهذه المهمة في مجتمعاتنا.

إننا إنما نعني بالاستيعاب الكامل للحضارة المعاصرة استيعاب الأصول والطرائق، أما الدقائق فهذه لا يمكن لأصحاب الحضارة منحها وإنما تدرك بالممارسة الواعية والتفاعل البنّاء.

ج - القدرة على تبني نظم الحضارة المعاصرة أو إبداع البدائل:

مع التطور المستمر والنمو المضطرد لمؤسسات الحضارة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، تطورت ونمت النظم المهيمنة على هذه المؤسسات، منطلقة من المبادئ والأخلاقيات التي شحذت الفعالية الروحية لأصحاب هذه الحضارة في مرحلة الانطلاق، ومعدلة نفسها مع تغيّر المفاهيم والأخلاقيات في مجتمعات ترى جوهر الأخلاق متغيراً غير ثابت.

فإن استبان لنا أننا لا نملك النظم الحاكمة للمؤسسات الحضارية المرجوّة، أصبح واضحاً أن أمامنا خياران:

الخَيارُ الأول: أن نتبنى المؤسسات الحضارية الغربية بوضعها الحالي، آخذين في الاعتبار أن نظمها الحاكمة تحتاج إلى تعديل وتبديل يأتي عن طريق الممارسة والتجربة، والإصرار على تحقيق المبادئ والأخلاقيات الخاصة بنا في النظم المعدّلة.

والخَيارُ الثاني: أن نبدع البدائل، وهذا أمر لا يفتي فيه غير متخصص في أعمال مثل هذه المؤسسات.

ونحب أن نؤكد أمرين هامين:

الأمر الأول: أنه ينبغي أن يكون المتخصصون في كل مجال على قدر معقول من الثقافة الإسلامية، حتى يستطيعوا إبداع البدائل الإسلامية أو تعديل ما يتبينونه من نظم وفق المبادئ الإسلامية، وإلا كانوا عاجزين تماماً عن هذا أو ذاك.

الأمر الثاني: أن البدائل المقترحة هي من قبيل المحاولة الإسلامية وليست هي الإسلام، لأننا من خلال التجربة قد نكشف تقصير النظم المقترحة في تحقيق كل جوانب مبادئنا وأخلاقياتنا، فنلجأ إلى تغييرها أو إصلاحها حتى تكون أكثر تحقيقاً لأخلاقياتنا ومبادئنا. إن الصراط المستقيم في مثل هذه الأمور ليس واضحاً من غير هداية الله، وهداية الله لا تأتي إلا بالمجاهدة المستمرة، فنحن ندعو في كل صلاة: اهدنا الصراط المستقيم.. وربنا يقول: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩].

* * *

الأسرة وتكوين الانتماء الوطني

تعطي الأسرة للطفل مجموعة من المعارف التي يستقيها من المصادر الثقافية التي تريد الأسرة أن تدين بها وتشيعها بين أفراد الأسرة، ومن أبرز هذه المعارف ما يعرف بفضلِ الوطن على الإنسان، وهو فضل عظيم سبق أن ذكره العلماء والتربويون والشعراء في إنتاجاتهم الفكرية، ويكفي أن الرسول ﷺ يوم أن خرج مهاجراً من مكة إلى المدينة وقف ثم قال: «**والله إنك لخير أرض الله وأحب أرض الله إلى الله**»[١].

وكتب الشيخ عبدالعزيز الرشيد رحمه الله في رسالة لأهل الكويت بعد سفره مهاجراً إلى البحرين ثم أندونيسيا قال فيها: «عزَّ علينا كثيراً من إخواننا الكويتيين الفضلاء عزمنا على الانتقال من الكويت إلى البحرين، وأخذ بعضهم يناشدوننا بألا نفعل، وما كان بودنا أن نرد لهم طلباً لو كان ذلك في الوسع، ولو لم تكن ثمة أسباب قهرية تضطرنا إلى هجر مسقط الرأس والبلد التي هي أول أرض مس جلدي ترابها»[٢].

(١) أخرجه الترمذي الحديث (٣٩٢٥)، وابن ماجة الحديث (٣١٠٨)، والحاكم في المستدرك (٣/ ٧، ٤٣١)، والإمام أحمد في المسند (٤/ ٣٠٥).
(٢) يوسف شهاب وآخرون، صحافة الكويت قبل الاستقلال، ص (١٤).

أما أمير الشعراء «أحمد شوقي» رحمه الله فقد ذكر موقع الوطن من النفس قائلاً:

وَطَنِي لَوْ شُغِلْتُ بِالْخُلدِ عَنْهُ نَازَعَتْنِي إِلَيهِ فِي الخُلْدِ نَفْسِي

والخلاصة في هذه النقطة أن الوطنَ قد منحَ الإنسان أسباب الاستمرار في الحياة، بعد أن هيأَ لَهُ الرعاية الصحية والاجتماعية والتعليمية والاقتصادية.. وغيرها، وَجَنَّدَ له العيون الساهرة لتحقيقِ الأمنِ والسلامة، وأعدَّ له مُقومات الحياةِ الكريمة.

وقَدْ دعا الإسلام إلى الانتماء الوطني فأوجب الحفاظ على شرفِ الأرض، وشرف الرزق، وشرف العرض، بل كتب الشهادة لمن مات دون أرضه وماله وعرضه، وهل الوطن سوى الأرض والمال والعرض؟ وخير الأمَّهات مَنْ ربَّت أبناءها على حُب الوطن، وَأَرْضَعَتْهُ لَبَن الدِّفاع عنه إذا اعتدى عليه معتد، كما جعل الإسلام طاعة ولي الأمر واجبة على كل فرد، كذلك جعل المسلمين جسداً واحداً إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحُمى. هذه هي توجيهات ديننا الحنيف نحو الوطن والمواطن، فليس غريباً أن نقدّم لأطفالنا - عن طريق الأسرة منظومة الحقوق والواجبات - حتى يعرف كل طفل ما له وما عليه، وهذا الدور للأسرة هو الذي يحقق التناغم بين الانتماء الأُسري والانتماء الوطني، إذ لا اعتراض بين الانتمائين، بل إن كلاً منهما مكمل للآخر.

مفهوم المواطنة:

لا يمكن لأي مجتمع أن ينشئ أجياله ويعدهم الإعداد المحقق لغاياته ما لم يكن له مشروع مجتمعي واضح، ومخطط بعناية، يحدد التحديات التي يرغب في التغلب عليها، وما يبتغيه من إعداد أجياله وطرق التنشئة الملائمة التي تضمن بلوغ الغايات.

وإذا كان المشروع المجتمعي نابعاً من ثقافة المجتمع وأيديولوجيته، ويعبّر عن أهدافه البعيدة، فإنه يعتمد في سبيل بلوغ ذلك على المؤسسات الدينية والتربوية والإعلامية والثقافية والمجتمعية التي تجعل الإطار العام للمرجعية الثقافية للمجتمع واضحاً، وقابلاً للتحقيق.

وقد جاءت توصيات وقرارات المنظمات الدولية تدعو إلى تضمين **البرامج التعليمية، والكُتب والوسائل القيم الكفيلة بتكوين المواطن الحر، والمتضامن المسؤول، والمتفتّح الذي يحترم كرامة الإنسان، ويؤمن بحق الاختلاف**، لأجل ذلك تدعو إحدى وثائق اليونسكو إلى العناية بمجال اكتساب المعارف التي تقتضي دعم نمو الفرد، تعزيز إيمانه بقدراته الذاتية، واستقلاليته واحترام الآخرين، وتطوير معنى المسؤوليات الاجتماعية [1] التي هي أساس قيمة المواطنة.

(١) «المبادئ الموجهة للتربية على القيم المخصصة للارتقاء، بالبُعد الإنساني والدولي للتربية»، اليونسكو، ١٩٨٨م.

وفي مجتمعنا، تكتسب قيم المواطنة أبعاداً نابعة من تراثنا الذي يأتي الإسلام في المركز الأول منه، ولكن في الوقت ذاته تعترضها بعض المشكلات النابعة من خلفيات ثقافية مختلفة، أو حتى بسبب حالة تلاشي الحدود الثقافية، والانفتاح الدولي في عصر العولمة الذي نعيش فيه الآن، ولذلك.. فمن الضروري أن تبني كافة المؤسسات الدينية والتربوية والإعلامية والثقافية والمجتمعية برامجها الموجهة نحو **تعزيز قِيَم المواطنة والانتماء**، بما يستوعب الأسس المشتركة لخلفيتنا الثقافية، والمصالح العامة التي تجمعنا جميعاً كأفراد مجتمع واحد، وهو ما تعززه **القِيَم التي جاء بها ديننا الحنيف حول مقاصد الشريعة**.

فمقاصد الشريعة هي: الحفاظ على الدين، والنفس، والعقل، والعرض، والمال، وما فكرة الوطن والمواطنة إلا الاهتمام بحماية كل هؤلاء مجتمعين:

* فحماية **الدين** هي أساس حماية الوطن.
* وحماية **النفس** وأهل البلاد هي من صلب حماية الوطن.
* وحماية **العقل** - وخصوصاً من التشويش الخارجي - هي من أمور الدفاع عن الوطن.
* وحماية **العرض والنسل**، لا ريب في أنها من أساسيات الدفاع عن النفس والوطن.
* وحماية **المال**، والذي يتمثل في كل ما نمتلكه، ويأتي في مقدمة

ذلك التراب الوطني وكل ما يحويه من خيرات وإمكانات، وهذا هو الشق المادي لمفهوم الوطن.

الوطن - إذاً - هو كل ذلك، والحرص على حمايته والعمل على ذلك هو التمثيل الحقيقي لقيم المواطنة، وعلينا أن نتضافر ككتلة مجتمعية واحدة على حماية الوطن والدفاع عن مصالحه، وهنا يوجهنا إلى ذلك ديننا الحنيف في أكثر من موضع، منها:

* يقول الله عز وجل: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾[1].. وهنا تترسَّخ قيمة الوحدة بين أبناء المجتمع، وفي ذلك أيضاً يقول عزَّ وجل: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾[2].

* وعن وحدة أبناء المجتمع يقول الرسول الكريم ﷺ: «**المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً**»[3]، ويقول أيضاً ﷺ: «**... ولا تحاسدوا ولا تدابروا ولا تباغضوا وكونوا عباد الله إخوانا**»[4].

---

(١) سورة الحجرات، آية ١٠.	(٢) سورة آل عمران، آية ١٠٣.

(٣) صحيح مسلم، حديث رقم ٢٥٨٥.

(٤) صحيح البخاري، حديث رقم ٥٧١٧.

دستور دولة الكويت والمواطنة:

دستور دولة الكويت هو التشريع الأساس الذي حدَّد القواعد والقيم التي تتعلق بتنظيم الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية التي يجب أن يراعيها الفرد والمجتمع، ويلزم بالضرورة أن تنعكس في التعليم العام بصفته التعليم الأساس، ولا حاجة لنا أن نشير إلى أن هذه المبادئ الدستورية لا يجوز الخروج عنها أو إغفالها، فهي التي تضمن للمجتمع تماسكه ودوام نموه وتطوره، كما تحفظ الهوية والخصوصية الثقافية في أثناء محاولتنا من خلال التعليم أن نتجاوب مع العصر ومتطلباته.

وبنظرة فاحصة على دستور دولة الكويت، يمكننا الوقوف على **القواعد الأساسية التي تعبّر عن شخصية المجتمع وهويته وثقافته** - والتي يجب أن تلتزم بها المناهج التربوية - وهي:

* دين الدولة الإسلام، والشريعة الإسلامية مصدر رئيس من مصادر التشريع. تصون الدولة التراث الإسلامي والعربي، وتسهم في ركب الحضارة الإنسانية.
* شعب الكويت جزء من الأمة العربية، ولغة الدولة الرسمية هي اللغة العربية.
* الكويت دولة مستقلة وذات سيادة تامة، ولا يجوز النزول عن سيادتها أو التخلي عن أي جزء من أراضيها.

* السلام هدف الدولة، وسلامة الوطن أمانة في عنق كل مواطن، وهي جزء من سلامة الوطن العربي الكبير.
* نظام الحكم في الكويت ديموقراطي، والسيادة فيه للأمَّة مصدر السلطات جميعاً..
* العدل والحرية والمساواة دعامات المجتمع.. والناس سواسية في الكرامة الإنسانية، وهم متساوون لدى القانون في الحقوق والواجبات العامة، لا تمييز بينهم بسبب الجنس أو الأصل أو اللغة أو الدين.
* الحرية الشخصية وحرية الرأي والبحث العلمي مكفولة، ولكل إنسان حق التعبير عن رأيه ونشره بالقول أو بالكتابة أو غيرهما، وذلك وفقاً للشروط والأوضاع التي يبيِّنها القانون.
* تصون الدولة دعامات المجتمع، وتكفل الأمن والطمأنينة وتكافؤ الفرص للمواطنين.
* الأسرة أساس المجتمع، قوامها الدين والأخلاق وحب الوطن، يحفظ القانون كيانها، ويقوي أواصرها، ويحمي في ظلها الأمومة والطفولة.
* ترعى الدولة النشء، وتحميه من الاستغلال، وتقيه الإهمال الأدبي والجسماني والروحي.
* التعليم ركن أساس لتقدم المجتمع، تكفله الدولة وترعاه.
* التعليم حق للكويتيين، تكفله الدولة وفقاً للقانون، وفي حدود النظام

العام والآداب، والتعليم الإلزامي مجاني في مراحله الأولى وفقاً للقانون.

* الملكية ورأس المال والعمل مقومات أساسية لكيان الدولة الاجتماعي، وللثروة الوطنية، وهي جميعاً حقوق فردية ذات وظيفة اجتماعية.. والملكية الخاصة مصونة.

* العمل واجب على كل مواطن، تقتضيه الكرامة، ويستوجبه الخير العام، وتقوم الدولة على توفيره للمواطنين، وعلى عدالة شروطه.

* الاقتصاد الوطني أساسه العدالة الاجتماعية، وقوامه التعاون العادل بين النشاط العام والنشاط الخاص، وهدفه تحقيق التنمية الاقتصادية، وزيادة الإنتاج، ورفع مستوى المعيشية، وتحقيق الرخاء للمواطنين.

* أداء الضرائب والتكاليف العامة واجب.

إن هذه الثوابت (المبادئ الدستورية) هي العناصر المكونة لشخصية هذه الدولة ومجتمعها، والمبينة لثقافته، ويجب أن تكون الأساس في تربية أجيالها من خلال نظام تعليمي يضمن استمرار هذه الأجيال في احترام هذه الثوابت، والعمل من خلالها للتكيف مع المتغيرات التي يعاصرها كل من هذه الأجيال على تعاقبها.

من جهة أخرى، يمكن القول بأن تربية المواطَنة التي تقوم بها التنشئة الأسرية يمكن تحقيقها في سياق النقاط الرئيسة الآتية:

أولاً: المواطَنة من أجل عالم آمن، فمن هذه الناحية نجد أنه قد آن الأوان أن نعيش في عالم آمن، بعد الظروف المجتمعية التي مرَّ بها العالم من تحولات سياسية، وأزمات اقتصادية واجتماعية، وتحولات ثقافية، وبعضها أثرت في «الحراك الجغرافي والفكري» لاسيما عند الشعوب العربية، والتي انعكست في البعد عن المشاركة في عمليات التنمية والإصلاح والتطوير في كل الميادين العلمية والتربوية.

تقول د. فاطمة الزهراء سالم: إن قيم المواطَنة من شأنه أن يحقق الشعور بالأمان والاستقرار، والخروج من أسر التبعية في إطار وقيم تعيها الذات، وتتمثلها قبل انخراطها واندماجها في الجماعة الوطنية. ولكي يتحقق المجتمع الآمن يتطلب الأمر أن يضم هذا المجتمع مواطنين على درجة كبيرة من الوعي بقيم المشاركة والانتماء وتحمل المسؤولية، وإبداء الرغبة في المشاركة، والقدرة على ضبط النفس أمام الضغوط والأزمات.

من هنا بات من المؤكد تدشين المقولة التي تقرر بأنه لا مواطَنة بغير مواطنين واعين، وممارسين فعليين لأدوارهم داخل المجتمع[1].

ثانياً: المواطَنة من أجل استقلال الذات؛ فالبعض يعتقد أن التأكيد على قيم المواطنة، والمشاركة في عمليات التنمية داخل المجتمع، من

---

(١) فاطمة الزهراء سالم، الأسرة والمواطنة، التعليم للمواطنة، كلية التربية، جامعة عين شمس، القاهرة، سبتمبر ٢٠٠٧، مجلة الهلال. (بتصرف).

شأنه أن يؤدي إلى ذوبان للإرادة «الذاتية» في معية الإرادة «الجمعية»، ورغم تحقق ذلك بالفعل، إلا أنه يأتي في مرتبة لاحقة بعد تأكيد الذات واستقلالها وقدرتها على العطاء الثقافي والمعرفي، في إطار جماعي يسانده المجتمع ويعضّده.

ولعل تفصيل ذلك في تلك الدراسة المبدعة للدكتور «مصطفى سويف» عن الأسس النفسية للتكامل الاجتماعي، وخاصة ما يتصل بما يمر به الوليد البشري من تطور من قطب «الأنا»، إلى «قطب النحن»، من الدوران حول محوره الشخصي الذاتي، إلى ما يتصل بالجماعة، والتي يتطوّر الشعور نحوها بدوره من تلك الجماعة اللصيقة به مباشرة، الأم أولاً، والأب والأخوات، إلى الجماعات الأخرى.

إن ما ينبغي التنبه له هو أن مشاعر الانتماء والولاء لا تتحقق في ذات تابعة ومسيرة، وغير قادرة على العطاء والمشاركة الفعّالة بحرية ووعي مدرك لجميع الأمور.

ثم إن استقلال الذات يعني قدرة الفرد على نقد ذاته أولاً، وأن يعرف إمكاناته وحدود طاقاته، والمدى الذي يمكن أن يسهم به في الارتقاء بذاته ومجتمعه، فالإنسان المستقل هو القادر على إصدار الأحكام، ويتخذ لنفسه موقفاً فكرياً لا يحيد عنه، بل يمكن مراجعته وإثراؤه إذا كان في ذلك تدعيماً وتأكيداً لهويته ووطنيته وانتماءاته الأيديولوجية.

ثالثاً: المواطنة دليل عملي لتفعيل الهوية الثقافية في المجتمع؛ إن العيش في مجتمع آمن ومستقل فكرياً وثقافياً ومادياً يتطلب الحفاظ على الهوية الثقافية، وهذا لا يتحقق من الناحية العملية إلا من خلال المشاركة الفعّالة داخل المجتمع في جميع الميادين الفكرية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية، وعندما يتحقق ذلك تبرز هوية الفرد والمجتمع على السواء، وتتحدد ملامح المجتمع من خلال إبداعات أبنائه وإنتاجيتهم الفكرية والعملية.

وتبرز مقومات الهوية الثقافية فيما يقدمه الأبناء من إنجازات وأعمال تتسم بالجدة والأصالة، ومن ثم تشكل معالم لثقافة تميز المجتمع عن ثقافات غيره الأخرى.

إن إتاحة الفرص للمسلم في أن يفكر ويعبّر بحرية عمّا فكّر فيه، وفقاً لمفهوم الحرية المسؤولة التي تحرص على ألّا يكون في ممارستها اعتداء على حرية الآخرين، يعينه على أن يشارك بفعالية، وأن ينتج وينجز، حيث من المتوقع أن تحمل إبداعاته وإنجازاته بعضاً مما تتّسم به الثقافة الإسلامية، وما يحدد قسمات الجماعات المسلمة، سواء في ماضيها أو حاضرها.

وبالتالي فالعمل والإنجاز والإبداع هو ما يبرز هوية المسلم وانتماءه لمجتمعه، وقدرته على العطاء والتفاني والإخلاص من أجله.

رابعاً: دور التعليم في تكريس المواطَنة وبث الهوية؛ يلعب التعليم دوراً مهمّاً من أجل غرس قيم المواطَنة وتأصيل الهوية الثقافية، وفي الوقت الحالي فإن التعليم منوط بأداء هذا الدور وفقاً لأعلى معدلات الأداء والفعالية التربوية والنفسية، كما تحددها معدلات الجودة في المجتمعات الساعية إلى النهوض الحضاري.

من هنا يمكن تحديد آليات ووسائل التعليم في غرس قيم المواطَنة ودعم الهوية الثقافية في الآتي:

- الاستناد إلى القيم الدينية والمرجعية الأخلاقية الأصيلة.
- التمسك بثوابت الهوية الثقافية من لغة وعقيدة وتاريخ مشترك.
- مساعدة الأبناء على إبداء وجهات النظر واحترامها.
- المشاركة في صناعة القرار في كل المجالات المجتمعية.
- تفعيل الأنشطة الإنتاجية الذهنية والعملية.
- تشجيع الابتكارات العلمية.
- عقد حلقات علمية تشجع على العمل الجماعي.
- الحرص على وضع مناهج دراسية تبعث على التفكير والتساؤل والحوار والنقد.
- الاهتمام بالتربية البيئية وتجميل المدرسة والحي والمنزل.
- التشجيع على التعلم الذاتي.

- الاهتمام بإعداد برامج للحاسب الآلي تتفق وقيم المجتمع الدينية.
- التأكيد على دور الإعلام في غرس قيم المواطنة وبث الهوية.
- العمل على استمرار التنمية المهنية والخلقية للمعلم.
- السعي بكل جدية إلى العمل على التنمية الذهنية والخلقية للطالب.
- تفعيل دور الإدارة في دعم واتخاذ القرارات.

خامساً: تربية المواطَنة في عالم متعدد الثقافات، فقد أصبحت مقولة الثقافة الواحدة التي يمكن أن تغلق الأبواب على نفسها مقولة أقرب إلى الخرافة والاستحالة، منها إلى الحقيقة وإمكان التحقق، في ظل القول بالعولمة والانفتاح الثقافي والحضاري، وإلغاء الحدود، ومن ثم أضحت التعددية الثقافية أمراً واقعاً، بصرف النظر عمّا إذا كانت نابعة من أيديولوجية سياسية هادفة ومنظمة، تخدم مصالح دول معينة أم لا.

وبات من المؤكد أن حماية وصيانة الخصوصية الثقافية إزاء تلك التعدديات الثقافية أمراً ضرورياً إذا أردنا لأنفسنا البقاء والتنافس وفق محك ومعايير المتغيرات العالمية المعاصرة.

فهناك من يرى أن الانغلاق على الذات، والعزلة الفكرية والاجتماعية أمر ضروري للقضاء على الهوة الاجتماعية، والرجوع إلى القيم الدينية الأصيلة والتمسك بالتراث، لكن حقائق الحياة المعاصرة، وما هو متوقع مستقبلاً، تؤكد بما لا يدع مجالاً للشك

أن هذا الأمر لا يمكن، بل من المستحيل تحققه، وهو من قبيل الكسل الفكري والجمود المعرفي، الذي يُؤْثِر الراحة ويجنح إلى التكاسل، ويركن إلى ماضي الأمة مستمرئاً التشرنق فيه، دون وعي وعقل ناقد، يوهم أنَّ ذَلك هو الطريق إلى استعادة الأمجاد الماضية.

والتربية الفعّالة هي تلك التي تشجع على الاندماج والانفتاح على الثقافات الأخرى، بأعلى درجات الوعي والحرص على النظر النقدي عند القبول والرفض والاختيار، فهي بهذا تكون على الطريق المستقيم لغرس هوية وثقافة المجتمع داخل نفوس الأبناء، وفي الممارسات العملية، والمواقف الأخلاقية المربية التي تحثّ على التنشئة الخلقية السليمة والقويمة.

إنه لنظر قاصر أن نتصوَّر أن التعددية الثقافية في حد ذاتها من شأنها أن تقضي على قيم الانتماء والمواطنة، وزعزعة أركان الهوية الثقافية في مجتمع علمي يهتم بالمعرفة والتكنولوجيا، ويشجع على العمل وبناء الحضارة، ويؤمن بأن ذلك لا يتعارض مع ثوابته ومنطلقاته.

سادساً: تربية المواطنة من أجل الإبداع الذاتي؛ يكاد خبراء وعلماء الإبداع يجمعون على أن الشرط الأول للإبداع، هو امتلاك الإرادة الحرة القادرة على النقد والتجاوز، ومن ثم الإبداع، فالإبداع من أولى علامات استقلال الذات، حيث هو بطبيعته عمل منفرد، وهو مظهر أساس لقدرة الإنسان على التصرف دون الاعتماد

الزائد على الغير، ومن ثم فإن المجتمع المسؤول هو الذي يؤكد على المواطَنة المسؤولة، ومن ثم يصبح من أهم مرتكزاته العمل بجد واجتهاد، من أجل تكوين المواطَن المبدع، وليس المنتج فحسب، ذلك لأن الآلات نفسها تنتج، لكن الإنتاج الإنساني يتميَّز بالتحوُّل المستمر نحو الأفضل، والمرونة التي تبحث عن الأجود، والأكثر تفرداً وتميّزاً، مما يبثُّ دماء صحة وعافية في عروق المجتمع.

والإبداع الذاتي من شأنه أن يعين على تثبيت أركان الهوية والتجديد في متغيراتها، وأن يميز ملامح الفرد ومن ثم المجتمع عن غيره من المجتمعات، والأمثلة كثيرة على مبدعين أبرزوا انتماءهم وولاءهم لمجتمعاتهم، ولفتوا أنظار العالم أجمع إلى المجتمع الذي أنجب هذه العقليات والطاقات المبدعة والفذّة.

على هذا النحو تنمي التربية الإبداع من خلال الاهتمام بالحوار والنقد والتعلّم الذاتي، والقيام بالأنشطة العلمية والفنية والرياضية، وغيرها من الأنشطة التي تُنمي لدى الفرد قيم الاستقلال والتفرُّد والاعتماد على النفس.

وهكذا يتأكّد لنا أن تأصيل قيمة المواطنة وبث الهوية الثقافية، بحاجة إلى إرادة واعية، وقدرة على الإنجاز، وتحمل المسؤولية، وقبل كل ذلك حب وانتماء للمجال والتخصص الذي يعمل فيه المرء، وقدرة على العطاء والبذل والإيثار لا حدود لها، لأن حب العمل يعني الإخلاص والتفاني من أجله، ويدل على انتماء حقيقي للمجتمع الذي ينتسب إليه المرء.

الأسرة وتنمية الثقافة

لا شكَّ في أنَّ الأُسرةَ لها الفضل الأكبر في عملية التنشئة، هذه العملية المعقّدة، والتي ينبني عليها مستقبل الإنسان في كل جيل، فهي التي تربّي وتشرف على التربية - في وقت واحد - وهي التي تُرضع أفرادها لِبان التوحيد بالله تعالى - رأس الدِّين - وما ينجُم عن هذا من أركان، وما يتفرَّع من هذا من قواعد وتعاليم وتكاليف وأوامر، وهي في كل هذا تتّبع وتجتهد، تتّبع لمن سبق، وتجتهد في اشتقاق الطرق المناسبة: مكاناً وزماناً.

ولعلَّ قضية الانتماء - للأُمَّة التي تنتمي إليها، واللغة التي تتّخذها عبادة وقربى إلى الله تعالى - من أهم القضايا التي عالجها المربُّون قديماً وحديثاً.

المفهوم العام للثقافة :

عرَّفت منظمة اليونسكو الثقافة بأنها «جميع معارف الإنسان المتعلقة بالطبيعة والمجتمع».. وورد في تفسير البغوي: «وأصل الثقافة الحذق والبصر بالأمر».

وفي اللغة: التثقيف، يعني التهذيب والتقويم، مثال: «ثقفت الرمح» أي هذَّبته وقوَّمته، وبالتالي، فالتثقيف في مجال تنشئة الأطفال يعني تربية الشخصية وتشكيلها وتهذيبها.

والحقيقة أن الثقافة Culture مفهوم واسع النطاق، يكاد يشمل كل ما يحيط بالإنسان، وهي «ذلك الإرث الإنساني الذي يشتمل على جميع مخططات الحياة الاجتماعية التي تنتقل من جيل إلى آخر، وتشمل: الدِّين واللُّغة والعادات والتقاليد والقِيَم والأعراف والسُّنَن الاجتماعية، وكل ما أنتجه الإنسان من ملبس ومأكل ومسكن وتكنولوجيا، وتعمل الثقافة كموجه للسلوك الإنساني في المواقف الاجتماعية المختلفة»[(١)].

إنَّ الثقافة تشتمل على أنماط السلوك التي يكتسبها الإنسان مشاركاً فيها أعضاء مجتمعه - أو بتعبير آخر - كل ما يتعلَّمه الإنسان ويتصرَّف على أساسه مشاركاً الآخرين فيه، إذ إنها نمط للسلوك الإنساني يتبعه أعضاء المجتمع، إضافة إلى كونها نمطاً من الأفكار والقِيَم التي تدعم ذلك السلوك، حيث إن كل عنصر من عناصر الثقافة يتضمَّن سلوكاً.

ومن زاوية أخرى، الثقافة مجموعة المنتجات المادية والمعنوية التي يصنعها مجتمع ما، وتحتوي على القيم والمعارف والعلوم والفنون والآداب وتعكس نمط التفكير.

وإجمالاً الثقافة هي: موقف من الوجود والحياة والمعرفة.

---

(١) محمد الجوهري، الأنثروبولوجية: أسس نظرية وتطبيقات عملية، دارالمعرفة الاجتماعية، (الإسكندرية: ١٩٨٩م)، ص ١٤.

مستويات عناصر الثقافة :

أ - **العموميات**، وتشمل العناصر المشتركة بين جميع أفراد المجتمع، مثل: الدِّين واللغة والأعراف والزِّي والطّعام.

ب - **الخصوصيات**، وتشمل العناصر التي توجد لدى مجموعة من الأفراد المنتمين لإحدى شرائح المجتمع. . مثل: أطفال فئة عمرية أو مدرسة معينة، أو بيئة معينة (ريف / حضر)، أو مستوى اقتصادي واجتماعي معيّن، أو مهنة أو حِرفة معيّنة.

ج - **المتغيرات**، وتشمل عناصر معيّنة ليست منتشرة بين جميع أفراد المجتمع، يمارس فيها بعض الأفراد عملية الاختيار والابتكار، وإحداث التغيير في أحد مناحي الحياة، أو العمل مما يؤدي إلى حدوث التغير في الثقافة، إما إلى الأحسن، أو إلى التدهور بحسب طبيعة التغيّر الذي تم إحداثه.

مضامين الثقافة :

١ - **المضامين الأنثروبولوجية**، وتشمل اللغة وكل ما يتعلّق بالذات الثقافية.

٢ - **المضامين الروحية**، وتشمل التديُّن، والأساطير، والأخلاقيات، والقِيَم.

٣ - **المضامين الجمالية**، وتشمل الآداب، والفنون التشكيلية والتعبيرية.

٤ - **المضامين الاجتماعية**، وهي المتعلِّقة بالأوضاع والعادات الاجتماعية، والتنظيمات القانونية والاقتصادية والتعليمية والسياسية.

٥ - **المضامين السلوكية**، وهي المتعلّقة بنمط وأسلوب الحياة من مأكلٍ وملبسٍ ومسكنٍ وأساليب الترفيه والألعاب.

٦ - **المضامين المادية**، وتشمل عمارة الأبنية على اختلاف استخداماتها، وأسلوب تخطيط المدن، وتنظيم الطرق واستخدامات المساحات، والأجهزة والمعدات والأدوات، وغير ذلك من الأمور المادية التي يستخدمها الإنسان في جوانب حياته الخاصة والعامة والعملية.

المفاهيم ذات العلاقة بالثقافة:

هناك بعض المفاهيم ذات العلاقة بالثقافة، والتي يجب استيعاب مضامينها في أثناء البحث في قضايا الثقافة بعامة، وفي شؤون ثقافة الطفل لدى الأُسرة على وجه الخصوص، ومن أهم هذه المفاهيم:

* **التراكم الثقافي Cultural Accumulation** ، وهو مفهوم يدلُّ على تراكم التغيرات التي تحدث على الرصيد الثقافي لمجتمع ما، فلكل مجتمع تراث ثقافي وهو في الوقت ذاته يشهد تغيرات وإضافات على ثقافته نتيجة لتغيير ظروفه، ولاحتكاكه بثقافات وحضارات الآخرين.

* **التغير الثقافي Cultural Change**، وهو الاختلاف ما بين الحالة

الجديدة والحالة القديمة أو هو اختلاف الشيء عمّا كان عليه في خلال فترة محددة من الزمن. . وعندما تضاف كلمة (الثقافي) - أي ما يتعلق بالثقافة - نحصل على مفهوم التغير الذي يحدث أو يحدث داخل ثقافة المجتمع، بمعنى آخر هو التحوُّل الذي يطرأ على بناء الثقافة ومضامينها خلال فترة من الزمن.

* **التأخُّر الثقافي Cultural Lag**، وهو مفهوم يدلُّ على أن بعض العناصر الثقافية تحتاج إلى التغير بمعدلات أسرع بكثير من تغير العناصر الأخرى[١].

* **التطور الثقافي Cultural Evolution**، وهو ما يحدث عبر الزمن نتيجة عمليات التغير والتراكم الثقافي نتيجة تطور أوضاع المجتمع وظروفه، وكذلك نتيجة الاتصال الثقافي بينه وبين المجتمعات الأخرى.

* **الصراع الثقافي Cultural Conflict**، وهو مفهوم يفترض وجود انسجام ووحدة داخل المجال الثقافي لمجتمع ما، وكذلك داخل غيره من المجتمعات، وكل من هذه الثقافات يتأسس على وحدة عضوية متماسكة تصنعها لحمة دينية أو ثقافية، وتحدد ماهيتها في مقابل غيرها المتمايز عنها ماهية وجوهراً، وهنا - رغم أن الاتصال بين هذه الثقافات قد يحدث تفاعلاً إيجابياً بينها - إلا أنه في بعض الأحيان قد يحدث صداماً بين الجانبين يحاول القوي فيه

(١) هادي نعمان الهيتي، ثقافة الأطفال، سلسلة عالم المعرفة، ع ١٢٣ (دولة الكويت: ١٩٩٨م)، ص ٢٦.

أن يدفع بمضامينه الثقافية، ويحاول الضعيف على الجانب الآخر الدفاع عن ثقافته وعناصرها الأساسية.

* **الاتصال الثقافي Cultural contact**، وهو ليس مجرّد نقل لعناصر من ثقافة إلى أخرى، وإنَّما هو عملية تفاعل متّصلة بين جماعات من ثقافات مختلفة، ويُطلق عليه البعض التثقيف من الخارج[1]. وبذلك وجب على المجتمع المستقبلي أن يسعى إلى تحقيق التواصل الثقافي مع الآخر، ويتجاوز دور السكون والمتقبّل المستهْلِك ليتحوّل إلى متقبّل باحث عن الاتصال، وواع بضرورته ومجالاته وحدوده، فيصبح بذلك فاعلاً داخل عملية التقبُّل، أي: واع بها، وبدون هذا الوعي يصبح الاتصال الثقافي مجرّد إحلال ثقافة الغير محل الثقافة الذاتية.

* **التكيف الثقافي Cultural Adaptation**، ويعني عملية الربط بين العناصر الثقافية الموجودة والعناصر الوافدة، إما في كل منسجم تماماً، أو في انسجام تصحبه بعض الاختلافات التي تذوب فيما بعد، كما أن التكيف يعتبر أيضاً مفهوماً أساسياً في عملية التطوّر الاجتماعي والثقافي، علماً بأن طبيعة الانخراط مع الآخر - من حيث الإيجابية والوعي - هي التي تحدد النتائج، ومدى القدرة

(١) نعمان عبدالغني، ما هو شكل العلاقة بين الشباب كمفهوم اجتماعي والعولمة كبُعد حضاري؟ الشباب والعولمة، المجلة الإلكترونية، الأزمنة العربية، العدد ٢٨٠، ١٥ أكتوبر ٢٠٠٤م http://www.alazmina.info/issue280/33.html

على التكيّف الثقافي وانعكاسها في شتى أوجه النشاط داخل المجتمع.

* **التكامل الثقافي Cultural Integration**، وهو مفهوم يؤخذ على معنيين: الأول: هو أن يكون هناك تكامل بين ثقافات مجتمعات متجاورة أو متقاربة، مثل: التكامل الثقافي بين المجتمعات العربية، أو التكامل الثقافي بين شعوب حوض البحر المتوسط.. أما المعنى الثاني، فيقصد به أن تتكامل عناصر الثقافة داخل المجتمع الواحد، حيث من غير المقبول أن يكون هناك تعارض واضح بين عناصر الثقافة داخل نفس المجتمع، وهو ما نراه داخل ما يسمى الآن بالدول المتقدّمة، فرغم التنوع الكبير بين الجوانب الثقافية لشرائح المجتمع ومؤسساته والمناطق المختلفة إلا أننا نجد أن المجتمع ككل يتبنى مظلة ثقافية واحدة، ينطلق منها في تعامله مع قضاياه الوطنية، وفي أثناء احتكاكه بالمجتمعات الأخرى.

* **الثقافة المادية Material Cultural**، وهي تلك التي تقوم بوظائف محددة في الجانب المادي من حياة الفرد والمجتمع، مثل: المأكل، والملبس والمسكن، ووسائل وأدوات الإنتاج والعمل، وما إلى ذلك، وهي عادة ما تحمل أنماطاً عامة تسود المجتمع ككل، كما أنها غير منفصلة تماماً عن الجوانب اللامادية في ثقافة المجتمع، وفي المجتمعات سريعة التقدُّم والتطوُّر والنمو نجد أن كثيراً من عناصر الثقافة المادية يتغيَّر بسرعة ملموسة وملحوظة داخل حياة الجيل الواحد.

* **الثقافة اللامادية NonÙMaterial Cultural**، وهي تتكامل مع عناصر الثقافة المادية، ويشكلان معاً ما نسميه بثقافة المجتمع وقوّته المحرّكة، وهذا الشق اللامادي من الثقافة يكاد يكون الشق الأكثر حساسية تجاه التغيّر، فهو يتعلّق بالمُعتقدات والروحانيات والعادات والقِيَم والتقاليد والقواعد التي تَحْكُم السلوك والذَّوق العام والفنون والآداب، وكلُّ ما يعبّر عن الجانب الإنساني في شخصية المجتمع، وهي أيضاً عادة ما تكون أكثر الجوانب الثقافية حضوراً في عمليات الاتصال الثقافي والاحتكاك الحضاري، بل وحتى هي أكثر الأمور حساسية فيما يسمى بِصِدَام الحضارات.

الثقافة المتوازنة المطلوبة للأُسرة :

وهي الحالة التي نريدها أن تتحقق في الأُسرة - فما هو التوازن؟ - هل هو وضع وسط بين متناقضات؟ - أم هو تكامل بين عناصر ثقافية مختلفة؟ - أم أنه تنوع في المدخلات الثقافية دون فقدان لوحدة المنهج وأهدافه.

يرى المفكر الإسلامي الأستاذ «فهمي هويدي» أن هناك تداخلاً بين مفهوم الوسطية والتوازن[١]، فالوسطية «موقف يتّسم بالتوازن

(١) فهمي هويدي، الإعلام وثقافة الوسط، ٢٣ يوليو ٢٠٠٥م، من موقع بوابة العرب فهمي - هويدي/ ٢٤٧٩/ الإعلام - وثقافة - الوسط

http://www.arabgate.com/article/18/

في التفكير والنظر، يقبض على الأصول ويقبل الاختلاف في الفروع، وفي تحري التوازن المنشود، فإن الموقف المختار ينحاز إلى ما من شأنه التوسعة والتيسير على الناس حسب مقتضى الحال والزمان، وهو منطق يحتاج إلى بعض التفصيل. والتوازن ليس نقطة وسط بين الخير والشرّ، أو الحق والباطل، ولكنه انحياز بالكلية إلى كل ما هو خير وحق، مع الاعتراف بوجود الضد لكل منهما، ذلك أن هذا الاعتراف هو من دلائل الوقوف على الأرض ورؤية المجتمع الإنساني كما هو، ذلك أن قِيَم الحق والخير والجَمال لا تُدرك إلا من خلال أضدادها، وإنكار الأضداد لا يمثل انفصالاً عن الواقع فحسب، ولكنه يغيّب عن الناس إدراك الحكمة الإلهية، وحين احتجت الملائكة على خلق الإنسان بدعوى أنه سيفسد في الأرض ويهلك الحرث والنسل، فإن الله سبحانه وتعالى بيَّن لَهم الحِكْمة الخَفِيَّة من خَلْقه، وأنَّ هذا المخلوق الذي يدور في داخله الصراع بين الخير والشر هو خليفة الله الذي يَعْلَمُ الأسماء، وأُنيطت به عمارة الأرض.

التوازن يظهر في الجَمْع بين الدِّين والدُّنيا، والمادية والمثالية، والواقع والخيال، وحق الفرد وحق الجماعة، والتقرُّب إلى الله سبحانه وتعالى من خلال الاستمتاع بالحلال وإشاعة النماء والخير في الكون.

والتوازن كذلك في استحضار وجود الله في مختلف جَنَبات

الكون، باعتباره سبحانه وتعالى خالق الكون بمختلف كائناته ومفرداته. الأمر الذي يرتب بالضرورة حقوقاً لتلك الكائنات جميعها: البشر والنبات والحيوان والجماد.

إنَّ ثقافة التوازن تعني أموراً أخرى، منها [1] :

* تعدد منابع الخير والتوازي بين مساراته سواء كانت تلك المنابع من فئات المسلمين باختلاف مللهم ونِحَلِهم وفِرَقِهم، أو كانت لدى غير المسلمين.
* الانفتاح على كل الساعين إلى الخير من بني الإنسان التزاماً بمبدأ التعاون على البر والتقوى، واهتداءً بالشِّعار القائل: بأن الحكمة ضالة المؤمن أنَّى وجدها فهو أحق الناس بها.
* التجاور بين الأشياء مع تمايزها بما يحترم قاعدة الاختلاف والتنوّع.
* إعذار الخلق والتيسير عليهم بما لا يتصادم مع أصول الشرع وثوابته.
* إدراك الأولويات وترتيب التكاليف طبقاً لأحوال كل مجتمع وبيئة.
* اعتبار تغيّر الأحكام بتغير الأمكنة والأزمنة والأحوال بمعنى التفاعل مع البنية والطرفين الجغرافي والتاريخي.
* التدرج في التبليغ والتكليف.

---

(١) د. بهير أحمد ناصر، الواقع الثقافي في دولة الكويت، ورقة مقدمة لفريق مشروع تحقيق التوازن الثقافي في المناهج التربوية، اللجنة الاستشارية العليا للعمل على استكمال تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية، الكويت، يوليو ٢٠٠٧م (باختصار وتصرف).

القيم وصناعة الثقافة:

تأخذ تعاليم الإسلام مساحة واسعة في تفكير المسلمين، ومنها يستمد المسلمون قِيَمهم، التي تعكس ثقافتهم، فهي التي تهذّب سلوك الفرد، وتقوي وحدة الجماعة، وتوجه المجتمع نحو الخير والعمل، وتلزمه بالقِيَم الإنسانية؛ كالصدق والإيثار والتضحية والمحبة واحترام الآخر، وغيرها من القِيَم التي تَحْكُم سلوك أفراد هذا المجتمع، وهذه التعاليم الإسلامية مستمدّة من القرآن الكريم والحديث الشريف ويمكن تصنيفها إلى[1]:

* **قِيَم في مجالِ العقيدة**: تشمل القِيَم الإيمانية والعادات والمعاملات.
* **قِيَم في مجال علاقة الفرد بغيره**: وتشمل قِيَم التعامل مع الآخرين من صِدق القول والعمل، وصِلَة الرَّحم، والإيثار، وغيرها.
* **قِيَم في مجال علاقة الإنسان بالكون**: وتشمل القِيَم العِلْمية من التفكير والتدبُّر والتخطيط.

وهناك من يُصنِّف القِيَم إلى خمسة أقسام، هي:

١ - **قِيَم الإيمان بالله**: وهي القِيمة العُلْيا في الإسلام، ويتشعَّب منها القِيَم المتعلّقة بالعقائد والعبادات والمعاملات، وتأتي هذه القِيَم على رأس هذه المنظومة.

٢ - **قِيَم العِلْم النّافع**: وتتمثّل في استخدام العقل في التفكير والتدبُّر

(١) المرجع السابق.

واستخدام المنهج العِلْمي في كشف الحقيقة والكون، ويرى أن الإيمان بالله يستلزم طلب العِلْم النّافع، وأن الأخير يعزّز الإيمان بالله.

٣ - **قِيَم العملِ الصالح**: وتتمثّل في إتقان العمل والاجتهاد فيه، وأن العمل ضرورة لعمارة الكون، ويرى أنها ثمرة من ثمرات الإيمان، وهو مرتبط دائماً مع الإيمان في آيات عديدة.

٤ - **قِيَم الخُلُق والحسن**: وتتمثّل في حُسْن التعامل مع الآخرين، والإيثار، والمصلحة العامة، وحُب الآخرين، وقِيَم التسامح وبر الوالدين، والإحسان، والصبر على الشدائد.. إلخ. فمكارم الأخلاق قِيَم عُلْيا مرتبطة مباشرة بقِيَم الإيمان الصَّادق، كما أن الخُلُق الكريم يُنَمّي رُوح التعاون والتكافل والتراحم بين الناس.

٥ - **قِيَم التعاون الجماعي**: وتتمثّل في التعاون بين الناس على البرّ والتقوى، ودرء المصائب، والوقوف مع الآخرين، والعمل المؤسسي المشترك الذي يساعد على إطلاق الطاقات وتحريرها.

إنَّ على الأُسرة - في ضوء ما سبق - أن يكون لديها الجهاز الخاص بها، والذي يعزّز المفاهيم السابقة عن طريق الجرعات الدورية المنتظمة من التغذية (بالكلمة - بالحركة - بالموقف) لدى كافّة أفراد الأُسرة، وعليها أن تنهض لاستعادة دورها في تعزيز

الانتماء للثقافة الوسطية في إطار الإسلام، مَرَّة بالمشاركة مع الوسائط التربوية في المدرسة، وفي المسجد، وفي الإعلام، ومَرَّة ببرامج داخلية تُشْرف عليها الأُسرة الممثلة بالوالدين، وَمَرَّة ثالثة بالاستعانة بالأنشطة الهادفة والحيوية، والتي تقوم بها بعض الجمعيات ذات الطابع الثقافي الملتزم، والتي تملك كمّاً طيِّباً من المهارات والخبرات عبر برامجها السنوية المتميزة.

معايير تعين على التعامل الثقافي:

هناك معايير ينبغي للأُسرة أن تتقيّد بها وسط ما يعجّ به الفضاء الثقافي من أمواج متلاطمة تارة باسم العولمة، وتارة باسم الانفتاح - وعندما نقول (على الأسرة)، نقصد الأجهزة المكلّفة بصيانة الأُسرة من تلوثات البيئة المحلية والخارجية سواء أكانت هذه الأجهزة رسمية أم أهلية - وأبرز هذه المعاير هي:

١ - الدفاع عن الحق في الاختلاف الثقافي والتعددية الثقافية في مواجهة محاولات فرض الثقافة الأحادية للعولمة، بما تحمله من قيم وعادات تتنافى مع أصول ثقافتنا العربية وعقيدتنا الإسلامية.

٢ - احترام التعددية الثقافية داخل مجتمعاتنا، وصيانة الحرية الثقافية للأقليات في إطار المرجعيات الثقافية العامة للمجتمع،من منطلق أن القهر الثقافي لا يؤدي إلى تحقيق السلام الاجتماعي.

٣ - الانفتاح الواعي على الثقافات الأخرى في إطار حوار متكافئ قائم على العطاء المتبادل، ورفض العزلة الثقافية التي تقود إلى الجمود والتخلّف وعدم الإسهام في تنمية الحضارة الإنسانية.

٤ - المحافظة على الخصوصية الثقافية التي تميّز عطاءنا الحضاري كشرط للانفتاح الثقافي على الآخر الثقافي والحضاري، فتشبثنا الواعي بهذه الحصون الحضارية يشكل سنداً ضرورياً في معركة النهوض والرقي الحضاري.

٥ - علينا أن نرسم بدقة الحدود التي تفصل بين الحاجة إلى الدخول في وضعية التثاقف مع الآخر الحضاري من منطلق الحوار والتبادل الثقافي المفيد والإسهام في خط سير الثقافة الإنسانية، وبين الحاجة إلى الحفاظ على الهوية الذاتية والخصوصية الثقافية من منطلق المحافظة على تميّز عطائنا الحضاري، وحماية ثوابتنا العقائدية والاجتماعية.

٦ - الدِّين الإسلامي يمثِّل صلب الهوية الذاتية للأُمَّة، وأهم عنصر في خصوصيتها الثقافية.

٧ - الأصالة لا تتعارض مع المعاصرة، فالأصالة لا تعني التخلف وعدم الأخذ بأسباب التطور التي تتيحها الثورة العلمية والتكنولوجية، كما أن المعاصرة لا تعني الاغتراب عن القِيَم والمبادئ الإسلامية.

٨ - التاريخ له دور في الربط بين القديم والحديث؛ فالقديم هو الذي يفسح المجال لقيام الحديث، والمكتسبات الماضية هي التي تمكّن الذهن والخيال من الإبداع والاختراع، كما أن التجديد هو الذي يبعث الحياة في القديم ويورثه القوة والفاعلية.

٩ - الطريق الوحيد لنهوض ثقافتنا الإسلامية - في عصر العولمة - هو أن تنهض من ذاتها وتنمو نمواً داخلياً بجهد أبنائها، وذلك بالعودة إلى مخزونها الثري فتحييه وتجدده دون أن يأخذ ذلك منهج أسْر الحاضر في قيود الماضي من جهة، وبالتفاعل الإيجابي مع الثقافات الأخرى تجنبنا للانغلاق والتحجر من جهةٍ أخرى.

* * *

الأسرة وتعزيز الانتماء للإسلام

تعتبر «القدوة» من أهم وسائل تعزيز انتماء الأسرة للإسلام، إن لم تكن أهمها على الإطلاق، وذلك لوجود تلك الغريزة الفطرية الملحّة في كيان الإنسان التي تدفعه نحو التقليد والمحاكاة، خاصة عند الأطفال الصغار، فهم أكثر تأثراً بالقدوة، إذ يعتقد الطفل في السنوات الأولى أن كل ما يفعله الكبار صحيح، وأن آباءهم - كما يقول ابن خلدون في مقدمته - أكمل الناس وأفضلهم، لذا فهم يقلدونهم ويقتدون بهم.

ويبدأ التقليد عند الأطفال عادة منذ السنة الثانية تقريباً، ويبلغ التقليد غايته في سن الخامسة أو السادسة، يستمر على حاله حتى الطفولة المتأخرة. وقد تنبه السلف الصالح رضوان الله عليهم جميعاً - إلى هذا الأمر وأهميته، فهذا «عمرو بن عتبة» ينبه معلّم ولده لهذا الأمر، فيقول: «ليكن أول إصلاحك لولدي إصلاحك لنفسك، فإن عيونهم معقودة بعينك، فالحسن عندهم هو ما صنعت، والقبيح عندهم ما تركت»، وذلك لأن الأطفال يصعب عليهم إدراك المعاني المجرّدة بسهولة، ولا يقتنعون بها بمجرّد سماعها من المربي، بل لا بد من المثال الواقعي المشاهد.

فكيف ينشأ أطفال صالحون يرون ويشاهدون التباينات في حياة

الأمة. إنهم مهما سمعوا من المربين؛ فإنهم لن يحملوا في داخل أنفسهم سوى الصورة التي يرونها أمامهم من أنواع وأنماط السلوك، إن خيراً فخير، وإن شراً فشر[1].

رغم أن الرسول ﷺ حذَّر من مخالفة الأقوال للأعمال، وبيَّن أن من فعل ذلك استحق العقوبة التي تناسبه، وفي ذلك يقول الرسول ﷺ: «**يؤتى بالرجل يوم القيامة، فيلقى في النار، فتندلق أقتاب بطنه، فيدور بها كما يدور الحمار بالرحى، فيجتمع إليه أهل النار فيقولون: يا فلان ما لك؟ ألم تكن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر؟ فيقول: بلى، قد كنت آمر بالمعروف ولا آتيه، وأنهى عن المنكر وآتيه**»[2]. وسبب هذا التحذير الشديد من مخالفة القول للعمل ما يمكن أن تسبّبه هذه المخالفة من ضرر نفسي فادح بالمقتدين، خاصة الأطفال الذين لا يعقلون، فالطفل الذي ينشأ وهو يظن أن والده منافق مراء في عبادته وأمور دينه، يكون أصعب الأطفال طرّاً في اجتذابه واستمالته إلى الدِّين.

فالطفل في حوالي السنة السادسة من عمره تقريباً يمكن أن يحدّد مدى التزام أهله بالتوجيهات التي يأمرونه بها، فالتلقين لا يثمر مع الولد وإن استُعملت معه جميع أنواع ووسائل التربية إن لم تجد القدوة الصالحة التي تكون بمثابة ترجمة عملية للمعاني المجردة،

(١) عدنان حسن، تربية الولد في مرحلة الطفولة، دار المجتمع للنشر والتوزيع، ص ٦٧.

(٢) مسلم، صحيح مسلم، كتاب الزهد والرقائق، ج٤، باب عقوبة من يأمر بالمعروف ولا يفعله، حديث رقم (٥١)، ص ٢٢٩١.

وصدق الله العظيم في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝﴾[1].

وعلى العموم فإن أمور الإسلام من عقائد وعبادات ومعاملات وأخلاق وغيرها يتمثَّلها الطفل من البيئة - على وجه الخصوص - ومن الشخص المفضل ذي النفوذ مثل الأب أو الأم، ويرتضيها حقيقة مُسَلَّماً بصحتها، لا يناقشها، لأنه لا يشك في صحتها، وقد يخطئ المربون في تعرف اهتمامات الطفل الدينية في هذه المرحلة، فيقدمون له تفسيرات دينية غير ملائمة، وحينئذٍ إما أن ينبذها - كما ينبذ أية فكرة لا تتوافق مع تكوينه النفسي، وإما أن يتقبلها على مضض مجاملة للأهل، وضماناً لاستمرار عطفهم، ولكنه تقبّل مؤقت يخفي معارضة مكبوتة.

ركائز البناء في مجال الانتماء:

هناك ركائز لبناء الإنسان في مجالات الإسلام المختلفة سواء على صعيد العقيدة أو العبادات أو المعاملات:

أ - ففي مجال العقيدة:

١ - **الإيمان بالله تعالى**: فعلى الأسرة أن تبتعد عن تلقين الأطفال اسم الله تعالى من خلال أحداث أليمة، ذلك لأن الخبرات الأليمة لها

(١) سورة الصف، الآيتان ٢ - ٣.

أثرها في تشكيك المؤمن في عقائده وانحيازه إلى النزعة الأخرى.

ومن الأحداث الأليمة عند الطفل - مثلاً - أن نقرن له ولادة الطفل بشق بطن أمه، فيتصور أن فعل الميلاد أمر بشع، وحيث أن مولد طفل جديد يثير قلقه، فمن المحتمل أن تكون أولى خبرات الطفل بالله تعالى خبرات أليمة. لذلك يجب ذكر اسم الله تعالى أمام الطفل خلال موقف محبب سار، ولا يجوز للمربي أن يرعب الطفل بغير موجب بكثرة الحديث عن الله تعالى وعذابه، والنار وبشاعتها، إنما يجب أن نبدأ بالترغيب، حتى يتعلق قلب الطفل بالله تعالى من خيط الرجاء أولاً فهو أحوج في صغره إلى الحب.

٢ - **حب الرسول ﷺ** : وهذا يتأتى من خلال سردنا لمواقف محدّدة من سيرة صاحب الرسالة سيدنا محمد ﷺ ، وهي مواقف تزخر بالسلوك النبوي، والخلق السامي، والعبادة النموذج.

٣ - **الإيمان بالملائكة**: إن العالم يضم مخلوقات كثيرة لا نعرفها، ومن بينها الملائكة، هكذا ينبغي مخاطبة الطفل، وأعمال الملائكة كثيرة، فيها حفظ اللسان، وكتابة ما يعمله المرء في دنياه، ومنها إنزالها لنصرة المسلمين في المعارك مع ضرب الأمثلة.

٤ - **التشويق إلى الجنة**: عدم التركيز على التخويف الشديد من النار،

فالطفل ذو نفس مرهفة شفافة، فلا ينبغي تخويفه ولا ترويعه، لأن نفسه قد تتأثر عكسياً، وإنما يستحسن للأسرة أن تمر - في جلساتها مع أطفالها - على ذكر جهنم مرّاً خفيفاً مع التشويق المستمر في الجنة وما بها من ملذات.

ب - وفي مجال العبادات:

- على الأسرة أن تربط أطفالها بالعبادات وذلك بتكليفهم بمشروعات منزلية ومدرسية بسيطة، لها علاقة بالعبادات، مثل رسم الكعبة، ومعرفة وضع الحجر الأسود، ومتابعة الصلاة، وتحديد القبلة عن طريق شراء البوصلة.. وغيرها من المشروعات الهادفة والبسيطة المناسبة للأطفال.

١ - **الصلاة**: من المعلوم أن الإسلام كلفنا أن نأمر أطفالنا بالصلاة عند السابعة من العمر، وأن نعاقبهم إذا قصَّروا في تأديتها عند العاشرة، لقوله ﷺ: «**مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر، وفرِّقوا بينهم في المضاجع**»[1]. وهنا تبدأ الأسرة بأمر الطفل بالصلاة عندما يحين الوقت ويتهيأ بعض أفراد الأسرة لأداء الصلاة، أن يقف الطفل معهم وذلك في مرحلة وعيه وعند إدراكه يمينه ويساره، فقد أخرج أبو داود في سننه قال: حدثنا سليمان بن داود المهري، حدثنا ابن

(١) مسند الإمام أحمد (٢/ ٦٧).

وهب، حدثنا هشام بن سعد، حدثني معاذ بن عبدالله بن حبيب الجهني؛ قال: «دخلنا عليه فقال لامرأته: متى يصلّي الصبي؟ قالت: كان رجل منا يذكر عن رسول الله ﷺ أنه سئل عن ذلك فقال: «**إذا عرف يمينه من شماله فمُروهُ بالصلاة**» [1]. بعد ذلك يأتي تعليم الطفل الصلاة، فقد روى البخاري حديثاً ذكر فيه أنه ﷺ صلى مرة بالناس إماماً وهو على المنبر ليروا صلاته كلهم، ويتعلَّموا منه أفعاله ومشاهدته، فلمّا فرغ أقبل على الناس فقال: «**يا أيها الناس.. إنما صنعت هذا لتأْتَمُّوا بي ولتَعْلَموا صلاتي**»[2].

وعلى الأسرة أن تعلّم أطفالها الأمور التي تسبق الصلاة من طهارة ولباس، ومعرفة القبلة، وأفضلية حضور الجماعة، والصلاة في أوقاتها.

وهذا كان فعل السلف الصالح اقتداء بمنهج الرسول ﷺ والذي كان يباشر بنفسه تعليم الأطفال كل ما يتعلق بالصلاة، فقد أخرج أبو داود، والترمذي، والنسائي، عن الحسن بن علي بن أبي طالب - رضي الله عنهما - قال: علَّمني رسول الله ﷺ كلمات أقولهن في الوتر: «**اللَّهُمَّ اهدني فيمن هديت، وعافني فيمن عافيت، وتولَّني فيمن تولّيت، وبارك لي فيما أعطيت، وقني شرَّ ما قضيت، فإنَّك**

(١) سنن أبي داود، الحديث (٤٩٧)، ج ٢، ص ٦٣.

(٢) رواه النسائي (٢/ ٥٩)، والبيهقي في السنن الكبرى (٣/ ١٠٨، ٥/ ١٩٥)، والطبراني في الكبير (٦/ ٢٠٧).

تقضي ولا يُقضى عليك، وإنَّه لا يُذِلُّ مَن والَيت، تباركت ربنا وتعاليت»[1].

وعلى أفراد الأسرة أن يلحظوا جانب انتماء أطفالهم للدِّين العظيم أثناء الجانب التطبيقي للعبادات مثل الصلاة والإقبال عليها كواجب وبحب وشوق.

وليعلم الآباء والأمهات أن للصلاة فوائدها وأسرارها النفسية والخُلقية والاجتماعية التي تزيد من رابطة الانتماء، خاصة عند أخذ الطفل إلى المسجد، وربطه به عبر دروس تعليم القرآن الكريم في الحلقات التي تقام بالمسجد، أو حضوره بعض الدروس البسيطة في مجال القصص القرآني وغيرهما.

إن الأسرة التي تعتاد التوجه إلى المسجد، وتأمر أفرادها بذلك.. خاصة الأطفال، هي الأسرة التي تسير على هدي رسول الله ﷺ، فهذا جابر بن حرة رضي الله عنه يقول عن طفولته وصحبته لرسول الله ﷺ : صليت مع رسول الله ﷺ صلاة الأولى (يعني الظهر) ثم خرج إلى أهله وخرجت معه، فاستقبله والداه، فجعل يمسح خدي أحدهم واحداً واحداً، قال: وأما أنا فمسح خدّي فوجدت ليده برداً أو ريحاً كأنما أخرجها من جؤنة عطار (أي السقط الذي فيه متاع العطار)[2]، وهذا الإمام أبو حامد الغزالي رحمه الله تعالى لم

(١) رواه أبو داود، الحديث (١٤٢٥).

(٢) صحيح مسلم، ج ٢، ص ٣٢٨، وأبو داود الحديث (٤٩٥).

يمنع الصبي من دخول المسجد فيقول: «ولا بأس من دخول الصبي المسجد إذا لم يلعب، ولا يُحرم عليه اللعب في المسجد ولا السكوت على لعبه إلا إذا اتخذ المسجد ملعباً وصار ذلك معتاداً فيجب المنع منه»[١]. أما الوقت الذي يؤخذ الطفل فيه إلى المسجد، يقول محمد نور سويد: «عندما يستطيع الطفل قضاء حاجته بنفسه، ويصبح نظيفاً، فلا يبول ولا يتغوَّط تحته، وإنما يذهب إلى بيت الخلاء بنفسه، ويكون قد تعلَّم آداب المسجد من دخوله بهدوء»[٢].

٢ - **الصوم**: ورد في صحيح البخاري، في باب صوم الصبيان، عن الربيع بنت معوذ قالت: أرسل النبي ﷺ غداة عاشوراء إلى قرى الأنصار: «**من أصبح مفطراً فَلْيُتِمّ بقية يومه، ومن أصبح صائماً فليصم**»[٣]، قالت: فكنّا نصومه بعد، ونصوّم صبياننا، ونجعل لهم اللعبة من العهن، فإذا بكى أحدهم على الطعام أعطيناه ذاك حتى يكون عند الإفطار. قال الحافظ ابن حجر العسقلاني معلقاً على الحديث: «هذا حجة على مشروعية تمرين الأطفال على الصوم؛ لأن من كان في مثل السن الذي ذكر في هذا الحديث فهو غير مكلَّف وإنما صنع لهم ذلك للتمرين».

---

(١) إحياء علوم الدين، ج ٢، ص ٤٨٦.

(٢) محمد نور سويد، منهج التربية النبوية للطفل، ص ١٣١.

(٣) رواه البخاري (٣/٤٨)، وانظر فتح الباري (٤/ ٢٠٠).

إن الأسرة التي تربي أطفالها على التمرين والتدريب لأداء الصوم تقصد فوائد جمّة يمكن أن نذكر بعضها في الآتي:

١ - زيادة الانتماء لتعاليم الدِّين، عن طريق التعوُّد على القيام بالعبادة في وقتها، فيتعود الطفل النظام والطاعة والالتزام، لأن العبادة تأتي في أوقات محدّدة حيث يخضع فيها لنظم ثابتة (مواعيد الصوم، مواعيد الإفطار، مواعيد السحور)، ومن ثم فهو يأكل بنظام، وينام بنظام، والمجتمع المسلم في رمضان يتميَّز بالنظام، وهو نظام يستوي فيه الجميع: الكبير والصغير، العالم والجاهل، الأنثى والذكر، الغني والفقير، والحاكم والرعية، ومن ثم فهذه إحدى الوسائل لتربية الأطفال على الانتماء.

٢ - التعوُّد على الأمانة في كل أمور الحياة، لأن الصوم تربية للضمير، يشعر فيها الطفل أن الله - سبحانه وتعالى - رقيب عليه، وبالتالي فعليه أن يحرص على مرضاته، وكل هذا سوف يولد في نفسه إيماناً وتسليماً وقناعة ذاتية بحيث يقبل على فعلها، والتمسُّك بها بملء حريته وإرادته، بعد أن تكون الأسرة قد غَرَست في نفسه الصورة المُشْرِقة لتلك العبادة، بحيث يتعلَّق بها في وقت لاحق قبل بلوغه، فلا تُشَقُّ عليه بعد البلوغ.

٣ - عبادة الصوم تشعر الأطفال بمساعدتهم للفقراء في المجتمع

والمحتاجين، ومن ثَم يتدرَّب الأطفال على الصدقات وما أكثرها في شهر رمضان، وكثرة الإنفاق في مجال الخير من الفوائد العظيمة التي تنمو مع الطفل فيرقّ قلبه. ومن ثم يبتعد عن ظاهرة «العدوانية» وعن الصحبة السيِّئة، ويتعلَّم كيف يقضي وقته فيما يصلح حاله ويزيد رصيده للدار الآخرة.

٣ - **الحج**: على الأسرة أن تدرِّب أطفالها للذهاب إلى الدِّيار المقدَّسة في العمرة، وتدرّبه على لِبْسِ الإحرام وترداد التلبية، وزيارة المشاعر ومناسك الحج ليتعرفوا عليها، فعن جابر قال: «حججنا مع رسول الله ﷺ ومنّا النِّساء والصبيان، فلبَّينا عن الصبيان ورمينا عنهم» رواه ابن ماجه.

وعن السائب بن زيد قال: «حج بي أبي مع رسول الله ﷺ وأنا ابن سبع سنين»[(١)].

وعن ابن عباس أن النبي ﷺ لقى ركباً بالروحاء فقال: «**من القوم؟**» قالوا: المسلمون، فقالوا: من أنت؟ قال: «**رسول الله** »، فرفعت إليه امرأة صبياً فقالت: ألهذا حج؟ قال: «**نعم ولك أجر**»[(٢)].

ج - **السلوك والمعاملات**: إن دور الأسرة في جانب السلوك والمعاملات دور متعدد الوظائف، فليس المطلوب فقط تزكية

(١) رواه البخاري (١٨٥٨).

(٢) رواه مسلم (١٣٣٦ - ٤٠٩).

الفضائل الحسنة أمام الأطفال، وإنما المطلوب أيضاً أن تكون التنشئة الواقعية على تلك الفضائل الحسنة.

لأن هذا الأمر من الأدوار المهمة في تعزيز الانتماء للإسلام، والتي ينبغي على الأسرة أن توليها المكانة المكافئة لحمل الأمانة، باعتبار أن الأطفال أمانة وضعها الله تعالى بين يدي الأسرة وهي مسؤولة عنهم تربوياً.

ومن مستلزمات التربية والرعاية التي يجب على الأسرة القيام بها تجاه أطفالها تأديبهم بآداب الإسلام، حتى يصبحوا نماذج طيِّبة في الأقوال والأفعال؛ لأن الطفل ميَّال بطبعه إلى تقليد ومحاكاة كل ما يراه ويقع تحت حسِّه أو سمعه أو يراه رَأْيَ العين.

إن الأسرة الواعية هي التي تراقب تصرفات أطفالها من أجل تقويمها، ومتابعة تنمية الجوانب الإيجابية في هذه التصرفات، وتعديل السلوك إذا كانت تحتاج إلى ذلك، تنفيذاً لقول الرسول ﷺ: «**إلزموا أولادكم، وأحسنوا أدبهم**»[(١)].

إن غرس الآداب في التعامل مع الأطفال يُعَدُّ أفضل من الصَّدقة التي تُطفئ الخطيئة، وإن الأسرة التي تقوم تباعاً بحمل الطفل على الالتزام بهذه الآداب حتى تتراكم تلك الآداب والفضائل في نفسه،

(١) الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني، تحقيق أحمد عبدالرحمن البنا الشهير بالساعاتي، ج ١٩، ص ٤٥.

خير لها من التصدق بصاع بعد صاع، وذلك لقول رسول الله ﷺ: **«لأن يؤدب الرجل ولده خير من أن يتصدق بصاع»** (1).

وهناك مجالات كثيرة لمثل هذه الآداب التي تقوم بها الأسرة مع أطفالها، والتي تظهر في سلوك الأطفال حينما يتعاملون مع الآخرين، وأبرز هذه الآداب:

- الأدبُ مع الوالدين: باحترامهما وتوقيرهما وتنفيذ أوامرهما وطاعتهما في السرَّاء والضرَّاء، والدُّعاء لهما عند الوفاة.
- الأدبُ مع الأخوّة وكبار السن من الأقارب وغيرهم.
- الأدبُ مع المعلم وذلك لأنه ذو خصوصية تميزه عن الآخرين.
- الأدبُ مع الجار وإعطاؤه حقوقه المعروفة.
- آدابُ الاستئذان في دخول البيوت.
- آدابُ الحديث والسلام.
- آدابُ الطعام والشراب.
- آدابُ المشي والجلوس.
- آدابُ سماع القرآن الكريم والإنصات إليه.

ولكلٍ آداب قائمة كبيرة يمكن الرجوع إلى كل واحدة منها بشيء من التفصيل في أجزاء الموسوعة التي سبق إصدارها.

(1) رواه الترمذي الحديث (١٩٥١)، والإمام أحمد في المسند (٥/٩٦، ١٠٢).

الفصل الثاني

الدولة والمواطنة في الأسرة

١ - الأسرة في أنشطة الأجهزة الرسمية المؤثرة في ثقافة المجتمع (التربية، والإعلام، والإرشاد الديني).

٢ - دعم الأسر المحتاجة وتعزيز الانتماء.

الأسرة في أنشطة الأجهزة الرسمية المؤثرة في ثقافة المجتمع (التربية، والإعلام، والإرشاد الديني)

احتلت الأسرة «كوحدة اجتماعية» حيِّزاً واضحاً في بناء المناهج الدراسية والخطة التعليمية سواء على صعيد الأهداف العامة أو الأهداف الخاصّة، ولعلَّ النظام التربوي بمفرداته المتكاملة قد أبرز أهمية «الأسرة» عند التخطيط العام لبناء الوحدات الدراسية لكل مرحلة من المراحل التعليمية.

وفي هذا السياق قام المركز العربي للبحوث التربوية لدول الخليج في الكويت بوضع منهجية لتضمين المناهج مفاهيم خاصة وهي منهجية حديثة جداً تم إعدادها في العام ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.

وقد ذكرت هذه الدراسة دور الأسرة في أنشطة الأجهزة الرسمية المؤثرة في ثقافة المجتمع خاصة أنشطة أجهزة التربية، والجوانب اللصيقة بوظائف الأسرة في مجالات الرِّعاية الصِّحيَّة والاجتماعية والثقافية، وتوزيع هذه الوظائف على المراحل الدراسية المختلفة ابتداءً من الحلقة الأولى من المرحلة الابتدائية حتى المرحلة الثانوية مروراً بالمرحلة المتوسطة.

كان المنهج الدراسي فيما مضى يُعنى بأمرين، نافذة إلى الماضي وتفاعلاً مع الحاضر، أما المستقبل فإن النظرة إليه كانت محدودة،

لكن المنهج المعاصر الذي اتضحت عناصره ومكوناته منذ منتصف القرن الماضي قد أصبح يتجه في كثير من مطالبه إلى المستقبل، لأنه يعد الفرد للحياة، فيتمثلها (مفاهيم ومعلومات)، ويؤديها (قدرات ومهارات)، وقد اعتمد استشراف المستقبل وتوقعاته على تداعيات الحاضر، حيث يجتهد المفكرون وذوو الخبرة المتجددة في التماس ما سيكون من تحليل ما هو كائن.

ومن المستجدات ذات التأثير في حركة الحياة والتي لا بد من أن يتهيأ لها كل طالب ما يأتي:

١ - ما أصاب البيئة من تغيرات ناجمة عن اختلال التوازن الطبيعي بين عناصرها، لقد خلق الله كل كائن لوظيفة يؤديها متفاعلاً مع غيره من العناصر الأخرى في حركة دقيقة متوازنة أحكمتها قدرته سبحانه، قال تعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا﴾ [الفرقان: ٢]، وقال سبحانه: ﴿لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [يس: ٤٠]، لكن الإنسان هو الذي أصاب ذلك التوازن بالخلل حين اجتهد محاولاً الاستفادة مما سخَّر الله له في هذا الكون، فأثر على التوازن الطبيعي، وكان ممّا تأثّر بهذا الخَلل هو البيئة التي يُعَدُّ الإنسان جزءاً منها متأثراً بها ومؤثراً فيها، فأصبحت بهذا الخلل مصدر ضرر للإنسان بعد أن كانت مصدر خير له.

٢ - لقد تعاقبت على الإنسان دواعي الأمراض التي جاءت نتيجة

طبيعية للتلوث مما خلفته المصانع، وما غيرت به النفايات وجه الطبيعة التي كانت في برها وبحرها وأرضها وسمائها مصدر خير ومتعة للإنسان، فتسمم الماء والهواء، وأصيب الزرع والضرع، وزاد من هذا البلاء ما منيت به الإنسانية من حروب كانت وراء أسلحة الدمار الشامل ومخلفاته، وما سببته التجارب النووية من مخاطر بفعل نفاياتها، فقد باتت صحة الفرد والمجتمعات مهددة بمخاطر محدقة بالإنسان في طعامه وشرابه، وما يستنشق من هواء، ولم يكن أمامه مفرّ من مواجهة هذه الأخطار.

٣ - يرتبط بالبيئة تلك التغيرات التي حدثت في المجتمعات الإنسانية بعامة نتيجة الانفجار السكاني الذي تعاني منه بعض المجتمعات، حيث أخرج السكن عن طبيعته ووظيفته، فلم يعد موطن راحة واستقرار وهدوء، ولم يعد السكن ملتقى الأبناء لممارسة النشاط الحيوي، ولم يعد منتدى للكبار لمعالجة قضاياهم والبحث في مستقبل حياتهم بفعل الضوضاء والإزعاج والأجواء الملبّدة بغيوم الدُّخان الصاعد من المصانع والشاحنات والسيارات.

٤ - التطور العلمي والتقني المعاصر الذي فرض وجوده على كل مؤسسة وعلى كل بيت، . هذا التطوُّر الجديد والمؤثر أصبح ضرورة حياة ليعيش الإنسان طبيعة العصر، وإلا كان غريباً عن هذا الوجود، وإذا كان لهذه التطورات التكنولوجية

إيجابياتها فإن لها أيضاً سلبياتها مما يفرض علينا تبني ضوابط التعامل معها واستخدامها لنجنب أبناءنا شرورها، ونعينهم على حُسْنِ الاستفادة منها.

٥ - وسائل الاتصال التي طوت الأبعاد واجتازت العوائق، فلم يعد أي مجتمع بمعزل عن غيره من هذا العالم، بل أصبح أي فرد يمكنه أن يرى كل ما يدور في العالم وهو في مخدعه، بعد التطوُّر المذهل في عالم الاتصال مما كان له أثر واضح في سلوكيات شبابنا، كما ترتَّب عليه تعدد وسائل الاتصال، حيث فتحت الأبواب على مصاريعها أمام الأبناء للاطلاع على ثقافات فيها ما قد يتعارض مع ثقافتنا، وإذا كان هناك خطر من ذلك فإن القيم الإسلامية تشكل درعاً واقياً من هذه المخاطر.

٦ - إن التطورات المتلاحقة في جميع صور الحياة للعلم وتطبيقاته قد غيَّرت من نُظُمِ المؤسسات على اختلاف أهدافها ومناهج نشاطها (اجتماعية، واقتصادية، وثقافية، وسياسية)، كما استمدت من الآلات والأجهزة والأدوات ما يحتاج إلى تأهيل وإعداد للتعامل معها وحسن استخدامها وتحقيق الإفادة منها.

لقد توارت بهذا التطوّر صناعات كانت قائمة أو تطوّرت، واختفت وظائف وحلَّت بدائل لها في كثير من المجالات ومواقع العمل، فاحتاج المجتمع إلى متعلّم متعدّد المهارات، متنوّع

الخبرات والكفايات حتى يمكن أن يعيش المتغيرات، ويواجه التحديات، وكان على النظم التعليمية أن تعيد النظر في مناهج التربية لإعداد الأبناء بالكفايات اللازمة المستجيبة لكل تغيير في هذه الحياة.

الأسرة وإعداد الطفل للحياة:

أهم جهد لتربية الطفل وأقدره على التأثير ما تقوم به الأسرة في إعداد الطفل للحياة ويتلخص في الآتي:

أولاً: الرعاية الصحية:

- تخير الغذاء الصحي الذي توافرت فيه العناصر اللازمة لنمو الطفل.
- نظافة شاملة يتمتع بها الطفل في ذاته وملابسه وطعامه وشرابه وكل ما يتعامل معه في المنزل وخارجه.
- الوقاية من الأمراض، وتجنب الأخطار، وتحقيق دواعي الأمن والسلامة في حياته اليومية.

ثانياً: الرعاية الاجتماعية:

- حُب الأبوين وطاعتهما والعمل على إرضائهما.
- حُب الأخوة والأخوات واحترام الصغير للكبير وعطف الكبير على الصغير.
- حُسن المعاملة مع الآخرين ثمرة من ثمرات التوجيه والتأديب.

- حُسن اختيار الأصدقاء في ضوء القيم والمبادئ الاجتماعية.
- الاعتماد على النفس في كل عمل يستطيع أن يؤديه الطفل في مراحل طفولته، ولا يقدم له العون إلا إذا احتاج إليه.

ثالثاً: الرعاية الثقافية:

- تعرف البيئة الطبيعية المحيطة بالطفل (مقوماتها - مكوناتها - تكاملها)، وإدراك أنها مصدر الخير لنا جميعاً (في برها وبحرها. صبحها ومسائها. مائها وهوائها. طيرها وحيوانها)، ما أودعه الله تعالى من خير لنا وللناس جميعاً.
- الحي الذي يقيم فيه الطفل (مرافقه ومؤسساته - حدائقه - ميادينه - شوارعه) وما يعود على الفرد والجماعة من خدمات الأمن والسلامة، ووسائل الاتصال، وما تقدمه المؤسسات من مختلف أشكال الرعاية، ليل نهار.
- السكان (فئاتهم - نشاطاتهم اليومية - العلاقات التي تحكم حياتهم - عاداتهم وتقاليدهم - زياراتهم ورحلاتهم وأعمالهم، ومؤسسات لقاءاتهم كالنوادي والمساجد والمكتبات والجمعيات وكل ما ينتظم أحياءهم من خصوصيات)[١].

(١) تستمر رعاية الأسرة على هذا النحو مع مراعاة النمو المطرد في مختلف مجالات الإعداد للحياة، وقد تحتاج بعض الأسر المحدودة الثقافة إلى عون من يهيئها لمواصلة أداء دورها في رعاية الطفل، وعلى الوزارات المعنية أن تتولى مساعدتها، ومن الوزارات ذات الصلة بهذا النشاط وزارة الشؤون الاجتماعية والعمل، والتربية، والصحة، والإعلام، والأوقاف والشؤون الإسلامية..

المؤسسة التربوية وإعداد الطفل للحياة:

*** الحلقة الأولى من المرحلة الابتدائية (الصفوف ١ - ٣ ابتدائي):**

ينبغي أن تكون الحلقة الأولى من المرحلة الابتدائية امتداداً للأسرة، ونعني بذلك أن يُحَاطَ الطفل بروح الأبوة في مدارس البنين، وبروح الأمومة في مدارس البنات، فتستمر الرعاية الصحية والاجتماعية والثقافية والخلقية على النحو الذي سبق بيانه في الأسرة، ونظراً لأن الحلقة الأولى من المدرسة الابتدائية تنصبُّ عنايتها بالدرجة الأولى على تعلّم اللغة العربية، وإتقان المهارات الأساسية للاستماع والتحدث والقراءة والكتابة والحساب وبعض المفاهيم العلمية، وقدر من الثقافة الإسلامية فإن نصيب المفاهيم الحياتية قد يأتي من خلال دروس اللغة العربية والثقافة الإسلامية والتربية الوطنية، ويكون التركيز فيها على الآتي:

١ - تَعرُّف الطفل على البيئة الطبيعية من حوله بصورة أشمل مما تعلمه في محيط الأسرة، فيكتسب بعض المفاهيم الضرورية التي تستهدف أمرين - ما أودعه الله عزَّ وجل البيئة الطبيعية من مصادر خير ونفع للإنسان - وتكوين اتجاه إيجابي نحو البيئة حرصاً على سلامتها ونظافتها لتظل مصدراً للخير والعطاء والمتعة والجمال، في هذا الإطار تكتسب مفاهيم الطفل أهمية الهواء النقي والماء الزلال لحياة الإنسان والحيوان، وكذلك أهمية الحيوانات والطيور وما أودع الله

البحار من حُلي اللؤلؤ وطعام الأسماك وجمال الطبيعة في مطلع الفجر ومغرب الشَّمس مما يستدعي شكر المُنعم سبحانه وتعالى على هذا العطاء الوفير.

٢ - تَعرُّف الطفل على فضل وطنه عليه، فهو الذي منحه أسباب الحياة السعيدة، فهيأ له الرعاية الصحية والثقافية والاجتماعية، وجنَّد له عيوناً ساهرة لتحقيق الأمن والسلامة، وأعد له مقومات الحياة الكريمة. والطالب في مقابل هذا العطاء يتمنى أن يأتي اليوم الذي يمكنه أن يرد للوطن شيئاً من الفضل عليه.

هذا القدر يكفي للحلقة الأولى، حيث يتم ذلك عن طريق مقرري اللغة العربية والتربية الإسلامية لما للمجالين السابقين من علاقة وثيقة بها.

*** الحلقة الثانية من المرحلة الابتدائية الصفوف (٤ - ٦ ابتدائي):**

في بداية الحلقة الثانية ما زال التركيز فيها على اللغة العربية لإتقان مهاراتها بما يجعل المتعلّم قادراً على التعبير عن حاجاته ومطالبه، ولذلك فإن أكثر المفاهيم ينبغي أن يدرسها الطفل من خلال اللغة العربية حتى ما يتعلّق منها بالحاجات الفسيولوجية كالطعام والراحة والنوم واليقظة والعناية بالحواس، ومع أن تلك المفاهيم أدنى إلى المجال العلمي لكن تشارك اللغة العربية في حمل بعض العبء

لأن المتعلم في هذه الحالة يستفيد من الناحيتين. إتقان مهارات اللغة واكتساب المفاهيم الأخرى، وكذلك الحاجات النفسية من مثل تجنُّب الخوف، والبُعد عن الأخطار، وتوفير مطالب الأمن والسلامة، والبُعد عن مسببات القلق والاضطراب والتوتر. لكن لا يمنع ذلك من إسناد بعض المفاهيم إلى التربية الوطنية والعلوم لتكون عوناً للمتعلم على الانتقال إلى المجالات التعليمية الأخرى.

لأجل ذلك جاءت جميع مفاهيم الحلقة الثانية مندمجة في مجالات اللغة العربية والتربية الإسلامية والمواد الاجتماعية وقليل منها للعلوم والصحة، وما يخص المعلومات ضمنت في مجال التعلّم بواسطة الحاسوب، ويترك توزيع المفاهيم على صفوف الحلقة الثانية بحسب ما يراه الخبراء والمعنيون في كل من الدول الأعضاء، فلا فرق بين صف وآخر إلا في اللغة التي يقدم المفهوم من خلالها، وهي كلما كانت قريبة من لغة الحياة، مرتبطة بمعالم البيئة المحلية تكون قريبة من لغة الطفل.

*** الحلقة الثالثة من المرحلة المتوسطة (الإعدادية) (الصفوف ٧ - ٩ متوسط/ إعدادي):**

يقف المتعلم على مشارف الحلقة الثالثة بعدما قطع شوطاً من المفاهيم الحياتية وأجاد استخدام اللغة العربية (استماعاً وتحدثاً وقراءةً وكتابة) وأصبحت الكلمة طيعة لأغراضه، يختار من معجمه اللغوي ما يُناسب كل موضوع، ويقدّم أفكاره من خلال تراكيب

لغوية حسن تأليفها، فتتّسع مجالات المنهج لاستيعاب المفاهيم التي تعتمد على المنهج العلمي، وتميل نحو فروع المعرفة، فكان من المناسب أن يدرس المفاهيم من خلال اللغة وبالأسلوب العلميّ. لكن المساق التربوي لا بد من أن يكون مسيطراً على المادة التي تقدم للمتعلم، وكذلك على المواقف التعليمية وطرق التدريس فالحفاظ على الصيغة العلمية للمفهوم قائمة، وفي الوقت نفسه يحس المتعلم بأن المفهوم مقدم من خلال وعاء لغوي جميل.

*** الحلقة الرابعة في المرحلة الثانوية (الصفوف ١٠ - ١٢ ثانوي):**

تعددت روافد الثقافة العلمية للمتعلم، فتجاوزت حدود الزمان والمكان، فلم تعد المفاهيم محدودة ببيئة المتعلّم، ولا بسكنه، ولا بالمواطنة أو المهنة المحلية، بل حملته مراكب الثقافات إلى كثيرٍ من مناطق العالم العربي والإسلامي والإنساني، ليعيش القضايا الكبرى التي تَهُمُّ أُمَّتَهُ والإنسانية كلها، فيرى ما تفعله المؤسسات العالمية في مواجهة ما يصيب البيئة من أخطار، وكيف اتجه العلم الحديث وتطبيقاته إلى تطهير البيئة، وإلى أي مدى كانت الإجراءات سبيلاً إلى سلامة الإنسان وصحته، وإذا كان العلم قد أفاد في الحفاظ على البيئة فلماذا تسمع كل حين عن أمراض جديدة وافدة من مراتع تلك الدول الكبرى؟ ولماذا تتعدد مصادر التلوث حتى تهتكت طبقة الأوزون، وسمحت لأنواع الأشعة الضارة بغزو الحياة الإنسانية في كل مكان؟ وماذا فعلت الثقافات

والحضارات لحماية كوكب الأرض من الأخطار؟ وهل ناطحات السحاب حمت الإنسان في بروجها العالية من الإصابات بالأمراض؟ أم أن الخلل ما زالت فجواته تتسع، وآثاره تزيد انتشاراً، فأصبح العلم الذي يحارب الوباء هو الذي يشكل روافده. أم أن ضياع القيم والمبادئ الإنسانية التي رفع الإسلام قواعدها هي الباقية للحفاظ على الحياة من الانهيار الذي يهددها كل صباح من العالم الذي بلغ من التطور العلمي والتقني مبلغاً متقدماً.

وفيما يتعلّق بالأسرة في أنشطة أجهزة الإعلام، فإن الخطة الإعلامية التي سبق اعتمادها من المجلس الأعلى للإعلام - على سبيل المثال - بعد تحرير الكويت كانت تحفل بالحرص على القيم النابعة من تعاليم ديننا العظيم، لكن لا يخفى أن المشكلة في التطبيق وترجمة هذا المحتوى النظري في الاستراتيجية الإعلامية إلى واقع يطابق الصياغة ذاتها.

وعلى العموم إذا كان لوسائل الإعلام أن تلعب دورها داخل وظيفتها الملتزمة إزاء الأسرة وأفرادها، فلا بد إذن أن تلتزم ببعض الموجهات العامة في هذا الصدد:

١ - التركيز على استخدام مصطلحات وتسميات من قبيل الوطن الإسلامي - الوطن العربي - الأمة المسلمة - الأمة العربية عند ذكر هذه المصطلحات، سواء كانت ضمن المشاهد المرئية أو المسموعة في المسرحية والتمثيلية والفيلم، أو في القصة وما شابه.

٢ - التركيز على التنسيق الدائم بين الأجهزة الإعلامية ومؤسسات المجتمع الأخرى ذات الأنشطة التربوية الهادفة، خاصة في المواسم والمناسبات الدينية والوطنية، من أجل تعضيد الاتجاهات الملتزمة في المجتمع.

٣ - عرض النماذج القدوة من الأجيال الأولى في صدر الإسلام الذين تربوا من خلال الرسالة الإسلامية، وكذلك الذين كانوا معالم طيبة على فترات أخرى لاحقة، وجعل هذه النماذج على اختلافها في المشارب وقدراتها كمادة إعلامية.

٤ - استثمار برامج الرياضة والمسابقات الدولية والأولمبية، وجعلها مواسم لتقديم برامج تعريفية عن الأقطار المسلمة التي تكون طرفاً في هذه المسابقات أو المباريات، وحبّذا لو تم إعداد برامج مسبقة مع هذه الفرق في أقطارهم بإنشاء مزيد من الألفة والرابطة الإنسانية - فضلاً عن أن هذه البرامج الهادفة قد تخفف من «الحدّة» العدائية التي تصاحب مثل هذه المباريات.

٥ - المساهمة والمشاركة في كافة الأنشطة التي تقوم بها المجلات والدوريات المتخصصة ذات البُعد الإسلامي، سواء على المستوى المحلّي، أو العالمي، وربط الأطفال بهذه المساهمات، وتحقيق عالمية الإسلام.

٦ - استحداث البرامج التنافسية بين الأطفال في نفس القطر، أو بين

الأقطار الأخرى في المعلومات العامة، مثل التعرف على الأعلام - الأناشيد لكل بلد - الشخصيات - الأحداث المهمة في البلاد الأخرى - مما يجعل الأطفال أكثر أُلفة بالمفردات القطرية للوطن العربي، وترجمتها إنسانياً وواقعياً.

٧ - التركيز على استخدام الخرائط والصور وإبراز المعالم والملامح المميزة للوطن الإسلامي ككل، بدوله القريبة والبعيدة، وأقاليمه الجغرافية، وتعويده على رؤية صور حيّة ومشوقة عن هذه الأقطار، وسماع لهجاتها حتى تنشأ لدى الطفل أُلفة مضطردة بالوطن الإسلامي الكبير، بشرياً وجغرافياً، ولا يظل الوطن الإسلامي أو الأمة المسلمة مفهومات مجرّدة.

* * *

دعم الأسرة المحتاجة وتعزيز الانتماء

المسلم الفاهم لدينه الملتزم بشرعه يركض نحو الآخرة، أو ما يقرّبه منها، وهذا هو سمت الصالحين في كل وقت وحين، فينظر إلى كل ضعيف أو مسكين أو كسير الجناح أو صاحب كرب أو ذي مسغبة.. ينظر إلى هذه النماذج ويتعامل معها وفق قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ۝ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ ۝﴾ [الضحى: ٩ - ١٠]، ويتفق مع الهدي النبوي الشريف في قول النبي ﷺ: «**الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله**»[١].

إن هذا الشعور مفرق طريق بين من يتحدث عن الإسلام وتعاليمه نظرياً، وبين من يترجم هذه التعاليم بصورة ميدانية، وفي هذا السياق يمكن إيراد بعض الحقائق الآتية:

أولاً: بعض الناس قليل الحول والطول، تعجزه الحاجة، وتنقصه الحيلة، ومن هؤلاء رجال ونساء، أطفال وشيوخ، جعل الله تعالى لمثل هؤلاء في الإتيان لفريضة «الزكاة» عوضاً مادياً، وهو فرض لا يسوغ لمسلم منعه عن مستحقيه، وحق معلوم للسائل والمحروم.

ثانياً: أعطى الإسلام لذوي الوجاهة الاجتماعية والمكانة الأدبية، والكلمة المسموعة والشفاعة المقبولة زكاة، عليهم أن يؤدوها

---

(١) رواه البخاري (٧/ ٨٠، ٨/ ١٠، ١١)، ومسلم في الزهد (٤١)، والزكاة (٧٦٢)، والترمذي الحديث (١٩٦٩)، والنسائي (٥/ ٨٧، ٢١٤٠).

لإخوانهم المحتاجين ويقدموا لهم ما يستطيعون من مساعدات، ومعونات تفرج كربتهم، وتُغيث لهفتهم، وتشعرهم بأن لهم إخواناً في الدين، وأعواناً من كرام المسلمين وكرمائهم.

إن هذه المساعدات المادية والأدبية واجبة على من يعلم من المسلمين ويكون قادراً عليها إذا كان صاحب الحاجة في حالة ضيّقة جدّاً، لأن رفع الضرر واجب على العالمين به، فإن تركوا المتضرر في ضره بدون أن يساعدوه فإنهم قد أثموا كلهم، وقد سبق للمسلمين افتداء أسراهم من أعدائهم ولو بجميع أموالهم، فهل يعقل أن يجب ذلك، ولا يجب فك إنسان مسلم من أسر الحاجة، والذلة، والمرض، والكربات النازلة به.

ثالثاً: أنزل الله تعالى قوله العظيم: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝٤ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝٥ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ۝٦ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ۝٧﴾ [الماعون: ٤ - ٧]، وأنزل قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ ٱلْعَظِيمِ ۝٣٣ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ۝٣٤﴾ [الحاقة: ٣٣ - ٣٤]، وقوله تعالى: ﴿كَلَّا ۖ بَل لَّا تُكْرِمُونَ ٱلْيَتِيمَ ۝١٧ وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ۝١٨﴾ [الفجر: ١٧ - ١٨].

ومن خلال النظر إلى هذه الآيات السابقة، نأخذ المفاهيم الآتية:

أ - قال عبدالله بن عباس - رضي الله عنهما - حبر الأمة وترجمان القرآن: أن الماعون هو «المعروف» كله، ومن أقوال المفسرين

الآخرين نجد أن الماعون اسم جامع لمنافع البيت كالفأس والقدر والنار والدلو والقداحة، وبالتالي فإن الماعون الذي يستحق مانعه العذاب والويل هو المنفعة التي يقدر المسلم عليها ويكون أخوه محتاجاً إليها.

ب - وضع الله تعالى عدم الحض على طعام المسكين مع عدم الإيمان به سبحانه وتعالى، وعدم الحض موقف سلبي، لا يرضاه الله تعالى من مسلم يعلم شدة حاجة أخيه المسلم، فلا يقوم هو بحاجته، ولا يدعو غيره للقيام بها.

جـ - ليس المراد هنا الإطعام فقط، فإن العاري من الثياب ومن الغطاء في شدة الحر والبرد، لا يقل حاجة عن طالب العلم، فقد يؤذيه البرد، وقد تشويه الشمس وتضربه ضربة قد تودي عليه، ومثله المجروح، والمريض، والعاجز وأمثالهم.

رابعاً: هناك ميزة لا تجدها إلا في رحاب الإسلام، حيث يضع المبادئ والأساس ثم يضع التشريعات الفرعية التي تعتبر تطبيقاً لها، وذلك لكل الحالات التي تدعّم الأسر المحتاجة وأفرادها وجسر الهوة بين فئات المجتمع، واشتقاق الوسائل العملية والسريعة لتحقيق ذلك ومنها:

أ - إنشاء بيوت للزكاة تقوم بتفريج الكرب عند المكروب، والتيسير على المعسر، ومعاونة المحتاج، وذلك لكافة الأسر التي تمر بهذه الظروف.

ب - إنشاء اللجان التي تُسمى - مثلاً - لجان الزكاة، والتي تقوم بتقديم كافة أنواع الدعم العينية والمادية والمعنوية - لتلك الأسر التي تشكو من ضيم الزمان وتقلّب الأحوال.

جـ - إعداد مكاتب أهلية أو حكومية تكون من أهدافها ستر العورات، وإقالة العثرات، وتجاوز الزلات، والتوسط من أجل توصيل ذلك كله إلى المسلم إن لم نستطع فعله بأنفسنا، كما نتوسط في إلحاق عاطل بعمل، أو في سداد دين على معسر، أو رفع ضرر أو ظلم واقع، أو إزاحة غرم عن كل أخ في الإسلام يمر بهذه الظروف، وهذا التوسط يُسمى الشفاعة، فإن الشفاعة معناها (سؤال الخير للغير) وهي المذكورة في قوله تعالى: ﴿مَّن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُۥ كِفْلٌ مِّنْهَا ۗ﴾ [النساء: ٨٥].

والمراد هنا أن المسلم إذا سعى لخير غيره فإن الله تعالى يعطيه على سعيه أجراً، سواء أجيب إلى طلبه أم لم يُجَبْ، ومن يسعَ ليضرّ غيره فإنه يأثم، سواء وصل إلى ذلك أم لم يصل. ولذا قال ﷺ: «**اشفعوا تؤجروا، ويقضي الله على لسان نبيه ما أحبّ**»[١]، وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال: «لأن أقضي حاجة مسلم أحب إليَّ من ملء الأرض ذهباً وفضة»[٢].

---

(١) أخرجه البخاري (٢/ ١٤٠، ٨/ ١٤، ١٥٢، ٩/ ٧١)، وأبو داود الحديث (٥١٣٢)، والنسائي (٥/ ٧٨)، والإمام أحمد (٤/ ٤٠٤، ٤٠٩).

(٢) كنز العمال.

خامساً: مما سبق يتضح أن هناك في المفاهيم الإسلامية تأصيلاً لكل ما يدّعم الأسر ذات الحاجة، سواء أكانت الحاجة عاجلة أم آجلة، أم نتيجة الكوارث الطبيعية، من فيضانات أو جفاف يقتل الأخضر، أو زلازل وبراكين، وسواء كانت هذه الأسر بيننا أم في شتى بقاع الأرض، فمن لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم.

سادساً: إن المسلِمَ في الدائرة المحلية - بين بني قومه، وهو يشارك في أفعال البر - والتي ذكرنا طرفاً منها سابقاً - لا يقوم بذلك من فراغ، وإنما يفعل ذلك من خلال أمرين لا ثالث لهما:

الأمر الأول: انتماؤه للدائرة الأوسع - الدائرة الإسلامية - وهي الدائرة التي تحثّ على هذه الأفعال، وتحرّض على القيام بها، وهكذا كان فعل السلف الصالح، والناظر إلى تاريخ المسلمين منذ صدر الإسلام وحتى الآن، سوف يلحظ الأمثلة الواقعية والتي تؤكد مصداقية ما رواه ابن عمر رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ قال: «**المسلم أخو المسلم، لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره، من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته...**»[1] **وفي رواية «ولا يسلمه»**.

الأمر الثاني: أنه قد تمر به هذه الأحوال - أحوال الشدّة - وقد يعاني الظروف الصعبة، وقد يرى نفسه في المستقبل القريب أو البعيد تمر بها ما يمرّ به غيره، ومن ثم يدرك أن الدنيا قُلّب، وهي حبلى تلد

---

(١) رواه البخاري (٣/١٦٨، ٩/٢٨)، ومسلم في البر والصلة (٣٢، ٥٨)، وأبو داود في الأدب الحديث (٤٨٩٣)، وفي النذور (ب ٨)، وابن ماجة (٢١١٩، ٢٢٤٦).

كل عجيب، وبالتالي فإن الانتماء الكلّي للإسلام العظيم يعطي الملاذ الآمن، ويُسكب في النفس شعور الترابط والتآزر، وهذا في حد ذاته إحدى الآثار التي يبحث عنها الغيورون على هذه المشاعر الإنسانية، عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه كان مُعتكفاً في مسجد رسول الله ﷺ، فأتاه رجل فسلّم عليه ثم جلس، فقال له ابن عباس: يا فلان أراك مكتئباً حزيناً. قال: نعم يا ابن عم رسول الله ﷺ، لفلان عليَّ حق، إلى أن خرج ابن عباس من اعتكافه، وقال: سمعت صاحب هذا القبر، والعهد به قريب - فدمعت عيناه - وهو يقول: «**من مشى في حاجة أخيه وبلغ فيها[1] كان خيراً له من اعتكاف عشر سنين. . .**»[2].

من جهة أخرى. . لا بد من بسط القول في مجال دور الزكاة والصدقات في تعزيز الانتماء، وهنا نرى أنه من المناسب ذكر ما أورده الشيخ يوسف القرضاوي[3] في كتابه «فقه الزكاة». حيث قال: «إنّ الهدف من الزكاة ليس إعطاء الفقير درهماً أو درهمين، وإنما الهدف تحقيق مستوى لائق للمعيشة، لائق به بوصفه إنساناً كرَّمه الله، واستخلفه في الأرض، ولائق به بوصفه مسلماً ينتسب إلى دين العدل والإحسان، وينتمي إلى خير أمة أُخرجت للناس.

وأدنى ما يتحقق به هذا المستوى أن يتهيأ له ولعائلته طعام

(١) بلغ فيها: أي قضاها.
(٢) أخرجه الطبراني والبيهقي - واللفظ له - والحاكم مختصراً. وقال: صحيح الإسناد.
(٣) يوسف القرضاوي، فقه الزكاة، ج ٢، ص ٥٧٥.

وشراب ملائم، وكسوة للشتاء والصيف، ومسكن يليق بحاله»، ثم يستطرد بعد ذلك فيقول: «إذا عرفنا هدف الإسلام من الزكاة - بالنظر للفقير والمسكين الذي لا يحسن حرفة، ولا يقدر على عمل - وهو كفالة مستوى معيشي ملائم له ولعائلته، وأنه يعطي تمام كفايته لمدة سنة كاملة، لا لشهر أو شهرين. فلنضف إلى ذلك أن الزكاة لهذا الصنف من المستحقين معونة دائمة منتظمة، حتى يزول الفقر بالغنى، ويزول العجز بالقدرة، وتزول البطالة بالكسب، ولنتأمل في هذه القصة الواقعية التي حكاها لنا أبو عبيدة بسنده، قال: «بينا عمر نصف النهار قائل في ظل شجرة، وإذا أعرابية، فتوسمت الناس، فجاءته فقالت: إني امرأة مسكينة، ولي بنون، وإن أمير المؤمنين عمربن الخطاب كان بعث محمد بن مسلمة ساعياً - تعني جابياً وموزعاً للصدقة - فلم يعطنا، فلعلك - يرحمك الله - أن تشفع إليه!! فقال: فصاح (بيرفأ) - وهو خادمه - أن ادْع لي محمد بن مسلمة. فجاءه «يرفأ» فقال: أجب. فجاء.. قال: السلام عليكم يا أمير المؤمنين. فاستحيت المرأة. فقال عمر: والله ما آلو أن أختار خياركم.. كيف أنت قائل إذا سألك الله عز وجل عن هذه؟! فدمعت عينا محمد بن مسلمة. ثم قال عمر: إن الله بعث إلينا نبيه ﷺ فصدقناه واتبعناه، فعمل بما أمره الله به، فجعل الصدقة لأهلها من المساكين حتى قبضه الله على ذلك، ثم استخلف الله أبا بكر فعمل بسُنَّتِه حتى قبضه الله، ثم استخلفني فلم

آل أن أختار خياركم، إن بعثتك فأد إليها صدقة العام، وعام أول. . وما أدري لعلي لا أبعثك. ثم دعا لها بجمل فأعطاها دقيقاً وزيتاً، وقال: خذي هذا حتى تلحقينا بخيبر، فإنا نريدها، فأتته بخيبر، فدعا لها بجملين آخرين وقال: خذي هذا فإن فيه بلاغاً حتى يأتيكم محمد بن مسلمة، فقد أمرته أن يعطيك حقك للعام وعام أول»[1].

يعلق صاحب الكتاب على هذه القصة بأحداثها وحوارها بالآتي:

أولاً : تدل على مبادئ ومعان كثيرة وسامية حقاً لا نجدها إلا في الإسلام.

ثانياً : تدل على مدى شعور الحاكم المسلم بمسؤوليته عن كل فرد يعيش في ظل الانتماء للإسلام.

ثالثاً : تدل على مدى شعور الأفراد أنفسهم بحقهم في عيشة لائقة بسبب انتمائهم للدولة المسلمة.

رابعاً : تدل على أن الزكاة كانت الدعامة الأولى لبناء التكافل المعيشي في المجتمع المسلم، وتدل على أنها كانت معونة منتظمة مستمرة، إذا لم تصل لصاحبها فإن من حقه أن يتظلم ويشكو.

---

(١) نفس المصدر السابق، نقلاً عن كتاب الأموال، ص ٥٩٩.

خامساً: تدلُّ على أن السياسة العُمَرية الراشدة هي إعطاء ما يكفي ويغني، فقد أعطى المرأة جملاً محملاً بالدقيق والزيت، ثم ألحقه بجملين آخرين، وجعل هذا كله عطاء مؤقتاً حتى يعطيها محمد بن مسلمة حقها عن العامين: الماضي والحاضر.

سادساً: تدل على أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، لم يكن في ذلك مبتدعاً، بل كان مُتبعاً لِسُنَّة رسول الله ﷺ، ولخليفته أبي بكر رضي الله عنه.

* * *

الفصل الثالث

دور الأسرة تجاه النظام العام

١ - الأسرة وتربية المسؤولية لدى النشء.

٢ - دور الأسرة في الموازنة بين الانتماء الوطني والاختلاف الفكري.

٣ - الموازنة بين ممارسة المسؤولية وتعزيز قيم وسلوك الحوار في الأسرة.

الأسرة وتربية المسؤولية لدى النشء

حبا الله تعالى «الإنسان» بقدرات جسمية وعقلية وفكرية متنوعة، ومن القدرات الجسمية: تحمله للبرودة والحر.. وحمله الأثقال.. وما نراه في المسابقات الدولية خاصة في ألعاب القوى ما لا يحتاج إلا دليل آخر. ومن القدرات العقلية: القدرة على الحفظ والتذكر واسترجاع المعلومة، والفهم والاستيعاب والتحليل والربط والاستقراء وغير ذلك من القدرات. ومن القدرات الفكرية النظر فيما يقرأ من نظريات ومقولات فكرية وفلسفية وترجيح رأي على آخر، وغير ذلك من المتغيرات الثقافية التي تعج بها الحياة الفكرية.

وهنا يأتي دور الأسرة، إذ هي مسؤولة عن تربية الأطفال، وتعليمهم وتوجيههم، وتنمية هذه القدرات، والتّوصية بأن تكون في مجال الخير.. أداءً وتطبيقاً، وقبل ذلك حواراً وإقناعاً، ومن أولى خطوات التربية في هذه المجالات الحوار، وأخذ المبادرة؛ وتعويد الأطفال على الاستقلالية بعيداً عن الذوبان في الآخرين، التزاماً بهدي الرسول ﷺ « **لا يكن أحدكم إمعة، يقول: أنا مع الناس، إنْ أَحْسَنَ الناس أَحْسَنْت وإنْ أَسَاؤوا أَسَأْت**» [1].

(١) ابن الأثير، جامع الأصول في أحاديث الرسول، كتاب اللواحق، في أحاديث مشتركة بين آداب النفس،حديث رقم (٩٣٤٩)، ج١١، ص ٦٩٩.

وقد ترى الأسرة عند بعض الأطفال زيادة في الحركة ونشاطاً لا هدوء فيه وهذا لا يضر، فقد أكدت الأبحاث التربوية أن هناك رابطة لا تنفصم بين الحركة والعقل، ولقد جاء في الحديث النبوي الشريف عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**عُرافة الصبي في صغره زيادة في عقله في كبره**»[1]

إن تربية الأسرة للنشء «المسؤولية» يمكن أن يتم عن طريق بعض الوسائل الآتية:

١ - تكليف الأطفال ببعض المهام التي قد تنمّي عنده بدايات تحمل المسؤولية، مثل تكليفه بعض مستلزمات البيت البسيطة، أو التعاون في عمل منزلي، أو تنظيم مكتبة.. وغير ذلك من التكاليف، وتحاول الأسرة أن تتدرج مع أطفالها من الأسهل إلى الأصعب ليتعود تحمّل المسؤولية، وينمو الشعور في ذلك المجال.

٢ - إعطاء الأسرة لأولادها فرصة التعبير عن النفس من خلال الكلام والإجابة على بعض الأسئلة - وإن كانت بسيطة - مع تعليمه كيف يسأل وكيف يجيب، وهذا يمكن تحقيقه من خلال إعطاء الأطفال الفرصة لمخاطبة الناس من الأقارب وأصدقاء الأسرة، ويمكن أن يضاف إلى ذلك باستقبال الضيوف وإدخالهم المنزل، والتحدث معهم ريثما يعدّ رب

(١) الترمذي، الحكيم، نوادر الأصول في معرفة أحاديث الرسول، ص ٢٣٨ - ٢٣٩.

الأسرة - مثلاً - نفسه للخروج لهم - ويمكن أن يكتب شيئاً من مخيلته، كقصة صغيرة، وذلك لتوجيهه إلى الكتابة، ولا بأس بالتسجيل الصوتي لما يقوله الأطفال من خطب أو كلمات أو قراءة من كتاب.

٣ - تعليم الأسرة للأولاد كيف يسألون، ومتى يسألون عن أمر ما، وإن سألوا سؤالاً غريباً فلا بد أن يتعلم الأسلوب الصحيح في اختيار السؤال، فإن سأل طفل في الأسرة عن ذات الله سبحانه وتعالى، تكون الإجابة أن يسأل عن آياته وآلائه، وإن سأل عن السيارة لماذا لا تطير في الهواء؟ تكون الإجابة أن يسأل عن الفكرة التي تقوم عليها حركة السيارة، وهكذا.. حتى يتعوّد الطفل كيف يختار السؤال.. وكيف تكون الإجابة.

٤ - ولتربية الطفل - التفكير - قبل إلقاء السؤال، تلتزم الأسرة قبل الإجابة على السؤال أن توجه الطفل وتقول له: هل فكرت قبل أن تسأل، فإن فكّر فيمكن الإجابة، وإن لم يفكر، أمرت الأسرة أن يفكر وتعطيه بعض الوقت ثم يجاب على سؤاله، وقد اختار أفضل عبارة، وأنسب سؤال، فيتعوّد الطفل بهذا الأسلوب التفكير المنظم، وهي من القواعد الضرورية في آداب الحوار.

٥ - تهتم الأسرة بإيراد القصص المشوقة على الطفل، التي تحمل بعض المعاني السامية، والمعلومات الجديدة، فإنّ لها دوراً في تنمية قدراته، وزيادة معلوماته، فإذا كُلِّف بقراءة قصة ما

سألته الأسرة عن موجز هذه القصة، وما هي أهدافها، ومن أبطال هذه القصة؟، وما هي العظات المستفادة منها؟ وبالتالي يبدأ الطفل بإدراك أن القراءة للفهم والاستفادة، لا لمجرد القراءة فقط.

٦ - تحاول الأسرة أن تأخذ الحذر من إعاقة قدرات أطفالها، وتحاول أن تجنبهم الخوف الشديد الذي يؤثر على تفكيرهم، وحسن تصرفهم في المواقف المختلفة، فإن التوترات النفسية الحادة تعيق التفكير السليم، وتضعف القدرات العقلية خاصة الذكاء، وتحاول الأسرة أن تجنب الطفل الإفراط في الأكل الذي يؤدي إلى السمنة المفرطة، المسببة للخمول والكسل، لانعكاس ذلك إلى جانب مضارها الجسمية والنفسية - على إضعاف الذكاء.

٧ - تحاول الأسرة تربية الطفل على مفهوم التذكر، يقول ابن خلدون « التعليم في الصغر أشد رسوخاً أو هو أصل لما بعده»، وينبغي استثمار هذه الكلمة في تعليم الطفل أصول التعامل مع الآخرين من خلال سرد القصص والروايات عن العلماء الذين اشتهروا بحدة الذاكرة، ويكون ذلك في جلسات خاصة، وتكليفه بقراءات حول هذه المعاني السابقة، ثم إعطاء الطفل - بعد ذلك - الطرق السليمة لكيفية الحديث مع الغير.

وللحديث مع الغير - استماعاً ومحاورةً - أصول وآداب يطلب

مراعاتها حتى يكون المسلم وقّافاً عند حدود الله تعالى، عاملاً على مرضاته، متجنباً مساخطه، فما أكثر عثرات اللسان حين يتكلم، وما أكثر مزالقه الاجتماعية، وصدق رسولنا الكريم ﷺ حينما قال: «**من يضمن لي ما بين لحييه وما بين رجليه أضمن له الجنة**»[1]، وفي الحديث الآخر: «**إن العبد ليتكلم بالكلمة ما يتبيَّن فيها. يزلّ بها في النار أبعد ما بين المشرق والمغرب**»[2].

ولذلك فقد وضع بعض العلماء ضوابط آداب الحديث مع الغير، نذكر منها:

١- أن يكون الكلام هادفاً إلى الخير.

٢- البُعد عن الخوض في الباطل.

٣- البُعد عن المماراة والجدل.

٤- البُعد عن التكلّف في الكلام والقضايا المطروحة.

٥- أن يخاطب كل إنسان بما يناسبه شرعاً وعرفاً وذوقاً.

٦- عدم مدح نفسه ومدح غيره دون ذمّة.

٧- ألا يكون الهدف من المحاورة: الغَلَبة وإبراز الذات.

ومن المستحسن أن تسعى الأسرة ضمن تربية أطفالها المسؤولية، أن تُصبغ هذه التربية بالجديّة وعدم الهزل، على اعتبار أن قضايا

(١) رواه البخاري (٨/ ١٢٥)، والبيهقي في السنن الكبرى (٨/ ١٦٦).

(٢) رواه البخاري الحديث (٦٤٧٧، ٦٤٧٨)، ومسلم الحديث (٢٩٨٨).

الحوار حول أمور الحياة تحتاج إلى المزيد من الإحاطة بأهمية ما يُطرح، فضلاً عن التفكير في طرق الحل لما يُطرح من مشاكل ولا يُكتفى بتشخيص الحالة فقط، حتى يتعلّم الأولاد ما يُسمَّى بطرح «البدائل»، وتوزيع المسؤوليات، وأخذ المبادرة نحو الحل، وقبل ذلك يكون الحديث حول برامج الوقاية إزاء قضايا المجتمع ذات الإشكاليات المحددة.

ولعل ميدان «التطوع» - وهو ميدان عظيم - يكون مجالاً لتطبيق مفهوم المبادرة وتنميته وتطويره، بل هو محك عملي لقدرة الإنسان على العمل الجماعي في تحمل المسؤولية، فضلاً عن إحياء روح النجدة والفزعة.

ومما يساعد على تكوين اتجاهات المبادرة نحو قضايا المجتمع، أن تسعى الأسرة بعمل دورات تدريبية منها - وفيها - كما يقولون، أو في خارج نطاق الأسرة حول المبادرات وأهميتها.

إن التدريب مطلب حياتي، بمعنى أنه مستمر مدى الحياة، ولا يقتصر على مرحلة الطفولة فقط، إنما يشمل المراحل العمرية لما بعد ذلك، ومن هنا فإن الأسرة تلجأ إلى «التدريب» حتى تضمن تثبيت المعلومة - أولاً - وشرح طبيعة القطاع ذي الصلة المسؤول - ثانياً - ثم التدريب - على مشروعات عملية تكون «بروفة» تمهيدية عند التنفيذ الجاد، وهذا كله يمكن أن يتم في «ورش عمل» أثناء التدريب حول قضايا المسؤولية، وذلك بضرب الأمثلة والشواهد، واسترجاع التجارب السابقة في هذه المجالات.

وعلى العموم فإن الأسرة المسؤولة عن النشء: تربية ومسؤولية وسلوكاً، وتعليمها لأفرادها آداب الحوار، واتجاهات المبادرة، ينبغي عليها أن تكون لها برامج عملية للقيام بهذه المهام، لأن فاقد الشيء لا يعطيه، من هنا فعلى مشرفي هذه التربية - الأب والأم معاً - أن يعملا برنامجاً لخطتهما التربوية قبل أن يرى أولادهم عالم الحياة، وعليهما أن يستفيدا من توجيهات الإسلام، مع نصائح الآباء والأجداد، وكذا خبرات ذوي الأرحام والأقارب من الدرجة الأولى من حولهم، وعليهم أن يعودا للكتب والمجلات التربوية، وأن يتمسكا بكل خيط يمكن أن يرشدهما إلى سياسة قوية في تربية الأولاد.

ولا شك أن إلمام الوالدين (الأب والأُم) بخريطة شاملة للسياسات الممكن إتباعها حيال الأسرة، سوف يحقق لها خطوات إجرائية لتنفيذ هذه السياسات دون أخطاء - على الأقل -، ثم إن هذه السياسات سوف تفتح المجال للإطلاع على تجارب الآخرين، ومدى نجاحهم في هذه المهام العظيمة.

ومن بعض المبادئ التي ينبغي للوالدين اتباعها لتحقيق سياسة تربوية سليمة نذكر منها الآتي:

١ - التشاور الدائم بين الأب والأُم واتفاقهما على خطة موحدة:

على كل من الوالدين أن يلمّا بالأساليب التربوية المختلفة التي سبق أن حققت نجاحاً في إنشاء جيل بنّاء، وعليهما أن يلتزما الحوار الدائم حول كل مسلكٍ تربوي، ومناقشة مزاياه وسلبياته،

ومدى مناسبته لبيئتهما، ومن ثم اعتماده أو استبعاده. فيقرّان ما حلا لهما من هذه المسالك، ويحدِّدان أولوياتها، ويخططان لكل الوسائل والإمكانات التي يمكن أن تساعدهما في تعميق هذا المبدأ التربوي وتشرّبه في نفوس أولادهما على أحسن وجه.

فعلينا مثلاً أن نربي أولادنا على الاحترام، والطاعة، والتعاضد، والمحبة، والشعور بالمسؤولية... إلخ. وعلينا أن نلتزم بالطرق القويمة التي تناسب بيئتنا وديننا لترسيخ هذه الأمور في نفوس أولادنا، مستعينين بوحدة كلمة الأب والأم[١].

٢ - بثّ أجواء المحبة في أرجاء المنزل :

إنَّ المحبة هي الغذاء الأساسي الذي يسهم في تنمية الأبناء تنميةً سليمةً وبناءةً نفسياً واجتماعياً.

وبناءً على ذلك يتوجب على كل من الأبوين العملَ بجدّ كي يصل ذلك الشعور بالحب لأولادهما الصغار، وذلك بكافة الطرق الممكنة؛ مثل: تقبيلهم، وحضنهم، والتبسّم لهم، والتربيت على رؤوسهم... إلخ؛ بحيث يشعر الأولاد دائماً أن أبويهم يكنّان لهم كل الحب، ولا يمكن أن يكرهانهم أبداً.

وهذا لا يمنع معاقبتهم إن أخطأوا، والغضب عند تصرّفهم بطرق

(١) عبير العقاد، أضواء على تربية الأولاد منذ الصغر، مجلة البيان، العدد ٣٥، (الرياض، السعودية).

غير لائقة، إلا أنّ العقاب والغضب يجب أن يترافقا مع إيضاح السبب الكامن وراء العقاب، كي يؤتى ثماره؛ وما السبب إلا الوصول بالأولاد إلى أعلى المستويات وتخليصهم من كل الأخطاء الممكنة؛ وما الدافع نحو ذلك إلّا الحب الدائم.

والحب ليس تجاه الأولاد فحسب؛ بل بين الأبوين نفسيهما أيضاً؛ إذ لا يتشرَّب الأولاد الحب إلا إذا ذاقوا حلاوته من خلال الشعور بِتأَلُّقِهِ وتوهّجه بين الأبوين.

وهنا ندعو الآباء إلى حصر مناقشاتهم الحادة وشجاراتهم بين جدران غرفة النوم؛ حيث لا يسمع غضبَهم سامع، ولا يشعر به أولادهم؛ حتى لا ينعكس سلباً على الأبناء والبنات.

الحبّ يولد الحب، والآباء الحريصون على توريث أولادهم المحبة عليهم أن يتحلّوا بها من قبل؛ إذ إنَّ فاقد الشيء لا يعطيه.

٣ - تحفيز الحواس والإدراكات العقلية وتطويرها في السنين الأولى من عمر الأولاد :

الحواس هي النعمة التي منَّ الله عزَّ وجل علينا بها لتلمّس هذا العالم وإدراكه، وخوض غماره، إذن هي مفتاح البشر لولوج الكون واستيضاح غوامضه.

وتنمو الحواس بشكلٍ فعّال ومهم في الفترة الزمنية الأولى من عمر الطفل؛ هذه الفترة التي على الأبوين استغلالها لتطوير تلك الحواس وتنشيطها على أحسن وجه.

فعلى العين أن تميّز هذا العالم بألوانه وأشكاله المختلفة، وعلى الأذن أن تبدأ بالتفريق بين أصوات الأشخاص والتعرّف على أصوات الحيوانات؛ وكذا أصوات الملامح الكونية من حولنا؛ كهدير الماء، ورعد السماء... إلخ.

وكذا حواس اللمس والذوق والشمّ التي يجب على الآباء تحفيزها وتقويتها عند أولادهم، وجعلها قادرة على التفريق بين غير المتشابهات.

أما خيال الطفل فيجب مدّه بالعون والمساعدة ليصبح فسيحاً وخصباً يسع العالم بأسره.

ومن وسائل التحفيز والتنشيط لهذه الحواس اصطحابُ الأطفال إلى الحدائق الواسعة ذات البهجة، التي بإمكانها تنشيط حاسة البصر بما تحويه شتى الألوان؛ كما من شأنها تحفيز قدرة الأطفال على التمييز بين الألوان والكائنات المتنوعة.

كما لا يمكن إنكار أهمية ألعاب الأطفال من مكعبات ومجسمات ودمى... وغيرها، مما يحفز حواس البصر واللمس والذاكرة والتحليل؛ خصوصاً بين عمر السنة والنصف والخمس سنوات.

ويتوجب على الآباء التخطيطُ لشراء لعبة تحمل بين طيّاتها هدفاً تربوياً معيناً جنباً إلى جنب مع التسلية؛ إذ لا ضرورة لمزيد من المصاريف على ألعاب لا تجدي نفعاً مع الأولاد.

وعلى الآباء أن يشاركوا أولادهم في اللعب؛ خصوصاً عند اقتناء اللعبة للمرة الأولى؛ إذ يسهمون بذلك في تعليمهم الطريقة المثلى للعب قبل أن يبدؤوا اللعب بمفردهم بعدئذٍ.

وعلى الآباء أن يطلقوا العنان لخيال أولادهم لينمو على أوسع، وجه، وذلك برواية القصص الشيّقة وإفساح المجال لأولادهم لتخيّل أحداثها، أو منحهم المجال للعب مع من في أعمارهم ألعاباً تستلزم خيالاً خصباً؛ كأن يلعبوا لعبة الأم والأولاد، أو الضيف والمضيف، أو الطبيب والمريض... إلخ.

٤ - على الأبوين الشروع في تعليم أولادهم الأمور الأساسية قبل دخولهم المدرسة:

البيت هو أساس تربية الطفل وتعليمه وتقويمه، ومنه تبدأ التربية، وتترسخ الأخلاق الفاضلة، والمعلومات الأساسية، والسلوكيات الفاضلة؛كما بين جدرانه ترتسم شخصية الطفل بكل أبعادها، وتتوطد دعائم بنائها، بينما تأتي المدرسة كمكمّل لهذا البناء، ومرَسِّخ له.

فعلى الأبوين تعليم أولادهم أساسيات الأمور قبل المدرسة، مثل: الألوان، والأشكال، وبعض الأسماء، وكذلك بعض السلوكيات: كاحترام الكبير، والعطف على الصغير، والحفاظ على النظافة برمي النفايات في سلة المهملات لا على الأرض... إلخ.

٥ - التدرج في تربية الأولاد ومعاملتهم :

على الأبوين الانتقال من مرحلة تربوية إلى أخرى بتأنٍّ وتدرّج وصبر ونَفَس طويل. وعليهما ألّا ييأسا إن فشلا في تعليم أولادهم سلوكاً تربوياً معيّناً من أول مرة؛ بل عليهما المثابرة والتكرار والتدرج؛ إذ يأتي اللين أولاً في تربية الأولاد، ثم المثابرة والصبر؛ فإن لم يفلحا يمكن أن ينتقل الأبوان إلى العقوبات، لكن بعد إعطاء كل مرحلة حقها.

إذاً.. لا يجب أن نعاقب الأولاد على سلوك خاطئ قبل أن نحاول معهم باللِّين والرفق، ومدح السلوك الصحيح، والترغيب فيه بالمكافآت المناسبة. بعدها إن لم يتمّ الأمر يمكن أن نلجأ إلى التنبيه بطريقة لطيفة؛ فإن لم نفلح أيضاً نلجأ بعد ذلك إلى العقاب المناسب غير الحادّ؛ مع مناقشة أسبابه، وتبيان ضرورته. ويجب تَوخّي الحزم عند العقاب؛فإن قررنا معاقبة الابن مثلاً بحرمانه من مشاهدة الرسوم المتحركة لمدة يوم علينا التقيّد بالعقوبة المفروضة؛ لأن فرض العقوبات مع عدم التقيّد بها يفقد العقاب هدفه، ويعود الابن لتكرار نفس الخطأ مستهيناً بقرارات أبويه، غير آبه بها.

٦ - مراعاة الفروق الفردية بين الأولاد:

ينفرد كل ابن من أولادنا بشخصية مميزة لا تشبه شخصية أخيه، لذا يجب تنويع الأساليب التربوية مع الأولاد؛ فالأسلوب الناجح مع

ذلك الابن يمكن أن يفشل مع أخيه، فهناك أولاد تكفيهم نظرة العتاب، في حين يحتاج آخرون لكلام حازم، وهناك أيضاً من يحتاج لعقاب قاسٍ.

لذا يتوجب على كل من الأبوين التعرّف على خصائص نفسيات أولادهما والتعامل مع كل منهم بما يتلاءم وشخصيته وفكره.

٧ - المساواة بين الأولاد:

هذا الأمر لا يلغي أبداً أهمية مراعاة الفروق الفردية بين الأولاد؛ إذ إن المساواة تعني العدل مادياً ومعنوياً في المعاملة بين الأولاد في الأمور اليومية.

وهذا ما أمرنا به رسول الله ﷺ حين قال: «**اعدلوا بين أبنائكم**»[(١)] وكررها ثلاثاً. فالعاطفة يجب أن تُمنح للأولاد بشكل متساوٍ؛ مثلها مثل الطعام، واللباس، والهدايا، والألعاب، . . . إلخ.

كما يجب عدم تفضيل الذكر على الأنثى في المعاملة؛ ممَّا قد يؤدي إلى زرع بذور الحسد والحقد بينهم.

٨ - عدم تأنيب الأولاد أمام الآخرين وعدم إهانتهم بتاتاً:

يجب أن يؤنَّب الطفل على انفراد، وأن تتاح له أكثر من فرصة ليقوِّم خطأه ويعتذر عنه.

---

(١) رواه البخاري (٣/٣٠٦)، ومسلم في الهبات (١٣)، وأبو داود الحديث (٣٥٤٤).

وفي حال كرر الطفل هذا الخطأ ولم يُحدث تغييراً في سلوكه؛ يمكن حينئذٍ اللجوء إلى تأنيبه علنياً؛ لكن بصورةٍ لطيفة، دون أن يدفعه هذا التأنيب العلني إلى عقدة نفسية مستقبلاً، ودون أن يدفعه إلى التمادي في الخطأ.

أما إهانة الأولاد فهو من الأساليب التربوية الخاطئة قطعاً، ويتوجب عدم اللجوء إليها أبداً. ومن الإهانات التي يلجأ إليها الآباء والتي تؤثر سلباً على نفسيات أولادهم السخريةُ من العيوب الموجودة، أو النقائص الجسدية والعقلية التي يعاني منها أولادهم، وتوجيهُ شتائم لهم، وتشبيههم ببعض الحيوانات. وهذه الإهانات يصعب على الطفل أن ينساها؛ إذ إنها تحفر في نفسه أثراً عميقاً، وتؤلمه بشكلٍ كبير؛ بل إن بعض الأولاد الذين لا يستطيعون المواجهة يحاولون أن يتّصفوا بهذه النعوت، وأن يتشبهوا بالصفات التي أطلقت عليهم، مثل: (غبي - أحمق)، أو (أنت حمار لا تفهم)، وغير ذلك من الأساليب الرديئة التي لا تحترم شخصية الابن، ولا تحثه على تمثُّل السلوك الحسن مستقبلَ أيامه.

ويمكن أن تبدأ علامات الانطواء بالظهور عند الأولاد عند استخدام آبائهم ألفاظاً رديئة معهم. ويمكن أن يساعد ذلك في فقدان ثقتهم بأنفسهم، وشعورهم بالإحباط الذي يمكن أن يرافقهم في كل مراحلهم العُمُرية القادمة.

٩ - اللجوء إلى أسلوب الثواب قبل أسلوب العقاب:

الثواب هو الأسلوب التربوي الأجدى والأنفع مع الأولاد. لكن ذلك لا يمنع من أهمية اللجوء إلى العقاب مع الأولاد الذين لا ينتفعون بالثواب، ولا يحيدون عن خطئهم به؛ لكن يجب أن يكون العقاب متدرجاً وملائماً للسلوك الخاطئ؛ كأن نحرم الطفل أولاً من اللعب باللعبة التي يفضلها، أو حرمانه من مشاهدة التلفاز؛ ولكن لفترات معقولة ومقبولة؛ فإن لم يُجدِ معه هذا العقاب ننتقل إلى عقابٍ أقسى نوعاً ما. وآخر ما نلجأ إليه الضرب؛ على ألّا يكون الضرب مبرحاً ولا متكرراً، ولا يطال الجزء العلوي من الجسد. ويجب عدم ضرب الأولاد أثناء انفعالنا حتى لا يتحوّل الضرب إلى ضرب وحشي غير محسوس به من قبلنا. ومن الأجدر بالآباء أن يمتنعوا عن الضرب بتاتاً، وأن يلجأوا إلى وسائل وأساليب أكثر نفعاً.

ويجب أن يكون الثواب والعقاب بالتساوي بين كل الأولاد. لا أن يحاسب الكبير أكثر من الصغير؛ فقط لأنه أكبر سنّاً! ولا أن تعاقب البنت لأخطاء ترتكبها لا يُعاقَب على مثلها أخوها؛ فقط كونه ذكراً وهي أنثى.

١٠ - ألا يسخّر الوالدان الوسائل التربوية لإيجاد نسخة ثانية عنهما من الأولاد:

هذا السلوك نابع عن أنانية وغرور في اللاشعور؛ حيث يظن الأبوان نفسيهما الأفضل؛ فيكرّسان وقتهما لتربية أولادهما على صورتيهما.

وما هذا إلا مهمة شبه مستحيلة لن تسمح إلا بإضاعة الوقت؛إذ إن الله عزَّ وجل عندما خلق الإنسان خلق معه رغبة التحدي والاقتحام وإثبات جدارة الذات، ومنحه فرصة اختيار ما يريد أن يكون.

فعلى الآباء عدم محاولة استنساخ أنفسهم عبر أولادهم، وعليهم أن يتركوا لعوامل الوراثة أن تقوم بجزء من هذه المهمة، أما هم.. فلا.

ليكن أولادنا شخصيات فريدة تضيف للعالم الجديد وتثريه، ولتختار هي نفسها أن تكون ذاتها أو أن تكون آباءها.

١١ - على الآباء تنمية أداة الحوار مع الأولاد منذ الصغر:

الحوار هو الوسيلة المثلى لتحقيق الغايات، وتنمية الثقافة بشكل راقٍ ومهذّب. لا للصراع ولا للشجار، ونعم للحوار الهادئ المتّزن المقرون بالموضوعية والصراحة والأدب والاحترام.

فليمتنع الآباء عن اللجوء إلى العقاب مباشرة عند خطأ أولادهم، وليستبدلوا الأمر بحوار ونقاش طويل حول الخطأ الذي ارتكبه

صغيرهم، وليتزوّدوا بالجَلَد والصبر وطول البال أثناء الحوار، وليعيروا انتباهاً لأسئلة أولادهم، وليحاوروهم ليُكسِبوهم هذه المهارة عند الكبر.

ولا يترسَّخ أهمية الحوار عند الأطفال إلا عند معايشتهم لهذا الأسلوب بشكل واقعي بين أبويهم؛ فالأولاد الذين يرون أن أبويهم يتحاوران بشكل دائم، ويعتمدان الحوار لحلّ كافة المشاكل التي تعترض طريقهما؛ يرث هؤلاء الأولاد بدورهم هذه المهارة - الحوار - ويحملونها معهم في حياتهم؛ متسلحين بوسيلة عظيمة للشورى، وتبادل الأفكار، والتزوّد بالمعلومات وحلّ المشاكل.. إلخ.

١٢ - على الآباء حماية أولادهم دون إفراط:

قد تظهر الحماية الزائدة للطفل من قبل الأم على سبيل المثال؛ خوفاً من أن يصيبه مكروه أو عدوان، أو حتى عدوى ما؛ فتقوم مثلاً بحجبه عن البشر، ومنعه عنهم؛ فلا مجال لتقبيله من قبل الآخرين، ولا مداعبته وتقديم الحلوى له، أو عدم السماح له باللعب مع الأطفال إلّا تحت رقابة شديدة وصارمة.

إن هذا الأسلوب من شأنه إيجاد طفل مدلل عنيد وغير اجتماعي، ولا بد أن يعاني عدم التوازن في المعاملة التي يتلقاها بين المنزل والمدرسة، ومن ثم بين المنزل والحياة بشكل عام عندما يكبر.

كما يصبح مع مرور الزمن إتكالياً بوجود أمه التي تؤمّن له كل شيء، ولا تسمح له بالقيام بأي أمر بذاته.

١٣ - على الآباء الاستفادة من خبرات الآخرين في تربية أولادهم:

وفي هذا المجال نورد الآيات القرآنية التالية:

﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِي عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِي وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَيَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِي ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ۚ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِي ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٦﴾ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٧﴾ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَٱقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ﴿١٩﴾﴾ [لقمان: ١٣-١٩].

إنها آيات كريمات تضع منهجاً لتربية النشء؛ ما أجدرنا بتطبيقها على الأولاد بالأساليب النبوية والتربية والتعليم!

وبعد؛ إذا كان الأولاد هم بناة المجتمع ومطوروه؛ فإن الآباء هم الأدوات الفعّالة لتربية هؤلاء الأولاد ليقوموا بدورهم المرجوّ منهم على أحسن وجه.

فساهم في تربية أولادك التربية المثلى الملائمة لإنشاء مجتمع راقٍ كالذي تحلم وتطمح للعيش في أرجائه، وابدأ بهذه التربية القويمة منذ الصغر؛ فالتربية في الصغر كالنقش في الحجر.

* * *

دور الأسرة في الموازنة بين الانتماء الوطني والاختلاف الفكري

من نافلة القول في قضايا الموازنة بين الانتماء الوطني والاختلاف الفكري، أن نوضح أن الاختلاف لا يؤدي بالضرورة إلى الخصومة، يقول ابن تيمية في حديثه عن اختلاف الصحابة: «كانوا يتناظرون في المسألة مناظرة مشوقة ومناصحة، وربما اختلف قولهم في المسألة العلمية مع بقاء الألفة»[1]، وهذا هو المستوى السامق الذي وصل إليه هذا الجيل القرآني الفريد.

إن الوطن هو القيمة (الغالية) والتي لا يجوز - لأحد - مهما كانت شخصيته - أن يَمَسَّهُ بسوء، أو يلمزه في شأن من شؤون الحياة، أو يكشف أسراره في الداخل أو الخارج، أو يكون معول هدم - مهما كانت الأمور - لأي لبنة من لبنات بناء الوطن.

هو المظلة التي تحمي الجميع من لأواء الحياة.. وبالتالي فينبغي على أبنائه أن يترك كلّ لنفسه وللآخرين مكاناً تحت هذه المظلة.

على كل إنسان يستظل بظلال الوطن أن يكون عوناً له وليس عبئاً عليه، وذلك بالكلمة والحركة سواء بسواء، وأن يكون لسان صدق

(١) محمد المأمون محمد علي المحرزي، نظرات في الفكر التربوي الإسلامي، إشراف ومراجعة، الدار الأكاديمية، ص ٢١١.

لآماله وآلامه حتى ولو اختلف مع بعض آلياته وإجراءاته الرامية إلى تحقيق هذه الآمال، من أجل ذلك قال الشاعر:

بلادي وإن جارت عليَّ عزيزة وأهلي وإن ضنوا عليَّ كرام

وعلى الأسرة عبء كبير في تغذية أبنائها بما سبق من قيم ومفاهيم تربوية، فلا يشتط - أحد أفراد الأسرة - ويشرّق أو يغرّب طعناً في الوطن ورموزه وأهله، وتاريخه وماضيه كله، فإن هذا طعناً في الولاء للوطن، وتهويناً من شأنه في عين رعاياه، وهذا أمر لا يجوز لأنه يدل على انفصام بين هذا الفرد وبين هذا الوطن العزيز.

توجيهات تربوية:

تستطيع الأسرة أن تقوم ببعض التوجيهات التربوية التي تحول بين هذا الانفصام وبين حدوثه،حتى يتحقق التجانس الشعوري، والانتماء الصادق، ولعل أبرز هذه التوجيهات ما يلي:

١ - أن تلجأ الأسرة إلى التذكير الدائم بفضل الوطن على أبنائه في كل المجالات التي يحسّ بها الجميع، خاصة المتعلقة بحياة الإنسان: الصحية والتعليمية والاقتصادية.. وغيرها من المجالات الحيوية التي لا يستغني عنها الإنسان.

٢ - أن تضرب الأُسرة المَثل في حرصها على الوطن، ويظهر ذلك في مجال الحفاظ على البيئة والممتلكات.. وما إلى ذلك من

خيرات يضمّها هذا الوطن.

٣ - أن تذكّر الأسرة أفرادها - دوماً - باحترام علم البلاد، باعتباره رمز الوطن.

٤ - وعلى الأسرة أن تشرح لأفرادها ما يقع من أحداث تختلف فيها الاجتهادات، وتتباين فيها وجهات النظر، وأن الحكم في هذه القضايا هو مصلحة الوطن.

ومن واجب الأسرة تحذير أبنائها من علو الصوت، والتشدق، وإثارة الفتن، وكثرة الكلام من خلال:

أ - التذكير بقول الرسول ﷺ: «**إن أبغضكم إليّ وأبعدكم منّي يوم القيامة الثرثارون والمتشدّقون، والمتفيهقون**»(١).

ب - أن تنبه الأسرة على أفرادها بعدم الانشغال بالأمور الجزئية أو الثانوية، وإنما هناك معالي الأمور، والقضايا الوطنية الكلية، وهذه يجب أن يتربّى عليها الجميع، وذلك في إطار من اللجوء لحكماء الأسرة وكبارهم، بعيداً عن دوائر التأثر بمن يريد إثارة الفتن، أو جر العباد إلى بدايات قد تبدو برّاقة

---

(١) الثرثار: هو الذي يتكلف كثرة الكلام.
والمتشدّق: هو المتطاول على الناس بكلام.
والمتفيهق: هو الذي يتكلّم ويتوسّع في الكلام ويغرّب فيه تكبّراً وارتفاعاً وإظهاراً لفضله. والحديث رواه الترمذي رقم (٢٠١٨)، والبيهقي في السنن الكبرى (١٠/ ١٩٤).

خداعة ولكن نهاياتها مدمّرة، وصدقت المقولة: وما النار إلا من مستصغر الشرر.

جـ - على الأسرة أن تشير إلى النماذج السيئة التي قد توجد في المجتمع، والتي تنادي بالاختلاف من أجل الاختلاف، وكذلك عليها أن تعرّي هذه النماذج السيئة لأفرادها حتى يكونوا على بيّنة، فلا يقعوا في شرك هؤلاء، ولات حين مناص.

التعامل مع دوائر الاختلاف:

وفيما يتعلق بدوائر الاختلاف وآراء الآخرين الذين يتباينون في وجهات النظر، فإن للأسرة أن تشرح لأفرادها مجموعة من الحقائق، منها:

١ - عدم الجدال وكثرة الكلام في مسائل الاختلاف، يقول الإمام الغزالي «حد المراء هو: كل اعتراض على كلام الغير بإظهار خلل فيه، إما في اللفظ وإما في المعنى، وإما في قصد المتكلم، وترك المراء يكون بترك الإنكار والاعتراض، فكل كلام سمعته إن كان حقاً فصدقه، وإن كان باطلاً أو كذباً ولم يكن متعلقاً بأمور الدِّين فاسكت عنه».

وأما المجادلة فهي عبارة عن قصد إفحام الغير وتعجيزه وتنقيصه بالقدح في كلامه، ونسبته إلى القصور والجهل، والباعث على هذا هو «الترفع» بإظهار «العلم والفضل»، والتهجم على الغير بإظهار نقصه. وهاتان صفتان مذمومتان مهلكتان.

وهذا مجاوز حد الكراهة، وهو معصية لما حصل فيه إيذاء المسلم، ولا تنفك المماراة على الإيذاء وتهييج الغضب.

وأكثر ما يغلب ذلك في المذاهب والعقائد، والمطلوب أن يكف المسلم لسانه عن أهل القبلة، وإذا رأى مبتدعاً تلطّف معه في نصحه، وامتنع عن التشهير به»[١].

٢ - على الأسرة بيان محاولات التشكيك التي تعترض الأمن الاجتماعي للوطن، والسلامة الداخلية له، ومحاولة إثارة البلبلة بين أفراده.

٣ - على الأسرة أن تزرع في نفوس أفرادها روح السلامة، وإيثار العافية، ليس جُبناً عن مقارعة الحجة بالحجة، ولكن من باب المصلحة العامة، واتقاء للمآلات التي قد لا ترضي الجميع، وحفظاً للأوقات، واحتراماً للعوامل المشتركة داخل الوطن الواحد.

٤ - على الأسرة أن توضح لأفرادها أن الوطن يسع الجميع بمختلف الأطياف التي نراها، وأن الطريق - لتحقيق الأهداف - يسع الجميع أيضاً، وأن لكل فرد اجتهاده وأجره- إن كان مخلصاً - فإن أصاب فله أجران، وإن أخطأ فله أجر واحد. وأن هذا أو ذاك مما تفرضه واجبات الانتماء للوطن الواحد.

(١) حسن أيوب، السلوك الاجتماعي، دار البحوث العلمية، ط ٤، ص ٤٢٦.

وذلك في مواجهة أي رأي. وفي ذلك قال أمير الشعراء أحمد شوقي رحمه الله:

إلام الخُلف بينكما إلا ما وهذه الضجّة الكبرى علاما؟!

وفيما يكيد بعضكم لبعض وتُبدون العداوة والخصاما

* * *

هذي قبوركم وتلك قبورُنا مُتَجَاوِرِينَ جماجماً وعظاما

فبحُرمة الموتى، ووافرِ حقّهم عيشُوا كما يقضي الجِوارُ كراما

معالم تربوية:

هناك بعض المعالم الهامة التي ينبغي للأسرة أن تعيها في مسيرتها التربوية وهي:

أولاً: كان الناس أمة واحدة، في البداية، ثم تفرق الخلق هنا وهناك، وأصبحوا أمماً ذات ألسنة مختلفة، وخصائص معيشية مختلفة، وجاءت اللغات المتعددة والتقاليد المتباينة، وأعطت كل أمة لنفسها ميزات لم تُعرف من قبل، وبعث الله تعالى لكل تلك الأمم الرسل والأنبياء مبشّرين ومنذرين ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ [فاطر: ٢٤]، ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾ [إبراهيم: ٤].

ثانياً: رسل الله تعالى وأنبياؤه، ذكّروا الناس بأصلهم الواحد،

وبربّهم الواحد، ودعوهم إلى عبادته، كي لا يتخذ بعضهم بعضاً أرباباً من دون الله فيضلوا السبيل: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [البقرة: ٢١٣].

ثالثاً: القرآن الكريم يُذكّر الخلق - كل الخلق - بحقيقة الوحدة الإنسانية فيقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ﴾ [الحجرات: ١٣].

فهو - أي القرآن الكريم - يدعوهم إلى التعارف والتعاون، ولم يدعهم إلى الذوبان جميعاً في وحدة اجتماعية واحدة، لأن وجود الشعوب والقبائل واقع اجتماعي، ليس من المصلحة القضاء عليها في حد ذاته، ولا من المصلحة أن توحد لغاتها، لأن هذا التنوع في وجودهم ولغاتهم يدفعهم إلى التنافس على الخير، وإقامة الحضارة، وبناء الحياة، ثم هي آية من آيات الله المبثوثة في الوجود ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ﴾ [الروم: ٢٢]، وليس من العظمة أن نطلب القضاء على آيات الله في الوجود، لأنها مظاهر تجليات أسماء الله الحسنى.

رابعاً: وفي سبيل المحافظة على وحدة الإخاء البشري، رسم الإسلام ثلاث دوائر حولها، حتى لا يعيش كل من في الدائرة الواحدة في دائرته وحده، فينتج من ذلك التعصب المقيت، والعرقية البغيضة، وهذه الدوائر هي:

الدائرة الأولى: دائرة الإسلام التي تجمع بين المسلمين جميعاً في أُمّة واحدة: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠].

الدائرة الثانية: دائرة الدين عامة ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ [آل عمران: ٦٤]، ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٩٢]، وهذه الآية الكريمة خطاب للرسل جميعاً لأنهم جاؤوا بحقيقة واحدة وهي إسلام الوجه لله رب العالمين.

الدائرة الثالثة: دائرة الأصل البشري والأخوة الإنسانية عامة ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ [النساء: ١].

خامساً: عاش المسلمون خلال عقود متطاولة في ظل أخوة الإسلام، وعاش معهم غيرهم في أمن وأمان في معظم الأحوال، وانصهرت عبقريات الأمم والشعوب لتشكل الحضارة الإسلامية التي حملت لواء العلم والمعرفة قروناً من الزمان في أرجاء العالم. وكان المسلمون جميعاً على تنوع ألوانهم ومختلف شعوبهم ينتقلون بلا قيود بين فاس وعُمان، وبين جاكرتا ودمشق، على الرغم من

تعدد المؤسسات السياسية، وتنوع الحكام في تلك العواصم، يؤمنون بعقيدة واحدة، ويتجهون إلى قبلة واحدة، تجمع بينهم كذلك اللغة العربية الجميلة، والتي كانت لغة الحضارة الإسلامية بين المحيط الهندي والمحيط الأطلسي، إلى أن داهمتنا جيوش المستعمرين في عقر ديارنا، وبدأوا بالتخطيط الذكي لتمزيقنا، وتأليب بعضنا على بعض، عن طريق الفلسفات القومية العنصرية، التي ظهرت في الغرب، من خلال تشجيع النزعات الطائفية في البلاد الإسلامية.

سادساً: قامت النزعات القومية (العنصرية) في خمسينيات القرن العشرين، عندما احتكت الدولة العثمانية بألمانيا احتكاكاً قوياً، وتوثقت بينهما أواصر السياسة والتجارة والثقافة، وبدأت البعثات العسكرية والثقافية تتقاطر على ألمانيا التي كانت تعيش - وقتئذٍ- أقصى حالاتها العنصرية والعصبية في الجنس «الجرماني»، فرجع المبعوثون الأتراك وهم مشحونون بالإعجاب الكبير لحركة القومية الألمانية، فشكلوا نواة الحركة الطورانية العنصرية التي تحولت فيما بعد إلى حركة «تركيا الفتاة»، ثم إلى جمعية «الإتحاد والترقي»، والتي خرجت من الرابطة الإسلامية، ودعت إلى إلغاء الشريعة، وإحلال القوانين الغربية محلها، ثم تبنت بعنف سياسة التتريك (بعد خلع السلطان عبدالحميد)، الأمر الذي أدى إلى ردّ فعل قوي عند الشباب العربي، وأدى هذا إلى قيام الحركات القومية العربية العنصرية.

سابعاً: إن دور الأسرة في خضم هذه الأفكار يزداد أهمية حتى يمكن أن تكون المظلة التي تستوعب هذه الأطياف، من أجل

التنمية التي تقوم أساساً على «الإنسان»، وعليها في مثل هذه الأحوال واجبات كثيرة منها:

أ - زرع الانتماء الأصيل - لدى الطفل - منذ بدايات عمره.. الانتماء إلى هذه الأمة ورموزها.

ب - الحفاظ على الوطن - والدفاع عنه عند الملمات، وعدم التقاعس عن تأدية الواجب إذا دعا الداعي.

جـ - تجسير الفجوة بين أصحاب الأفكار المختلفة، وبناء الثقة حول القواسم المشتركة، والتي لا يختلف عليها اثنان.

د - القيام بمشروعات اجتماعية هادفة تضم جميع الأطياف، لأنها البداية لعملية انصهار هذه الأفكار لخدمة المجتمع.

هـ - عدم استعمال قاموس التّوصيف ومفرداته عند مخاطبة ذوي الأفكار الأخرى، والتحلّي باللغة الجميلة التي نُدبنا إليها شرعاً وخلقاً، ونسيان المواقف القديمة التي قد تستدعي معها الجراح، والالتزام بقاعدة «عفا الله عمّا سلف».

و - تداعي كافة جمعيات النفع العام إلى ندوات، وحلقات بحث، ومؤتمرات على مستوى الوطن، وإقامة ورش عمل ميدانية لكيفية الموازنة بين الانتماء للوطن، واستيعاب الخلاف الفكري القائم.

* * *

الموازنة بين ممارسة المسؤولية وتعزيز قيم وسلوك الحوار في الأسرة

لا شك في أن هناك علاقات إيجابية بين الأسرة وبين أفرادها فيما يتعلق بحقوق الأولى نحو الثانية وواجبات الأولى نحو الثانية والعكس بالعكس تماماً، وتخضع هذه العلاقات الإيجابية لكثير من المتغيرات، كنمط إدارة الأسرة من قبل الوالدين، والعلاقات بين أفراد الأسرة بعضهم لبعض، والحرية المتاحة للجميع، وغير ذلك من المتغيرات، والتي تؤدي في النهاية إلى إنجاح جوانب التربية داخل الأسرة الواحدة، والذي من ثماره تحمل المسؤولية، ومن ثم تعزيز القيم التربوية في مجال المخاطبة، والتحدث مع الآخرين، وبصورة أشمل كيفية التعامل بين أطراف الأسرة الواحدة.

إن أبعاد المسؤولية التي تتحملها الأسرة نحو أفرادها ويتحملها الأفراد نحو محضنهم الأول تعتمد على المقومات الآتية:

١ - **المقوم الأول: وهو ما يعرف بالولاء «الوجداني» أو العاطفي،** والذي يشير إلى درجة شعور أفراد الأسرة الواحدة بالارتباط بالأسرة ارتباطاً وجدانياً ونفسياً، مع الرغبة القوية في الانتساب الدائم والإندماج بها بل والتوحّد معها، وهذا ناتج من التزام الفرد بقيم الأسرة الإيجابية، والرغبة الشديدة في التمسك بعضويته فيها.

إن هذا البُعد «الوجداني» أو العاطفي يتأثر بدرجة إدراك الفرد للخصائص المميزة لأسرته، كدرجة الحرية المتاحة، والمشاركة الفعّالة في اتخاذ القرار داخل الأسرة، وإعطائه دوره في الحوار والنقاش، وتعزيز دوره في داخل المجموعة الأسرية باعتباره ركناً من أركانها.

إن هذا البُعد هام جداً في استمرار تحمل الفرد للمسؤولية تجاه الأسرة، ومسؤولية متابعة الأسرة لأفرادها، وتبني قضاياهم الحياتية ومتابعة أحوالهم الدراسية، وتفقد مشاكلهم الجديدة، وعلاج مشكلاتهم القديمة، وبيان حقائق الأمور إزاء الأحداث التي تمر بها الأسرة - ويمر بها المجتمع كله -، وهذا البُعد يعتبر من الأبعاد التي يمكن توريثها - بعد ذلك - للأولاد والأحفاد - فتنشأ (العاطفة الممتدّة) والتي تحمي الأسرة وأفرادها من الأمراض والعلل الاجتماعية كالتقوقع والانزواء، والقلق والاكتئاب.

٢ - **المقوم الثاني: الولاء «الأخلاقي»**، والذي يشير إلى تمسكه بالاستمرار، والبقاء في الأسرة منتمياً إليها دون النظر إلى الجوانب النفعية الممكن تحقيقها، كما أنه يشير إلى تمسك الفرد بالأسرة من خلال تبني أهدافها وقيمها وسياستها في إدارة هذه الأسرة الواحدة.

وهذا النوع من الولاء يعكس الإحساس بالمسؤولية والواجب

تجاه الأسرة وأفرادها، والبقاء فيها عضواً فاعلاً يأخذ منها ويعطى بلا مَنٍّ أو أذى، ويتعزز هذا الشعور عن طريق الدَّعم الجيّد الذي يتلقاه الفرد من الأسرة، كالسماح للفرد بالمشاركة والتفاعل الإيجابي في وضع أهداف الأسرة المرحلية والمستقبلية.

إن الولاء «الأخلاقي» يمثل بُعداً هاماً لا يقل أهمية عن البُعد السابق، بل إن هذا البُعد «الأخلاقي» يبرز في الجوانب التالية:

أ - جانب العطاء دون الأخذ.

ب - جانب الإيثار وليس الأثرة.

جـ - جانب المصلحة العامة للمجموع (للأسرة) مقدم على المصلحة الذاتية للفرد، من هنا فإن البُعد الأخلاقي مع البُعد الوجداني يشكلان مقومين رئيسين مقومات بناء المسؤولية المشتركة.

٣ - **المقوم الثالث**: **الولاء «الوجودي»**، والذي يشير إلى إدراك الفرد داخل الأسرة الواحدة لأهمية بقاء الأسرة، فيضحّي بمصالحه الآنية لبقاء تماسك أسرته نتيجة لارتباطه بها، واعتباره جزءاً منها أو امتداداً لها، فهو لا ينظر إلى أي شيء إلا بمنظار أسرته، وهذا البُعد بدوره يتأثر بمجموعة من العوامل أهمها: صغر السن أو كبره، موقع الفرد ذكراً كان أم أنثى، صحته أو

سقمه، درجة تعليمه، درجة تسلسله في الذرية، فقد يكون وحيداً، وقد يكون ذكراً مع عدة إناث، أو أنثى مع عدة ذكور، إلى غير ذلك من الاعتبارات.

إن ممارسة المسؤولية تتجلى في كيفية التعامل بين الوالدين وبين الأبناء، وهي مسؤولية مشتركة، كما سبق، في إطار من السجايا النبيلة والسلوك الحميد.

ومن الأمثلة فيما يتعلَّق بممارسة المسؤولية مع الوالدين مباشرة وواجبات الأبناء إزاء أولياء أمورهم:

- قال النبي عليه الصلاة والسلام: «**رَحِمَ الله والداً أعان ولده على بره**»[1].
- سُئِلَ الصحابي الجليل معاذ بن جبل رضي الله عنه، عن حق الوالدين على الولد فقال: «لو خرجت من أهلك ومالك ما أديت حقهما».
- يضع الإمام الغزالي للوالد بعض الضوابط في تربية أولاده «يعينهم على برّه، ولا يكلفهم من البر فوق طاقتهم، ولا يلحّ عليهم في وقت ضجرهم، ولا يمنعهم من طاعة ربهم، ولا يمنن عليهم بتربيتهم».

وفي هذا السياق فإن للأم دوراً عظيماً، فهي - مدعوة أولاً -

(١) أخرجه ابن أبي شيبة (٨/ ٣٥٧).

لتعظيم حق الوالد في نفس الأولاد، وإبراز دورها وإيجاد المهابة له في قلوبهم، على أن يكون ذلك في غير رعب أو شدة أو قسوة، وهي مدعوة ثانياً - ألّا تكشف لأولادها ما بين زوجها وبينها من خلافات حول بعض القضايا المشتركة داخل الأسرة الواحدة، لأن سماع النزاع أو الشجار قد يؤلمهم إلى جانب أنه يضعف الثقة بهما معاً، لما يرونه من التناقض بين التوجيهات التي يسمعونها منهما، وبين سلوكهما تجاه بعضهما البعض.

إن الحوار الداخلي بين الوالدين يتأسس ابتداءً في هذا الجو الأسري المشترك. من جانب آخر، يمتد دور الوالدين ومسؤوليتهما مع الأولاد ليشمل تقوية أواصر المحبة والتآلف بينهم، ونبذ الشحناء والتباغض، إذ إنه كثيراً ما تحدث الشحناء، والغيرة، والتنافس، والحسد بين الإخوة والأخوات.

فالولد الذي يتربى مع إخوته في جو حافل بالتوتر والتنافس والحوار الحاد يصعب عليه - إذا كبر في العمر - أن يتخلص من هذا السلوك بسهولة، ولهذا كان من مسؤولية الأسرة التخفيف من حدة الحوار بين أفراد الأسرة الناجم من الغيرة والحسد، ورحم الله ابن الجوزي فيما نقله منه الحسن البصري «ليس من ولد آدم أحد إلّا وقد خلق معه الحسد، فمن لم يجاوز ذلك بقول ولا بفعل لم يتبعه شيء».

ويعتبر نجاح الأسرة في تدريب الأفراد على الحوار اللطيف والهادئ والهادف مؤشراً جيداً لإمكانية نجاح أفراد الأسرة في العيش مع غيرهم إذا تحاوروا معهم عندما يخرجون للحياة العامة، فالأسرة مسؤولة عن تدريب أفرادها على أنماط من السلوك والممارسات والحوارات المفيدة والإيجابية. من جهة ثانية، قد تصدر بعض الاجتهادات الخاصة من بعض أفراد الأسرة الواحدة، في صورة حماس زائد، أو تصرف مفاجئ، أو موقف غير متوقع، أو اتصال بالآخر غير مسموح به - مثلاً - أو حركة غير لائقة، أو الدخول في أمر لا يعنيه، هذه المواقف تحتاج من الأسرة إلى الحزم دون البتر، وإلى توجيه اللوم دون التعنيف، وإلى شرح حجم هذا التصرف ومجافاته لما اعتادته الأسرة في مسارها وسياستها.

إن الأسرة لا تقف مكتوفة اليد أمام الفعل وأمام الفاعل معاً، فلا بد من لفت النظر، والتنبيه، والتحذير، والدعوة إلى عدم التكرار، وكل هذه الأفعال أو ردود الفعل من الأسرة تجاه أفرادها تتم في حوار هادئ غير مشحون بالغضب الشديد، والصراخ والصوت العالي، إنما تتم بروح المسؤولية في إطار من العدل والإنصاف.

وإذا صدرت مواقف إيجابية وطيبة، وذات أثر على الأسرة، يثمنه الوالدان، ويتم عن أفكار مفيدة، أو اقتراحات عملية هادفة، فإن الواجب مكافأة من يقدّم هذه لصالح الأسرة، حتى يتولّد التعزيز

لمثل هذه الأفعال الطيبة، والثناء على أصحابها أمام جميع أفراد الأسرة، حتى يحس الجميع بالعدل أيضاً، وبتحقيق تكافؤ الفرص ثانياً وحتى تنتقل هذه السلوكيات إلى الكبار حينما يتزوجون.. ومن ثم يخضع الجميع لموازين الثواب والعقاب ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ۝﴾ [الزلزلة: ٧-٨].

وفي السياق نفسه، فإن عناية الإسلام بتربية الأطفال لم تنطلق من فراغ، بل هي عناية مستمدة من قيم ومبادئ الإسلام - الهادفة لتكوين أُمَّة قوية المادة والروح، وهي عناية تقدّم لنا البديل الإسلامي لما يتلقاه الطفل من مؤثرات وافدة من خلال المؤسسات الثقافية والتربوية الغربية، تقود في الغالب إلى انفصام في وجدان الطفل، فتضطرب داخله الرموز والرؤى، وتنشأ لديه ألوان من الصراع في سلوكه الاجتماعي والثقافي، فتقتحم الرؤى والرموز الغربية وجدانه وذهنه شيئاً فشيئاً، إلى أن تغدو الرموز والرؤى الإسلامية غريبة عند الطفل[1].

وعليه فإن أي مشروع ثقافي أو تربوي، يكون الطفل هدفه، يجب أن يقوم على أسس من الرؤى والرموز الإسلامية التي تشكل حضارتنا وثقافتنا، باستنباط المنهج القرآني في التربية، والاستشهاد

(١) محمد السروتي، العناية الإسلامية بتربية الأطفال: تميّز وعطاء، مجلة البيان، العدد ٢٣٩، (السعودية: ٢٠٠٧م).

والاسترشاد معاً بما ورد بالسُّنَّة المطهرة، والتراث الإسلامي في التوجيه والتعليم.

ولا بد - هنا - من دحض الشبهات القائلة بأن المسلمين لم يعتنوا بالجانب التربوي ولا بالجانب التعليمي للطفل، بل إن المسلمين ابتكروا آراء جديدة في التربية والتعليم، فلم يأخذوها عن غيرهم من الغرب المسيحي، أو ينقلوها عن التراجم اليونانية كما يحلو لآخرين أن يصوروا ذلك. كما تنافست أقطار الأمة الإسلامية في إيلاء العناية المتميزة بالطفولة اهتماماً شمل الجانب الروحي والعقلي والجسمي.

* * *

الفصل الرابع
بعض الممارسات الأسرية السلبية المؤثرة في الجانب الوطني للأسرة

١ - التفكك الأسري وآثاره السلبية على مفهوم الانتماء.

٢ - النزاع في الأسرة وآثاره على الموازنة بين مفاهيم المسؤولية والحوار.

٣ - تدني المستوى الأخلاقي في بعض الأسر وآثاره على منظومة القيم العامة، وقيم المواطنة الخاصة.

التفكك الأسري وآثاره السلبية على مفهوم الانتماء

تدل العديد من الإحصاءات الرسمية على أن تفكك الأسر - وبخاصة ما كان راجعاً إلى الطلاق - من أهم العوامل التي تؤدي إلى جنوح الأحداث، وهو مظهر متطرف من مظاهر سوء التكيف الاجتماعي، وقد ترسَّم في ذهن الطفل الذي ينشأ في هذا البيت صورة قبيحة مشوهة عن حياة الأسرة، عن الدور الذي يلعبه كل من الرجل والمرأة في المجتمع، كما أن الطلاق نفسه قد يشعر الطفل بشيء من الخزي والنقص، فهو يحس أنه غريب في مجتمع أغلب أسره متماسكة، حيث يعيش معظم الأولاد والبنات مع آبائهم وأمهاتهم.

ومن أخطر آثار التفكك الأسري بروز الظواهر الآتية:

أولاً - تعاطي المخدرات:

تشير الإحصاءات إلى أن أكثر المدمنين على المخدرات في العالم من الشباب، حيث تبلغ نسبتهم حوالي (٧٠ ٪)، ووجد أن من أهم أسباب انحرافهم: الاضطرابات الأسرية، بُعد الأب عن مسؤوليته التربوية بالوفاة، أو بسوء أسلوبه ومنهجه في التربية.

دوافع تعاطي المخدرات:

١ - الفشل في الحياة.

٢ - الإحباط وعدم الثقة في النفس.

٣ - العزلة وعدم وجود الأنيس.

٤ - عدم وجود الروابط الاجتماعية القوية والمتنوعة.

٥ - الفراغ المملّ.

٦ - مخالطة رفقاء السوء[١].

٧ - بعض وسائل الإعلام، إذ يقول أحد المختصين: إن أحد أهم عوامل إقبال الشباب على إدمان المخدرات هي التقليد الأعمى لما يشاهدونه في الأفلام، ومن يتخذونهم من مُثَل عُليا من الفنانين - المنحرفين - سواء كانوا في العالم الغربي أو العربي، وما يشيعونه من تقليعات يقلدها الشباب.

ثانياً - التدخين:

يُعدّ «التدخين» من أكثر الظواهر السيئة انتشاراً في العالم، فلا توجد فئة أو طبقة في النّاس، أيّاً كانت، إلا ويوجد بينها من يتعاطى الدخان، ونظراً لهذا الانتشار الواسع أصبح وجود السجائر في البيوت، وتهيئتها للمدخنين، وعدم منعهم من التدخين في الأماكن العامة، والعالم الإسلامي مستهدف من قبل شركات التبغ

(١) عدنان حسن صالح، مسؤولية الأب المسلم في تربية الولد، دار المجتمع، ص ٥١٣.

خاصة بعد انحسار مبيعاتهم بعض الشيء في دول الغرب، فالكميات الهائلة من التبغ يتم توريدها من هذه الدول الغربية لتستهلك في الدول الإسلامية، وكمثال على ذلك، بلغت واردات المملكة العربية السعودية عام ١٩٧٢م (٤,٥٧٥,٠٠٠) كيلوجراماً من التبغ، وفي عام ١٩٨١م تضاعفت الكمية تسع مرات تقريباً لتصل إلى (٣٦,٧٣٢,٥٠٠) كيلو جراماً، وذلك خلال تسع سنوات فقط[1]، وهذا يدلُّ دلالة واضحة على خطورة الوضع خاصة في بلاد يعلن أكثر علمائها حرمة شرب الدخان وتعاطيه.

ولا يليق بالأسرة المسلمة أن يدخن أحد أفرادها السجائر، أو الشيشة (النارجيلة)، وذلك خوفاً من تقليد الأولاد.

ثالثاً - التأخر الدراسي:

قد تتسبب بعض المشكلات الأسرية الناتجة من التفكك الأسري في شرود ذهن التلميذ، أو هروبه من المدرسة، مما يترتب عليه تأخره دراسياً، كما أنه في بعض الأحيان يضطر التلميذ للتغيب عن المدرسة حتى يتسنى له أن يعمل ليساعد أسرته الفقيرة، أو عند غياب المعيل، أو طلاق الأ،م أو ما شابه.

رابعاً - الاكتئاب والانطواء:

يعاني بعض التلاميذ في مرحلة الطفولة ومشارف المراهقة من

(١) المصدر السابق، ص ٥٣٧.

مظاهر «الاكتئاب والانطواء»، وتبدو عليهم أعراض اللامبالاة، والانسحاب الاجتماعي، والغربة الشعورية، وفتور الهمة، وتتكرر شكواهم من آلام جسمية يشعرون بها، مما يؤثر على توافقهم الشخصي والاجتماعي والمدرسي.

خامساً - السرقة:

عادة ما يعكس سلوك «السرقة» عند الطفل إحساساً لديه بالحرمان، والحرمان مسألة مادية، ومسألة نفسية، فقد يكون حرماناً من العطف والحنان والرعاية، وليس حرماناً من المأكل والملبس، فشعور الحرمان هذا بما يصاحبه من إحباطات متتالية، قد يولّد لدى الطفل مشاعر عدائية تجاه أقرانه، أو تجاه من يكبرونه، فيتولّد لديه سلوك بالسرقة، كسلوك إنقاص من ناحية، ولتأكيد ذاته - ثانياً -، وتأكيد إحساسه بالأمن - ثالثاً - عن طريق المَلكية.

إن السرقة قد تكون غاية في حد ذاتها، فالطفل قد يأتي هذا السلوك ليعبر عن عدوانيته تجاه المجتمع تمثّلا في أقرانه أو أصدقائه، وقد تكون أسبابها شعورية أو لا شعورية، وقد تكون السرقة وسيلة لغاية، مثل الحصول على المال لشراء المخدرات.

سادساً - الكذب:

وقد تكون قسوة الوالدين أو طلاقهما سبباً في تدعيم «الكذب» إن صحَّ التعبير، وتتحمّل المدرسة مع الأسرة فيما يطالعه المرء من

تعاظم بعض القدرات والتي تدفعه إلى الكذب حتى يعفي نفسه من الواجبات ومن العقاب.

سابعاً - الجنوح:

«الجنوح» أو الانحراف هو السلوك غير السوي، أو السلوك المناهض للمجتمع، وقد يندفع بعض الأطفال إلى السلوك الجانح أو المنحرف نتيجة لضغوط ومؤثرات اجتماعية، مثل تفكك الأسرة، أو غياب أحد الوالدين أو كليهما.

ولذلك فإن انحراف الطفل أو جنوحه، إنما يُعَدُّ عرضاً أو مجموعة من الأعراض وليس مرضاً نفسياً قائماً بذاته.

وعموماً فإن سلوك الطفل في - هذه الحالة - سلوك لا اجتماعي، وغير مقبول من أفراد المجتمع.

مما سبق يمثل انعكاساً بطريقة مباشرة لآفة التفكك الأسري، والذي حاق بالأطفال - كضحايا - نتيجة الخلافات بين الوالدين، والذي أدى إلى بروز الظواهر السابقة التي تكوّن أعباء على الانتماء للمجتمع.

وفي دراسة عن ظاهرة «عبدة الشيطان»، ذكر الباحث أنه من أسباب انتشار هذه الظاهرة الآتي[(١)]:

(١) غدير خالد محمد الشهري، وشهد علي المطاوعة، عبدة الشيطان، كلية التربية، جامعة الكويت.

- عن طريق بعض المقرّبين.
- أوقات الفراغ.
- توافر الإشباع للرغبات المكبوتة خاصة الجنسية.
- الغنى والرفاهية الزائدة.
- أصحاب السوء.
- تطور التكنولوجيا.
- التفكك الأسري وغياب التوجيه والإرشاد.
- عدم تحمل المسؤولية.
- التقليد الأعمى.

وهناك دراسات أخرى، ترجع بروز ظاهرة الجنس الثالث والجنس الرابع (البويات) [1] إلى أسباب ، منها أيضاً حالات التفكك الأسري، وعدم وجود إشراف تربوي دائم من الأسرة، مما يجعل هذه الظواهر تشكل حملاً ثقيلاً على تنمية المجتمع.

وفي دراسة حديثة عن العنف[2]، أرجعت الباحثة انتشار هذه الظاهرة خاصة في المؤسسات التعليمية - إلى أسباب كثيرة منها: وجود علاقات متوترة وتغيرات سلوكية مفاجئة داخل الأسرة،

(١) نوف محسن العجمي، ظاهرة البويات، كلية التربية، جامعة الكويت.
(٢) منيرة الرشيدي، العنف المدرسي، كلية التربية، جامعة الكويت.

حيث عرفت «العنف» بأنه كل تصرف يؤدي إلى إلحاق الأذى بالآخرين، وقد يكون الأذى جسمياً أو نفسياً.

وتبدو هذه المظاهر السابقة، مظاهر مَرَضية، تحتاج إلى أن تأخذ حيِّزاً من اهتمامات التربويين، وعلماء الدِّين، وأصحاب المسؤولية في المجتمع، خاصة أن مثل هذه المظاهر لها آثارها ضد مصلحة المجتمع، وضد أفراده، وضد مفهوم الانتماء.

ثامناً - نشأة المخاوف المَرَضية[1]:

ويختلف علماء النفس حول أسباب نشأة «المخاوف المَرضية» لدى الأبناء، فيرى المحللون النفسيون أن المخاوف المرضية تحدث في مرحلة الكمون (أي من ٦ - ١٢ سنة)، وأن من أسبابها «فُقدان العائل»، بينما يرى أصحاب المدرسة السلوكية أن المخاوف المرضية تنشأ نتيجة خبرة مباشرة أو غير مباشرة حيث يحدث اشتراط Conditioning بين موقف معيّن وخبرة الخوف، وهم يركّزون بصفةٍ خاصة على الاشتراط التقليدي في نشأة الأعراض العصابية، ومن بينها المخاوف المَرضية - دون تحديد عمر معيّن - ومن أسبابها الكثيرة كذلك (فقدان العائل).

وقد اتضح من دراسة حديثة أن المخاوف المَرَضية، يمكن إرجاعها إلى سبعة موضوعات أو فئات رئيسة، هي:

(١) محمد عبدالظاهر، المشكلات التي يتعرض لها تلميذ التعليم الأساسي، كلية التربية، جامعة طنطا.

١ - **مخاوف من الحيوانات،** مثل الخوف من الأفاعي، الفئران، الخفافيش، القطط، الحشرات الزاحفة، العناكب، الثعابين غير المؤذية، الحشرات الطائرة.

٢ - **مخاوف من مشاعر العداوة لدى الآخرين،** وذلك كالخوف من مشاعر الغضب، والأصوات العالية، وفقدان التحكم، والخوف من التشاجر، ومن الناس الغاضبين، والخوف من السكاكين.

٣ - **الخوف من الموت، ومن الأذى،** كالخوف من الدم، والجروح، ومشاهدة العمليات الجراحية، وموت الحيوانات، وأخذ الحقن، وموت الناس، ورائحة العقاقير، وحوادث السيارات، والاختناق.

٤ - **مخاوف ذات شكل أخلاقي،** كالخوف من الانتحار، والتفكير في حقيقة المرض، والعذاب في الآخرة.

٥ - **الخوف من النقد الاجتماعي،** كالخوف من مشاعر الاستنكار، وتجاهل الآخرين للشخص، والخوف من النقد، ومن مشاعر النبذ من جانب الآخرين، والخوف من الفشل.

٦ - **الخوف من الظلام، وما يرتبط به من مخاوف أخرى،** كالخوف من الوحدة، والمكان الغريب، والدخول في حجرة يمكث فيها أشخاص آخرون، والخوف من الدخول إلى الأماكن المظلمة.

٧ - **الخوف من الأماكن الخطرة،** كالخوف من المصاعد والأماكن

المزدحمة، والسفر بالطائرات، والخوف من المياه العميقة.

وقد لاحظ العلماء - علماء الأمراض النفسية - أن الأطفال الذين ينتمون إلى أُسر مفككة ودائمة النزاع - يظهر على وجوههم الذبول والانكسار والشحوب، كما يظهر - في الغالب - أعراض للمخاوف المرضية السابقة، مثل الإنهاك، أو الإغماء، ووجود خفقان أو غثيان، أو رعشة، وشعور بالرعب عند القيام بالأعمال الخاصة أو العامة، أو عند بذل مجهود، أو دراسة مع دوار وشعور بالضعف.

* * *

النزاع في الأسرة وآثاره على الموازنة بين مفاهيم المسؤولية والحوار

لا يستغني الولد الصغير عن أبويه، فلا يستغني عن أبيه الذي ينفق عليه، ويحفظه ويحميه، ويؤدبه، كما أنه لا يستغني عن أمه التي ترعاه، وتعتني به، وتحنو عليه، والطفل السليم المكتمل بناؤه النفسي والعاطفي هو الطفل الذي ينمو في أسرة متكاملة غير مفككة، يتبادل أفرادها معاني الحب والود، ويرعى كل واحد عواطف صاحبه ومشاعره.

ولكن لا بد لكل بيت من مشكلات تنتهي معظمها بالحلول المبنية على التنازل بين الطرفين، ومنها ما ينتهي بالانفصال التام أو المؤقت. حيث تُبنى على ذلك مشكلات، وصدمات خطيرة على حياة الأطفال الصغار، وربما يكون قرار الانفصال سبباً في انحراف الولد، وضياعه للأبد.

إن النزاع في الأسرة، يختلف عن النزاع في أماكن أخرى، لأن الآثار في النوع الأول (الأسري) آثار جسيمة تتعلق بالإنسان - وهو محور التنمية الأساس -، أما بقية النزاعات فإنها تتعلَّق بالماديات: عقاراً أو إرثاً أو جاهاً... وما إلى ذلك من حطام الدنيا.

من هنا يكتسب النزاع في الأسرة أهمية خاصة تتجلى في الآتي:

أولاً : تبديد حصيلة سنوات من العشرة المشتركة، والتجانس بين الاثنين وما عناه قوله تعالى: ﴿وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُۥ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا﴾ [النساء:٢١] وهو تبديد قد لا يقوم به الأسوياء إلا لضرورة قاهرة، وللأسف لا توجد لدى الأسر، ما يُسمَّى بفقه أخف الضررين، ومحاولة الصبر والمصابرة على ما يشوب هذه العشرة من منغصات قد لا يخلو منها بيت في المجتمع.

ثانياً : عدم الاهتمام - بالذرّية - عندما يتطور النزاع إلى حدوث الانفصال، ومع حالات الغضب من الطرفين، وما يصاحب ذلك، من تراكم الأخطاء القولية والفعلية، فإن «الذرية» - في النهاية - سوف تكون هي الضحيّة، وكأن «الذرية» - سلعة عادية، يمكن التفريط بها عند حدوث هذا النزاع وتطوره إلى حدوث الانفصال. وهنا لا يبدو أن الأسرة استشرفت المستقبل، وعرفت المآلات، التي قد يؤول إليها النزاع، إذا لم يُعالج بالحكمة، وتمسك كل واحد برأيه.

ثالثاً : عند حدوث الانفصال فإن هناك واقعاً غير مخطط له قد حدث ، وبالتالي فإن الأمر قد يكون مرهقاً نفسياً ومادياً - ليس فقط لطرفي العلاقة - بعد الانفصال، إنما يكون أيضاً مرهقاً لميزانية الدولة، إذ لا ملجأ لهؤلاء المطلقات

لتغطية نفقاتهنّ اليومية سوى المساعدات الاجتماعية التي تقدمها الوزارات في بعض الدول - ناهيك عن المشكلات النفسية والدراسية والاجتماعية التي يتعرض لها الأطفال.

رابعاً : نقصان روح المسؤولية لدى الطرفين، بل ونقصان الفهم السليم بالحقوق الشرعية لكلا الزوجين، حقوق الزوجة، وحقوق الزوج، وواجبات كلُ منها نحو الآخر، وبالطبع هناك حقوق الأولاد، وقبل ذلك أخلاقيات الطلاق في الإسلام، ومحاولة المساعدة في الانفصال - عند الضرورة - بأقل ألم.

ومن جهة أخرى فإن قرار الزواج كثيراً ما يكون إما دون دراسة كافية، أو قبل بلوغ القدر الكافي من النضج، أو عدم وجود التكافؤ الثقافي.

خامساً: النزاع يمكن أن يكون بصورة عابرة، وبأسباب أيضاً عابرة، وقد لا يحدث إلا همساً - إن صح التعبير -، لكنه قد لا يستطيع الزوجان الاستمرار في هذا الهمس، ومن ثم تبدأ الأسرة في خوض صراعات بين وقت وآخر، أمام الأولاد، الذين قد يسمعون شتائم أو سباب، وربما عدم الحديث بين الزوجين أو ما يعرف بالهجر، أو ترك المنزل كلية.

إن الأطفال لديهم حاسة مرهفة، مرتبطة بنفسية الوالدين فإن

أحسّوا اضطراباً في وضع الوالدين انتقل هذا الاضطراب إلى الأطفال أنفسهم. وهذا يقود إلى الآتي:

أ - النمو الصحي والعاطفي يتعرض للأخطار العاجلة والآجلة إذ لا يمكن أن يتصوروا رؤية أحب شخصية لهم بصورة دائمة النزاع، وقد يضرب الوالد أم الأطفال أمامهم، فإن هذا يترك الأثر السيئ، وقد لا تقوم الأم بواجباتها المنزلية فتصبح حاجات الأطفال مهددة من طعام وشراب وكساء وانتظام في حياتهم.

ب - الانسحاب من الأسرة، وربما الانضمام إلى عصابات الأطفال أو فقدان الثقة بالنفس، وبالناس، والانغماس في أحلام اليقظة، فإن معظم الأطفال المشكلين يأتون من منازل مفككة، ومنازل تكثر فيها الاحتكاكات بين الزوجين.

وفي نفس السياق، فإن النزاع في الأسرة يمثل بيئة جيدة، لتفريغ نماذج غير سوية، خاصة إذا كان النزاع يحدث بصورة دائمة، وليست - في الأفق - محاولات لإنهاء هذا النزاع، وفي هذه الحالة يمكن أن يلجأ الأطفال سواء من خلال المدرسة - أو من خلال الشارع - إلى التجمعات ذات الأهداف المناقضة لأهداف المجتمع المدني.

إن الطفل الذي افتقد الصدر الحنون داخل أسرته، نتيجة لكثرة النزاعات، وعدم وجود خطة لإنقاذه - قد يجد صدراً حنوناً داخل التجمعات الأخرى في خارج المنزل، ومن ثم يرتبط بها، بل ويكون عنصراً نشطاً فيها، بل إن بعض الدراسات التي تم

إجراؤها، قد أثبتت أن بعض المنخرطين في هذه التجمعات قادمة من بيئات ليست سوية، بل إن هذه الدراسات قد أكدت أن بعض القيادات في هذه التجمعات كانت بداياتها في هذه الأسر، التي لم تعط هؤلاء الأفراد القدر الكافي من العطف والحنان والرعاية والمتابعة.

إن بعض التجمعات المنحرفة - سواء أكان هذا الانحراف فكرياً اتخذ التطرف والغلو منهجاً، أم كان الانحراف مادياً - تسعى إلى تجنيد أكبر عدد ممكن من الأفراد الذين يمرون بظروف تجعلهم يأتون إليهم إما طواعية أو بقليل من الإغراء، ومن ثم يقومون بأعمال ضد المجتمع الذين ينتمون إليه غير مبالين بالأضرار التي تنجم عن هذه الأعمال، لأن الكراهية التي تولّدت في أنفسهم هي التي تقودهم إلى هذه الأفكار والأعمال الشيطانية. من هنا فإن مواجهة هذه الأخطار يحتاج إلى وسائل مانعة كثيرة نذكر منها:

- قيام الأسرة بدورها المناط بها في احتضان أفرادها وحمايتهم من الأعراض الجسمية وكذلك الفكرية سواء بسواء.
- محاولة علاج مسبّبات الأنواع المختلفة من النزاعات الحادثة بالطرق السلمية، الهادئة، بعيداً عن أعين الأولاد.
- تقرير حجم الانحراف النفسي والفكري لدى الوالدين، وتقدير حجم الآثار، الناجمة من هذين الانحرافين، وفي مقدمتها الأسرة نفسها.
- اللجوء إلى كافة الجهات والهيئات: الرسمية والأهلية لإيقاف هذه الانحرافات - بعد وقوعها - فضلاً عن وضع برامج وقائية

للحيلولة دون حدوثها قبل وقوعها.

- القيام بالتوعية الشاملة لدى الآباء والأمهات وإشراك أجهزة الإعلام في طرق الوقاية والعلاج.
- عمل دورات تدريبية لتعويد الأسرة على الحوار المتبادل والهادف بينها وبين أفرادها وبين الآخرين.

وفي هذا السياق، فعلى الأسرة - ابتداءً - أن يكون لها نهج داخلي في تقعيد مفاهيم الحوار القائم على البعد عن الانفعال والالتزام بالموضوعية، والترفّع عن المسائل الصغيرة في مواجهة المسائل الكبيرة، والمحافظة على كمال المروءة، والبحث عن الحكمة وتحقيق المصلحة العامة.

إن هذا الحوار - البديل العملي - للنزاع والصدام - تضع الأسرة في جدول أولوياتها أن نجاة أفرادها مرهون بإنجاح هذا النهج في حياتها، وليس هناك مانع أن تُخضع كافة معالجاتها لأقضية الحياة إلى هذا النهج حتى تكون - في النهاية - في مأمن من آثار التهاون في ممارسة المسؤولية.

ولعل ما نعيشه من اختلاف بعيد عن آداب الحوار يرجع إلى الجهل بالإسلام، أو العلم الناقص به، وهذا يستلزم أموراً ونصائح منها:

١ - أن شباب الإسلام لا بد أن يأخذوا بالأدوات التي يتعاملون بها من المنبعين الصافيين: كتاب الله تعالى، وسُنَّة نبيّه محمد ﷺ،

وكتب العلماء ذوي المنهج الوسطي دون تعصّب أو تحزّب أو غلو.

٢ - التعامل مع الشريعة بالمقصد الذي جاءت به من إدخال السعادة على الناس، وتحقيق المقاصد والكليات الخمس.

٣ - لا بد من معرفة خطورة عدم الالتزام بآداب الحوار، وسياج هذا مراقبة الله سبحانه وتعالى في كل تصرف ولفظ، وإدراك أن من أهم واجبات المسلمين بعد التوحيد أخوة الإسلام، ووحدة الصف، وتنمية المجتمع.

٤ - أن التطرف في الرأي، والغلو له مضار شديدة على بناء المجتمع والفرد، كما أن الانحراف الفكري يؤدي إلى الفتنة، ولذلك فإن الأصل هو التمسك بالمنهج الوسطي، الذي فيه نجاة المسلمين في كل وقت مصداقاً لقوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ [البقرة: ١٤٣].

* * *

تدني المستوى الأخلاقي في بعض الأسر وآثاره على منظومة القيم العامة، وقيم المواطنة الخاصة

تحول عقبات كثيرة دون بلوغ الوالد كمال التمتع بالاستقامة على منهج الله تبارك وتعالى نتيجة لتدني المستوى الأخلاقي في بعض الأسر، والذي ينعكس مباشرة على منظومة القيم العامة والخاصة. ومن أهم مظاهر تدني المستوى الأخلاقي للأسرة الآتي:

أولاً: التدني الواضح في لغة التخاطب؛ وهذا يبرز بين أفراد الأسرة الواحدة، وبين بعضهم البعض، كما يظهر أيضاً بين أفراد الأسرة وبين الآخرين، من جيران، وزملاء عمل، وصحاب، وهذا التدنّي في لغة التخاطب يتضح في استعمال ما يُطلق عليه (قاموس الشتائم) بين أفراد الأسرة الواحدة خاصة، وبين الآخرين عامة، وما يحتويه هذا القاموس من ألفاظ نابية، وعباراتٍ فجّة، وكلمات يعفّ اللسان عن ذكرها، علماً بأن هذه اللغة تصبح هي القاعدة في الحديث، وهذا - في حد ذاته - شيء معيب، ينبغي التخلص منه إذا شاع بهذه الصورة دون علاج.

وقد يزداد حجم هذه المشكلة إذا خرجت من محيط الأسرة الواحدة، وأصبحت هي المهيمنة على بقية الأسر عندما يتخاطب بعضها مع بعض.

وأين هذا الصنف من الأسر وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [الحجرات: ١١].

إن هذه الآيات؛ تكفي لكي يطالعها المرء حتى يعرف نهايات هذا الصنف من الآخر، ومن ثم يبدأ جهد فردي وجماعي لتغيير هذا السلوك المشين والذي يدل على تدني المستوى الأخلاقي.

ثانياً: التقليد الأعمى، والتقليد منه ما هو حق وواجب، ومنه ما هو مذموم مكروه، والأول هو تقليد الرسول ﷺ بحسن اتباعه والاقتداء به، وكذلك تقليد الصالحين من الخلق، أما التقليد المذموم الذي ذمَّ الله تعالى أصحابه وشبههم بالبهائم، فذلك التقليد الذي يجعل صاحبه بلا كيان ولا رويّة، فيقبل قول غيره من العامة بلا دليل ولا برهان، وفي أمثال هؤلاء نزل قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلۡ نَتَّبِعُ مَآ أَلۡفَيۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآۚ أَوَلَوۡ كَانَ ءَابَآؤُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ شَيۡـٔٗا وَلَا يَهۡتَدُونَ ۝١٧٠ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ ٱلَّذِي يَنۡعِقُ بِمَا لَا يَسۡمَعُ إِلَّا دُعَآءٗ وَنِدَآءٗۚ صُمُّۢ بُكۡمٌ عُمۡيٞ فَهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ ۝١٧١﴾ [البقرة: ١٧٠-١٧١].

ومن التقليد الأعمى ما نشاهده – خاصة هذه الأيام من اتجاه قوي نحو تقليد المجتمعات غير المسلمة، سواء في مجال الزيّ واللباس،

أو في مجال الطعام والشراب، أو في مجال النوم والراحة، أو في مجال اللهو والمتعة في المواسم والأعياد والحفلات وغير ذلك.

إن هذا التقليد يعتبر من إحدى المعوقات الواضحة في عدم بلوغ الفرد مراتب الاستقامة داخل هذا المحيط الذي يعيش فيه.

ثالثاً: اتباع الهوى؛ إن اتباع الهوى، واتخاذه معياراً للحب والكره داخل الأسرة الواحدة يدلّ على التدّني الشّديد في مستوى الأخلاق، وعندما نستعرض قوله تعالى: ﴿أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَـٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿٤٣﴾ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَـٰمِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾﴾ [الفرقان: ٤٣-٤٤]، نجد أن وصف أصحاب الأهواء لا يقل خطورة عن خطورة التقليد الأعمى، وهذا ينطبق على نموذج من الخلْق انفلتت نفوسهم من جميع المعايير الثابتة والموازين الفاضلة، فأصبحوا يُحَكِّمُونَ شهواتهم، ولا يعرفون حجة ولا برهاناً، سوى ما تهواه أنفسهم، وبهذا التجرّد من الخصائص التي منحها الله للإنسان من الإدراك والقُدرة على التمييز انحطت شخصياتهم، لتكون أقل من درجة البهيمة العجماء.

وقد ورد عن رسول الله ﷺ في ذمّ اتباع الهوى قوله: «**أما المهلكات فشح مطاع، وهوى متبع، وإعجاب المرء بنفسه**»[(١)].

---

(١) رواه المنذري في الترغيب والترهيب (١/٨٦).

ولما كان الهوى بهذه الدرجة من الذّم والقبح، فإن مسؤولية الأسرة في تكوين الإرادة الصادقة في نفوس الأطفال تعد أفضل حل لصدِّ الهوى عن التحكم في عقول الأطفال وعواطفهم لأن تربية الإرادة تُنمّي في المرء حرية الاختيار السليم، ومن ثم يكون الاختيار الصحيح هو الدافع الحقيقي.

وهناك نقطة لا بد من بيانها هو أن إتباع الهوى في المستوى الأخلاقي، ينجم عنه - بطريقة مباشرة- على المستوى السياسي ما يقود إلى الاستبداد الذي نشكو من بعض آثاره في عالمنا الإسلامي.

رابعاً: انحرافات داخل المدرسة، إن ما يتلقّاه الأطفال في المدرسة من معارف وما يشاهدونه من سلوكيات، كلها تحتاج إلى إعادة نظر، لأن بعض المدارس لا تساعد الأسر على التربية السليمة، إنما هي تموج ببعض الترخص في الجوانب الأخلاقية، وتفتقر إلى التربية التي تقوي الجسم وتوجه طاقاته توجيهاً سليماً، وتكاد تنعدم فيها التربية التي تغذي الروح، وتلجم نزوات العواطف، وليس فيها القدر الكافي من النشاط الاجتماعي الذي يعين التلاميذ على تنمية الصفات الخلقية والاجتماعية المرغوب فيها.

خامساً: هناك منظومة قيم سلبية تدل - بصورة واضحة - على وجود تدني أخلاقي، خاصة عندما تخضع الأسرة الواحدة لهذه القِيَم السلبية، وتمارس هذه القِيَم في حياتها اليومية، وفي أجندتها العامة، ومن ثم تقود المجتمع إلى مثل هذه المسارات، وتنعكس بالضرورة

على سلوك أفرادها، ومن أبرز هذه المفاهيم السلبية التي تنعكس على حياة المجتمع وينبغي التخلص منها، ما يأتي:

١ - الظلم، فقد تقوم الأسرة بممارسة هذا الظلم على أفرادها، أو على أفراد الأسر الأخرى، بل قد استطال هذا الظلم وأصبح أسلوباً عند بعض الأسر، ولم يجرِ حتى الآن بيان خطورة هذا المفهوم، (الظلم)، ومدى استشرائه في بعض مناحي الحياة القائمة، بين صاحب العمل والعامل، بين التاجر والعميل، بين الشركة وعُمّالها، بين الأب وزوجاته، بين إدارة المدرسة والطُّلّاب فيها، بين الرئيس والمرؤوسين، وعموماً بين الراعي والرعية.

إن الظلم يورث على المدى القريب: الذل والانكسار، والاستسلام والخنوع وكلها من مظاهر تدني الأخلاق، كما يورث الحقد وانتظار الثأر عندما تحين الفرص، وصدق رسول الله ﷺ عندما قال: «**أتدرون ما المفلس؟ قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع، فقال: إن المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، ويأتي وقد شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا، فيُعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته، فإن فُنِيَت حسناته قبل أن يقضي ما عليه، أُخذ من خطاياهم فطُرحت عليه ثُمَّ طُرح في النار**»[١].

---

(١) رواه مسلم في البر والصلة (٥٩)، والترمذي الحديث (٢٤١٨).

٢ - الرشوة والمحاباة والمحسوبية.

٣ - التجسس، وكشف المستور، والمعايب لغير عذر شرعي.

٤ - الغش والخداع والتضليل.

٥ - الغيبة والنميمة.

٦ - الكذب بأنواعه.

٧ - السبّ واللعن.

٨ - قذف المحصنات.

٩ - عثرات اللسان واليد والجوارح.

بعد الاستعراض السابق الذي تضمن القيم السلبية التي تقع فيها بعض الأسر، والتي تغذي بها أطفالها، مما يزيد من تدهور منظومة القِيَم لدى الأطفال، ويبرز هذا عند المواقف الحياتية القائمة، وكل ما سبق يؤدي إلى أن تكون مخرجات تلك الأسر ذات طبيعة بعيدة تماماً عن دوائر الاستقامة، والتعامل بالصورة التي ينبغي أن تكون وفق مفاهيم ديننا العظيم، وتراثنا الوضيء.

ولا شك أن تدنّي المستوى الأخلاقي في بعض الأسر، وعدم قيام الوالدين برعاية أولادهم، ومتابعة مسارهم الحياتي، والإشراف المتواصل على سلوكياتهم.. قد يكون ناجماً عن الإهمال، أو الغفلة، أو عدم وجود الالتزام بالمسؤولية الملقاة على عاتق هذه الأسر نحو أولادها، وقد يؤدي هذا وغيره إلى ترك الحبل - على الغارب - لوسائل الإعلام - خاصة التلفاز - في أن يعرض بضاعته على الطفل - المشاهد - وبالتالي يتأثر بما يشاهده، بحيث

يمكن تعديل اتجاهاته النفسية، بل وتعدّل في نظام القيم الاجتماعية لدى الطفل، كأن تؤكد على بعض القيم، وتلغى البعض الذي تربى عليها - أو تقدم بعضها وتؤخر البعض الآخر.

إن العديد من البحوث والدراسات - التي تم إنجازها في هذا الميدان - قد أكدت أن العنف والرُّعب - على سبيل المثال - في وسائل الإعلام - هي وراء السلوك الفظ لدى الأطفال، وما نلمسه من الاستخفاف بالنظام الاجتماعي نتيجة لإثارة الميول العدوانية لديهم، وما يقود ذلك إلى عدم الولاء للمجتمع ومؤسساته.

ومما يجدر ذكره هنا، ذلك الكتاب الذي ناقش تجربة التلفاز ومشاهدته - دون بقية وسائل الإعلام - من تأليف د. (ماري دين)، وقد أسمته (المخدّر الكهربي) وكان سبباً لضجة كبيرة عند الآباء القلقين على أسرهم، وعلماء النفس والمُرَبِّينَ الذين يهتمون بتأصيل القيم، وقد أكد الكتاب على الآتي:

١ - أن مشاهدة التلفاز تسبّب عندهم نوعاً من الإدمان.

٢ - تحول جيل كامل منهم إلى أشخاص يتميزون باللامبالاة، وعدم التجاوب، وعدم التعاون مع الآخرين.

٣ - عدم استطاعتهم - هؤلاء المدمنين - على التفكير بوضوح - والعيش في عالم آخر بعيد عن العالم الأسري.

٤ - توقع الانسحاب من المجتمع.

ومن باب اكتمال عناصر هذا الموضوع، وبيان علاقة القيم

بالأخلاق ومستواها لدى بعض الأسر، يستحسن أن نتطرق إلى اهتمام المربين بهذه المجالات السابقة، خاصة وأن هذا الاهتمام بدأ متأخراً، لأن - المجتمع البشري - كان غافلاً عن الاهتمام الحقيقي بالأطفال، وقطاع الطفولة - كان الأقل أهمية ورعاية من قبل المجتمعات البشرية، فكان أفراد الأسرة - خاصة الأطفال - يأتون في مقدمة ضحايا الخلافات الأسرية والمشاكل الاجتماعية التي تترك دون حل.

وفي مستهل القرن العشرين، بدأ الاهتمام الدولي بالطفل، وصدر الإعلان العالمي لحقوق الطفل في ٢٠ نوفمبر ١٩٥٩م، ثم صدر من الأمم المتحدة قرار باعتبار عام ١٩٧٩م «سنة دولية للطفل»، (والطفل عندهم منذ النشأة حتى سن التكليف).

وفيما يتعلق بالدراسات عن القيم عند الأطفال، فمن الواضح أنها لم تكن موجودة، وربما يكون ذلك راجعاً إلى أن القيم تنمو في مراحل عمرية متأخرة، وتبرز أثناء السلوك، بعد أن يكون الطفل قد تشبّع بها..

هذا وقد قام «أرتسون وأندرسون» (١٩٥٦م) بدراسة عن قيم الأطفال وعلاقتها بالمستوى الاجتماعي والأخلاقي، وذلك بإعداد سلسلة من القصص الناقصة التي صمّمت من أجل دراسة ومعرفة الفروق في القيم لدى الأطفال، وكانت أداة البحث عن قصة عنوانها «الملحمة المفقودة» (Lost Meat)، ولقد أثبتت الدراسة أن الأطفال الذين تربوا في مناخ أخلاقي سيئ (متسلط) كانوا أكثر كذباً

وخوفاً، ولقد ذكرت د. عفاف أحمد عويس التي أوردت هذه الدراسة - أن تدنّي المستوى الأخلاقي للأسر ينعكس بصورةٍ مباشرة على منظومة القِيَم[١].

ولقد أورد «بيرجن» (١٩٧٦م)[٢] عدة عوامل مأخوذة من أبحاث باندورا Bandura حول التأثير الاجتماعي باعتباره من الأسس التي ينبني عليها السلوك الأخلاقي، وذكر أن عملية الاكتساب الأولى عند الطفل في مراحله المبكرة تتم عن طريق الملاحظة والتقليد، فالأطفال يفعلون ما يرون غيرهم يفعلونه، على ألا يؤدي إلى عقاب، ويرى أن الأطفال يقلدون الأشخاص الحقيقيين (مثل الوالدين والأقران)، أو نماذج غير حقيقية مثل شخصيات القصص وما يعرض أمامهم.

أما العوامل التي أوردها "Bergin" فهي:

- أن النماذج التي تتميز بالدفء والإشباع العاطفي يتم تقليدها أكثر من غيرها.
- أن الأطفال يميلون أكثر إلى تقليد النماذج التي من سلطتها الضبط وتوزيع المكافآت.

---

(١) عفاف أحمد عويس، مجلة دراسات في الطفولة، كلية التربية، القاهرة: جامعة عين شمس، ١٩٨٩م.

(٢) المرجع السابق.

- أن احتمالات حدوث التقليد تزداد إذا ما زادت نسبة التماثل والتشابه بين النموذج والطفل.
- أن مجموعة الأقران أو الوسط الاجتماعي له تأثير بالغ في إتمام عملية التقليد.
- أن استخدام التوجيه اللغوي أو الرمزي أو كليهما يساعدان على تسهيل عملية التقليد.

هذا وقد أجريت العديد من البحوث التي أوضحت أن التأثير الاجتماعي يلعب دوراً هاماً في إكساب القيم الأخلاقية وتعديلها.

من هنا فإنه ينبغي على القائمين على أمر الأسر أن يولوا قضايا السلوك وما يتصل بها الأهمية المناسبة، لأن ما نراه من المخرجات الأسرية - لا يتكافأ مع المسؤولية التي أولاها المجتمع في مجال التربية والحفاظ على النشء.

إن ما نراه من بعض مظاهر الاستهتار، وتخريب البيئة، وانتشار السلوك الإجرامي، وارتكاب بعض الأفعال الجارحة دون حياء، وغيرها من الملاحظات التي تزخر بها الحوادث المسجلة في المخافر، يدفع نحو تبنّي السياسات الصارمة إزاء الخروج على آداب المجتمع، خاصة المجتمع الكويتي، والذي جُبل على مكارم الأخلاق منذ نشأته، ولم يعرف هذه الظواهر الدخيلة عليه إلّا مؤخراً.

* * *

الفصل الخامس

دور النظام السياسي

تجاه الأسرة في الكويت

١ - التنظيم المؤسسي لشؤون أسر ذوي الاحتياجات الخاصة.

٢ - السياسة العامة للدولة في مجال الأسرة.

التنظيم المؤسسي لشؤون أسر ذوي الاحتياجات الخاصة

بعد تطور التربية من مفهومها التقليدي الذي يجعل المنهج محور العملية التربوية إلى مفهومها الحديث الذي يجعل المتعلم محور العملية التربوية، برزت الحاجة إلى تطويع النظام التربوي، وتنويع البرامج والمناهج الدراسية حتى تتلاءم مع قدرات المتعلمين وحاجاتهم، ومطالب نموهم الروحي والعقلي والاجتماعي والنفسي والجسمي، ولم يعد النظام التعليمي العادي مناسباً لجميع الطلبة، فظهرت برامج لتعليم المتفوقين عقلياً، والمبدعين، وأصحاب المواهب، وبرامج أخرى لتعليم بطيئي التعلم، وثالثة للمتخلفين عقلياً، ورابعة للعاجزين عن التعلم.. وغيرها من البرامج التي شملها ميدان التربية الخاصة.

وتعرف التربية الخاصة بأنها: نظام تعليمي أو نظام تربوي يتضمن تعديلات خاصة في المناهج وطرق التدريس، والتقنيات التربوية استجابة لمطالب فئات من الطلبة الذين لا يستطيعون مسايرة نظام التعليم العام الذي وضع أساساً للطلبة العاديين. تشمل التربية الخاصة برامج تربوية عديدة من أبرزها: -

١ - برامج رعاية المتفوقين والمبدعين.

٢ - برامج رعاية بطيئي التعلم: وهم ليسوا من المتخلفين عقلياً ودون المتوسط في الذكاء، إذ تتراوح نسب ذكائهم بين ٧٠ و٨٥ درجة على اختبار الذكاء الفردي.

٣ - برامج رعاية العاجزين عن التعلم، وهم الذين يعانون من ضعف في التحصيل الدراسي في مادة دراسية وليس في كل المواد مع أنه متوسط الذكاء.

٤ - برامج رعاية المتخلفين عقلياً.

٥ - برامج رعاية الصم والبكم.

٦ - برامج رعاية المكفوفين.

٧ - برامج رعاية المعاقين حركياً.

٨ - برامج رعاية التوحديين الذين يعانون من اضطراب يعوقهم عن التواصل مع الآخرين.

٩ - برامج رعاية متعددي الإعاقات.

والمتتبع للتربية الخاصة في الكويت يجد أنها ركَّزت في بداية نشأتها في الخمسينيات من القرن العشرين على تعليم وتأهيل المعاقين سمعياً وبصرياً وحركياً وعقلياً، ثُمَّ توسعت بعد إنشاء الأمانة العامة للتربية الخاصة بوزارة التربية - في التسعينيات - لتشمل تعليم الطلبة المتفوقين عقلياً وبطيئي التعلم والأطفال، إضافة إلى «مركز التوحد» التابع للأمانة العامة للأوقاف.

ويسهم مع وزارة التربية في رعاية المعاقين إدارة رعاية المعاقين

بوزارة الشؤون الاجتماعية والعمل، ووزارة الصحة العامة، والجمعية الكويتية لرعاية المعاقين، ومركز تقويم وتعليم الطفل، وبعض جمعيات النفع العام.

وقد شهد ميدان رعاية المعاقين تأسيس المجلس الأعلى لشؤون المعاقين في الكويت برئاسة وزير الشؤون الاجتماعية والعمل، ويختص المجلس كما نصَّت المادة (١٧) - من مرسوم إنشائه برسم السياسة العامة للدولة في رعاية الأشخاص المعاقين.

وقد شكل المجلس الأعلى لشؤون المعاقين عدة لجان لدراسة الوضع الراهن لتعليم وتأهيل وتشغيل المعاقين، وتقديم التوصيات المناسبة لتطويرها والنهوض بها حتى يجد كل معاق المكان المناسب لتعليمه وتأهيله وتشغيله مما يساعد على دمجه في المجتمع، ويمكنه من ممارسة الحياة الطبيعية في الرشد.

وعند مراجعة التشريعات في التربية الخاصة يمكن تقسيمها إلى قسمين: -

أ - تشريعات لرعاية المتفوقين والموهوبين والمبدعين.

ب - تشريعات لرعاية المعاقين جسمياً وعقلياً وتربوياً (يقصد بالمعاقين تربوياً التلاميذ بطيئي التعلم والعاجزين عن التعلم).

فرغم أن التربية الخاصة تشمل المتفوقين والمعاقين، إلا أن حاجات المتفوقين ووضعهم في المجتمع وأهداف رعايتهم تختلف

في نواحي عديدة عن حاجات المعاقين ووضعهم في المجتمع وأهداف رعايتهم، مما يترتب عليه اختلاف في التشريعات والنظم واللوائح والإجراءات، ويدعو إلى مراجعة تشريعات كل فئة على حدة.

موقف الشريعة من رعاية المتفوقين:

يؤرخ الباحثون لرعاية المتفوقين والمبدعين والموهوبين بدءاً من القرن العشرين، ونعتقد أن هذا التأريخ ينطبق على رعاية هذه الفئة في المجتمعات الغربية، ولا ينطبق على رعايتهم في المجتمعات الإسلامية. فمن يقرأ كتاب «أخلاق العلماء» لأبي بكر الحسين بن عبدالله الآجري المتوفى سنة ٣٦٠هـ يجد أن الإسلام سبق الصيحات الحديثة في التنبيه إلى أهمية التفوق والنبوغ، وفي الحث على رعاية المتفوقين والموهوبين والمبدعين، وفي بيان فضلهم في ازدهار مجتمعاتهم اجتماعياً واقتصادياً وحضارياً.

ومن يحلل الأدلة التي قدَّمها الآجري - رحمه الله - من الكِتَاب والسُّنَّة على خصائص المتفوقين وفضلهم في الدنيا والآخرة، وأخلاقهم في طلب العلم، وفي تعليم الناس الخير، يجد أن الإسلام جعل رعاية هذه الفئة «مسألة حياة أو موت» بالنسبة للمجتمعات الإسلامية، فالمجتمع الذي يرعى أبناءه المتفوقين في الصغر يجدهم في المستقبل علماء يهدونه إلى الخير، والمجتمع

الذي يهمل في ذلك سوف يُقبض منه العلم بموت العلماء فيضل ويتخلّف، وفي ذلك يقول رسول الله ﷺ: «**إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من العباد، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يُبْقِ عَالِماً اتخذ الناس رؤساء جُهالًا فسُئِلوا فأفتوا بغير علم فضلّوا وأضلّوا**»[1].

وقد ألزم الإسلام كل مجتمع مسلم بإرسال نفر من أبنائه ليتعلموا العلم، ويمتلكوا ناصيته في مجالات الحياة المفيدة للناس، وهؤلاء النفر هم المتفوقون والموهوبون والمبدعون الذي حباهم الله باستعدادات تمكنهم من سرعة تحصيل العلم، واكتساب الخبرات والإبداع في الحياة، قال تعالى: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٢].

ومن معاني هذه الآية الكريمة كما قال ابن القيم: «أن المؤمنين لا ينفرون جميعاً إلى التعلم، بل ينبغي أن ينفر من كل فرقة طائفة تتفقه وتتعلم، وترجع تعلم القاعدين وتنفعهم» انتهى كلام ابن القيم، والطائفة التي ينبغي أن ترسل للتفقه والتعلم هم المتفوقون والموهوبون والمبدعون.

---

(١) رواه البخاري الحديث (١٠٠)، ومسلم الحديث (٢٦٧٣).

وهذا يعني أن لإنشاء برامج رعاية المتفوقين في مدارس الكويت أساساً في ديننا الحنيف، لكن هل هذا الأساس واضح في أذهان من وضعوا هذا البرنامج ويُشرفون عليه؟ وهل أولياء الأمور والمعلمون يدركون هذا الأساس؟ وهل المجتمع الكويتي يعي بمسؤولياته الشرعية نحو المتفوقين من أبنائه؟ وهل المتفوقون أنفسهم يدركون قيمة ما يتعلمونه من علوم دنيوية أو دينية من الناحية الشرعية؟ وهل يتعلمون آداب طلب العلم، ويدركون واجباتهم من الناحية الشرعية نحو علمائهم؟ وما هي توجيهات الإسلام في رعاية أبنائه المتفوقين، وفي الاستفادة من علمهم عندما يكبرون ويرشدون، وفي المحافظة على العلماء حتى يبدعوا ولا ينحرفوا؟.

ونعتقد أن رعاية المتفوقين في الكويت تنطلق من منطلق الحضارة الحديثة، ومن التربية الحديثة التي تتفق في كثير من جوانبها مع المنطلق الإسلامي في رعاية هذه الفئة.

موقف الشريعة من رعاية المعاقين:

أوجب الإسلام رعاية المعاقين على ذويهم وأقاربهم وولاة الأمر في المجتمع، وحث كل مسلم على احترام آدميتهم، وتوفير الحياة الإنسانية الكريمة لهم، فهم ضعاف، ويجب على الأذكياء والأغنياء حمايتهم ورعايتهم، وفي هذا يقول أبو الدرداء سمعت رسول الله ﷺ

يقول: **«ابغوني في ضعفائكم، فإنما ترزقون وتنصرون بضعفائكم»**[1].

والإسلام الذي كرَّم الإنسان - معاقاً وغير معاق - وحفظ له كلياته الخمس (النفس والعرض والمال والعقل والدِّين) دعا إلى العدالة والمساواة وتكافؤ الفرص، وحثّه على التكافل الاجتماعي بين أفراد المجتمع، وجعل رعاية المعاقين حقاً لهم وواجباً على الأهل والمجتمع، وأثم المجتمع الذي يهمل في رعاية المعاقين ويضيّع حقوقهم.

وهذا يعني أن فلسفة التربية الخاصة بالمعاقين في الكويت تتجاوب مع منطلقات الإسلام، وتقوم على احترام الكرامة الإنسانية للمعاقين، وحماية حقوقهم في التعليم والتأهيل والتشغيل، وحقوقهم في الاندماج مع المجتمع، وممارسة الحياة الطبيعية في الرشد التي يريدها الإسلام للإنسان: معاق وغير معاق. ومن الملاحظ أن رعاية المعاقين في الكويت تنطلق من منطلق الحضارة الحديثة والتربية الخاصة الحديثة المتوافقة في جوانب عديدة مع الشريعة الإسلامية، ولا فرق بين المنطلقين، لأن الحضارة الحديثة والتربية الخاصة الحديثة تدعوا إلى حفظ كرامة المعاقين، وتوفير الحياة الإنسانية لهم، وحمايتهم من الاستغلال والانحراف، وتحقيق

(١) رواه أبو داود الحديث (٢٥٩٤)، والترمذي الحديث (١٧٠٢)، والنسائي (٦/ ٤٥).

العدالة والمساواة وتكافؤ الفرص بين المعاقين وغير المعاقين، وتقرير حقوق المعاقين في التعليم والتأهيل والتشغيل والاندماج في المجتمع والحياة الطبيعية في الرشد.

لكن من الأفضل أن تنطلق رعاية المعاقين في الكويت من عقيدتها الإسلامية حتى تنضبط بشريعة الإسلام وثبات المجتمع مع تعاليم الإسلام في هذه الرعاية التي قصد بها تنفيذ شريعة الله في رعاية المعاقين.

ونعتقد أن الوعي برعاية المعاقين من الناحية الشرعية آخذ في التزايد في الكويت في الآونة الأخيرة، ومما يدل على ذلك تزايد جمعيات النفع العام التي تعمل في رعاية المعاقين، وتكاثر تبرعات أهل الخير لهذه الجمعيات، وإنشاء الصندوق الوقفي للمعاقين، «ومركز الكويت للتوحد» كأحد المشاريع الوقفية، وغير ذلك من جهود تدل على الدافع الديني الذي يجب أن تقوم عليه رعاية المعاقين في الكويت.

برامج الدعم الأسرية لذوي الاحتياجات الخاصة:

«ذووا الاحتياجات الخاصة» اصطلاح يُطلق على فئة من المجتمع، تحتاج إلى رعاية مضاعفة - دون غيرهم - مثل ارتياد الأماكن العامة، ودور العلم، والمستشفيات، وغيرها.

فالفرد المحتاج للرعاية لا بد أن يتلقاها من مجتمعه، لأنه جزء

منه، وهذا ما يُسمى «بالدمج».

والدمج له أشكال كثيرة، منها:

- الدمج الأسري: توسيع إطار الأسرة والأقارب.
- الدمج الاجتماعي: توسيع قاعدة الأصدقاء والزملاء والمعارف.
- الدمج الصحي: توفير الرعاية الصحية والإرشادية مع الأفراد العاديين.
- الدمج التعليمي : إعطاؤهم فرص التعلم في المدارس والكليات مع الفئات العادية.
- الدمج الوظيفي: مساواتهم في فرص العمل مع غيرهم من فئات المجتمع.

والدمج التعليمي - كنموذج - يعني تعليم ذوي الاحتياجات الخاصة في المدارس والكليات العادية مع أقرانهم العاديين، وإعدادهم للعمل في المجتمع مع نظرائهم، ومع غيرهم من العاديين، ويتحقق الدمج التعليمي عبر إيجاد برامج الدعم التربوية للأسرة في ما يُسَمَّى بالفصول الخاصة، أو ما يطلق عليه حجرات المصادر، أو الخدمات الخاصة التي تقدم للمساعدة داخل الفصل، وهي: -

الفصول الخاصة:

يلتحق الطفل بفصل خاص بذوي الاحتياجات الخاصة ضمن

المدرسة العادية في بادئ الأمر، مع إتاحة الفرصة أمامه للتعامل مع أقرانه العاديين بالمدرسة أطول فترة ممكنة من اليوم الدراسي.

حجرة المصادر:

يوضع الطفل من ذوي الاحتياجات الخاصة في الفصل الدراسي العادي، بحيث يتلقى مساعدة خاصة بصورة فردية في حجرة خاصة ملحقة بالمدرسة، ليواكب مستوى الطلبة العاديين حسب جدول يومي ثابت، وعادة ما يعمل في هذه الحجرة معلم أو أكثر من معلمي التربية الخاصة الذين أعدُّوا خصيصاً للعمل مع المعاقين.

الخدمات الخاصة:

يلحق الطفل من ذوي الاحتياجات الخاصة بالفصل العادي، مع تلقيه مساعدة خاصة من وقت لآخر بصورة غير منتظمة في مجالات معينة، مثل: القراءة أو الكتابة أو الحساب.. وغالباً يقدم هذه المساعدة للطفل معلم تربية خاصة متنقل (متجوّل) يزور المدرسة مرَّتين أو ثلاث مرات أسبوعياً.

المساعدة داخل الفصل:

يلحق طفل ذوي الاحتياجات الخاصة بالفصل الدراسي العادي، مع تقديم الخدمات اللازمة له داخل الفصل حتى يمكن للطفل أن ينجح في هذا الموقف، وقد تتضمن هذه الخدمات استخدام

الوسائل التعليمية أو الأجهزة التعويضية، أو الدروس الخصوصية.

أهم الاحتياجات التعليمية للدمج تتم من خلال:

١ - تحديد الإعاقات القابلة للدمج.

٢ - توفير الخدمات الطبية المناسبة للمعاق.

٣ - إعداد المنهج المناسب ومرونته.

٤ - إعداد المعلم، وإعداده للتعامل مع الطفل المعاق، والوسائل التعليمية الخاصة بالمعاق.

المجلس الأعلى لشؤون المعاقين:

توحيداً للجهود المبذولة في مجال المعاقين من كل من الجهات الحكومية وغير الحكومية في الكويت، فقد نصَّت المادة (١٦) من القانون (٤٩) لسنة ١٩٩٦م بشأن رعاية المعاقين على إنشاء هيئة مستقلة تسمى «المجلس الأعلى لشؤون المعاقين»، يرأسها وزير الشؤون الاجتماعية والعمل، ومدير عام المؤسسة العامة للتأمينات الاجتماعية، وممثّل من كل من:

- جامعة الكويت.
- الجمعية الكويتية لرعاية المعوقين.
- غرفة تجارة وصناعة الكويت.
- نادي الصم الكويتي.
- جمعية المكفوفين الكويتية.

وبصدور هذا القانون أكَّدت دولة الكويت على أنها تقدم الخدمات المنتظمة والمتكاملة والمستمرة للأشخاص المعاقين في المجالات الآتية:

١ - الطبية.
٢ - الاجتماعية.
٣ - التربوية.
٤ - الثقافية.
٥ - الرياضة.
٦ - التأهيلية.
٧ - الإسكان.
٨ - المواصلات.
٩ - العمل والتشغيل.

ويختص المجلس الأعلى لشؤون المعاقين برسم السياسة العامة لرعاية الأشخاص المعاقين وتأهيلهم، ويتولى بصفة خاصة:

١ - إقرار السياسة العامة لرعاية الأشخاص المعاقين، ومتابعة تقارير تنفيذها.
٢ - وضع القواعد الخاصة بتحديد الاحتياجات الأساسية لرعاية وتأهيل الأشخاص المعاقين.
٣ - وضع اللوائح، وتحديد الإجراءات المتعلقة بتنفيذ التزامات الدولة المنصوص عليها في هذا القانون بشأن الأشخاص المعاقين.

٤ - تشكيل اللجان اللازمة التي تتولى الدراسة والتنظيم والإعداد، وتقديم الاقتراحات، وأعمال المتابعة، وتحديد اختصاصات هذه اللجان.

٥ - قبول المعونات والهبات غير المشروطة، وتحديد أوجه صرفها.

٦ - وضع القواعد والنظم الخاصة بإدارة الأموال التي ترصد لشؤون الأشخاص المعاقين، وتحديد أوجه استثمارها.

٧ - اقتراح القوانين المتعلقة برعاية وتأهيل الأشخاص المعاقين.

٨ - إقرار الخطة السنوية للمشاركة بالمؤتمرات واللقاءات الدولية، وتبادل الخبرات والمعلومات في مجال رعاية وتأهيل الأشخاص المعاقين.

الأسرة والأطفال ذوي الحاجات الخاصة:

تحتل الأسرة مكاناً بارزاً في المجتمعات الإنسانية، ويشكل الطفل في حياة الأسرة جانباً هاماً في بناء الأسرة وتكوينها، وتترك الأسرة آثارها عليه أكثر من مؤسسات المجتمع الأخرى، فهي ترعاه في طعامه، وترعاه عاطفياً وفكرياً واجتماعياً. ويبقى تأثير الأسرة على الطفل كبيراً حتى يذهب إلى المدرسة، ويكون خلال تلك الفترة حاملًا آثار الأسرة معه، والتي تشكل الجانب الأساسي من كيانه الشخصي، ولا يقف تأثير الأسرة عند هذا الحد من الرعاية والتكوين، بل يستمر بعد ذلك حين تكمل الأسرة عملية

التربية، ووظيفتها في الرعاية والخدمة والتربية مشاركة بذلك المجتمع عامة والمدرسة خاصة، ومن هنا تبرز المكانة الهامة التي تمثلها الأسرة في حياة الأطفال وتكوينهم، حيث يصبح هؤلاء أفراداً يشاركون في حياة المجتمع وتطوره في المستقبل.

إن ماهية الطفل وما يقوم به من سلوك أو استجابات مختلفة أمام مثيرات المحيط المتعددة، تترك آثاراً على جميع أفراد الأسرة الآخرين، كما أن سلوك الأهل يؤثر بالتالي في الطفل باعتباره جزءاً من نظام هذه الأسرة.

* * *

السياسة العامة للدولة في مجال الأسرة

من طبيعة الإنسان أنه كائن اجتماعي،أجمع على هذا كافة الفلاسفة قديماً، وجميع المربين في مختلف الحضارات الغابرة والمعاصرة، كما أن من طبيعة هذا الإنسان أنه يعيش في مجتمع إنساني، يتأثر به، ويؤثر فيه، وأن معظم سلوكه هو حصيلة نموه وتنشئته في هذا المجتمع.

لذلك كان اهتمام العلماء والمربين منذ القدم، بدراسة الدور الاجتماعي، الذي يقوم به المجتمع بشكلٍ عام، والأسرة بشكل خاص.

وقد عرفت المجتمعات منذ بداياتها المبكرة سبيلًا معيّنة لرعاية أطفالها وتربيتهم، وإن كانت تلك الأساليب ومردوداتها لم تماثل ما عرفته حضارات المجتمعات المعاصرة، إلا أن الأساليب المبكرة تظل علامات مضيئة تميز المجتمعات البشرية عن غيرها من التجمّعات الحيوانية، والتي لا يتوفر لديها تراكمات ثقافية كما هو الحال بالنسبة للمجتمعات البشرية.

وفي هذا السياق، اهتمت المجتمعات بتقعيد أنظمتها الاجتماعية والتربوية والسياسية والاقتصادية والفكرية.. وغيرها، ومن ثم وصفها

في صورة نظم مقنّنة وقوانين وبعضها في دساتير، حتى تكون مرجعيات لفهم الأبنية المجتمعية ذاتها، ولمواجهة الوقائع الدائمة والمستقرة لسُبُل المعاش للإنسان في كل حين، ولاستلهام خططها الحاضرة والمستقبلية، واستشراف آمالها في الغد القريب.

من هنا قامت دولة الكويت، في بداية الاستقلال، بوضع دستورها، أسوة ببقية الدول.

دستور الكويت:

ودستور دولة الكويت، هو التشريع الأساس، الذي حدَّد المبادئ والقواعد والقِيَم التي تتعلق بتنظيم الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، والتي يجب أن يراعيها الدستور في الفرد والمجتمع، ويلزم بالضرورة أن تنعكس في التعليم العام، وفي قضايا الأسرة والاقتصاد، وفي قضايا الإسكان والصحة، وغيرها من جوانب الحياة المختلفة.

وفي هذا الصدد فقد نصَّ دستور دولة الكويت، فيما يتعلق بالأسرة والنشء وما يتعلّق بهما، على المواد الآتية:

- الأسرة أساس المجتمع، قوامها الدين والأخلاق وحب الوطن، يحفظ القانون كيانها، ويقوّي أواصرها، ويحمي في ظلها الأمومة والطفولة.
- ترعى الدولة النشء، وتحميه من الاستقلال، وتقيه الإهمال الأدبي، والجسماني، والروحي.

- التعليم ركن أساسي لتقدم المجتمع، تكفله الدولة وترعاه.

من جانب آخر، فقد أصدرت إحدى الدراسات الممولة من مؤسسة الكويت للتقدم العلمي، والتي قامت بها د. أمل يوسف العذبي الصباح بجامعة الكويت، بعض التوصيات نذكر منها:

- تخطيط وتنفيذ الخدمات المناسبة التي تيسر للمرأة الجمع بين مسؤولياتها الأسرية ومسؤولياتها في العمل، حيث لا يكون لأي منها تأثير سلبي في الأخرى، وبما يخفف عن المرأة أعباءها الأسرية، وييسّر لها الانتظام في أداء عملها بكفاءة.
- وضع القوانين واللوائح التي تتيح للمرأة ممارسة العمل الجزئي غير المتفرغ، واعتماد نمط مرن لظروف العمل وساعاته، بما يتلاءم مع ظروف المرأة وأدوارها المجتمعية المتنوعة، ويضمن لها حق العودة للعمل إذا ما انقطعت عنه للوفاء بمسؤولياتها الأسرية.
- إلزام المؤسسات الحكومية ومؤسسات القطاع الخاص بإنشاء دور حضانة في المصانع والمؤسسات التي تعمل فيها النساء، وتوفير مثل هذه الخدمات في المجتمع عامة، حيث يكون للأمهات العاملات الأولوية في الاستفادة من هذه الرعاية لمرحلة الطفولة المبكرة.

وانطلاقاً من الدور الحاكم - للدستور - على جميع قضايا الحياة، وانعكاس ذلك على كل المناشط التي تقوم بها وزارات الدولة، وعلاقات كل وزارة - على حدة - بمن يتعامل معها

لقضاء المصالح ودوام استمرار دولاب الحياة للمجتمع، فضلًا عن إلزام كل وزارة من تلك الوزارات بكيفية سَنّ القوانين، وإعداد اللوائح اللازمة والتي تعكس المبادئ العامة الواردة في مواد الدستور.

وانطلاقاً من ذلك كله، نذكر هنا مثالًا واحداً لما قامت به دولة الكويت من تشريعات فرعية تجاه الآخرين..

جهود وزارة الشؤون الاجتماعية والعمل (كمثال):

استغلال الأطفال:

سارعت دولة الكويت من خلال وزارة الشؤون الاجتماعية والعمل بإصدار تشريعات تجرم تشغيل فئة الأطفال في سباقات الهجن، وحددت الجزاءات والعقوبات على الكفلاء وأصحاب الأعمال سعياً منها للحفاظ على سلامة الطفل، وعدم استخدامه لمصالح الآخرين.

واعتبر قطاع العمل أن تشغيل الأحداث في سباقات الهجن من الأعمال أو المهن الخطيرة، وجاء قرار الشؤون حازماً وصارماً منعت فيه تشغيل الأطفال من كلا الجنسين من تقل أعمارهم عن الثامنة عشرة في النشاطات والمهن التي لا تتوافق مع فئتهم العمرية، فمنعت تشغيلهم في النشاطين الاقتصادي والصناعي إذا كان ضاراً بصحتهم وسلامتهم الجسمانية والبدنية والنفسية، إلا إذا كان بغرض التدريب المهني.

تشغيل النِّساء:

وترى وزارة الشؤون أن العنصر النسائي لا يقل أهمية عن العنصر الرجالي، كطاقةٍ إنتاجية في سوقِ العمل بالقطاع الأهلي، غير أنَّها تعتبر أن هذا العنصر له خصوصيته وطبيعته - فالنّساء العاملات في القطاع الأهلي لهنَّ نظامهنَّ الخاص بالعمل، ويختلف تماماً عن نظام عمل الرجل - فجعلت تشغيل النِّساء في فترات الليل من بعد الساعة الثامنة مساء من المهن المحظورة، واستثنت من ذلك المهن الخاصة مثل الطب والتمريض، وحددت جزاءات وعقوبات للمُخَالِفِينَ، وأجبرت أصحاب الأعمال في الالتزام بما ورد في قانون العمل، وما احتواه من نصوص ومواد حفظت للمرأة خصوصيّتها، فضلاً عن قرارات أخرى تنظيمية كإجازات الحمل والوضع والإجازات الخاصة بوضع المرأة.

كما يحظر القانون تشغيل المرأة في الأماكنِ الخطرة، والحساسة، والضارة بالأخلاقِ، أو الصحة، أو الشاقة جسمانياً، أو بالآداب العامة، مثل حظر تشغيلهن في محلات التسلية الخاصة بالكبار والشباب. واعتبر القانون المهن التالية في القطاع النفطي من المهن الخطرة أيضاً، كاستخراج البترول، والغاز الطبيعي، والأفران الخاصة بالصهر، والمبيدات الحشرية، وصناعة البطاريات، والأجهزة الكهربائية، والسماد العضوي ومستودعاته، وكل ما يتعلق بالنفط ومشتقاته.

جهود اللجنة الاستشارية العليا للعمل على استكمال تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية في مجال الأسرة:

منذ صدور مرسوم إنشاء اللجنة الاستشارية العليا للعمل على استكمال تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية، قامت اللجنة بتكوين اللجان الفرعية المنبثقة عنها - اللجنة التشريعية، والتربوية، والإعلامية، والاجتماعية، والاقتصادية - بعمل المؤتمرات وإقامة الندوات التي تخدم أهداف اللجنة الاستشارية العليا.

وقد قامت اللجنة التربوية باللجنة الاستشارية العليا بدراسة الوضع الراهن للأسرة الكويتية، وتوصلت إلى ضرورة توجيه الجهود في مجال تنمية الهوية الإسلامية للأسرة الكويتية، وذلك عن طريق تحقيق ثلاثة أهداف أساسية هي:

١ - تزويد المواطنين بالثقافة الإسلامية في فقه نظام الأسرة، وتنظيم الإسلام للعلاقات الأسرية، والواجبات، والحقوق المتقابلة بين أفراد الأسرة.

٢ - تنمية مهارات المواطنين في العلاقات الأسرية، ومساعدتهم على اكتساب الخبرات التي تمكنهم من القيام بواجباتهم في الأسرة كما يريدها الإسلام.

٣ - توفير خدمة الإرشاد الزواجي والأسري، وذلك عن طريق الإصدارات التي تدعم ذلك قبل الزواج وعند تكوين الأسرة

والإنجاب، وعند الطلاق وبعده، حتى يكون الزواج إمساكاً بمعروف، والطلاق تسريحاً بإحسان.

توصيات اللجنة التربوية:

وقد أوصت اللجنة التربوية ببعض التوجهات وذلك من أجل زيادة الإيجابيات وتقليل السلبيات في الأسرة الكويتية، وهذه التوجهات موزعة على أربعة مجالات فرعية في الأسرة هي:

وفي المجال الأول: الزواج وتكوين الأسرة:

١ - تدريس أحكام الأسرة في الإسلام في مراحل التعليم العام والتعليم العالي؛ لأنه يساعد على تكوين اتجاهات إيجابية نحو الزواج، وبناء الأسرة، وتربية الأطفال عند من يرغب الزواج من الشباب، مع توزيع إصدارات توجيهية خاصة بهذه الأمور.

٢ - تشجيع الشباب على الزواج، وتيسيره، وحسن اختيار الزوج والزوجة مع توزيع إصدارات توجيهية.

٣ - تنظيم دورات تدريبية للشباب المقبل على الزواج، لتزويدهم بالمعلومات والخبرات المرتبطة بالخطبة وأهدافها وآدابها الإسلامية، وعقد القران وشروطه، وليلة الزفاف وآدابها، والواجبات والحقوق المتقابلة بين الزوجين، حتى يقبلوا على الزواج بوعي وبصيرة بمسؤولياته.

٤ - إعداد موسوعة لشؤون الأسرة المسلمة[١] تشمل كل ما يتعلق بالأسرة، قائمة على أحكام الشريعة الإسلامية والتجارب العملية، ليسهل الرجوع إليها عند الحاجة.

المجال الثاني: التنشئة الاجتماعية في الأسرة :

١ - تنظيم دورات تدريبية للآباء والأمهات في تربية الأطفال والمراهقين، وخصائصهم، ومطالب نموهم في كل مرحلة، وكيفية التعامل معهم بما يساعد على أن يسير نموهم النفسي والجسمي والروحي في مساراته الطبيعية.

٢ - تنظيم دورات تدريبية للآباء والأمهات لإكسابهم المهارات اللازمة للقيام بواجبات الأبوة والأمومة في رعاية الأطفال والشباب.

٣ - توفير الإرشاد الأسري عن طريق المدرسة والمسجد ومركز تنمية المجتمع، لتوجيه الوالدين - خاصة في المناطق الأقل ثقافة - إلى رعاية أبنائهم، ومعاملتهم معاملة حسنة، ومساعدتهم في حسن اختيار أصدقائهم، ومتابعتهم في التحصيل الدراسي.

(١) صدرت الموسوعة - ولله الحمد - تحت عنوان «موسوعة الأسرة» وتتكون من سبعة أجزاء، وذلك بأمر من سمو الأمير الراحل الشيخ جابر الأحمد الجابر الصباح - رحمه الله، وبدعم مالي من مؤسسة الكويت للتقدم العلمي.

٤ - دعوة وسائل الإعلام - خاصة الإذاعة والتلفاز - إلى تقديم البرامج الهادفة لدعم دور الأسرة والمدرسة في التنشئة الاجتماعية، وغرس القيم الدينية في نفوس الأطفال والشباب، وتقديم القدوة الصالحة لهم من خلال الأفلام والمسلسلات التي تدخل كل بيت في الكويت.

٥ - توعية الآباء والأمهات بأهمية اختيار الخادمة المسلمة، وتحديد دورها في المساعدة على إنجاز الأعمال المنزلية وليس في تربية الأطفال خاصة في مرحلة الطفولة المبكرة التي تتكون فيها أساسيات شخصية الطفل وقدراته وسلوكياته.

المجال الثالث: الأسرة وبر الوالدين وصلة الرحم :

١ - توعية الشباب بحقوق الوالدين وأهمية برهما، وصلة الرحم، وترسيخ مفهوم الترابط الأُسَري والعائلة الكبيرة عن طريق الديوانيات والمساجد ووسائل الإعلام، حتى يستمر هذا المفهوم جيلًا بعد جيلٍ في الأسرة الكويتية، فلا تتحول إلى أسرة نواة منعزلة.

المجال الرابع: الوقاية من الخلافات الأسرية وعلاجها :

١ - إنشاء مكاتب الإرشاد الزواجي والأُسري في محاكم الأحوال الشخصية، لدراسة حالة الزوجين عند الشقاق، والإصلاح بينهما، وعلاج خلافاتهما، وتحديد مسؤولية كل منهما في

الشقاق، امتثالاً لقوله تعالى: ﴿فَٱبْعَثُوا۟ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصْلَٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآ﴾ [النساء: ٣٥]، وتقديم تقرير شامل إلى القاضي قبل الفصل في القضية.

وتوصي اللجنة إضافة مادة في قانون الأحوال الشخصية - تدعو القاضي قبل الحكم في قضايا طلب الطلاق، والنفقة، والحضانة، وعقوق الوالدين، إلى الاطلاع على تقارير دراسة الحالة التي تعدّها مكاتب الإرشاد الزواجي، للاسترشاد بها عند النظر في القضية، أسوة بما هو متبع في قضايا الأحداث الجانحية.

٢ - تدعيم الجهود الحالية التي تقوم بها جمعيات النفع العام في رعاية الأسرة والطفولة والشيخوخة، وتوفير الأموال اللازمة لكي تتوسع في برامج التدريب على مهارات العلاقة الزوجية، ومهارات الأبوة والأمومة، وإنشاء أندية الأطفال، ودور الحضانة.

٣ - تدعيم الأجهزة الحكومية التي تعمل على رعاية الأسرة والطفولة والشباب، وتوفير الاعتمادات اللازمة للتوسع في مجال الرعاية التي تقدمها، والارتقاء بمستواها.

٤ - تدعيم الخدمة الاجتماعية والنفسية في المدارس، حتى يتحقق التعامل بين المدرسة والأسرة في عملية التنشئة الاجتماعية للأطفال والمراهقين والشباب.

٥ - تدعيم دور المسجد في التوعية الأُسرية والزواجية، والتوعية بتوجيهات الإسلام في تماسك الأسرة وتربية الأطفال، وبر الوالدين وصلة الرحم.

هذا بالنسبة لبعض مناشط اللجنة التربوية، وفي نفس الاتجاه قامت اللجنة الاجتماعية - على مدى السنوات السابقة - بإعداد مشروعات تخدم قضايا الأسرة بصورة مباشرة، كان من ضمنها مؤتمر تشريعات الطفولة وثقافة الطفل.

* * *

الفصلُ السادس

بعض الممارسات السلبية للنظام الاجتماعي وآثارها في الجانب الأسري

١ - الأثر السلبي لعدم التفاعل مع المشكلات الأسرية.

٢ - الموازنة بين سياسة تمكين المرأة ومتطلبات الاستقرار الأسري.

٣ - الآثار السلبية لإهمال المجتمع للأوضاع المعيشية للأسر.

الأثر السلبي لعدم التفاعل مع المشكلات الأسرية

لا شك أن أعباء شؤون الأسرة تقع على الوالدين، باعتبارها من صميم واجباتهما حيال أولادهما، وبقدر قيام الوالدين بإنجاح مسيرة الأسرة نحو الاستقرار والاستقامة على درب الإصلاح والتنمية، بقدر نجاح المجتمع في الحفاظ على نسيجه الاجتماعي، وقدرته على بلوغ أهدافه.

ونظراً لحدوث بعض المشكلات داخل الأسرة، نتيجة النزاعات بين الزوجين، والتي لم تجد من يعالجها بالحكمة، أو وفاة أحدهما، أو الاثنين معاً.. نظراً لهذا أو لبعضه.. تنشأ المشاكل - من نوع آخر - التي يعاني منها أفراد الأسرة - وهي مشاكل قد تجد المؤثرات الخارجية لزيادة حدّتها - ومن ثم تفاقمها - حتى تصل إلى «مصائب» في بعض الأحيان.

ولنتصور وجود «أولاد» - في الأسرة - وليس هناك عائل يقوم على مراقبتهم يومياً ويتفقّد أحوالهم الصحية والدراسية، وليس هناك برنامج تربوي يحفظ الأولاد من التأثّر بالمحيط السيئ من صحبة أو رفقة أو ما شابه، وليس هناك من يهذّب ويؤدّب على الأفعال الخارجة، وليس هناك من يقوّم بالعقاب عند الخروج عن الآداب

العامة.. لنتصور هذا كله في ظل فراغ ناشئ عن الغياب الفعلي للوالدين أو أحدهما أو من ينوب عنهما.

إن الفراغ قد يكون نعمة عند البعض إذا استثمره صاحبه في إعداد برامج تربوية هادفة، تشمل الجسم والقلب والفكر وتنمية هذه كلها لتحقيق مفهوم «الإنسان الصالح»، وقد يكون نقمة إذا فتح الإنسان للشيطان أبوابه من خلال الفتن التي تطل يومياً من عالم الإنس وعالم الجن - سواء بسواء.

إن الفراغ من أكبر التحديات التي تواجه المصلحين والمصلحات، وعامة الآباء والأمهات، فالشباب والفتيات يواجهون سلسلة من الفتن الكثيرة والمستفزّة تدفعهم دفعاً إلى العبث الفكري والأخلاقي من جهة، وإلى الشخصية التافهة غير المبالية من جهة أخرى، وكثير من الأبناء - نتيجة ضعف عمليات التربية والتحصين العقدي والفكري والأخلاقي - لديه القابلية للانحراف والسقوط في حمأة الرذيلة، والاستسلام لتيار الشهوات، وصدق ربنا سبحانه وتعالى في قوله الكريم ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ۗ﴾ [البقرة:٢٦٨]، إن أي أمة لا تسعى إلى المحافظة على أبنائها وإبعادهم عن الفتن، فإنها عرضة للاستلاب الحضاري، والضياع الأخلاقي.

وللإمام ابن القيم كلام عظيم في هذا المجال إذ يقول: «وعمارة الوقت: الاشتغال في جميع آنائه بما يقرّب إلى الله تعالى، أو يعين

على ذلك من مأكل أو مشرب أو منكح أو راحة، فإنه متى أخذها بنية القوة على ما يحبه الله تعالى، وتجنّب ما يسخطه، كانت من عمارة الوقت، وإن كان له فيها أتمّ لذّة، فلا تحسب عمارة الوقت بهجر اللذات والطيبات»[١].

استثمار أوقات الإجازة الصيفية لتربية الشباب.

إذا كنا نتطلع إلى التأثير والريادة في مجتمعنا، فإن من واجبنا أن نتعامل بجد مع تربية الشباب، ولئن كانت الإجازة الصيفية تعد أبرز التحديات التي تواجه المحاضن التربوية، فهي كذلك من أكبر الفرص التي يمكن استثمارها وتوظيفها بطريقة فاعلة، ولهذا قال النبي ﷺ: **«نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة، والفراغ»**[٢]. واستثمار المُرَبّينَ للإجازة في التربية يتطلب أموراً عديدة، منها:

أولاً: التجديد والإبداع:

من الضروري أن يبادر المصلحون والمصلحات إلى المراجعة المستمرة لآلياتهم التربوية، والسعي الحثيث للتجديد والإبداع في مشاريعهم الموجهة للشباب؛ فهذا العصر مليء بالمتغيرات، وتجددات العولمة بقنواتها المختلفة من أعظم الفتن التي تمتد بآثارها على الشباب خصوصاً.

---

(١) مدارج السالكين، (٢/١٦).

(٢) أخرجه البخاري (٨/١٠٩)، والترمذي الحديث (٢٣٠٤)، وابن ماجة (٤١٧٠)، والإمام أحمد (١/٣٤٤).

ثانياً: التنوع والتكامل:

ينبغي أن نراعي الاختلاف في اهتمامات الفتيان والفتيات، ونستوعب خصائص المراحل العمرية، والفروق الفردية في القدرات والتطلعات. ومن ثَمَّ فإنه ينبغي أن يتحقق التنوع والتكامل في مشاريعنا التربوية، ولا تصاغ كلها في قالب واحد جامد لا يقبل التطوير، ولا يتميز بالمرونة والتجديد.

ثالثاً: الخطاب العلمي:

من المهم جداً أن يتّسم خطابنا التربوي إلى الشباب بالعلمية، وأن تُبنى مواقفهم بمنطق الإيمان والاقتناع، وليس بلغة التلقين والتقليد. إن اتّساع الصدر للحوار مع الشباب، وتفهُّم قضاياهم، وسماع آرائهم، وتصحيح أفكارهم ومنطلقاتهم بالحجة والبرهان، سيجعلهم هذا - بالتأكيد - أكثر يقيناً بمواقفهم وبرامجهم، وأكثر حماساً في رفض الانحراف الفكري والأخلاقي. وفي قصة الشاب الذي جاء إلى النبي ﷺ يستأذنه في الزنا أبلغُ دليل على ذلك.

وإذا كانت لغة التلقين قد نجحت مع بعض الشباب في مرحلةٍ ما من المراحل، فليس بالضرورة أنها تنجح في كل وقت، وخاصة في عصر الانفتاح الفضائي والإلكتروني الذي كَثُرَت فيه الشبهات والمؤثرات الفكرية.

رابعاً: التربية الإيمانية:

إن تزكية النفوس وتطهير القلوب من أعظم الزاد الذي يُحصّن به الشباب لمواجهة الفتن التي تحيط بهم. وتقوية الصلة بالله - عزَّ وجل - أعظم معوان يتقوى به الإنسان على مواجهة مكائد شياطين الإنس والجن. قال الله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [النحل: ٩٩].

وأصل التزكية وأساسها تربية الإنسان على مراقبة الله - عز وجل - وخوفه في السر والعلن. انظر إلى ذلك الشاب الذي استيقظ الإيمان في قلبه عندما ذكّرته تلك الفتاة التي استسلمت له مُكْرَهة لمجرد أنها قالت له: «اتّقِ الله، ولا تفضَّ الخاتم إلا بحقه!»[١].

خامساً: بناء المسؤولية:

من أهم جوانب تربية الشباب: العناية ببناء روح المسؤولية عندهم؛ فأكبر أسباب هدر الأوقات، وما يتبع ذلك من الإخفاقات أو الانحرافات ناتج عن عدم المبالاة، وضعف الشعور بالمسؤولية.

وأكثر ما يقلق الآباء والأمهات: أن بعض أبنائهم يأكل وينام ويلهو، دون أن يفكر في بناء نفسه، أو رعاية والديه وأسرته، ودون أن يفكر في مصالحه الدنيوية فضلاً عن المصالح الأخروية.

إن استشعار الشباب لمسؤولياتهم هو الطريق الصحيح لتربيتهم

(١) أخرجه البخاري، كتاب البيوع، رقم (٢٠٦٣).

وإصلاحهم، ولهذا قال النبي ﷺ: «**لا تزول قدما عبد حتى يُسأل عن أربع: عن عمره فيما أفناه، وعن شبابه فيما أبلاه، وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه، وعن علمه ماذا عمل به**»[1]. فقيمة الإنسان الحقيقية تتجلى في مدى استيعابه لواجباته، وحرصه على تنفيذها بإتقان.

وبناء المسؤولية لا يتم بمجرد كلمة أو موعظة فحسب؛ وإنما بتربية وتعاهد وإعداد عميق، وتدرج في البناء، مع طول نَفَس، وسعة صدر. وإذا تأملتَ قول النبي ﷺ: «**أمط الأذى عن الطريق فإنه لك صدقة**»[2]، فسوف تجد أنَّ فيه تربية متقدمة على الشعور بالمسؤولية؛ فالإنسان المسلم بحسه المرهف يمد يده لإزالة الأذى عن المسلمين خاصة، والناس عامة؛ حرصاً على ما ينفعهم، وإشفاقاً على مصالحهم.

سادساً: بناء الإيجابية:

يعاني كثير من الشباب وخصوصاً في المجتمعات المُتْرَفة أو المجتمعات التي غرقت في اللهو، من البطالة وقلّة الإنتاجية، وهذه آفة مستشرية، تزداد عمقاً في أوقات الإجازات.

إننا نتألم كثيراً عندما ننظر إلى بعض التجمعات الشبابية وبخاصة

---

(١) أخرجه الترمذي (٤/ ٦١٢).

(٢) أخرجه البخاري في الأدب المفرد، وحسّنه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (١٥٥٨)، والإمام أحمد (٤/ ٤٢٣، ٤٢٤).

في أوقات الصيف، فلا نجد إلا اهتمامات قليلة، أو طاقات مترهلة مستهلكة فيما لا نفع فيه. والبطالة إذا سيطرت على وقت الشاب كانت سبباً رئيساً للاختلال والاضطراب في شخصيته على المدى القريب والبعيد.

وهنا يتأكد دور المربين والمربيات في تعميق الإيجابية في حياة الفتيان والفتيات. وبالتأكيد لا نقصد نمطاً محدداً من الإيجابية، وإنما نعني الإيجابية بكل صورها وأشكالها، ابتداءً من الإيجابية مع النفس ببناء القدرات، وتنمية الطاقات، والتدريب على المهارات الأساسية، ومروراً بالإيجابية في الأسرة والمجتمع، وانتهاءً بالإيجابية في خدمة الدين.

وإذا أردتَ أن تقف على الإيجابية بأبهى وأعظم صورها؛ فاقرأ قول النبي ﷺ: «**كل سلامَى من الناس عليه صدقة، كل يوم تطلع فيه الشمس: يعدل بين اثنين صدقة، ويعين الرجل على دابته فيحمل عليها أو يرفع عنها متاعه صدقة، والكلمة الطيبة صدقة، وكل خطوة يخطوها إلى الصلاة صدقة، ويميط الأذى عن الطريق صدقة**»[1].

وتحقيق هذه الإيجابية يتطلب مشاريع وبرامج عملية - خاصة في أوقات الفراغ - تحيي الطاقات وتوجهها، وتزيل عنها غبار السلبية.

(١) أخرجه: البخاري في كتاب الجهاد (٦/ ١٣٢) رقم (٢٩٨٩)، ومسلم في الزكاة (٢/ ٦٩٩) رقم (١٠٠٩).

وواجب المصلحين هو بذل جهد جاد في اكتشاف هذه المشاريع الإبداعية التي تجعل من الشاب أكثر عطاءاً، وأكثر نفعاً لنفسه ولأسرته وأُمَّته.

الأثر السلبي لعدم التفاعل مع المشكلات الأسرية:

لا شك أن الضحية الأولى لهذا الإهمال هو النشء الذي يعوّل عليه في بناء المجتمع في مستقبل الأيام؛ وربما تكون الظاهرة الأبرز نتيجة هذا الإهمال ما يعرف بالظواهر المستجدة والتي نذكر منها:

- تبديد المال والعبث به، سواء في شراء المخدرات والمسكرات والتدخين، والعبث بالمقوم الأساس في الحياة وهو المال.
- تبديد «اسم الأسرة» وإلحاق الأذى النفسي لكل من يمتُّ لهذه الأسرة بصلة، مما ينعكس بالتالي على مجال المصاهرة والنسب.
- إلحاق الأذى الشخصي بالفرد نفسه، وهذه قد تكبر ويتّسع مداها نحو الآخرين، وما يجره هذا كله من حوادث ومآسي.. بل يمكن أن تتطور فتصبح بعد حين جرائم تعرف بجرائم الأحداث.

ونظراً لأهمية هذه الظاهرة، سواء على المستوى المحلّي أو الإقليمي فإننا نؤكد أن العدوان في العصر الحالي يمثل ظاهرة سلوكية واسعة الانتشار، ولم يعد العدوان قاصراً على الأفراد، وإنما اتّسع نطاقه ليشمل الجماعات، ولم تفلت الطبيعة نفسها من هذا العدوان والمتمثل في إبادة بعض عناصر الطبيعة، وتلويث

البعض الآخر، مما يعرفه الكثيرون، كذلك هناك ظاهرة التدخين وتعاطي المخدرات والمسكرات وكلها مشاكل تربوية يعاني منها المجتمع نظراً لإهمال شؤون الأسرة.

وفيما يلي نبذة عن هذه المشكلات:

أ - الظاهرة العدوانية:

والعدوان ملحوظ في سلوك الطفل، وسلوك الشاب، وهو مرفوض ومذموم، وهناك عوامل وظروف مهيئة للعدوان منها:

١ - فقدان الشعور بالأمن نتيجة الحرمان والإحباط.

٢ - غياب العدالة وتهديد امتهان الذات وفقدان الاعتبار.

٣ - غياب الحرية.

٤ - غياب السلطة الضابطة أو اضطرابها، من مدرسة وأسرة وأمن.

٥ - تركيز القوة والجاه والمال.

ورغم اختلاف الأدوات والعينات في الدراسات التي تم إجراؤها، فقد اتفقت جميعها على ارتباط العدوان بالإحباط والتقليد والنموذج العدواني، كما توصلت إلى تشبع قصص الاختبارات الإسقاطية بخيالات العدوان والقلق لدى الأفراد العدوانيين.

وقد لوحظ أن الظاهرة العدوانية قد برزت بشكل واضح في العقد الأخير، وأصبحت تحدث بصورة شبه يومية، مما يستدعي وقفة متأنية

حيال هذه المشكلة التربوية التي يعانيها النظام التربوي والاجتماعي.
إنَّ النظامَ التربويّ يوجه أصابع الاتهام إلى أجهزة الإعلام - خاصة - التلفاز والذي كان - مع أسباب أخرى - وراء تفشي هذه المشكلة بين طلبة المدارس منذ المرحلة الابتدائية، وذلك ببرامجه المثيرة المنشئة للجريمة، والمغذية لعقول الأطفال بأساليب اقترافها.

إن الدراسات حول تلفاز العنف أو تلفاز الإثارة، وغير ذلك من المُسمَّيات التي تدل على مدى الحذر والتخوف من تأثير برامج التلفاز، وخاصة المثير منها على الأطفال - هذه الدراسات كلها أجمعت على خطورة المشكلة[١].

فعلى سبيل المثال، نجد أن الدراسة التي قامت بها إحدى الباحثات الأمريكيات تذكر فيها:

«لقد أصبح التلفاز مرة أخرى وبشكلٍ لا يثير الشك السبب في جنوح الأحداث، كما أكدت ذلك المناقشات التي دارت في اللجنة الخاصة لمجلس الشيوخ عام ١٩٩٤م، والتي استندت إلى دراسات أجريت فيما بين سنة ١٩٥٤م وسنة ١٩٩١م، وقد أعلن السناتور «توماس دود» وأعضاء لجنته أن تزايد الجريمة والعنف والوحشية في التلفاز يؤدي إلى السلوك الجانح عند الأحداث».

---

(١) محمد المأمون محمد علي المحرزي، بحث بعنوان «رؤية رسالية»، المؤتمر الدولي الأول، المجلد الثاني، (دولة الكويت: قسم علم النفس، كلية التربية الأساسية، ١٣/ ٤/ ١٩٩٨م)، ص٧٠٧.

وفي إحدى البحوث الأخرى، يرى الباحث أنه من الممكن أن تؤدي برامج العنف والإثارة في التلفاز إلى تنشيط العدوانية عند الطفل، حيث يصبح مستعداً للسلوك العدواني في أي موقف من المواقف المشابهة لما يراه الطفل على شاشة التلفاز.

وهكذا نجد، أن مثل هذه الدراسات وغيرها عالجت تلك المشكلة بصورة مباشرة، وهناك نوع آخر من البحوث يعالج الأمر بصورة أكثر شمولاً وعمومية، حيث يركّز على دراسة أثر برامج التلفاز على القيم الاجتماعية والاتجاهات والعادات عند الأطفال.

ومن هذه الدراسات تبرز عدة اتجاهات أهمها[(١)]:

أن الطفل يتأثر بما يشاهده على شاشة التلفاز بحيث يمكن تعديل اتجاهاته النفسية، سواء من السلب إلى الإيجاب أو العكس، وخاصة الاتجاه نحو الشعوب الأخرى، والأجناس المختلفة.. وهكذا، كما يمكن أيضاً لبرامج التلفاز أن تعدل في نظام القيم الاجتماعية عند الأطفال، كأن تؤكد بعض القِيَم، وتلغي البعض، أو تقدم بعضها وتؤخر البعض الآخر.

وعلى العموم ليس من المعقول إنكار تأثر الطفل بما يراه، ومما يسمعه، إن ذلك من أساسيات فلسفة التطبع الاجتماعي، تلك العملية التي تنقل من خلالها التراث الثقافي من جيلٍ إلى جيل، وعليه فإننا

(١) المرجع السابق.

نقول: إن دراسة علاقة الطفل بالتلفاز موضوع جدير بالبحث والاستقصاء، وخاصة إذا كانت الحاجة ماسة إلى مثل هذه الدراسة من أجل إعادة النظر في برامج التلفاز من حين لآخر.

وفي دراسة بعنوان «العنف والرعب في وسائط الأعلام الجماهيري» - للبروفسور «جورج جريندر»[1]، ذكر فيها أن هذه الدراسة، أجراها الباحث وهو عميد معهد أنبرج للاتصال - جامعة بنسلفانيا - أمريكا - بناء على ردود تلقاها من ٤٦٠٠ جهة دولية علمية مختصة بالبحوث والدراسات والنشرات حول موضوع العنف والرعب في الإعلام، بالإضافة إلى الكثير من المصادر الأخرى، بحيث شملت جميع الأقطار في العالم، وبحيث جاءت الدراسة معبراً عن الواقع وممارساته، وليس مجرد دراسة أكاديمية، وجاء الموضوع شاملاً يمكن كل باحث وصانع قرار من الاستفادة المرجوة منه، لاسيما أنه قد أرفق بقائمة من المراجع والمصادر (ببليوجرافيا) لحوالي خمسمائة كتاب لأشهر الكُتَّاب حول هذا الموضوع في العالم.

في هذه الدراسة، تتم مناقشة هذه المعضلة من ثلاثة أوجه هي:

١ - السياسات التي توجه عرض العنف والإرهاب في وسائل الإعلام.

---

(١) إصدار المنظمة الدولية للتربية والعلوم والثقافة يونسكو (١٩٨٨م).

٢ - مدى وطبيعة ذلك التصوير في المحتوى الإعلامي.

٣ - الصدى العام لهذا المحتوى وآثاره على التفكير والعمل والسياسة.

في البُعْدِ الأول: تذكر الدراسة قضية التوازن (التكاليف، والمكاسب) التي تحرص عليها السياسات بين التكاليف التي تتحملها في العروض الإعلامية، وبين ما تجنيه من مكاسب عندما تقدم أي سيناريو للعنف، وأن العديد من البحوث والدراسات قد أنجزت في هذا الميدان بسبب ما تولّد من مخاوف من أن العنف والرعب في وسائل الإعلام هي وراء هذا السلوك الفظ لدى الأطفال، وما نلمسه من الاستخفاف بالنظام الاجتماعي نتيجة لإثارة الميول العدوانية لديهم، ويتحدّث الباحث عن هذا البُعد عن العنف والجريمة كغذاء يومي في تغطية الأخبار على المستوى المحلي والدولي على حد سواء.

وفي البُعد الثاني: يُلقي الباحث الضوء على الدراسات المتنوعة التي تتصل بسيناريوهات العنف في الإعلام وهي:

١ - العنف في وسائط الإعلام: وكيف أن هذا الموضوع قد خضع لآلاف الكتب، ومئات المؤتمرات والندوات منذ الثلاثينيات، وأن أبرز دراستين شاملتين حول ذلك، كانت إحداهما لباركوس (١٩٥٩م)، والأخرى لجودرسن (١٩٦٠م).

٢ - الجريمة: وكان لديفينر (١٩٥٧م) الدور البارز في كشف أخبار الجريمة في صحيفة «تولورادو» لأكثر من عامين، كما أن تحليلاً من قبل شيلي واسكنر (١٩٨١م) كشف عن أن جرائم العنف تشكل خمس جميع الجرائم، ولكن التغطية العالمية لها نسبة أعلى من ذلك.

٣ - الترفيه في التلفاز: وقد أجريت دراسات أكثر من أن تعد أو تحصي حول ذلك، كما عقدت المؤتمرات العديدة بصددها، وصدرت المجلدات الكثيرة في أقطار مختلفة أيضاً بخصوصها منذ الستينيات، ومنها تحليل جرينبرج (١٩٨٠م) لمسلسلات الدراما التلفازية خلال ثلاث دورات، والذي تبين منه أن العنف كاعتداء مادي يقع أكثر من تسع مرات كل ساعة بين الساعتين ٨ و٩ مساء، وأكثر من ١٢ مرة ما بين الساعتين ٩ و١١ مساء، وأكثر من ٢١ مرة في برامج الأطفال الصباحية أيام السبت.

٤ - الموسيقى والفيديو: وقد وجه جوادارد (١٩٧٧م) النقد لموسيقى الروك وتطورها خلال الخمسينيات والستينيات، كما كشف باكستر (١٩٨٥م) إثارة العنف والجريمة في أكثر من نصف موسيقى الفيديو، كما لاحظ كابلان (١٩٨٥م) العنف في نصف ١٣٩ قطعة من موسيقى الفيديو أذيعت عام ١٩٨٣م.

٥ - دراسات أخرى مقارنة محلية ومشتركة مع بلدان أخرى،

وأكثرها لاحظت أن برامج العنف المستورد من الولايات المتحدة أكثر عنفاً من برامج البلاد الأخرى، باستثناء البرامج اليابانية، وقد أظهر لسشي (١٩٥٤م) أن محطة بي. بي. سي (B.B.C) التلفازية خلال الفترة من ٨/١٢ - ٢٥/٨/١٩٥٣م، قد برزت فيها برامج العنف وخاصة برامج الأطفال.

وفي البُعد الثالث: يتحدث الباحث عن موضوع الإسهامات التي تقدمها سياسات الإعلام من خلال عروضها لسيناريوهات العنف والرعب لإيجاد الفهم الواقعي لدى الناس، ونماذج من السلوك، وفي هذا البُعد يشير إلى الجوانب التالية من الموضوع:

١ - فضح الرعب والجريمة والأفضلية على المشاهد.

٢ - أثر الإدراك الحسي في كشف الرعب على المشاهد.

٣ - بحوث حول العدوان والسلوك العدواني.

٤ - حلقة للعمل المباشر السليم لدراسة هذا الميدان.

٥ - أثر المشاريع العامة والمؤشرات الثقافية في ذلك(١).

ب - ظاهرة تعاطي التدخين:

يعد التدخين، مشكلة تربوية وصحية وبيئية واجتماعية، وهو كظاهرة شائعة وموجودة عند المتعلم، وتزداد هذه الظاهرة وضوحاً

(١) محمد المأمون المحرزي، رؤية رسالية، مرجع سابق.

يوماً بعد يوم، ونحن يهمّنا هنا علاقة هذه الظاهرة وآثارها بالنظام التربوي، خاصة وأن هناك دراسات تم إجراؤها أثبتت أن هناك علاقة بين آثار التدخين على سلوك المتعلم خاصة فيما يتعلّق بقدرات المتعلم وتذكره للمعلومات المختلفة.

وكانت الدراسات السابقة تهتم بالأداء والذاكرة الفورية للمتعلم، ولم تهتم بالذاكرة قصيرة المدى، كما أنها اهتمت بالأثر الفوري لتدخين أول سيجارة في اليوم ولم تهتم بالتدخين السابق لذلك على مر الأيام والسنين، ولم تهتم أيضاً بكمية التدخين السابقة التي استهلكها المدخن، ونظراً لأن كمية التدخين السابقة لا يمكن إهمال دراسة تأثيرها على الذاكرة؛ لأنه عن طريق هذه الكمية يمص جسم المدخن مقداراً من القطران والنيكوتين يزداد بزيادة هذه الكمية، وبناء على ذلك قام أحد الباحثين بعمل هذه الدراسة والتي كانت من نتائجها ما يأتي:

١ - هناك ارتباط سالب ذو دلالة إحصائية بين كمية النيكوتين ودرجة الذاكرة ككل، وأن معامل انحدار الذاكرة على كمية النيكوتين ذات دلالة إحصائية، ويمكن التنبؤ بدرجة الذاكرة من كمية النيكوتين التي حصل عليها الفرد من خلال تدخين السجائر.

٢ - النيكوتين سائل شفاف شبه قلوي إلا أن لونه أصفر لأنه يصفر بالضوء والهواء، ويرجع تأثير الدخان إلى ما يحويه من

النيكوتين الذي إذا أُخذ بكميات صغيرة فإنه يسبب تنبيهاً بمجامع الأعصاب، وإذا أخذ بكميات كبيرة فإنه يحدث تنبيهاً ثم إخماداً لهذه المجامع بصورة متعاقبة، ويمكن تفسير أثره على الذاكرة قصيرة المدى بالآتي:

أ - في ضوء نظرية تماسك المعلومات في الذاكرة، فإن تأثير النيكوتين على مجامع الأعصاب في صورة تنبيه وإخماد متعاقبين، يحدث اضطراباً في تماسك المعلومات، مما يؤدي إلى تشويهها، وعدم احتفاظ الذاكرة بها بصورة كاملة صحيحة.

ب - بالنسبة للمواقف التي تجعل الفرد يقبل على سلوك التدخين فإن بعض هذه المواقف مرتبط بالقلق النفسي الذي ينتاب الفرد، وهذا القلق له تأثير على الذاكرة، وفي ضوء نظرية تماسك المعلومات في الذاكرة، يعتبر القلق النفسي والمواقف التي يوجد فيها مزعزعاً ومعطلاً لعملية تماسك المعلومات.

جـ - هذه النتائج تتفق - كما ذكر الباحث - مع ما توصل إليه «بديلي» Baddeley، (١٩٧٠م، ص ٦٠٥ - ٦٠٩)، و«هوكي» Hockey، (١٩٧٢م، ص ٣٨٦ - ٣٩٣)، و«وليام» Williams، (١٩٨٠م) من نتائج حول تأثير النيكوتين ومواقف التنبيه لسلوك التدخين على الذاكرة الفورية والذاكرة قصيرة المدى.

ملحوظة: نظرية «تماسك المعلومات في الذاكرة» تفترض أن الآثار التي يتركها تعلم شيء جديد تحتاج إلى وقت لكي تتماسك أو تتهيأ فيه، وقبل أن يتماسك ذلك الأثر يكون من الزعزعة بحيث أن أي حدث دخيل أو معطل يمكنه أن يمحوه، أما إذا لم يتدخل أي شيء في أثناء الفترة القصيرة التي تلي التعلم، فإن الأثر التذكاري، بناء على هذه النظيرة يتماسك عندئذ فيختزن.

٣ - التنبؤ بدرجة الذاكرة يعتمد على كمية النيكوتين ولا يعتمد على كمية القطران، والمعادلة الخطية الخاصة بالتنبؤ هي[١]:

درجة الذاكرة = ٢,٣٨ كمية النيكوتين + ٠,٤ كمية القطران + ٤٧٨,٠٩.

وفي النهاية، ولإكمال الفائدة فإننا نضيف بأن التدخين لا يقتصر في مضاره على درجة الذاكرة، وإنما يتعداها إلى آثار صحية مدمرة، خاصة الأمراض المتعلقة بالصدر، ومن أهمها: السرطانات وتليف الرئة، كما أن هناك آثار أخرى تتعرض لها البيئة في مجال التلوث، وهناك آثار تدفعها الأسرة والتي قوامها الزوجان والأولاد، ومن هنا تظهر خطورة هذه المشكلة.

---

(١) معادلة رياضية قام باشتقاقها د. محمد المأمون محمد علي المحرزي ضمن بحث قام به بعنوان «الموازين الفقهية ومقاصد الشريعة وأوزانها النسبية في مجال الوقاية من اختلال الصحة النفسية» مجلة الزهراء، (القاهرة: جامعة الأزهر، ١٩٨٨م).

ج - ظاهرة تعاطي المخدرات والمسكرات:

لا يزال إنتاج المشروبات الكحولية واستهلاكها في ازدياد طوال العقود الأخيرة، ونشرت هيئة الأمم المتحدة دراسة تتحدث عن أن استهلاك الكحول في كثير من البلدان وصل إلى قمة يصعب المزيد عليها (٨٠ - ٩٠٪ من الناس)، أما المخدرات والعقاقير ذات التأثير النفسي (المهدئة - المنشطة - حبوب الهلوسة) واستنشاق المذيبات الطيارة فكل الدراسات تشير إلى تزايد مستمر في الكم والنوع والتفنن في طرق الاستعمال.

إن آثار هذه الآفات آخذة في التزايد، والجميع بلا استثناء يدرك المخاطر التي يتعرض لها فلذات أكبادنا، مما يؤثر على النظام التربوي في مخرجاته، ويؤثر على النظام الاجتماعي، والنظام الاقتصادي.

وهذه هي إحدى المشاكل التربوية التي يعانيها المجتمع، من هنا فإننا هنا نقدم بعض الخطوات العملية في صورة مقترحات لعلاج هذه المشكلة التي باتت تؤرق التربويين وغيرهم، خاصة وأن تعاطي المخدرات وشرب المشروبات الكحولية، انعكس بصورة مباشرة على الجرائم، وذلك في ازدياد معدلاتها بدرجة لا تنكرها المصادر الرسمية المحلية والعالمية، بل إنها تعد - عند بعض المحللين - بأنها السبب المباشر في جرائم السرقة والقتل والزنى، وحوادث السيارات، وعقوق الوالدين، والمشاركة في عصابات الخطف والاغتيال وغسيل الأموال وغيرها.

* مقترحات العلاج من الآثار السلبية [1] :

١ - تشجيع إنشاء جمعيات متخصصة، وفروع صغيرة لها ينخرط فيها الشباب، كالتي تهتم بالنواحي الصحية (الهلال الأحمر) أو برعاية البيئة وحمايتها، أو محو الأمية، أو تنمية الإنتاج المنزلي الزراعي والصناعي، أو الهوايات التي تخدم المجتمع، كالكهرباء، وتحسين المباني، والاتصالات، أو رعاية الأقليات الإسلامية في البلاد الأخرى، أو رعاية التائبين عن المخدرات والكحول بعد علاجهم.

٢ - العمل على إيجاد خط متصل متناسق ينظم حركة الشباب بين المنزل والمدرسة والمسجد والنادي الرياضي والجمعية التي يختارها، وتدريب الشباب عملياً وتطبيقاً منذ نعومة أظفارهم على المشاركة في دراسة مشاكلهم ومشاكل بيئتهم، واقتراح الحلول، وترتيب الأولويات، واتخاذ القرارات، وذلك بما يناسب أعمارهم، ومراحل دراستهم، ومستوياتهم الثقافية والمهنية، وليتحملوا مسؤولية الكلمة والعمل.

وقد يبدو هذا جديداً علينا في بعض جوانبه، ولكنه غير صعب،

---

(١) عصام الدين حامد الشربيني، استشاري باطني بمستشفى الصباح بالكويت من بحثه بعنوان «التدخين والكحول والمخدرات: آثارها وحماية الشباب منها» ألقي في مكة المكرمة بمناسبة مرور خمسة وعشرين عاماً على إنشاء رابطة العالم الإسلامي، (صفر ١٤٠٨هـ، أكتوبر ١٩٨٧م).

ويكاد يكون الممارسة اليومية العادية في كثير من البلدان المتقدمة، وعلينا أن نبدأ، والمسجد قاعدة جاهزة للانطلاق.
وهذا الاتجاه كفيل بتضييق الفجوة بين الأجيال، كما يشكل محوراً طبيعياً يبني جسور الثقة بين الشباب والمسؤولين، ويجعل كل جانب أقرب تفاعلاً مع طموحات الجانب الآخر، وأكثر تقديراً للواجبات والمسؤوليات والصعوبات التي يواجهها، مما يساعد دون شك على إزالة شعور الإحباط وشعور السخط والرفض، وهي من الأسباب المعروفة لتحول الشباب إلى الكحول والمخدرات.

٣ - إنشاء معسكرات دائمة للشباب في المناطق السياحية، وتجري على نفس النظم المعروفة لمثيلاتها، وتنافسها في اجتذاب الشباب، وتفتح أبوابها لكل من يقصدها ما دام يقبل الالتزام بآداب معينة تتضمنها لائحة واضحة، وينبغي التنبيه إلى أن نجاحها لا يقاس فقط بمدى التزامها بالآداب الإسلامية، وإنما يقاس إلى جانب ذلك بمدى نجاحها في اجتذاب الشباب إليها، ونذكر هنا أن القرآن الكريم وجّه إلى رسول الله ﷺ تحذيرين: -

أحدهما: ﴿وَٱحۡذَرۡهُمۡ أَن يَفۡتِنُوكَ عَنۢ بَعۡضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ﴾ [المائدة: ٤٩]، **والثاني:** ﴿وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَۖ فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِۖ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

٤ - دعوة مصانع الخمور القائمة في البلاد الإسلامية إلى التحوّل التطوعي إلى إنتاج مشروبات غير كحولية، وذلك تبعاً لخطة تدريجية، ومساعدتها على ذلك، وتشجيع من بدأ التحوّل بالفعل، مع تنبيههم إلى أن مصالحهم الاقتصادية تقتضي هذا التحوّل، استباقاً لتأثير عودة الناس إلى دينهم على أرباحهم.

* * *

الموازنة بين سياسة تمكين المرأة ومتطلبات الاستقرار الأسري

مسؤولية المرأة في المنظور الإسلامي

إن المرأة في الإسلام ذات مسؤولية خاصة وعامة، فهي مسؤولة عن نفسها وعبادتها، وبيتها من ناحية، وعن مجتمعها من ناحية أخرى، وهي لا تقل في مطلق المسؤولية عن الرجل، ومنزلتها في المثوبة والعقوبة عند الله بما يكون منها من طاعةٍ أو معصية، فقد روى عن ابن عمر رَضِيَ الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «**ألا فكلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته**»، فالإمام الذي على الناس راع وهو مسؤول عن رعيته، والرجل راع في أهل بيته وهو مسؤول عن رعيته، والمرأة راعية في أهل بيت زوجها وولده، وهي مسؤولة عنهم، وعبد الرجل راع في مال سيده وهو مسؤول عنه، ألا فكلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته[1].

دور المرأة في المجتمع من المنظور الإسلامي:

يختلف دور المرأة في الحياة من مجتمع إلى آخر سلباً وإيجاباً

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري، لابن حجر، المجلد ٣١، كتاب الأحكام، ص ١١١.

تبعاً لطبيعة التدريبات التي تتلقاها من ناحية، وتبعاً لاستعداد المجتمع لتقبل أي أنشطة تسهم بها من ناحيةٍ أخرى، ولقد سوى الإسلام بين المرأة والرجل فيما توجب فطرتها التسوية فيه، فسوى بينهما في العبادة يقول الله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٧]، ويقول تعالى: ﴿وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۖ﴾ [التوبة: ١٠٥].

وفي كلتا الآيتين نلمس أن المرأة في الإسلام مثل الرجل، لا بد في الأصل أن تكون عاملة كالرجل العامل، وإن كانت طبيعة العمل قد تختلف باختلاف مكان وظروف كل منهما، وتبعاً لما قرره الإسلام للمرأة بأنها ذات مسؤولية، فيمكن تحديد أدوارها في المجتمع الإسلامي في أدوار خاصة تجاه بيتها، وأدوار عامة تتصل بمجتمعها، ومن هذه الأدوار:

أولاً: الأدوار الخاصة:

إن للمرأة في الإسلام دوراً أساسياً وطبيعياً داخل المنزل، فهي كفتاة يجب أن تهيأ لمستقبلها كزوجة وأم، وهي كزوجة يجب أن تعني بزوجها وتخلص له، وهي كأم يجب أن تكون كل اهتماماتها ورعايتها لهذا الزوج وهؤلاء الأبناء، وهذا ما يتطلب منها التفرغ للبيت الذي من خلاله تنشأ الأجيال، وتبني الكيانات الإنسانية التي

تقع على عاتقها بناء الأمة، ويتوقف عليها فيما بعد مصير الشعب، فالأم هي المدرسة الأولى للطفل، وهي بعد ذلك المؤثر الأول في حياة الشباب والرجال على السواء، ومهمتها هذه تعدل في ثوابها وأجرها ما للرجل في شهوده للجنائز والجهاد، وهذا ما بيَّنه الرسول ﷺ لأسماء بنت يزيد حين أتته تسأل عن أجر النساء، حيث أجابها قائلا: «**انصرفي يا أسماء وأعلمي من ورائك من النساء أن حسن تبعل إحداكن لزوجها وطلبها لمرضاته واتباعها لموافقته يعدل كل ما ذكرت للرجال**».

ثانياً: الأدوار العامة:

ظلّت المرأة لفترة طويلة بعيدة عن مجال العمل الخارجي والإنتاج قانعة بالإشراف على مجتمعها الصغير، أو العمل في مجال بيئتها المحدودة كالفلاحة والخياطة.. وغير ذلك، ولكن ما لبث هذا الوضع أن تغير، واستطاعت أن تندمج في المجتمع الأكبر، وتتصل به مباشرة لتساهم مع الرجل في تنميته وتقدمه في مجالات عدة وهي:

١ - المرأة في مجال العلم والثقافة الدينية:

إن تحميل الإسلام المسؤولية للمرأة يجعل لها الحق في أن تتعلم كل ما يؤهلها للقيام بتبعات هذه المسؤولية على الوجه الأكمل، من تحر للخير، والبُعد عن الفساد، ومن هنا أوجب عليها الإسلام كما

أوجب على الرجل معرفة كل ما يتّصل بأحكام العبادات والعقائد والمعاملات، ومعرفة ما أحل الله وما حرَّم من المأكل والمشرب، وإن كانت درجة هذا الوجوب تتفاوت من الوجوب العيني إلى الوجوب الكفائي تبعاً لأهمية العلم، وحاجة المجتمع. أما في مجال الثقافة الدينية فإن للمرأة فيها دوراً مهماً، ولقد لقيت الصحابيات في الإسلام من الرسول ﷺ من التأييد والتشجيع ما دفع ببعضهن إلى الاهتمام بالدراسات الدينية، وبخاصة رواية الحديث، وكانت في مُقدمتهن السيدة عائشة رضي الله عنها، التي كانت مرجعاً يعتد به في هذا المجال، ولم يعق المرأة عن طلب العلم كونها زوجة أو أُماً، فكانت تتلقاه في المساجد، والزوايا، والمدارس... وغيرها من الأماكن المعدة لتربية الولد وتعليمه. وإن كان الباحثون قد اختلفوا في تحديد طبيعة منهاج تربية المرأة وتعليمها، ونوع الثقافة التي يريد المجتمع للفتاة أن تتلقاها لتصبح بها عضواً نافعاً في بناء كيان المجتمع الإنساني، فإن هذه ليست بالقضية، لأن العلوم بأنواعها المختلفة سواء ما يتعلق منها بمصلحة الفرد أو المجتمع، سواء الدينية منها أو الدنيوية فإنها مباحة للمرأة إباحتها للرجل، ما دامت تُقنن داخل الإطار الإسلامي، وتُلقن في جوه، وعلى ذلك فهو للمرأة حق وفريضة يقول رسول الله ﷺ : **«طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة»** [1]، وأن يظهر فضل

(١) أخرجه الطبراني في الكبير (١٠/ ٢٤٠).

العلماء على سائر الناس فإن للتفقه في الدين فضل على سائر العلوم، فلقد رُوي عن معاوية أنه كان يقول خطيباً: سمعت النبي ﷺ يقول: **«من يُرِد الله به خيراً يُفَقِّههُ في الدين»** [(١)].

٢ - المرأة في مجال العمل:

إن حق المرأة في العمل جلي، فلقد اشتغلت المرأة المسلمة بالتعليم، وتتلمذ عليها أعظم الرجال وأفاضلهم، وأجازت لهم، ويروى أن «الخطيب البغدادي» قرأ على «كريم بنت أحمد المروزي» صحيح البخاري، كما عملت المرأة في التطبيب والتمريض، فكانت فيه رائدة مثل «رفيدة الأنصارية»، وعملت في وظائف عديدة أخرى تطورت وتغيّرت عبر الزمن.

٣ - المرأة والعمل السياسي:

أ - المشاركة الحربية

لقد منح الإسلام حق الجهاد للمرأة والرجل معاً بإذن زوجها وإن قضت الضرورة وحمى الوطيس، فلها أن تخرج من دون إذنه، وكان من الصحابيات من ضربن بالسيف، وركبن الخيل، ولأهمية الدور الذي قامت به المرأة المسلمة في ميادين القتال من تمريض للجرحى، والسقاية، وتموين الجيش بالطعام، وإمداداه بالسلاح، والمشاركة في المشورة، والإعداد النفسي والمعنوي، أفرد لها

(١) المرجع السابق، المجلد المجلد الأول، كتاب العلم، ص ٤٦١.

الإمام البخاري باباً في كتابه أسماه «باب غزو النساء وقتالهن مع الرجال» وإن كان العلماء قد اختلفوا فيما هدف إليه البخاري في تسمية كتابه حيث رأى «ابن المنير» أنه قد يريد أن إعانتهن للغزاة غزو، أو أنهن ما ثبتن لسقي الجرحى إلا وهن بصدد أن يدافعن عن أنفسهن، أما «مسلم» فقد ذهب إلى أن النساء إذا خرجن مع الرجال لا يقاتلن بل يقتصر دورهن على مداواة الجرحى[1]، ومهما كان الأمر فإن حق القتال الفعلي للمرأة مباح كما هو للرجل، فإذا أرادت المرأة في عصرنا الحديث المشاركة في هذا الدور الإيجابي، فعلى المجتمع أن يتخذ لها الوضع الذي يصونها ويحفظ لها كرامتها، حتى تقوم بدورها العام في جو آمن بعيد عن عبدة الأهواء وإن كان الهدف تعلمها كيف تدافع عن نفسها.

ب - إبداء الرأي بالتأييد أو المعارضة:

ينظر الإسلام إلى المرأة نظرته إلى الرجل، فمن حقها أن تبدي رأيها في أي مسألة أو أمر معين لها، وتدافع عنه بما تملك من حجج وبراهين، وعلى ولاة الأمر الإصغاء إليها، وإزالة ما يكون قد نزل بها من ضرر؛ ويكفي أن سورة «المجادلة» التي نزلت في حادثة «خولة بنت ثعلبة» هي أثر من آثار الفكر النسائي، وانعكاس لاحترام الإسلام لإنسانية المرأة، وتقديره لرأيها، فلقد «أصابت امرأة وأخطأ عمر» وهذا ما يؤكد حرية المرأة، وحقها في إبداء الرأي تأييداً أو

(١) المرجع السابق، المجلد السادس، كتاب الجهاد، ص ٨٧.

معارضته، ويعد حق تصويتها في الانتخابات - حالياً - أبسط دور لها في المشاركة السياسية.

جـ - المبايعة:

إن من الأدوار العامة التي يحق للمرأة ممارستها، المبايعة على الالتزام بمبادئ معينة، وعدم انتهاكها، كالقسم على الالتزام بمبادئ مهنة معينة، كما يحدث في العصر الحديث، وليس ثمة تفرقة بين الرجال والنساء في القيام بهذا الواجب(١).

د - التبرع:

يحق للمرأة المسلمة أن تتبرع مادياً أو عينياً للفقراء، أو لإغاثة المجتمعات الإسلامية - وما أكثرها -، والمساهمة في رفع البلاء عنها، فلقد كانت النساء في عهد الرسول ﷺ يتبرعن بحليهن وذهبهنَّ ليجهزن الجيوش، ويقمن به صرح الإسلام، وفي مقدمتهن نساء النبي ﷺ، وهن القدوة الحسنة.

٤ - المرأة في مجال الخدمة الاجتماعية:

امتازت المرأة في القديم والحديث بأعمال البر والإحسان بما فطرن عليه من رقة طبع وحنان وتدين. ولقد قدمت أعمالاً خيرية

(١) كمال جودة أبو المعاطي. وظيفة المرأة في نظر الإسلام، (القاهرة: دار الهدى للطباعة ١٩٨٠م)، ص ٤٧ بتصرف.

جليلة خففت عن البشر عناء الفقر والجوع والحرمان والمرض، وساهمت كثيراً في بناء المستشفيات والملاجئ ودور الحضانة والمدارس على اختلاف أنواعها[1]، والتناصر في المجتمع الإسلامي والقيام بالأعباء الاجتماعية يشمل الرجال والنساء ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٧١] ومجالات الخدمة الاجتماعية للمرأة في المجتمع الإسلامي حالياً كثيرة ومتنوعة. ومن شأن تعاونها في هذا المجال أن يسد ثغرة كبيرة في مجال البر والإحسان والتربية، والتطبيب والمواساة، وهذا فضلاً عن القيام بأمور المرأة التي هي بحاجة إلى جهد زائد من بني جنسها حفاظاً عليها وعلى إسلامها[2].

٥ - المرأة في المجال الديني والدعوي:

إن مسؤولية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هي أكبر مسؤولية في نظر الإسلام، يتساوى فيها المرأة والرجل، وليس للمرأة أن تلقي

(١) عمر رضا كحالة، المرأة في القديم والحديث، ط ٣، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٨٥م) ص ١١.

(٢) توفيق الواعي، النساء الداعيات، ط ١، (الكويت: معهد الدراسات الإسلامية، ١٩٨٩م)، ص ٦٦١ (بتصرف).

حظها من هذه المسؤولية على الرجل وحده بحجة أنه أقدر منها على القيام بهذا الدور، أو أن طبيعة خلقتها لا تسمح لها بذلك، ولكل من الرجل والمرأة دائرته وميدانه الذي يمارس فيه الدعوة، وهذا الدور ثابت للجميع لا يقتصر على جنس أو جماعة معينة، وميدانه الذي يمارس فيه الدعوة، وهذا الدور ثابت للجميع لا يقتصر على جنسٍ أو جماعة معينة، ولقد تطورت وسائل الدعوة في العصر الحديث تبعاً للثورة التكنولوجية التي تشهدها المجتمعات المعاصرة، فكانت وسائل الإعلام المقروءة، والمسموعة والمرئية إلى جانب المؤسسات الدينية الأخرى أنجح الوسائل لنشر الدعوة الإسلامية، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وللنساء مجالهن فيها كما للرجال.

* المرأة في الواقع الحالي:

ولا يمكن الحديث عن المرأة ودورها في تنشئة المجتمع دون تحديد مكانتها بصفة عامة في المجتمعات العربية والإسلامية، حيث شكّلت المرأة على مرّ التاريخ وضعاً استثنائياً داخل المجتمع من خلال علاقتها بالرجل، ودورها المؤثر اجتماعياً واقتصادياً وسياسياً وسلوكياً.

وإذا كان المجتمع العربي قبل الإسلام قد عرف سلوكاً تحقيرياً للمرأة، فإنه في ظل الإسلام قد تمّ لها التكريم والتمكين الذي

انبثقت أسسه ومبادئه من مصادر التشريع الإسلامي المتمثل في الوحي الرباني، والسنة النبوية المطهرة. والحديث عن مكانة المرأة في الإسلام غني عن البيان غير محتاج إلى برهان، وإنما أشرنا إليه هنا من باب التذكير بمقاصد هذا التكريم، ودلالات هذا التشريف.

وإذا تجاوزنا الحديث عن مكانة المرأة في الإسلام، وما حظيت به من تكريم رباني، واحترام نبوي، فهل استمر لها هذا التكريم في العصور التي تلت الإسلام، وخاصة في عهودنا هاته، **عهود ما يُسمَّى** بالتقدم والعولمة، والنهضة الفكرية، وما شابه ذلك من المُسمَّيات التي تدل في مضامينها على النماء والتحضر؟

إن الإجابة عن هذا السؤال بالجزم القاطع في أحد الاتجاهين غير ممكن، لكن تحديداً نقول بصفة إجمالية: إن المرأة لم تحتل مكانتها على غرار ما كانت عليه في العهود الإسلامية الأولى، مع الإقرار بالقول: إن هناك استثناءات شكلت عنصراً بارزاً في الفترة الحالية. وسنحاول توضيح هذا الأمر من خلال الخطوات الآتية:

١ - قضية التراجع التنموي عند المرأة وأسبابه:

إن السبب الحقيقي في تراجع مؤشر التقدم والتنمية عند المرأة يكمن في جانب كبير في ابتعادها عن الرسالة الإسلامية ومبادئها، ويرجع أيضاً لسوء تطبيقها مع التفسيرات المجانبة للصواب، وأحياناً اعتماد بعض النصوص من دون أخرى، وتعطيل الاجتهاد

بما يخدم تطور المرأة وتقدمها في ظل فهم صحيح للإسلام، مساير لمستجدات الواقع، وما طرأ عليه من تغييرات، بما يخدم مصالحها ومصالح الأمة جمعاء، في ظل وعي عميق بالثوابت، وفهم متأصل للحقوق والواجبات وفقه للواقع.

هذا ويلاحظ أن ثمة أسباب موازية عديدة، أبرزها عدم الاطلاع على السيرة النبوية، وسيرة المرأة في الإسلام، وخاصة الصحابية والتابعية وأتباع التابعيات، وعهود الأئمة من النساء، ثم المشاهير منهنّ ممن ساهمن بحظ وافر في مجالات متعددة، أبرزها المجال الفكري والعلمي، وكذلك البطولي المتمثل في مقاومة كل أشكال التغيّر الثقافي والعسكري بجميع أشكاله.

ولعل السبب الرئيس في ظهور هذا التراجع يكمن في المجتمع المتمثل في المرأة والرجل، اللذين ساهما في تكريس هذا الوضع المؤلم، فأصبح على مر الأزمان هو الأصل، وأصبح الأصل هو الشاذ، هذا في الوقت الذي تعرضت فيه الأمة العربية والإسلامية في مراحل التخلف والانحطاط لظروف سياسية واقتصادية واجتماعية صعبة انعكست آثارها على أوضاع المرأة، وكذا على أوضاع المجتمع باعتبار أن المرأة نصف المجتمع، بل هي المجتمع كله لكونها أنجبت رجاله ونساءه.

ومن ثم لا يمكن لأي مجتمع أن يحقق تقدماً منشوداً دون قيام شقيه رجلاً وامرأة في آنٍ واحد، لأن القضية هي قضية رجل وامرأة،

والمسؤولية الكبرى تقع على عاتق رجال هذه الأمة باعتبارهم متمركزين في مواقع القرار كل ذلك بمعزل شبه تام عن وجود المرأة، وحتى إن وجدت فتبقى نظرة الرجل إلى مشاركتها نظرة قاصرة لا ترقى إلى المطلوب الذي يحقق المنشود.

ثم إن مشاركة المرأة في المجتمع الإسلامي الأول في كافة المجالات هامة وفعّالة ومثمرة على قلة وسائل التمدن والتحضر، فبفعل تمكنها من أسباب المعرفة والتمكين والتقدير، ساهمت مع أخيها الرجل في كل الميادين وجنت معه ثمرة هذه المشاركة، كل ذلك بضوابط وآداب الاندماج والاشتراك في أعمال البر والخير، اتباعاً لسنة الرسول ﷺ ومنهجه الراشد الذي ينبغي بل يجب اتباعه عملاً بقوله ﷺ: «**مَن سَنَّ سُنَّة حَسَنة فلَه أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة**»(١).

وإذا كان البعض قد فضلوا اعتزال النساء للرجال تحت دعوى سد الذرائع، واجتهدوا في ذلك، فالأصل أحب إلينا من فعل غيره، وسنته ﷺ أحب إلينا من سنة غيره ،وهو القائل : «**خير الهدي هدي محمد**» ﷺ (٢).

والأمة اليوم في حاجة إلى جهود نسائها بجانب الرجال من أجل

(١) رواه ابن ماجة في سننه وصححه الألباني، وأخرجه أحمد في المسند: ٤/ ٣٦١.
(٢) رواه أبو يعلى في المسند.

تكوين أُمَّة متحضرة مسلمة قوية، فالنساء شقائق الرجال مصداقاً لقوله تعالى: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ [التوبة: ٧١].

وغني عن البيان أيضاً أن المرأة أعطت الدليل على الإنتاج لأنها تمتلك من الطاقة والقدرة ما يجعلها تساهم بدور فعّال في بناء المجتمع إذا تهيأ لها المناخ المناسب لاستثمار هذه الطاقة وتشجيعها وتصحيح مفاهيم سبل المشاركة الحقة، وكسر قيود الأغلال التي تحول دون إسهامها في تنمية مجتمعها وتخليقه، ولا عيب أن تستدرك المرأة على الرجال في كثير من الأمور، لأنه لن يكون رجال هذه الأمة أحسن من الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه على جلالة قدره، وإمارته للمؤمنين، تستدرك عليه امرأة علناً في قضية المهور، وهو القائل رضي الله عنه معقباً بسمة التواضع قصد الإفادة من تصويب امرأة: «أصابت امرأة وأخطأ عمر»[1].

ومثلنا في ذلك أيضاً: مراجعة عائشة أم المؤمنين واستدراكها على بعض الصحابة في كثير من القضايا التي تمس الحياة العامة والخاصة، فكانت عائشة كما قال الإمام الذهبي: «أفقه نساء الأمة على الإطلاق»[2].

---

(١) الجامع لأحكام القرآن للإمام القرطبي، ٥/٩٩.

(٢) سير أعلام النبلاء للذهبي، ٢/١٣٥.

وفيها قال الزهري: «لو جمع علم عائشة إلى علم جميع النساء لكان علم عائشة أفضل»[1]، روت عن رسول الله ﷺ: «علماً كثيراً طيباً مباركاً، وحدَّث عنها خلق كثير، ومسندها يبلغ ألفين ومائتين وعشرة أحاديث، اتفق البخاري ومسلم على مئة وأربعة وسبعين حديثاً، وانفرد البخاري بأربعة وخمسين، وانفرد مسلم بتسعة وستين»[2].

ولعل أهم أسباب تراجع دور المرأة في المجتمع والمساهمة في تنشئته انتشار ظاهرة الأمية التي تشكل إحدى العقبات الرئيسة في النهوض بالمجتمع، فكيف لأمة أن تنهض بمشاريع الإصلاح والتغيير ونصفها مشلول، لم يتحقق له أدنى شروط التنمية، ونقصد بالأمية المفهوم الواسع: أمية القراءة والكتابة، ثم الأمية الثقافية والوظيفية، وفي منظور مالك بن نبي أن النوع الثاني من الأمية هو الذي يتم فيه اختزال وظيفة العلم في تحقيق المكاسب الذاتية بدل الإسهام في بناء المجتمع[3].

٢ - مواكبة المرأة للركب الحضاري وشروط إحيائه:

يشهد تاريخ حضارات الأمم أن كل ما تم إنجازه من تقدم لم يتم

---

(١) نفس المصدر السابق: ٢/ ١٨٥.
(٢) نفس المصدر السابق: ٢/ ١٨٩.
(٣) مشكلة الأمية في مشروع مالك بن نبي، ص ٢٩.

إلا عن طريق العلم بمفهومه الواسع، لذلك نجد الإسلام قد قرر واعتبر العلم مفتاح الرسالات، فجعل له مكاناً عالياً، وبه استفتح رسالة الإسلام حينما كانت أول سورة تنزل على رسول الله ﷺ سورة اقرأ، بكل ما تحمله هذه السورة من دلالات عميقة، ودعوة صريحة إلى العلم. والآيات التي تؤكد بدلالة صريحة على التسلح بالعلم كثيرة نذكر منها قوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٢].

وكذلك قوله تعالى في دعوة نبيه ﷺ قصد الازدياد من طلب العلم حين قال تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤]، ولنا في قصة موسى عليه السلام وهو يقطع المسافات طلباً للعلم خير مثال حين قال تعالى: ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾﴾ [الكهف: ٦٥-٦٦].

وقد أكد سبحانه وتعالى أن بالعلم ترفع الدرجات، وينال الشرف والثواب حين قال سبحانه: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ [المجادلة: ١١].

كما أن الأحاديث الدالة على طلب العلم وفضيلته كثيرة نجتزئ منها قوله ﷺ: «**من سَلَكَ طريقاً يَلْتَمِسُ فيه عِلْماً سَهَّلَ الله له**

طريقاً إِلَى الجَنةِ» [1]، وقوله ﷺ: «**من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين»**[2].

إن هذه الآيات القرآنية والأحاديث النبوية تدلُّ دلالة قاطعة على أن نهضة الأمم تكمن في طلبها للعلم، والتوسع في شتى المعارف والعلوم النافعة، ثم إن هذا الخطاب عام لكل الناس رجالاً ونساءً، فهمه الرجال كما فهمه النساء، وَهَمَّ كل منهما إلى طلبه بكل الوسائل الممكنة، وأهمها الحرص على حلقات العلم والمناظرات العلمية، واللقاءات الأدبية، حيث حرصت المرأة المسلمة أشد الحرص على العلم في المجالس العامة والخاصة، ونهلت من نفس النبع الذي نهل منه الرجل، فكنَّ عالمات متفقهات لا فرق بينهن وبين الرجال، حتى الإماء، وبفضل الإسلام أصبحن حرائر، وتعلمن العلوم الكثيرة بفضل التوجيه النبوي القائل: «**ثلاثة لهم أجران: رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه وآمن بمحمد، والعبد المملوك إذا أدَّى حق الله وحق مواليه، ورجل كانت عنده أمة فأدبها فأحسن تأديبها، وعلمها فأحسن تعليمها، ثم أعتقها فتزوجها فله أجران»**[3].

---

(١) رواه مسلم في كتاب الذكر والدعاء، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن.
(٢) أخرجه البخاري في كتاب العلم، باب من يرد الله به خيراً.
(٣) أخرجه البخاري في كتاب العلم، باب تعليم الرجل أمته وأهله.

وبهذا التوجيه النبوي الكريم أصبحت المسلمة أول طالبة للعلم راغبة فيه، ساعية إليه، وتحصل من ذلك أن ساهمت بحظ وافر في كثير من العلوم الشرعية، وظهر أثرها واضحاً في علوم القرآن، وخاصة في التفسير، وكذلك في رواية الحديث النبوي الشريف، وعلوم الأدب والعربية والطب وعلوم أخرى، وتراجم النوابغ من النساء تحفل بها كتب العلماء، ولا أدل على ذلك أمهات الكتب في تراجم الصحابة[١] التي خصصت جزءاً خاصاً بتراجم الصحابيات، وأخرى بالتابعيات وأتباع التابعيات.

وعرفت المرأة المسلمة في مراحل تدوين الحديث النبوي الشريف بالعدالة والضبط، وبالصدق عامة في روايتها لحديث رسول الله ﷺ، وقد شهد لها بذلك علماء الجرح والتعديل الذين أكدوا أن النساء على كثرتهنّ في الرواية لم يقع من إحداهنّ تعمد الكذب في الحديث، وفي ذلك يقول الإمام الذهبي «وما علمت من النساء من اتهمت ولا من تركوها»[٢].

هكذا كانت المرأة المسلمة نبراساً يضاء بعلومها، ويستنار به من لدن كبار المحدثين والعلماء، بل كانت لهنّ مجالس يفد إليهنّ طلاب وطالبات العلم، ويذكر ابن سعد في الطبقات أن معاذة العدوية كانت

(١) انظر: «أُسد الغابة في معرفة الصحابة»، لابن الأثير، «الاستيعاب»، «لابن عبدالبر»، «الإصابة»، لابن حجر العسقلاني.

(٢) ميزان الاعتدال في نقد الرجال، للإمام الذهبي، ٤/ ٦٠٤.

نموذجاً في طلب العلم وتطبيقه، ويقول عنها جعفر بن كيسان: «رأيت معاذة محتبية والنساء حولها»[1].

وبهذا نجزم أن طلب العلم هو المفتاح والسبيل لكل شهود حضاري، وتقدم تنموي، وبذلك لا يمكن أن تتحقق نهضة الأمم ما لم يقبل نساؤها ورجالها على العلم، والتزود بنوره حتى يتمكنوا جميعاً من تحقيق ركب حضاري مشهود في جميع المجالات، وخاصة في تمثل القيم العالية، والأخلاق المثلى، وتجنب أسباب الفساد والإفساد المفضي إلى تراجع تنموي بشري. ولعل شروط إحياء مكارم الأخلاق تكمن في الفهم الصحيح لمبادئ الإسلام، والتحلي بأدبياته، والقيام بأركانه، فحرص المرأة المسلمة على القيام بالعبادات هو من باب النهي عن الفحشاء والمنكر، وهو مؤكد في القيام بركن الصلاة مصداقاً لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

من هنا فالمطلوب اليوم أن تستعيد المرأة دورها الريادي، خاصة إذا فهمت أن الإقبال المستمر على العلوم، والتحلي بمبادئ الإسلام هما السلاح الرئيس للخروج من دائرة التخلف، كي تستوعب لا محالة مكانتها في التصور الإسلامي، الذي يمنحها من القوة ما يجعلها قادرة على المساهمة في تنشئة المجتمع، وتفعيل مكوناته

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد، ٨/ ٤٨٣.

نحو النماء المطلوب، وبالتالي ستسترجع مكانتها اللائقة بها داخل المجتمع، وستحظى أيضاً باحترام الجميع، فتغير مسار التاريخ نحو مشاركة حقيقية لتنمية بشرية راقية، تساهم فيها المرأة مساهمة حقيقية، مبنية على المعرفة والعلم والأخلاق السامية، القادرة على بناء مجتمع سليم روحاً وجسداً، قلباً وفكراً.

٣ - المرأة ودورها في تنشئة المجتمع:

أ - المنطلقات الأساسية:

إن العمل الصالح ليس مقصوراً على الرجل دون المرأة، فكلاهما يشتركان في أعمال البر والإحسان بأسبابه ووسائله، والسهر على تحقيقه وتفعيله مصداقاً لقوله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٧].

وما أحوجنا اليوم إلى تنشئة مجتمعاتنا وتحصينها من سلوك يتنافى مع شريعتنا، وقيم أوطاننا، وما وصلت إليه الأمم اليوم من تقهقر وهوان إلا لأنها تراجعت عن مُثُلِهَا وَقِيَمِهَا وسلمت بكل غال ونفيس في سبيل النزوح نحو استلاب حضاري منشود، ومظلم الآفاق، انعكست سلبياته على كل المجالات، والغريب أن لدينا قيماً إسلامية تدعو إلى التشبث بالقيم السامية المبنية على الأخلاق.

وقد أرشد الله سبحانه وتعالى في كثير من الآيات إلى محاسن

الأخلاق من ذلك قوله تعالى: ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ﴾ [فصلت: ٣٤]. وقوله تعالى: ﴿وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾ [آل عمران: ١٣٣-١٣٤].

وبعث رسول الله ﷺ متمماً لمكارم الأخلاق، وهو القائل: «**إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق**»[١]، وقوله: « **ما من شيء أثقل في الميزان من حُسْنِ الخُلق** »[٢]، وإن المتخلق بأفضل الأخلاق، ينال أعلى الدرجات في الآخرة وشرف المنازل في الدنيا، وهو ما أكده النبي ﷺ بقوله: «**إن من أحبكم إليَّ وأقربكم مني مجلساً يوم القيامة أحسنكم أخلاقاً**»[٣].

من هذا المنطلق نؤكد أن مشاركة المرأة في تنشئة المجتمع أمر ضروري، وواجب تفعيله بكل ما تملكه من قدرة واستطاعة ومؤهلات علمية وتربوية، وإمكانات مادية ومعنوية، تجعلها مسؤولة أمام ربها ونفسها في تحقيق المطلوب داخل مجتمعها، غيور على أبناء أمتها

(١) أخرجه البخاري، في الأدب المفرد، والبيهي في الكبرى (١٠/ ١٩٢).
(٢) أخرجه أبو داود، في سننه الحديث (٤٧٩٩).
(٣) أخرجه البخاري، في صحيحه الحديث (٣٧٩٥).

بما يكفل لهم الحماية من كل سوء. ومن ثم فعليها مسؤوليات جسام كي تزيح الأفكار التي تنقص من كرامتها وإنسانيتها، وطرد كل موروث متخلف، حتى تصبح أدوارها فاعلة مثلها مثل الرجل قائمة على أسس إنسانية عادلة، وتستنهض همتها لتصحيح المفاهيم والتصورات الخاطئة، وتبعث فيها روح الفهم الصحيح نحو صياغة إسلامية من أجل إحياء حضاري يصل مستقبل المرأة بحاضرها وماضيها وتؤسس تصوراً صحيحاً للأجيال القادمة من النساء على غرار ما أسسه التي سلفها من النساء اللواتي صنعن مجداً وحضارات يشهد لهن التاريخ الإسلامي.

ب - دور المرأة في تنشئة الأسرة والمجتمع:

إن الظفر بذات الدين عنوان وشرط أساس لإقامة أسرة متماسكة متخلقة بمبادئ وقيم الدين الإسلامي، إذ إن ذات الدين مميزة عن غيرها في إقامة الحق والعدل وقادرة مع زوجها على تنشئة أولادها وبناتها على أسس الإسلام وقيمه، وبذلك تخرج للمجتمع أجيالاً صالحة متمسكة بدينها وقيمها، متعلقة بوطنها منصهرة مع مجتمعها في السراء والضراء، لأن هذه الأجيال قد اكتسبت من أُسرها الكثير من المهارات والميول والعواطف والاتجاهات التي تكوّن إنساناً سوياً مستقيماً.

ونظراً لدور الأسرة الأساس في تنشئة مجتمع متماسك ومنتج، فقد شكلت اهتمام العديد من الباحثين، حيث تم التشديد على

دورها الريادي، ذلك «أن الأسرة جماعة أساسية ودائمة، ونظام اجتماعي رئيس، وهي ليست أساس وجود المجتمع فحسب، بل هي مصدر الأخلاق، والدعامة الأولى لضبط السلوك، والإطار الذي يتلقى فيه الإنسان أول دروس الحياة الاجتماعية»(١).

ومن خلال نظرة الشريعة لمفهوم الأسرة يمكننا القول إن نظام الأسرة في الإسلام هو تلك الأحكام والمبادئ، والقواعد التي تتناول الأسرة بالتنظيم، بدءاً من تكوينها، ومروراً بقيامها وانتهاءً باستقرارها، وما يترتب على كل ذلك من آثار قصد إرسائها على أسس متينة، تكفل ديمومتها وإعطائها الثمرات الخيرة المرجوة منها(٢).

لا شك إذاً أن التحديات كثيرة والمشاكل متعددة، تتطلب جهداً مضاعفاً من الأسرة بكل مكوناتها، ولاسيما المرأة في كثير من الاختصاصات والالتزامات، التي تتيح لها فرصة العطاء والتوجيه، والسهر على حاجيات الأسرة الاقتصادية والاجتماعية، والتربوية، في بعدها التكويني والسلوكي والنفسي، خاصة إذا علمنا الدور الهام الذي تقوم به المرأة في تربية النشء، ومتابعة الأطفال في كل المراحل العمرية، لاسيما في الفترات الأولى، والإعداد لهم نفسياً

(١) سناء الخولي، الزواج والعلاقات الأسرية، ص ٣٢.

(٢) محمد عقل، نظام الأسرة في الإسلام، ج ١/ ٩، (مطبعة الشرق: ١٩٨٣م).

واجتماعياً واقتصادياً، بدليل أن التكوين النفسي عند الطفل يحتاج خاصة إلى عاطفة الأم، بدءاً من وجوده في قراره المكين جنيناً، ثم وهو رضيع، فهو يتغذى في أحشاء أمه أو في حضنها غذاءه المادي والمعنوي، إلى جانب ذلك يكتسب انفعالاتها من رضا وغضب، وفرح وحزن، وحب وكره. ومن هنا نستشعر قدر نساء الصحابة وقيمتهن لما يتمتعن به من عطف ومشاعر مثلى نحو الأسرة يشهد لهن بذلك الرسول ﷺ وهو القائل في حقهن: «**خير نساء ركبن الإبل صالح نساء قريش أحناه على ولد في صغره وأرعاه على زوج في ذات يده**»[1]، هكذا نصل إلى أن من أهم التبعات المنوطة بمسؤولية الأسرة وخاصة المرأة القيام بتربية الأجيال وإعداد الطفل جسمياً وعقلياً وروحياً ووجدانياً واجتماعياً، لكي يكون عضواً نافعاً لنفسه ولأمته، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦]، وقال الرسول ﷺ: «**أكرموا أولادكم وأحسنوا أدبهم**»[2]. وقال ﷺ: «**ما نحل والد ولده أفضل من أدب**

(١) أخرجه البخاري الحديث (٥٣٦٥).

(٢) رواه ابن ماجة في سننه من حديث أنس، حديث رقم ٣٦٧١.

(٣) أخرجه الترمذي في سننه، ٤/ ٣٣٨.

حسن»[1]، فتربية الطفل على الخلق الحسن وإكسابه الصفات الخيرة يجعل منه عنصراً إيجابياً داخل أسرته ومجتمعه: «لأن أبناء اليوم وأطفاله هم رجال الغد وبناة المستقبل، فإذا أردنا أن نرى الصورة الحقيقية لما سيكون عليه حال الأمة في المستقبل من أيامها قوة أو ضعفاً، ازدهاراً أو تقهقراً، فلننظر إلى حال ناشئتها، ولا شك أن بناء الأجيال الفتية يوازي ويتناسب مع تطلعاتنا نحو غد يحكم فيه الإسلام مناحي الحياة يرتبط بصورة وثيقة بمقدار ما تمنح هذه الأجيال من التربية والتوجيه»[2].

ويعد دور الأم في هذه المسؤولية أهم وأخطر لكونها تلازم الطفل أطول وقت من مراحل عمره. لذلك ينبغي أن تركز الأم في تربية أولادها على التربية الإيمانية والروحية والأخلاقية. وتوضيحاً لهذا نقف على بعض النماذج النسائية من التابعيات ودورها في تربية الأجيال تربية مفعمة بصدق القول والعمل، متحلية بمكارم الأخلاق، عسى أن نأخذ منها العبرة في السلوك والمعاملة، وتحتفظ المرأة في الكويت بصورة مشرقة من الكفاح في سبيل الحفاظ على كيان أسرتها وتنمية مجتمعها. فقبل ظهور النفط كانت تقف شامخة على أرض الوطن، تعمر الديار، وتقوم بدورها الكامل في رعاية الأسرة عندما يكون الرجل غائباً في البحر لشهور

(١) نظام الأسرة في الإسلام، مرجع سابق، ج ١/ ٣٠.

عدة باحثاً عن الرزق. ولما جاء الاستقلال وتوالت مساهمتها في شتى حقول التنمية، فنراها وقد تصدت بجدارة للعمل الاجتماعي والثقافي والتنموي في كافة القطاعات، وارتقت سلم الوظائف العامة حتى وصلت إلى أعلى درجاتها.

وحين فاجأ الاحتلال العراقي الغادر دولة الكويت في أغسطس ١٩٩٠م، وقفت المرأة في طليعة المقاومة الشعبية ضد الغزاة، وفي خارج البلاد حملت لواء الدفاع عن قضية بلادها العادلة حتى تم التحرير والنصر في فبراير ١٩٩١م.

* * *

الآثار السلبية لإهمال المجتمع للأوضاع المعيشية للأسر

إن إهمال المجتمع لشرائح مختلفة منه في تحسين أوضاعه المعيشية يفرز على المدى القريب مشاكل جمَّة، من أهمها عدم الرضا بالأحوال، والتذمر من الواقع، والهروب من المسؤولية، ويفرز على المدى البعيد الغضب الذي يؤجّج الأفراد، ويدفعهم إلى أساليب تعادي الوضع، والبحث عن تعويض لما يحتاجونه، أو إعلان العصيان كتنفيس عن المعاناة التي يشعرون بها.

إن جرائم السرقة بالإكراه والخطف، والقتل ومحاولة القتل، والاتجار بالمخدرات والمسكرات وغيرها، والهروب من الواجبات العامة، واستعمال العنف الفكري والمادي ضد المجتمع ومؤسساته، ومحاولة أخذ الحقوق بالقوة، والتعمد في ترك الواجبات العامة والخاصة. كل ذلك منوط بقدرة المجتمع على ممارسة دوره في تعديل سلوك المجتمع لأفراده، وقبل ذلك في وضع الخطط لتوفير احتياجات الإنسان لما يلزمه من طعام وكساء ومشرب وترفيه.

ويحدثنا التاريخ - الماضي والقريب - أن حاجات المجتمع الأساسية تتناسب تناسباً طردياً مع الأمن والأمان الذي يعيشه أفراده، وأن توفير هذه الحاجات وبصورة طبيعية وسلسة ومنتظمة

كفيلة بإشعار الجميع أن المجتمع يستحق أن يوجه له الشكر والحرص عليه، والدفاع عنه، وليس البحث عن مجال الانحرافات السلوكية والتمرد على المجتمع.

وقد نهى الإمام الشافعي - رحمه الله - أن يُتحدث إلى من ليس في بيته طحين (خبز)، فلما سُئِل عن السبب قال: لأن في عقله «ولهْ» - أي انشغال - وبالتالي لا يعي ما الحديث.. لأنه مشغول بتوفير لقمة الخبز لمن يعول.

إن وسائل العنف المنتشرة - في أماكن متفرقة - لها أسبابها المختلفة، وقد قام مركز البحوث والدراسات بالأمانة العامة للمعلومات بمجلس الوزراء في دولة الكويت - في العدد الثامن من السلسلة التي أصدرها - بدراسة عن الجرائم التي نشأت حديثاً وكان العنف أحد مجالاتها الجامعة، حيث حلل هذه الظواهر إلى عدة أبعاد، خاصة البُعد الاجتماعي والذي يظهر في التناقضات السلوكية وغيرها من الأسباب، ونظراً لأهمية الدراسة نحاول - بتصرف - اجتزاء بعضاً منها لعموم الفائدة.

أبعاد ظاهرة العنف :

أ - البُعد النوعي:

إن التغير السريع في أنماط المجتمعات اتسم ببعض المظاهر غير المرغوبة، كالعنف لدى الشباب، ولهذه الظاهرة أبعادها النوعية، ولعل أهمها:

- التخريب والعبث بممتلكات الغير، ويبدو ذلك في صور شتى كالتشويه بالكتابة أو الرسم، أو إلقاء القمامة أو إتلاف المزروعات وسوء استعمال المرافق والأدوات العامة.
- الاعتداء على المعارف والزملاء أو غيرهم باللفظ أو البدن.
- العدوان على المعلمين والعاملين بالمدرسة أو المعهد باللفظ أو البدن.
- السرقة والسلب بالقوة.
- التدخين واستخدام المواد الضارة الأخرى.
- الرعونة في القيادة ومخالفة قانون المرور.

ب - البُعد السكاني:

أدى تزايد الهجرة الوافدة إلى إحداث خلل في البنيان السكاني في كثير من المجتمعات، ليصبح معه المواطنون الأصليون - أحياناً - أقلية في بلدهم من جملة السكان، كما أدى إلى انتشار أنماط من السلوك والمفاهيم والمظاهر الغريبة، وهي إفرازات عدم التجانس، والتغاير في الفكر والثقافة، خصوصاً إذا كان نسبة كبيرة من الوافدين، في حكم الأميين[1]، وتتميز غالبية هذه الشريحة بضعف الدخل الشهري لها، وغيرها من السمات التي تفتقر إلى الحد الأدنى من عناصر التجانس والتواصل والانتماء الجمعي اللازم

(١) وزارة التخطيط - السمات الأساسية للسكان والقوى العاملة في ٣٠/٦/٢٠٠٠م.

للتفاعل الإيجابي في إطار فهم عقلاني متساند، الأمر الذي جعل الشباب في حالة صراع ومعاناة وسط محيط يتجاذبه التباين القيمي، باعتبار القيم موجهات السلوك في ممارسة العادات والتقاليد والعلاقات الاجتماعية، كما أباح تعريض الهوية الثقافية إلى خطر الانحسار التدريجي أمام المد الهائل من الأفكار والمعتقدات والممارسات السلبية الوافدة.

ج - البُعد الوطني «الهوية»:

ولعله يمكن تلمس ملامح العصرنة وتأثيرات العولمة على الشباب في شكلها أكثر مما في مضمونها، ومن تلك الملامح، النزوع نحو التمثل بالمجتمعات الغربية في قضاء وقت الفراغ، وفي المأكل والمشرب (الوجبات السريعة)، واللباس (التخلي عن الزي الوطني)، والحرص على التحدث باللغة الأجنبية، والتمسك بمظاهر الرفاهية، وغير ذلك من المظاهر الدخيلة التي تقتحم أفكاره، وتجعله في تحدٍ دائم مع هويته الثقافية الغائرة في وجدانه، وفي حالة من التوتر إزاء المواقف المتباينة مع ما جبل عليه من رؤى قيمية، ولعلها مرحلة صراع قيمي قد تطول وقد تقصر، ومكمن الخطورة فيها أنها في الاتجاه المعاكس.

د - البُعد الاجتماعي:

يعتبر التفكك الأسري من أهم العوامل الكامنة وراء جنوح الأبناء

وميولهم العدوانية، حيث يفتقدون إلى الرقابة والتوجيه واستثمار الطاقات بشكلٍ سليم، و«الطلاق» هو أبرز مظاهر التفكك الأسري، مما يعرض الأبناء للضياع والتشتت.

ولعل الأمر يزداد سوءاً في حالة الزواج المختلط، وعودة المرأة لموطنها الأصلي، سواءً بصحبة الأبناء أو بدونهم.

ومن عوامل التفكك الأسري أيضاً وفاة الأب أو الأم أو كليهما، مما يؤدي إلى زعزعة الاستقرار العائلي، وفقدان العطف والحنان، أو تشرد الأبناء، وحرمانهم من القدوة والعائل الذي يتولى توفير الحياة الآمنة ،والبيئة الصالحة للتنشئة السليمة.

وتشير العديد من الدراسات إلى أن ظاهرة العنف مسألة أخلاقية بالدرجة الأولى، من حيث أبعادها التربوية لدى الأسرة، ولعلها تزداد تفاقماً في الحالات الآتية:

- قصور الوالدان في غرس قيم التحاور والنقاش، والإقناع في تفكير الأبناء، واتساع فجوة الاتصال والتفاهم كلما عجز الوالدان عن فهم ما يعتمل في صدور أبنائهم.
- التناقضات السلوكية، كأن يحذر الأب الأبناء من التدخين مثلاً ثم يقوم هو بذلك أمامهم.
- جهل الأهل بخصوصيات التنشئة الاجتماعية للأبناء في كل مرحلة عمرية، لاسيما مرحلة المراهقة، باعتبارها أحد أهم المراحل الحرجة في حياة الإنسان.

- استحسان الأهل لسلوك العنف لدى أبنائهم كأسلوب في تحقيق المكانة القيادية بين الرفاق وفي المدرسة، ولا يتوانى بعض الأهل عن تشجيع أبنائهم على «أخذ حقهم بيدهم» لإثبات ذاتهم، وبالتالي تعزيز السلوك العدواني لديهم، والذي غالباً ما يكون العنف خاتمته.
- إهمال الأهل أو تخليهم عن مساعدة الأبناء في اختيار الأصدقاء بصورة موضوعية، مما قد يعرضهم لرفاق السوء، ويدفعهم تحت تأثيرهم إلى القيام بأفعال مخالفة للعرف والقانون، بهدف إثبات الذات، ومجاراة جماعة الرفاق، حيث يقضون معهم أوقاتاً ربما أكثر مما يقضونها مع أهلهم وذويهم.
- الاستعانة بالخدم من جنسيات غير عربية،ومنهم غير مسلمين، وقد لا يعرفون أكثر من القراءة والكتابة، وعليه. . فإنه يمكن تصور ما قد يترتب على تدخل هؤلاء الخدم غير المؤهلين في تربية الأبناء من سلبيات تطال بناء شخصيتهم الإنسانية، وخصائصها العقلية والاجتماعية والانفعالية، وقد يؤدي أسلوب التغاضي والترضية الذي تلجأ إليه الخادمة إلى تعزيز الميول السلبية لدى الأبناء (كثرة المطالب غير المبررة، الجرأة الزائدة، عدم الاكتراث باحترام الآخرين، الاعتماد على الغير، الاتكالية. .)، وقد تكون هذه الميول مقدمة لتعزيز الميول العدوانية والعنف لدى الأبناء في حالة اهتزاز العلاقات الأسرية (وفاة، طلاق، مرض، خلافات مستمرة. .)، ومحاولات الخدم استقطاب الأبناء بالتساهل معهم

إرضاءً لرغباتهم والتي غالباً ما تكون منحرفة مثل: التدخين، والسرقة، والممارسات الإباحية.. إلخ.

والجمعيات الأهلية (جمعيات النفع العام)، دور في تنظيم الندوات التأهيلية والدورات التدريبية لأولياء الأمور، وتبصيرهم بأصول التنشئة الاجتماعية السليمة، وتوعيتهم بأن التعامل القائم على القوة والتمييز أو التحقير والاستفزاز، تبدد إحساس الأبناء بالأمن، وتخلخل توازنهم النفسي، وتنمي في داخلهم الإحساس بأنهم غير مرغوب فيهم، مما يدفع بهم إلى الجنوح والتطرف في التعامل مع الآخرين.

هـ - البُعد الإعلامي:

يؤدي الإعلام بوسائله المختلفة دوراً هاماً في حياة الشباب وتكوين اتجاهاتهم، وتشكيل عاداتهم وسلوكياتهم.

غير أنه - ونتيجة للثورة المعلوماتية والتطور السريع الذي شهدته وسائل الاتصال - تتزايد المخاوف مما يعرض من برامج تتضمن مظاهر الاستهتار بالقيم والمبادئ الاجتماعية، والدعوة إلى التحرر، واستحسان القيم الغربية عوضاً عمّا يشاهد الأبناء عبر القنوات الفضائية، دون رقابة أسرية، من أفلام ومسلسلات تحفز على العنف والجريمة والإباحية في طرح الأفكار، ومشاهد الجنس مما يضع الأبناء في دوامة الإغراء والتخيل والمحاكاة والتقليد.

ورغم الجوانب الإيجابية للإنترنت، إلا أنه يصبح في غاية

الخطورة عندما يستخدم بغرض اللّهو واللعب والتسلية لقضاء وقت الفراغ، حيث أنه ظهر مؤخراً ما يعرف «بمقهى الإنترنت» الذي يسهل على الشباب استخدام هذه التقنية المعلوماتية، ولمدة ساعات طويلة، أخذ الغث والثمين، والمفيد والضار دون تمييز، ودون رقابة أو محاذير.

ويتضح قصور وسائل الإعلام في تسليط الضوء على المشاكل اليومية التي يعاني منها الشباب، والتوعية بمكانة المعلم، وسمو دوره ووظيفته، وكشف مساوئ المادة الإعلامية التي تحض على الانحراف والعنف والجريمة.

و - البُعد الديني:

يعمد الشباب على تعويض الخواء الروحي والفراغ الأخلاقي بتبني أهداف اجتماعية ذات بريق بطولي، كالاحتجاج والرفض والثورة، لذا كان غياب الوازع الديني عند بعض الشباب من العوامل المؤدية إلى العنف، ولعل الخطر الأكبر الذي يواجه شباب اليوم انشغال الوالدين عن توجيههم ومتابعتهم، وزعمهم المستمر بأنهم لا زالوا صغاراً، وأنه لا جدوى من فرض الواجبات الشرعية عليهم، وإرجاء هذا الأمر دون غرس الإيمان القوي في نفوسهم، فالشباب الذين يقومون بأعمال العنف لا يملكون من الدِّين شيئاً، وبعض الشباب يخلط بين أمور الدين وتشريعاته ورغبات الحياة

الدنيوية المباحة، وفي المقابل فإن سوء فهم الدِّين أمر قد يؤدي تدريجياً إلى استعمال العنف.

ز - البُعد التعليمي والتربوي:

إن انتشار المدارس الخاصة الأجنبية[1] وتقديمها للمناهج المعتمدة في بلادها المغايرة لما هو في المجتمعات المسلمة، لاسيما في النواحي التربوية، يؤثر سلباً على أسلوب التفكير والتخاطب والتعامل لهؤلاء الطلاب ويجعلهم يميلون نحو الثقافة الغربية في ممارسة حياتهم الشخصية والعامة، فيقعون في مأزق الصراع الثقافي والقِيَمي عوضاً عن ضغوط الصراع الناشئ بين الأجيال، قديمها وحديثها، الأمر الذي قد يعزز لديهم الشعور العدواني، واللجوء إلى العنف أحياناً لإثبات الذات والهوية، مع الإشارة إلى أن هؤلاء الطلبة سيشاركون مستقبلاً في تحمل مقدرات البلاد.

وتشير الدراسات النفسية إلى أنه كلما قلت القيم الصحيحة المتصلة بالوقت، ونقصت المعلومات، وضعفت المهارات اللازمة لاستغلاله، كلما زادت فرص اليأس والشعور بالملل والاغتراب والأنانية عند الشباب، وتعزيز الاتجاه لديهم نحو العنف والجريمة.

(١) (وزارة التربية - إدارة التخطيط - مفكرة الجيب للبيانات الإحصائية عن التعليم في دولة الكويت للعام الدراسي ٢٠٠٠م/ ٢٠٠١م، نوفمبر ٢٠٠٠ م).

ح - البُعد القانوني:

تولي بعض الدول عناية خاصة بالشباب، تدعمها بالقوانين، وفي دولة الكويت - كمثال - نصت المادة العاشرة من الدستور على أن «تَرعى الدولة النشء، وتحميه من الاستغلال، وتقيه من الإهمال الأدبي والجسماني والروحي».

وفي سياق هذه الغاية، صدر المرسوم بالقانون رقم ٤٣ لسنة ١٩٩٢م بإنشاء «الهيئة العامة للشباب والرياضة»، وتنص المادة الثانية من المرسوم على أن الغرض من إنشاء الهيئة هو: العناية بشؤون الشباب، وتهيئة أسباب القوة والرعاية لهم، وتنمية قدراتهم البدنية والخلقية والعقلية والفنية، وتوفير الوسائل الكفيلة بتنشئة المواطن الصالح دينياً واجتماعياً وبدنياً وثقافياً، وتعزيز ولائه للوطن.

وحرصاً على رعاية الطفولة، وحماية الشباب من القيام بأعمال لا طاقة لهم بها، بما يعرضهم للاستغلال والحرمان والإحباط، فقد حظر قانون العمل في القطاع الأهلي تشغيل من يقل سنهم عن أربع عشرة سنة من الجنسين (مادة - ١٨)، مع جواز تشغيل الأحداث بين ١٤ - ١٨ سنة وفق شروط معينة، منها أن يكون تشغيلهم في غير الصناعات والمهن الخطرة والمضرة بالصحة (مادة - ١٩)، مع عدم جواز تشغيلهم ليلاً، أي من الغروب إلى مطلع الشمس (مادة - ٢١)، وعلى أن لا تتعدى ساعات العمل القصوى ست ساعات يومياً (مادة - ٢٢).

وقد قامت بعض الدراسات التربوية ببحث حول أهمية توافر الخدمات المقدمة إلى جموع الطلاب والطالبات، وهي خدمات تشمل الخدمات الخاصة بتقديم أنواع صحية من التغذية، وإعداد الوجبات المُشبعة (في الإفطار والغذاء)، وتشمل أيضاً الخدمات الصحية من علاجية ووقائية، وتقديم كافة أنواع الدعم لمن لديه أمراض نوعية، تحتاج إلى متابعة وطول مراقبة، فضلاً عن تقديم خدمات المواصلات خاصة لمن يسكنون في أماكن بعيدة، وإيصالهم إلى معاهدهم في الأوقات المناسبة، بالإضافة إلى تقديم خدمات التوجيه والإرشاد الاجتماعي والنفسي لمن يعانون من وجود هذه المشاكل الناجمة عن طلاق الوالدين، أو وفاة المعيل للأسرة، أو ما شابه.

وقامت هذه الدراسات بربط هذه الخدمات بالرضا العام للمتعلم، وأكدت في توصياتها على عدم حرمان المتعلم من تقديم هذه الخدمات بالمجان هدية من المجتمع نحو أبنائه، بل ودعت في إحدى توصياتها إلى تطوير هذه الخدمات، وجعلها إحدى مفردات المنهج الدراسي الملزم لإنجاح العملية التعليمية، وتحقيق الأهداف والغايات القريبة والبعيدة للتربية.

وكل هذه الخدمات صدرت فيها قوانين تكفل تنفيذها للأطفال والحضارة والأسرة والمحتاجين لها.

دور الخدمات الطلابية نحو استقرار المجتمع:

إن بناء المتعلم **الصالح** لنفسه **والنافع لأمته** عملية شاملة تتطلب تضافر الجهود في جميع الميادين التربوية والاجتماعية والإعلامية، وهذا المتعلم الذي ننشده ليس وليد حدث، كما أنه ليس نتاج جهة واحدة، بل هو شخصية مركبة معقدة نتاج عدة عمليات ومثيرات متداخلة ومتفاعلة، سواء كان ذلك بطريقة مقصودة أو غير مقصودة.

ومن الطرق التي نقصدها في هذا المجال ما تقدمه المدرسة من مناهج دراسية، وخدمات إرشادية، ورعاية صحية لهذا المتعلم منذ دخوله المدرسة النظامية في سن الروضة حتى يصل إلى المرحلة الجامعية أو ما يعادلها. وخلال هذه الفترة الممتدة من عمر المتعلم يتلقى العديد من المعارف والخبرات والمهارات العلمية والعملية التي في النهاية تشكل لنا نمطاً معيناً من الشخصية.

وإذا كُنا نقصد الوصول إلى نمط معين من **الشخصية المسلمة** للمتعلم يكون فيها صالحاً في نفسه - نافعاً لأمته، **وعزيزاً في دينهِ**، ومتوافقاً مع مجتمعه وعصره **وفق الشريعة الإسلامية** - فلا بد من القيام بنقلة نوعية تتناول كل مصادر المعرفة التي تحيط بالمتعلم، سواء كانت تلك التي تقدم له بشكل مباشر من خلال المناهج الدراسية، أو غير مباشر من خلال الخدمات النفسية

والاجتماعية والصحية وغيرها التي يحصل عليها طوال فترة وجوده على مقاعد الدراسة. فالمدرسة لم تعد ذلك المكان المتخصص في تقديم المعارف بطرق تقليدية، وإنما أصبح دورها أكثر شمولاً لتسهم في بناء الإنسان من جميع جوانبه العقلية والنفسية والروحية والاجتماعية والصحية.

إن الخدمات الطلابية في مجالاتها المختلفة (الخدمات النفسية والاجتماعية، والخدمات الصحية، وخدمات التغذية، وخدمات نقليات الطلبة) تمثل الإطار العام الذي يحدد إلى درجة كبيرة الصورة التي يكون عليها المتعلم بما تقدمه له من معارف علمية، ومهارات عملية، لمواجهة متغيرات الحياة، وإحداث التوافق النفسي والاجتماعي المناسب معها للمحافظة على صحته النفسية والجسمية.

إن الخدمات الطلابية التي تقدمها وزارة التربية والوزارات الأخرى المعنية تلعب دوراً بالغ الأهمية بجانب المناهج الدراسية في تشكيل وتحديد السمات الشخصية للطالب، من منطلق أن المدرسة بيئة اجتماعية متكاملة التأثير النفسي والعقلي والأخلاقي والسلوكي على الطالب في سن معين.

ومن خلال الاهتمام بالخدمات الطلابية التي يحصل عليها الطالب في المدرسة، نستطيع أن نؤكد بأن هذه الخدمات يمكن أن تُسهم بشكل فعّال في بناء متعلم على درجة عالية من الإيجابية، يكون

فيها صالحاً في نفسه، نافعاً لأمته، عزيزاً في دينه، ومتوافقاً مع مجتمعه وعصره وفق تعاليم الدِّين الإسلامي، ويحمل من الصفات الشخصية الأخرى ما جاء في النظام التربوي حول هذا الأمر، وخصوصاً:

١ - التوافق مع الذات وخيريتها من خلال تقبل المتعلم لذاته في ضوء القيم الإسلامية.

٢ - التوافق مع البيئة المدرسية بصفة خاصة والذي يظهر من خلال حبه واحترامه لمعلميه ومدرسته في جو من الشعور الدائم بمراقبة الله، والبحث عن رضاه.

٣ - التوافق مع الآخرين بصفة عامة، وهي عملية تقوم على الأخوة بالله، والتسامح، والإيثار، ومراعاة حقوق الآخرين، ويستمد التوافق من البناء الأخلاقي الإسلامي.

٤ - الإحساس بخيرية الحياة والاستمتاع بها.

٥ - القدرة على العطاء والإنجاز، ويتمثل هذا الأمر من خلال إعداد المتعلم إعداداً عقائدياً وفكرياً وسلوكياً في البيئة المدرسية التي تقدم القدوة، وتعمل على تنمية طاعة الله ورسوله، وتحببه في الخير والإقبال عليه.

* * *

الفصلُ السابع
المسؤولية والموقع الاجتماعي للأسرة

١ - المسؤولية العامة للأسرة ومتطلباتها.

٢ - نماذج مشرقة من عالم النّساء.

المسؤولية العامة للأسرة ومتطلباتها

النظام الاجتماعي وفي مقدمته الأسرة مسؤول عن المجتمع البشري فيما يتعلق باحتياجاته، والتي يسعى المجتمع إلى تنظيم أنشطته وفقاً لها، وهذا ما جعل المفكرين التربويين مثل «مالينا فوسكي» يؤكد على الأنشطة الموجهة لإشباع حاجات الإنسان في المجتمع، وقد اجتهد علماء الاجتماع المعاصرون إلى تحديد المتطلبات الوظيفية للمجتمع، والتي حصرها عالم الاجتماع «ليفي» (Levey) في المتطلبات الآتية:

- مصدر لتمويل العلاقة بالبيئة وإنتاج النوع.
- تباين الأدوار وتحديد مهام كل دور.
- الاتصال (التواصل).
- توجيه (معرفي) مشترك.
- تحديد مجموعة مقنّنة من الأهداف.
- التنظيم المعياري لتحقيق الأهداف.
- التنشئة الاجتماعية.
- الضبط الفعّال لسلوك الأفراد والجماعات.
- صياغة مناسبة للنظم المطلوبة.

هذا وقد طرح «ليفي» هذه المتطلبات وهو بصدد وضع مخطط لمواجهة العوامل التي تسهم في زوال المجتمع وفنائه، وقد حصر تلك العوامل فيما يأتي:

١ - حالة اليأس عند الأفراد.

٢ - حالة اللامبالاة وعدم الاكتراث لما يراه من الشدائد والأحداث.

٣ - حرب الكل ضد الكل.

٤ - امتصاص مجتمع أو جماعة لمجتمع أو جماعة أخرى.

٥ - انقراض النوع وفناء الأشخاص.

إذا أسقطنا المقدمة السابقة على المهام المناطة بالأسرة، نجد أنها تحمل أثقالاً كبيرة في مواجهة وتنفيذ هذه المهام، وفي مقدمتها ما يأتي:

١ - إن الأسرة المسؤولة عن أفرادها في حاجة إلى شرح مفهوم «الحرية» بأبعادها المختلفة، كيف يولد «الإنسان» حرّاً، وكيف يعيش حرّاً «متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً»، والمجتمع المدني يحتاج إلى التنمية، وهي التي لا تقوم إلا على الحرية. حرية التجارة.. حرية الحركة.. حرية التخطيط.. وقبل ذلك حرية التفكير.

إن الطفل ينبغي منذ نشأته أن يتعلم كيف يفكر حرّاً، وكيف يحاور والديه بالآداب المعلومة، وكيف يختلف مع إخوانه،

وكيف يعرف المباح في القضايا الداخلية، وأن مقولة «العصا لمن عصى» عند العظائم من الأمور وليست على إطلاقها.

إن الناشئة وهم يرون أمام ناظريهم أن نظام الحكم شوري بين الناس، وأن هناك انتخابات، وأن صناديق الانتخابات تحدد الناجح، وهذا الناجح يملك الأدوات الرقابية والتشريعية لمحاسبة الجميع وفق الضوابط المرعية.. عندما يرى أن النظام يوفر له اللقمة الهنية، والمسكن المناسب، والرعاية الطبية بلا من أو أذى، ويرى المساواة وفق لوائح وقوانين الخدمة المدنية.. عندما يرى ذلك يكون عوناً مع نظامه لترفيه المجتمع المدني، وليس عبئاً عليه، ولقد شهدنا أيام الاحتلال العراقي لدولة الكويت في أغسطس ١٩٩٠م أمثلة عظيمة ونماذج مميزة ضد هذا الاحتلال، الذي لم يجد أحداً يمدّ له يداً، لأن مؤسسات المجتمع المدني كلها كانت حرة أبية.. فهل تستبدل الذي هو خير بالذي هو أدنى؟!

إن الأسرة هنا هي الوعاء الإنساني والذي يجمل بها أن تعلّم أبناءها معاني الحرية، وثمنها، والضريبة التي ينبغي أداؤها للتمتع بها باعتبارها إكسير الحياة، وأن التفاعل الحي بين مؤسسات المجتمع مع حاجاته لن يتحقق له التطابق والتكامل إلا تحت ظلال الحرية.

٢ - إن الأسرة - وفي سعيها الدائم لتربية أفرادها على التقدم

الدراسي، والنمو المتوازن للروح والجسم والفكر - تحتاج إلى أن تبرز بين الحين والآخر ما يحتاجه المجتمع من تقدم المتميزين، وإفساح المجال للمبدعين.

إن الإبداع في كل فن لن يأتي من فراغ.. إنه مشوار طويل تقوم به الأسرة بدءاً من التربية المنزلية، صعوداً بالتربية اللاحقة حتى آخر السلّم التعليمي، وهي إذ تحاول ذلك مع أفرادها، فإنها تحقق في الوقت نفسه التفاعل الحي مع حاجات المجتمع.

والناظر إلى حاجات المجتمع إلى المبدعين في كل فن، يلحظ على الفور نوعاً من القصور إذا خلا المجتمع المدني من المبدعين في كل فن، أصبح - كما يقول «ليفي» مهدداً بالضياع، لأن المبدعين هم الذين يرشدون المجتمعات إلى الطرق المثلى للارتقاء، وتقصير مدة التنافس مع غيرها من المجتمعات، وهم الذين يُدلون بآرائهم عند أصحاب القرار، حتى تصبح آراؤهم - من واقع تجاربهم وإبداعاتهم - محل تأثير، ومحل تنفيذ، خاصة في المشاريع المجتمعية التي يحتاجها الجميع.

فإذا أضفنا إلى هؤلاء المبدعين في كل فن: الحكماء من أهل الفكر والحُجّة، فإن المجتمع المدني يصبح مجتمعاً مأموناً من الفتن والعواقب السيئة، بل ويصبح هدفاً للمجتمعات الأخرى لأخذ الرأي السديد، والنصيحة البليغة، والمشورة الصادقة

والهادفة من خلال التجارب الميدانية.

إن من أمسّ التفاعل مع المجتمع المدني تقديم الرأي الرشيد في وقت تموج فيه أنواع الزيغ من كل طرف، من الداخل والخارج، وقديماً قال الشاعر:

الرأي قبل شجاعة الشجعان هو أول . . وهي المحل الثاني

٣ - إن أعباء الأسرة في هذا المجال تنطلق من تعليم أفرادها حب المجتمع والحرص عليه، والدفاع عنه، والحفاظ على ماله وعرضه، وكل هذا عبر أساليب عملية تقوم بها الأسرة، وتراعي فيها العمر الزمني، وقدرات كل فرد من أفرادها، وقديماً كانت الأسرة تجمع أفرادها وتوزعهم على فريقين، وَيُخْتار موضوع للمناظرة، ويدلي كل فريق من الأسرة بالحجج وبأسلوب مرتب مؤثر، وقبل ذلك يحدث تدريب على هذه المناظرة لمدة أيام بل أسابيع، وتكون الموضوعات المزمع إقامة المناقشات والمناظرات حولها - هي القضايا التي يمر بها المجتمع فعلاً . . وليست من الخيال، وهكذا تربّي الأسرة أفرادها على إظهار الصواب والعمل كفريق، وأن حَظَّ النفس هنا يسقط في سبيل كسب الفريق، ويتعلم الأفراد هنا: قواعد الحوار الراقي، واستخدام الألفاظ الجميلة، واحترام الرأي الآخر، والتفاعل مع حاجات المجتمع.

كما أن الأسرة كانت تقوم في المواسم المختلفة مثل ليالي «الإسراء والمعراج» ﷺ، وليالي رمضان، والعشر من ذي الحجة.. كانت تقوم بحشد كافة أفرادها للتفكير مرة.. ماذا نقدّم لمدينتنا التي نعيش فيها؟، ومرة ماذا نقدم لأساتذتنا في المدرسة، ومرة ثالثة ماذا نقدم للأيتام في هذه المناسبات.

إن التفاعل مع قضايا المجتمع - صغيرها وكبيرها - عن طريق مشاركة الأسرة في تهيئة أفرادها لمثل هذه الأفعال، يعتبر دليلاً واقعياً على أن الأسرة تقوم بواجبها إزاء أفرادها، وإزاء المجتمع.

٤ - إن ما ذكره «ليفي» حول أسباب حالات اللامبالاة، وعدم الاكتراث لما يراه المرء من مواقف إزاء الأحداث الجسام والمصائب، وما أطلق عليه حرب الكل ضد الكل، وغيرها من هذه المظاهر، كلها في عنق ومسؤولية الأسرة بلا جدال.

تعاني في بعض البلاد من ظاهرة الاغتراب عند بعض الناس، وهي من أخطر أنواع الظواهر التي استجدت في المجتمعات، ومع استمرارها، فقد تؤدي إلى حالات التمرّد على المجتمع، والاستهانة بأفراده، والعمل على ضره داخلياً وخارجياً، وربما بالبحث عن آخرين لتقويض أركانه، سواء بالفكر أم بالمادة، أم بالاثنين معاً.

يعتبر موضوع الاغتراب - بأبعاده المختلفة من سياسية واجتماعية

ونفسية وغيرها - من الموضوعات التي نالت قدراً كبيراً من البحث والتقصي من الباحثين في المجتمعات المتقدمة، إذ أصبح هذا الموضوع مجالاً خصباً للبحث لاكتشاف آفاقه وأبعاده. ومع هذا.. ما زال المفهوم حتى يومنا هذا يشوبه الكثير من الغموض وعدم التحديد، وما المحاولات التي يقوم بها الباحثون سوى البحث عن مزيد من المتغيرات التي من شأنها أن تثري هذا المجال، والمتتبع للدراسات في عالمنا العربي بشكلٍ عام والخليجي بشكلٍ خاص، يدرك أن أغلب هذه الدراسات كانت تحمل صفة الطابع الوصفي التحليلي دون النزول إلى واقع الشباب بهدف التعرف على اتجاهاتهم وأنماط سلوكهم، وتأثيرات المجتمع والأسرة والمدرسة عليهم، وسوف نحاول في هذا الجزء أن نستعرض مجموعة من الدراسات التي تناولت مثل هذا الموضوع بشيء من التفصيل.

يصنف البحث المقدم من جهاز الدراسات والبحوث الاستشارية لصاحب السمو أمير البلاد تحت عنوان «الشباب في الكويت: الاتجاهات العامة والنوعية»[1] مجموعة من المتغيرات التي من شأنها أن تكون أبعاداً من الاغتراب الاجتماعي على النحو الآتي:

أولاً: في مجال التوافق الأسري:

أوضحت الدراسة أن الإناث من الشباب في الكويت يشعرن بأن

(١) الشباب في الكويت: الاتجاهات العامة والنوعية، جهاز الدراسات والبحوث الاستشارية لصاحب السمو أمير البلاد، الديوان الأميري، (الكويت: ١٩٨٦م)، ص ٢٥١ - ٣٠٧.

الأسرة لا تتفهم احتياجات الفتاة، ولا يهتم الأب بأمور الأسرة، وتشعر الفتاة بأن الوالدين لا يعنيان بها، وأنها بحاجة إلى الاهتمام.

كذلك ترى الفتاة بأن طريقة تربية الوالدين لإخوانها غير مناسبة، وأن آرائها تتعارض دائماً مع آراء الوالدين، بالإضافة إلى عدم القدرة على التعبير عن الرأي في وجود الأخوة الكبار.

أما من حيث الجنسية.. فقد وجدت أن المواقف التالية أكثر انطباقاً على الشباب الكويتي منها على غير الكويتي: عدم اهتمام الأب بأمور الأسرة، زواج الأب من امرأة أخرى، زواج الأم من رجل آخر.

ثانياً: في مجال التوافق مع الذات:

أبرزت الدراسة أن الفتاة في الكويت لا تستطيع التمييز بين الخطأ والصواب، بالإضافة إلى أنها تحس بأن الحياة لا قيمة لها، وعدم القدرة على اتخاذ القرارات. أما من حيث الجنسية.. فقد أظهرت الدراسة أن الشباب غير الكويتي يحس بتعاسة الحياة، وليست لديه القدرة على تحديد الأهداف في الحياة، وعدم القدرة على اتخاذ القرار.

ثالثاً: في مجال التوافق مع المجتمع:

بين البحث أن غالبية الشباب غير راض عن المجتمع، وغير متوافق نفسياً، لذلك يتحوّل هذا الشعور إلى تحطيم الملكية العامة، والقيادة برعونة، وتكسير الأدوات المدرسية.. وغيرها، كتعبير عن ثورتهم على المجتمع. كما أنهم لا يميلون إلى المدرسة، ولهذا لا يحسون بالراحة عند حضورهم في حجرة الدراسة، وأنهم يحسون بالسعادة عند مغادرة المدرسة، ويشعرون بأن الإدارة المدرسية قاسية عليهم.

وفي دراسة تطبيقية أخرى ضمن دراسات مكتب المتابعة بالبحرين، تحت عنوان: «دراسات وقضايا من المجتمع العربي الخليجي» شارك كل من د. عبدالرؤوف الجرداوي وعبدالله غلوم ببحث تحت عنوان: «اتجاهات الشباب ومشكلاته: الكويت دراسة تطبيقية»[(١)] أوضحا من خلاله أن هناك مجالات مختلفة يشعر فيها الشباب العربي بالاغتراب، منها:

١ - **الشعور بأزمةِ الهوية**: حيث ينظر للشاب على أساس أنه قاصر لم ينم النمو الكافي، فهو ما زال بحاجة إلى حماية الكبار ووصايتهم، وهذا الوضع يجعله قلقاً متوتراً.. يتأرجح بين

---

(١) دراسات وقضايا من المجتمع العربي الخليجي - سلسلة الدراسات الاجتماعية والعمالية، مكتب المتابعة، (البحرين: ١٩٨٦م)، ص ٣٣ - ٣٩.

التمرّد والخجل في صراع بين قيم الواقع وواقع الحياة، وهذا يدفعه إلى العدوان.

٢ - **هموم الأسرة**: لا تزال الأسرة العربية تحتضن الشاب رغم ميله إلى الاستقلال، فهي تسيطر عليه أو تفرض عليه نوعاً من التعليم، وتتكفل بالإنفاق عليه حتى العمل، وتساعده مادياً عند الزواج. وفي بعض المدن في الدول العربية الخليجية والريفية يستمر الشاب في بيت العائلة هو وزوجته وأولاده.

وكذلك بنمو الأسرة النووية على حساب الأسرة الممتدة، ظهرت نتائج سلبية من بينها الاتجاه للفردية والمصالح الخاصة، والصراع بين أعضاء الأسرة الواحدة، وزيادة حالات الطلاق والانفصال، وهذا ما أضعف من التماسك الاجتماعي، وَأَثَّرَ على قيم الشباب واستقراره.

إن السيطرة والتدخل في حياة الشباب، يعطل من نموهم النفسي والاجتماعي، ويعوّق خبرتهم المباشرة مع الواقع، ويعاني كثير من الشباب من نظرة الآباء لهم بأنهم ما زالوا صغاراً، وإحاطتهم بالرعاية الزائدة وتوجيه سلوكهم كما يريدون لهم، لا كما يرغبون أنفسهم. وينشأ عن ذلك إحباط وألم وقلق لمصادرة حرية التصرف، ويقلل من الشعور بتقدير الذات.

٣ - **التعليم ومشاكله**: ويمكن أن نلخص الضغوط التي يمثلها نظام التعليم على الشباب في الأمور الآتية:

- أن المدرسة صاحبة السلطة في تحديد حقوق وواجبات الطالب.
- عدم ربط المناهج المدرسية بالحياة، وفصلها عن المجتمع، وتركيز أساليب التقييم على المهارات الفعلية، مع إغفال النمو العضوي، والارتقاء النفسي والاجتماعي.
- أن برامج التعليم العام والجامعي لا تطرح الواقع للمناقشة، بل أحياناً تدافع عن هذا الواقع بعيوبه.
- تباين المستويات التعليمية والثقافية والفكرية باختلاف المناطق الجغرافية (ريف - قرى - مدن).

٤ - **صِرَاعَ الأجيال**: يتمثَّل هذا الصراع بين جيل الشباب، وبين من سبقهم من الآباء والكبار في النظرة المتوجسة، فالكبار لا يثقون في الشباب، ويعيبون عليهم اندفاعهم وقلّة خبرتهم، وبالمقابل فإن الشباب لديه موقف تجاه الكبار، بأنهم لا يمهدون لهم الطريق، ويحكمون عليهم بالفشل، ويتهمونهم بالسطحية، ومن نماذج هذا الصراع.. العلاقة الفاترة أو المتسلّطة بين الطالب الجامعي والأستاذ، وانعدام الحوار بينهما كما يحدث ذلك بين الآباء والأبناء، وبين الموظفين الجدد والقدامى.

٥ - **العمل**: وهذا يبدو من خلال الافتقار إلى التوجيه والإرشاد للمهن المناسبة لقدراتهم، مع غياب المعلومات الكافية

التي تمكنهم من الاختبار، مع بروز التعقيدات البيروقراطية، وافتقار المناخ العلمي في محيط العمل، وانتشار اتجاهات سلبية، كالمجاملة والواسطة والقرابة، وكلها عوامل مثبطة لهمم الشباب ورغبته في الابتكار وقدرته على الإنجاز.

٦ - **العمل السياسي**: علاقة الشباب العربي ببعض التنظيمات السياسية والمنظمات الشبابية والجمعيات والاتحادات الطلابية تتسم بالاغتراب، وتدفعهم إلى العزلة والانسحاب، بسبب أساليب التدخل الحكومي في نشاط تلك التنظيمات، بالترغيب غير الموضوعي والترهيب أحياناً أخرى، كما أن الأجهزة السياسية التي توجه الشباب تتعدد وتتبع جهات مختلفة بالدولة، وهذا يجزئ الشباب، ويضعف قوته، ويجعله فئات تواجه بعضها البعض إلى حد الصدام.

وفي دراسة أخرى حول مشكلات التوافق النفسي والاجتماعي في المجتمع الكويتي، أوضح الباحث محمود عبدالقادر[١] أن مشكلات الشباب من الجنسين تسير وفقاً للأولويات الآتية:

أولاً - عدم تقبل الذات، أو كما يعبر عنها بأزمة اكتساب هوية

---

(١) محمود عبدالقادر، التوافق النفسي والاجتماعي للشباب الكويتي ومشكلاته، رابطة الاجتماعيين، (الكويت: ١٩٧٥م)، ص ٧١ - ١٢٨.

جديدة، أو الإدراك الاجتماعي لذات جديدة، والسبب عدم الثقة بالنفس نتيجة التغيرات الجسمية والاجتماعية التي واجهت الفرد ولم يستطع التكيف معها.

ثانياً - مشكلة النضج الجنسي والكف الانفعالي، ذلك أن النضج الجنسي يكتمل في فترة المراهقة، لكن الإشباع يواجهه في المجتمع الكويتي المحافظ بقيود اجتماعية صارمة، مما ينشأ عنه مشاكل نفسية، وردود فعل على سلوك الشباب (شعور بالخجل والميل للانسحاب والحساسية الزائدة، والتوتر).

ثالثاً - مشكلات سوء التوافق الاجتماعي، ذلك أن المراهق يتعيّن عليه أن يتكيف مع الانتماءات الجديدة خارج الأسرة والمدرسة، وعليه تعلّم المواءمة مع متطلبات واحتياجات هذه الانتماءات، وأن يتمثّل معايير جماعات الكبار وقواعد سلوكهم في مرحلة الشباب، كما ينخرط الفرد في عضوية جماعات ترويحية ودينية واجتماعية وسياسية. وتبدو مظاهر «الاغتراب» واضحة على تصرفاته وسلوكه نتيجة التباين أو عدم التجانس بين نسقه القيمي الذي يمثله في طفولته، والسلوك الاجتماعي للراشدين من الكبار، بكل تناقض بين القبول والفعل (عدم تحمل المشاكل - تجنب الناس - عدم الرغبة في مصاحبة الجيران والزملاء). وهكذا يؤدي سوء التوافق الاجتماعي إلى الانسحاب

الاجتماعي وفقد الثقة بالكفاءة الاجتماعية ومظاهر الاغتراب.

وعلى نفس المنوال يرى د. حليم بركات في بحثه القيّم «الاغتراب، والثورة في الحياة العربية»[1] أن دراسة الاغتراب على الصعيد المجتمعي هي محاولة في الواقع للبحث عن مصادر الاغتراب كتجربة شعورية نفسية عند الفرد، فلكي نتفهم الاغتراب لا بد من البحث عن جذوره ومنابعه في تركيب المجتمع، ومدى سيطرة القيم والمعايير على السلوك. ويرى الباحث أن حالات الاغتراب في المجتمعات العربية تظهر من خلال المصادر الآتية:

أولاً - السيطرة المفرطة، وهذا متوفر إلى حد بعيد في معظم البلدان العربية.

ثانياً - انحلال القيم والمعايير، وعدم فعالية النظم شبه الديمقراطية.

ويرى الباحث أن مجالات التصرف السلوكي الفعلي أمام المغترب يمكن تحديدها على أنها امتداد بين الانسحاب والاشتراك التمردي الثوري، وعلى المغترب القيام بواحد أو بمزيج من ثلاثة أنواع من التصرف، بإمكانه الانسحاب من واقعه، أو الرضوخ إليه ظاهراً، والنفور منه ضمناً، أو التمرّد الثوري عليه وتغييره.

---

(١) د. حليم بركات - «الاغتراب والثورة في الحياة العربية»، مواقف، العدد الخامس، السنة الأولى، (لبنان - بيروت)، ص ٢١ - ٤٣.

وأوضحت دراسة إدريس عزّام تحت عنوان «بعض المتغيرات المصاحبة لاغتراب الشباب عن المجتمع الجامعي»(١) في المجتمع الأردني النتائج الآتية:

- إن الاغتراب ينتشر بين الطلبة الذكور أكثر من الإناث بنسبة ٤٥٪ - ١٦٪.
- إن درجة انتشار مشكلة الاغتراب بين طلبة الجامعة الأردنية واحدة دون اختلافات تذكر بين الكليات المختلفة، فنسبة انتشارها بين طلبة الكليات الأدبية والإنسانية ٢١٪، والكليات العلمية والتطبيقية ١٩٪، إذ لم يكن للفروق الظاهرية الطفيفة بين الكليات أية دلالة إحصائية.
- إن الطلبة أصحاب التقديرات المرتفعة أكثر اندماجاً، وأقل اغتراباً من الطلبة أصحاب المعدلات المنخفضة، حيث كانت الفروق بين المجموعتين دالة عند مستوى (٠,٠٥).
- توصلت الدراسة إلى أن أصحاب الدخول المتدنية أكثر اغتراباً من الطلاب ذوي الوضع الاقتصادي المرتفع، حيث كانت الفروق بين المجموعتين دالة عند مستوى (٠,٠٠١).
- أبدت الدراسة أن التسلط في الأسرة يؤثر بشكل سلبي على الإناث،

(١) إدريس عزام، «بعض المتغيرات المصاحبة لاغتراب الشباب عن المجتمع الجامعي»، مجلة العلوم الاجتماعية، العدد الأول، ربيع ١٩٨٩م، ص ٦٩ - ٩٤.

إذ كانت مجموعة الإناث من الطلاب أكثر اغتراباً وأقل اندماجاً من في الأسر التي يسودها الضغط الرقابي المعتدل.

- أبرزت الدراسة أن غالبية الشباب المغتربين ينتمون لأسر كبيرة الحجم، بينما تنتمي الغالبية في المجموعة المندمجة إلى أسر متوسطة الحجم نسبياً.

وفي المجتمعات الغربية، يوضح «برونغن برنر» أن العائلة المعاصرة أصبحت غير منظمة، وكنتيجة لسوء التنظيم أصبحت غير متماسكة مع أفرادها، كنتيجة حتمية فرضتها الضغوط الاجتماعية والاقتصادية، وهذا من شأنه أن يساهم في اغتراب الفرد. فالفرد الذي ينشأ ويتربى في عائلة غير منظمة ومستقرة، تكون استجابته لمثل هذا النوع من البيئة، إما بالثورة على الأسرة والمجتمع أو الانسحاب منها (١) (٢).

وأوضح «بولك» في دراسته أن المشكلة قد تكون ثقافية أكثر منها اجتماعية أو نفسية، أو ما يُسمَّى بالفجوة الثقافية (Cultural Gap)، حيث صراع القِيَم بين جيل الكبار أو الآباء، وبين جيل الصغار أو الأبناء، إذ يحاول هذا الجيل الجديد أن يُنشئ قيماً وعادات وشبكة من العلاقات التي قد يرفضها على السواء كل من البيت أو المدرسة

---

(١) Bronfenprenner. U., The foun World of Childhood phi. Delta Kappa 67 (6) 430 - 436 - 1986.

(٢) Bronfenprenner. U. The Origins of Alimation. Scientific American, 53 - 61 - 1974.

كمؤسسة اجتماعية، فهو يرفض القِيَم التي تفرضها الأسرة عليه، أو التي تراها إدارة المدرسة في تحديد الأنشطة والممارسات المختلفة التي يقوم بها الشباب[١].

ويصف «كالوتا»[٢] في دراسة حول التربية والاغتراب، أن المحاولات التي تقوم بها لضبط سلوك الأفراد وتوجيهها من قبل الكبار نسميها بالتربية الحسنة أو الجيدة، وتبدو على الأخص في النواحي الآتية:

- حينما يشعر الشاب بأنه يميز من قبل أفراد العائلة بتحديد شبكة العلاقات الاجتماعية له داخل الأسر.
- كذلك بتحديد نمط الصداقات والعلاقات الاجتماعية مع الرفاق أو الأصدقاء، مما يفقده قمة الشعور بالتوحد مع الأصدقاء، أو مع من هم أكبر منه سناً.

ويقرر «أدلر» أن سبب الاغتراب يكمن في إخفاق الوالدين بتهيئة الأمن والاستقرار النفسي والاجتماعي للشباب الذي يحاول أن يجد أو يلعب دوره الاجتماعي في المؤسسات الاجتماعية الأخرى التي تصادفه في حياته اليومية، وهذا يزيد من اغترابه لحظة خروجه لعالم الواقع في المدرسة كمؤسسة اجتماعية تربوية ترهق الشباب

(١) Polk. K., The new marginal youth. Crime and Delinguency, 30 (3) 462 - 480. 1984.

(٢) Cullotta. T., Early adolescence. A lination and Education Theory into practice, 22 (2). 151 - 154. 1983.

بمتطلباتها ومسؤولياتها الرسمية، ومن شأنها أن تحدد الكثير من الأنشطة الاجتماعية والترفيهية التي يرغب الشاب في أدائها، فتشعره بالإحباط، يحاول الانسحاب، ومن ثم يغترب.

وعلى نفس المنوال يبين «بارباك» أن الشباب الذين يشعرون بعدم انتمائهم للمدرسة، وقليلي الإنجاز في أدائهم المدرسي، عرضة لأن يكونوا أكثر اغتراباً وعجزاً من غيرهم، ويوضح أيضاً أن هذا الأداء وهذا الإنجاز يرتبط ارتباطاً مباشراً وقوياً بالأنشطة المختلفة التي يقوم بها الشاب داخل المدرسة.

*** ترشيد أفعال الصغار:**

ومن المسؤوليات العامة للأسرة ما يطلق عليه «ترشيد أفعال الصغار»، وهذا الترشيد يشمل المجالات الآتية:

- **مجال «الادخار»** وهو مفهوم بدأ في الانحسار، فلم نعد نسمع مسابقات عن أحسن «حصالة» ادَّخر فيها الطفل من مصروفه اليومي أو الأسبوعي أو الشهري، لكي يقدمها بعد ذلك إلى إحدى اللجان الخيرية التي تقوم على الصرف على الفقراء والمحتاجين، أو يضعها في حسابه في البنك، وقد حل مكان مفهوم «الادخار» مفهوم «الاستهلاك»، والذي بدأ يتسع حتى أصبح «الاستهلاك» ثقافة عامة عند بعض الأسر.
- **مَجَالُ الترفيه**: وهو مجال مباح، يحتاجه المرء بين الحين والآخر، خصوصاً في أيام العطل والمواسم، لكن الأسرة تغفل عن الأفعال

التي تتم أثناء قضاء فترة الترفيه، وقد يكون فيها بعض اللمم، وقد تكبر وتصبح من المعاصي التي تحتاج إلى وقفة للمراجعة.

- **مَجَالُ الزيّ**: وهو مجال أصبح الخروج عن ضوابطه الاجتماعية لا يلفت نظر الأسرة عند البعض، فظهرت «الموضات» عند الشاب وعند الفتاة، وكان القاسم المشترك بين هذه الأزياء تقليد الآخرين ممن لا يملكون ديناً يعصمهم، أو وازعاً أخلاقياً يردعهم، ونسمع بين الحين والآخر، شكاوى من المربّين وأولياء الأمور، وبعضها يندي له الجبين.
- **مَجَالُ الطعام وآدابه**: وهو مجال أصبح التفاخر فيه هو الطابع المطلوب عند البعض، وليس إكرام الضيف أو استشعار نعم الله عز وجل، والشكر على النعمة، ورجاء العبد لربه ألا تزول، بالإضافة إلى استخدام أدوات الطعام دون الالتزام بالآداب الإسلامية في الطعام والشراب وابتدائه وانتهائه.
- **مجال السماع والمشاهدة**: وهو مجال اتسع مداه، لمخرجات سيئة، وقد يؤدي بعضها إلى مفاسد شتى، والأسرة هنا ينبغي من باب مسؤوليتها العامة والخاصة أن تلتفت إلى هذا الطريق جيداً، وأن تقدم البديل الناجح.
- **مجال السفر**: وهو مجال تكثر في غالبه الرّخص، وعدم التحكم في تصرفات الأفراد، مما لا مجال للتفصيل فيه، لأنه أصبح معروفاً عند الكافة.

- **مجال الصحبة**: والأسرة هنا ينبغي أن تترجم مسؤوليتها في صورة الرقابة والمتابعة، وقبل ذلك التربية على الأُسس العظيمة في هدي الرسول محمد ﷺ ، والحمد لله هناك مشروعات ناجحة تقوم بها القطاعات التربوية الأهلية مثل لجان «الصحبة الصالحة» وغيرها، وعلى الأسرة أن تبحث دائماً عن البدائل الناجحة في مسيرة حياة أفرادها.

* * *

نماذج مشرقة من عالم النّساء

إننا في مجال التربية نبحث في مناهجنا الدراسية عن «**القدوة**». . سواء كانت على مستوى الموقف أو الحدث أو حتى في حالة الصمت، ونظل نبحث ونجهد أنفسنا. . . والأمثلة أمامنا واضحة لا تحتاج إلى عناء بحث. . قريبة ليست عصيّة على الاستدعاء. .

إن المثال الواحد يضم نماذج متعددة في آن واحد، وهنا عظمة المثال. .

إنه التميّز في الخصيصة الواحدة، والتميز في السمات كلها معاً، وهذا لا ينفرد به إلّا ذلكم الجيل العظيم والذي كان على قدمي رسول الله ﷺ يمشي، وتحت عينه يُصنع، ليصنع - بعد ذلك - تاريخاً عظيماً، لا نملك إزاءه إلّا أن نترضّى على ذلكم الجيل: رضي الله عنهم وأرضاهم في الجنّة.

من هنا ونحن إذ نقتبس هذه النماذج. . إنما نريد أن نؤكد على المعاني الآتية:

١ - إن مفاتيح النجاح للتربية، الاهتداء إلى العظماء والعظيمات في تاريخ الأمة للسير على منوالهن، هذا ما أكدته تجارب الماضي والحاضر، على السواء. فالصين مازالت - وهي دولة تنتمي إلى الاتجاه الاشتراكي - تتمسك بمقولات كونفوشيوس،

وتقوم بتدريسها في معاهدها، ولا تجد تناقضاً بين خططها الحالي وبين أفكار هذا المفكر، والذي عاش قبل أكثر من ألف عام.

٢ - إن نساءنا وبناتنا يبحثن عن النافعات والمبدعات في كل فن، وبالتالي فالرجاء ألا يحرمن أنفسهن من متابعة تلك السيّر، وسيجدن ضالتهن في مجال النشأة السليمة - والبعيدة عن الأزمات - في تطبيق مسار كل واحدة من أولئك العظيمات، وسيلحظن أن الثّمار والمخرجات متفوقة ممن يفخرن بهن، وينهجن سلوكهن.

٣ - إن هذا جزء من عبادة المسلم، فإن ذكرهن عبادة، وإشاعة فضائلهن عبادة، والترضي عليهن عبادة، وتدارس تاريخهن من أجل الحاضر وتلمّس مواطن الصحة في حياتهن: عبادة، وكل عبادة لها أجرها، وسقف الأجور مفتوح لمن أراد.. وفي ذلك فليتنافس المتنافسون.

الفضائل الخاصة بكل واحدة منهن

أولًا: خديجة بنت خُويلد بن أسد بن عبد العزى بن قُصي، وقُصي جد النبي ﷺ، وهي ثاني أقرب أمهات المؤمنين إليه نسباً من جهة الأب، ولم يتزوج غيرها من ذرية قُصي إلا أم حبيبة بنت أبي سفيان[1].

(١) تلتقي أم حبيبة مع رسول الله ﷺ في الجد عبد مناف بن قُصي، وتلتقي خديجة مع =

وتُعتبر خديجة أوسط نساء قريش نسباً، وأعظمهن شرفاً،وأكثرهن مالاً، تزوجها رسول اللهﷺ وهو ابن خمس وعشرين سنة بعد أبي هالة بن النباش بن زرارة التميمي حليف بني عبد الدار.

آمنت بالنبي ﷺ ونصرته، فكان يفضّلها على جميع النساء[1]، وأنجبت له أولاده إلا إبراهيم، فإنه من السيدة مارية رضي الله عنها، ولم يتزوج عليها الرسول ﷺ حتى توفيت قبل الهجرة بثلاث سنين.

*** ولها فضائل جليلة ومناقب عظيمة منها:**

١ - إنها من السابقين الأولين إلى الإسلام، فهي أول الناس إيماناً بما أنزل الله، فكان لها أجرها وأجر من آمن بعدها[2].

= رسول الله ﷺ في الجد قُصي، أما باقي زوجات رسول الله ﷺ فهن يلتقين مع رسول اللهﷺ فيما بعد قُصي «مُرة، وكعب ولؤي، وخزيمة، وإلياس، ومضر».

(١) أي على جميع النساء في عصرها، فهي من سيدات نساء العالمين الأربع، وهنّ: آسية بنت مزاحم امرأة فرعون، ومريم ابنة عمران، وخديجة بنت خويلد، وفاطمة الزهراء.. رضي الله عنهن جميعاً.

(٢) لأنها أول من أسلم من النساء، ومن سَنَّ سُنَّة حسنة فله أجرها، وأجر من عمل بها، والدال على الخير كفاعله في الأجر والثواب، ومن دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من اتبعه، لا ينقص ذلك من أجورهم من شيء. وانظر تفصيل المسألة في «فتح الباري»، باب «فضائل خديجة»، وأيضاً انظر «نهاية الإيجاز في سيرة ساكن الحجاز»، للطهطاوي، وأيضاً «شرح النووي» لصحيح مسلم.

٢ - لم يتزوج عليها ﷺ حتى فارقت الحياة الدنيا، فانفردت بخمس وعشرين سنة من ثمانية وثلاثين سنة هي حياته الزوجية ﷺ (حوالي الثلثين).

٣ - كان حب الرسول ﷺ لها رزقاً من الله رزقه إياه، فحبها فضيلة[١].

٤ - كان ﷺ يُكْثر من ذِكْرها، والثناء عليها، والمدح لها، وصلة ودّها.

قالت عائشة رضي الله عنها: «ما غِرْتُ للنَّبيِّ ﷺ على امرأةٍ من نسائهِ ما غِرْتُ على خديجة لكثرةِ ذكره إيَّاها، وما رَأيتَها قط»[٢].

٥ - كانت خير نساء أمة محمد ﷺ،روى البخاري بإسناده إلى علي ابن أبي طالب رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**خير نسائها مريم، وخير نسائها خديجة**»[٣].

٦ - سلام الله عليها وبشارتها ببيت في الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب.

---

(١) صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل خديجة - رضي الله عنها - رقم (٢٤٣٥)، وفي الحديث: «**فقال رسول الله ﷺ إني قد رزقت حبها**» فتأمل كيف كان حبها من الله رزقاً لرسوله ﷺ.

(٢) صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة،باب من فضائل خديجة - رضي الله عنها - رقم(٢٤٣٥).

(٣) صحيح البخاري، كتاب مناقب الأنصار، باب تزويج النبي ﷺ ، رقم (٣٨١٥).

روى الشيخان بإسناديهما إلى أبي هريرة رضي الله عنه قال: **«أتى جبريل إلى النَّبيّ ﷺ فقال: يا رسول الله.. هذه خديجة قد أتت معها إناء فيه إدام أو طعام أو شراب، فإذا هي أتتك فاقرأ عليها السلام من ربها ومني، وبشّرها ببيت في الجنّة من قصب لا صخب فيه ولا نصب»**[1].

٧ - رزقه الله تعالى منها من الولد ولم يرزقه ﷺ من غيرها.
قال رسول الله ﷺ: **«ورزقني الله منها الولد، إذ لم يرزقني من غيرها»**[2].

ثانياً - سَودة بنت زَمْعة بن قيس بن عبد شمس بن عبدُ وُدّ بن نصر بن مالك بن حِسْل بن عامر بن لؤي بن غالب بن فهر، أمها الشموس بنت زيد بن عمرو الأنصارية، وكانت قبل النبي ﷺ عند السكران بن عمرو، روت عن النبي ﷺ ، وروى عنها ابن عباس ويحيى بن عبدالله بن عبدالرحمن بن سعد بن زرارة، أسلمت بمكة قديماً، وهاجرت هي وزوجها إلى الحبشة الهجرة الثانية، ومات زوجها هناك[3]، وهي أول امرأة تزوجها رسول الله ﷺ بعد

---

(١) صحيح البخاري، كتاب مناقب الأنصار، باب تزويج النبي ﷺ وفضلها - رضي الله عنها، رقم (٣٨٢٠).

(٢) رواه الطبراني في المعجم الكبير، باب ذكر أزواج رسول الله ﷺ ومنهن خديجة بنت خويلد، ج ٢٣، رقم (٢٢)، ص ١٣.

(٣) ابن حجر العسقلاني، تهذيب التهذيب، ١٢/ ٤٥٥.

خديجة، وكان ذلك بمكة، وانفردت به نحواً من أربع سنين، وهي سيدة جليلة ونبيلة. توفيت سنة خمس وخمسين على الأرجح في آخر خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

*** ومن مناقبها:**

١ - حرصها على البقاء في عصمة النبي ﷺ، فقد وهبت يومها في القَسْم لعائشة تقرباً إليه ﷺ وحباً له، ولتكون من زوجات النبي ﷺ في الجنّة.

ذكر ابن سعد في الطبقات: أن سودَةَ قالت للنّبي ﷺ: «أنشدك بالله .. أما راجعتني وقد كبرتُ ولا حاجة لي في الرجال، ولكني أحب أن أبعث في نسائك يوم القيامة.. فراجعها النبي ﷺ»[١].

روى البخاري بإسناده إلى عائشة رضي الله عنها: «أنَّ سودة بنت زَمْعة وهبت يومها لعائشة وكان النَّبيُّ ﷺ يَقْسم لعائشة بيومها ويوم سودة»[٢].

٢ - تمني عائشة أن تكون مثل هديها وطريقتها.

روى مسلم بإسناده إلى عائشة رضي الله عنها قالت: «ما رأيتُ

(١) بتصرف من طبقات ابن سعد ٨/ ٥٤.

(٢) صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب المرأة تهب يومها من زوجها لضرتها، رقم (٥٢١٢).

امرأةً أحبَّ إليَّ أن أكون في مِسلاخها[1] من سَوْدة بنت زَمْعة...»[2].

ثالثاً - عائشة بنت أبي بكر الصديق، وهو عبدالله بن عثمان التيمي القُرشيَ، تُكنى بأم عبدالله، فقد سألت النبي ﷺ أن تكتنى، فقال: «**اكتني بابن أختك**» فاكتنت بأم عبدالله، وهو عبدالله بن الزبير بن العوام، وأمه أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهم جميعاً، وأمها أم رومان بنت عامر ابن عويمر الكنانية، ولدت بعد البعثة بأربع سنوات، وتزوجها رسول الله ﷺ وهي بنت سبع، ودخل بها وهي بنت تسع سنين، ولم يتزوج بكراً غيرها، وقد نزلت براءتها من فوق سبع سماوات، وكانت أحبُّ أزواجه إليه من بعد خديجة، وأفقه نساء الأُمَّة يستفتيها أكابر الصحابة[3].

توفي عنها رسول الله ﷺ وهي في الثامنة عشرة من عمرها، وكانت وفاتها في ١٧ من رمضان سنة ٥٨هـ، وصلى عليها أبو هريرة رضي الله عنه، ودُفنت ليلاً في البقيع رضي الله عنها.

*** وانفردت عائشة رضي الله عنها بمجموعة من المناقب التي ذكرتها كتب السُّنَّة منها:**

١ - كانت أحبُّ الأزواج إلى النبي ﷺ، من بعد خديجة رضي الله عنها.

---

(١) في مِسلاخها (بكسر الميم): أوله أي جلدها، والمراد أن تكون نظيرتها في كل شيء.

(٢) صحيح مسلم، كتاب النكاح، باب جواز هبتها نوبتها لضرتها، رقم(١٤٦٣).

(٣) راجع - متفضلاً - الإجابة لإيراد ما استدركته عائشة على الصحابة لبدر الدين الزركشي.

روى البخاري بسنده عن عمرو بن العاص رضي الله عنه «أنَّ اَلنبي ﷺ بعثه على جيش ذات السلاسل، قال: فأتيته فقلت أي الناس أحبُّ إليك؟ قال: «عائشة»، فقلت: فمن الرجال؟ قال: أبوها»[1].

٢ - جاء جبريل عليه السلام بصورتها إلى الرسول ﷺ في قطعة من الحرير قبل زواجها.

روى الشيخان بإسناديهما إلى عائشة رضي الله عنها أنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «**أريتك في المنام ثلاث ليالي، جاءني بك الملك في سَرَقةٍ من حرير فيقول: هذه امرأتك، فأكشفُ عن وجهكِ فإذا أنتِ هي، فأقول: إن يكُ هذا من عند الله يُمْضه**»[2].

٣ - أرسل لها جبريل عليه السلامَ مع رسول الله ﷺ.

روى البخاري بإسناده إلى عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ يوماً: «يا عائش»، هذا جبريل يقرئُك السلام» فقلتُ: وعليه السلام ورحمة الله وبركاته، تَرَى ما لا أرى - تريد رسول الله ﷺ[3].

---

(١) صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة ذات السلاسل، رقم(٤٣٥٨).

(٢) صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها، رقم (٢٤٣٨).

(٣) صحيح البخاري، كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب فضل عائشة رضي الله عنها، رقم (٣٧٦٨).

٤ - أُنزل الوحي على رسول الله ﷺ وهو في لحافها دون غيرها من أمهات المؤمنين.

قال رسول الله ﷺ: «... **يا أم سلمة.. لا تؤذيني في عائشة، فإنه والله ما نزل عليَّ الوحي في لحاف امرأة منكن غيرها**»(١).

٥ - أول من بدأها النبي ﷺ بالتخيير عند نزول آية التخيير، وهي قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾﴾ [الأحزاب]، وقرن ذلك بموافقة أبويها، فاختارت رسول الله ﷺ قبل أن تستشيرهما، فاستنَّ بها بقية أمهات المؤمنين.

روى الشيخان بإسناديهما إلى عائشة قالت: «... ففي أيِّ هذا أستأمر أبويّ؟ فإني أريد الله ورسوله والدار الآخرة، قالت: ثُمَّ فعل أزواج رسول الله ﷺ مثل ما فعلت»(٢).

٦ - **نزلت آيات من القرآن الكريم بسببها،** منها ما هو بشأنها ومنها ما هو للأمة عامة، فمن الخاص بها:

(١) صحيح البخاري، كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب فضل عائشة رضي الله عنها، رقم (٣٧٧٥).

(٢) صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب قوله: ﴿وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [**الأحزاب**: ٢٩]، رقم (٤٧٨٦).

أ - **أن شهد الله لها بالبراءة مما رميت به من الإفك والبهتان.**.

﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُو بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُم مَّا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّىٰ كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النور: ١١]، إلى قوله تعالى: ﴿الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُولَٰئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [النور: ٢٦].

وأما ما نزل بسببها وهو عام للأمة:

ب - **نزول آية التيمم بسببها** التي كانت رحمة وتسهيلاً للأمّة.

روى الشيخان بإسناديهما إلى عائشة رضي الله عنها: «أنها استعارت من أسماء قلادة فهلكت، فأرسل رسول الله ﷺ ناساً من أصحابه في طلبها، فأدركتهم الصلاة فصلوا بغير وضوء، فلما أتوا النبي ﷺ شكوا ذلك إليه، فنزلت آية التيمم، فقال أُسَيْدُ بن حضير: جزاك الله خيراً، فوالله ما نزل بك أمر تكرهينه إلا جعل الله لك منه مخرجاً وجعل للمسلمين فيه بركة»[(١)].

٧ - حرص النبي ﷺ أن يُمرَّض في بيتها، فكانت وفاته بين سحرها ونحرها في يومها، وجمع الله ريقيهما في آخر ساعة له من الدنيا وأول ساعة له من الآخرة، ودفن في بيتها، فقد روى البخاري بسنده عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: دخل عبدالرحمن

(١) صحيح البخاري، كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب فضل عائشة رضي الله عنها رقم (٣٧٧٣).

بن أبي بكر على النبي ﷺ وأنا مسندته إلى صدري، ومع عبدالرحمن سِواك رَطبٌ يستنُّ به، فأبدَّه[1] رسول الله ﷺ بصره، فأخذتُ السواك فقضمتُهُ ونفضتُهُ وطيَّبتهُ، ثُمَّ دفعته إلى النبي ﷺ فاستنَّ به...»[2].

٨ - أخبر ﷺ بأنها من أصحاب الجنَّة.

روى البخاري بإسناده إلى القاسم بن محمد، «أنَّ عائشة اشتكت، فجاء ابن عباس فقال: يا أم المؤمنين، تقدمين على فَرَطِ[3] صِدْقٍ، على رسول الله ﷺ وعلى أبي بكر»[4]، فَقَطْع ابن عباس لها بدخول الجنة لا يكون إلا بتوقيف.

كما روى البخاري والترمذي وصححه عن عبدالله بن زياد الأَسدي قال: «سمعتُ عماراً يقول: هي زوجته في الدنيا والآخرة»[5].

---

(١) فأبَدَّهُ: أعيد مَدَّ نَظَرَهُ إليه. فتح الباري (٢/١٩٢٥).

(٢) صحيح البخاري، كتاب المغازي باب مرض النبي ﷺ ووفاته، رقم (٤٤٣٨)، ورواية الحديث بلفظ وطريق آخر مذكور في كتاب «الأشعثيات» لأبي علي محمد بن محمد الأشعث الكوفي.

(٣) الفرط: الذي سبق وتقدّم.

(٤) صحيح البخاري، كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب فضل عائشة رضي الله عنها، رقم (٣٧٧١).

(٥) رواه البخاري، كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ ، باب فضائل عائشة رضي الله عنها، رقم (٣٧٧٢)، وجامع الترمذي، باب من فضل عائشة رضي الله عنها، رقم (٣٨٨٩)، وقال الترمذي هذا حديث حسن صحيح.

٩ - هي أعلم نساء هذه الأُمّة، إذ روت عن النبي ﷺ أحاديث كثيرة.

رابعاً: أم سلمة هند بنت أبي أمية (حذيفة) المخزومية القرشية، وكان أبوها يلقب «زاد الركب» لجوده، فالمسافر معه لا يحمل زاداً، وأمها عاتكة بنت عامر، كنانية من بني فراس. تزوجها رسول الله ﷺ بعد موت زوجها أبي سلمة بن عبد الأسد - وهو ابن عمها[(١)] - الذي هاجرت معه إلى الحبشة، ثُمَّ إلى المدينة، وقيل إنها أول ظعينة[(٢)] دخلت المدينة، وكانت من أجمل النساء، وأشرفهن نسباً، وكانت آخر زوجات النبي ﷺ وفاةً، فقد توفيت على الأرجح سنة واحد وستين من الهجرة.

*** ومن مناقبها:**

١ - زواج النبي ﷺ منها ودعاؤه لها، فقد روى مسلم بإسناده إلى أم سلمة أنها قالت: «أرسل رسول الله ﷺ حاطب بن أبي بلتعة يخطبني له، فقلت: إنّ لي بنتاً وأنا غيور[(٣)]، فقال ﷺ: «**أما ابنتها فندعو الله أن يغنيها عنها، وأدعو الله أن يذهب بالغيرة**»[(٤)].

٢ - أخبر ﷺ بأنها من أهل الجنَّة، حيث روى أحمد بإسناده إلى أم

(١) وهو أيضاً ابن عمة رسول الله ﷺ، فأمه أميمة بنت عبدالمطلب.
(٢) الظعينة: المرأة تكون في الهودج.
(٣) غيور: على وزن فعول يشترك فيه الذكر والأنثى، تقول: غيور للرجل والمرأة.
(٤) صحيح مسلم، كتاب الجنائز، باب ما يقال عند المصيبة، رقم(٩١٨).

سلمة رضي الله عنها قالت: أغدف (غطى) رسول الله ﷺ على عليّ وفاطمة والحسن والحسين رضي الله تعالى عنهم خميصة سوداء، ثُمَّ قال: «**اللَّهُمَّ إليك لا إلى النار أنا وأهل بيتي**». قالت: قلت: وأنا يا رسول الله. قال: «**وأنتِ**»[1].

٣ - وتظهر حكمتها جلية يوم الحديبية، لما دعا رسول الله ﷺ الصحابة فقال: «**يا أيها الناس انحروا واحلقوا**». فما قام أحد، ثُمَّ عاد بمثلها فما قام رجل، حتى عاد بمثلها فما قام رجل، فرجع رسول الله ﷺ فدخل على أم سلمة فقال: «**يا أم سلمة: ما شأن الناس؟**» قالت: يا رسول الله.. قد دخلهم ما قد رأيت، فلا تكلمن منهم إنساناً، واعمد إلى هديك حيث كان، فانحره واحلق، فلو قد فعلت ذلك فعل الناس ذلك، فخرج رسول الله ﷺ لا يكلم أحداً حتى أتى هديه فنحره، ثُمَّ جلس فحلق، فقام الناس ينحرون ويحلقون. حتى إذا كان بين مكة والمدينة وسط الطريق فنزلت سورة الفتح[2].

---

(١) مسند أحمد، ٦/٢٩٦، ٦/٣٠٤، رقم (٢٦٥٨٢)، وضعّف الشيخ شعيب الأرناؤوط إسناده، وفي رواية عن عمر بن أبي سلمة ربيب النبي ﷺ جاء فيها: قالت أم سلمة: وأنا معهم يا رسول الله؟ قال: «**أنتِ على مكانك.. أنتِ إلى خير**» حديث صحيح أخرجه الترمذي، رقم (٣٨١٢)، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي. وفي الحديث منقبة ظاهرة للسيدة أم سلمة رضي الله عنها.

(٢) وانظر الرواية بتمامها في مسند الإمام أحمد بن حنبل، ٤/٣٢٣، وعلّق عليها الشيخ شعيب الأرناؤوط بقوله: إسناده حسن.

وتلك المشورة دالة بوضوح على ما أوتيت من عقل وحسن تدبير.

خامساً: زينب بنت جحش بن رباب بن يَعْمر الأَسدي، حليف بني عبد شمس، من المهاجرات الأُوَل، وأُمُّها أُميمة بنت عبد المطلب بن هاشم عَمَّةُ رسول الله ﷺ. تزوجها النبي ﷺ سنة ثلاث أو خمس بعد الهجرة بعدما كانت زوجة لزيد بن حارثة مولى رسول الله ﷺ، الذي كان يدعى زيد بن محمد، وفي ذلك بيان حكم الزواج من زوجة الابن المتبنى، فقد تبنى رسول الله ﷺ زيد بن حارثة رضي الله عنه قبل النّبوة، فكان يُقال له زيد بن محمد، فقطع الله تعالى هذه النسبة بقوله: ﴿ٱدْعُوهُمْ لِآبَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ [الأحزاب: ٥]، ثُمَّ زاد ذلك بياناً وتأكيداً بوقوع تزويج رسول الله ﷺ بزينب بنت جحش رضي الله عنها، حتى نزلت الآية[(١)]: ﴿ٱدْعُوهُمْ لِآبَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ [الأحزاب: ٥] وفيها نزلت ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا﴾ [الأحزاب: ٣٧].

كانت زينب رضي الله عنها من سادات النساء ديناً وورعاً وجوداً، وهي أول الأمهات لحوقاً بالنبي ﷺ، حيث كانت وفاتها سنة عشرين من الهجرة.

---

(١) انظر تفسير ابن كثير لآية الأحزاب رقم(٣٧).

* ومن مناقبها:

١ - زوَّجها الله عزَّ وجل لنبيه ﷺ من فوق سبع سموات:

﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِيٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِيٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْاْ مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا﴾ [الأحزاب: ٣٧].

وكانت تفتخر على الزوجات فتقول: «زوجكن أهاليكُنَّ، وزوجني الله تعالى من فوق سبع سموات»[١].

٢ - كان زواجها سبباً لنزول آية الحجاب.

روى البخاري بإسناده إلى أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «... لما أهديت زينب إلى رسول الله ﷺ كانت معه في البيت، صنع طعاماً، ودعا القوم، فقعدوا يتحدثون، فجعل النبي ﷺ يخرج ثُمَّ يَرجع، وهم قُعود يتحدثون، فأنزل الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدْخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ وَلَٰكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَٱدْخُلُواْ فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَٱنتَشِرُواْ وَلَا مُسْتَـْٔنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي ٱلنَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِۦ مِنكُمْ

(١) صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب «وكان عرشه على الماء» رقم(٧٤٢٠).

وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْيِۦ مِنَ ٱلْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا۟ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓا۟ أَزْوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَبَدًا إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:٥٣]، فضُرب الحجاب، وقام القوم»[١].

٣ - **ثناء النبي ﷺ عليها بين أزواجه بتصدقها وإنفاقها في سبيل الله.**

روى مسلم بإسناده إلى عائشة رضي الله عنها أنها قالت: «قال رسول الله ﷺ: «**أسرعكنَّ لحاقاً بي أطولكنَّ يداً**»، قالت: فكنَّ يتطاولنَ أيتهنَّ أطول يداً. قالت: فكانت أطولنا يداً زينب لأنها كانت تعمل بيدها وتتصدق»[٢].

٤ - ومن فضائلها رضي الله عنها أنَّ عائشة رضي الله عنها قالت: «لم أرَ امرأة قط خيراً في الدين من زينب، وأتقى لله، وأصدق حديثاً، وأوصل للرحم، وأعظم صدقة، وأشد ابتذالاً لنفسها في العمل الذي تصدَّق به، وتقرَّب به إلى الله تعالى»[٣].

سادساً: جويرية بنت الحارث بن ضرار بن حبيب بن خزيمة

---

(١) صحيح البخاري، حديث رقم(٤٧٩٢)، كتاب التفسير، باب قوله تعالى: ﴿لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتَ ٱلنَّبِىِّ إِلَّآ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ﴾.

(٢) صحيح مسلم، حديث رقم: (٢٤٥٢) كتاب فضائل الصحابة باب من فضائل زينب أم المؤمنين.

(٣) رواه مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب في فضائل عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها، (٢٤٢٢).

الخزاعية المصطلقية، سبيت في غزاة بني المصطلق (الْمُرَيْسيع)[1] سنة خمس أو ست من الهجرة، فوقعت في سهم ثابت بن قيس، فكاتبها[2]، فقضى رسول الله ﷺ كتابتها، وتزوجها بعد ما كانت تحت مسافع بن صفوان المقتول في المعركة نفسها، وأعتق المسلمون بسببها مائة أهل بيت من السبي، فكانت بركتها على قومها عظيمة. توفيت سنة خمسين للهجرة.

*** ومن مناقبها:**

١ - كانت من المكثرات للعبادة، الذاكرات الله كثيراً.

روى مسلم بإسناده إلى عبدالله بن عباس، عن جويرية رضي الله عنها، أنَّ النَّبيَّ ﷺ خرج من عندها بكرة حين صلى الصبح وهي في مسجدها، ثُمَّ رجع بعد أن أضحى وهي جالسة فقال: «**ما زلت على الحال التي فارقتك عليها؟**» قالت: نعم. قال النَّبيُّ ﷺ: «**لقد قُلتُ بعدك أربع كلمات ثلاث مرات، لو وزنت بما قُلتِ منذ اليوم لوزنتهنَّ: سبحان الله وبحمده، عدد خلقه، ورضا نفسه، وزنة عرشه، ومداد كلماته**»[3].

---

(١) المُرَيْسيع: اسم بئر لخزاعة بين مكة والمدينة، وهو بضم الميم وفتح الراء وسكون الياء.

(٢) المكاتبة: هي أن يتفق السيد مع رقيقه (مملوكه) على مال يؤديه مقسطاً، فإذا أداه فهو حر.

(٣) صحيح مسلم، حديث (٢٧٢٦)، كتاب الذكر والدعاء، باب التسبيح أول النهار وعند النوم.

٢ - سمَّاها النبي ﷺ «جويرية» بعد ما كان اسمها «برة»[١].

سابعاً: أم حبيبة، رملة بنت أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف الأموية، أمها صفية بنت أبي العاص بن أمية، ولدت قبل البعثة بسبعة عشرَ عاماً، وأسلمت مع زوجها عُبيدالله بن جحش الأسدي، وهاجرا إلى الحبشة فولدت حبيبة، وتنصَّر زوجها[٢] فتمسكت بدينها ثم هاجرت، وأبدلها الله عزَّ وجل زوجاً خيراً منه. . رسول الله ﷺ، وهي أقرب نسائه إليه نسباً، حيث تلتقي معه في عبد مناف. توفيت سنة ٤٤هـ.

*** ومن مناقبها:**

١ - إكرامها فراش رسول الله ﷺ من أن يجلس عليه أبوها وهو مشرك، لما قدم لتمديد الهدنة بين المسلمين وقريش.

٢ - هاجرت الهجرة الثانية إلى الحبشة[٣].

ثامناً: صفية بنت حُيي بن أخطب بن سعية من بني النضير من ذرية هارون بن عمران، كانت تحت سَلام بن مشكم قبل إسلامها، ثُمَّ

(١) كان رسول الله ﷺ يغير الأسماء التي فيها تزكية لصاحبها امتثالاً لقوله تعالى: ﴿فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمْۖ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ﴾ [النجم: ٣٢].

(٢) ومات عُبيد الله بن جحش على النصرانية (نعوذ بالله من سوء الخاتمة)وهو الوحيد من إخوة السيدة زينب بنت جحش رضي الله عنها الذي مات على غير الإسلام.

(٣) وقد مدح رسول الله ﷺ مَنْ هاجر إلى الحبشة، وجعل لهم هجرتين. انظر صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل جعفر بن أبي طالب وأسماء بنت عميس وأهل سفينتهم رضي الله عنهم، برقم (٢٥٠٢).

خلف عليها كنانة بن أبي الحقيق، فقتل يوم خَيْبَر، ثُمَّ صارت مع السبي فأخذها دحية الكَلبي وكاتبها، وقد وفَّى النبي ﷺ كتابتها، فأعتقها وتزوجها، وجعل عتقها صداقها. توفيت سنة اثنين وخمسين من الهجرة.

*** ومن مناقبها:**

١ - زوجة نبي وابنة نبي وعمها نبي.

روى الترمذي عن أنس رضي الله عنه قال: بلغ صفية أنّ حفصة قالت: بنت يهودي. فبكت، فدخل عليها النبي ﷺ وهي تبكي، فقال: «**ما يبكيك؟**» قالت: قالت لي حفصة: إني ابنة يهودي. فقال النبي ﷺ: «**وإنك لابنة نبي، وإنّ عمك لنبي، وإنك لتحت نبي، ففيم تفتخر عليك؟**»[١] ثم قال: «**اتقي الله يا حفصة**»[٢].

٢ - وصفها النبي ﷺ بالصدق لما قالت له في مرضه: «أما والله يا نبي الله.. لوددت أنَّ الذي بكَ بي». فتغامز بها أزواج النبي ﷺ، فقال النبي ﷺ: «**أَعِبْتَنَّهَا.. فوالذي نفسي بيده إنها لصادقة**»[٣].

---

(١) أي أن أباك هارون، وعمك موسى، وأنت زوجتي، وقد روي في الترمذي (٣٨٩٢) قول الرسول ﷺ لها: «**ألا قلتِ: وكيف تكونان خيراً مني وزوجي محمد، وأبي هارون، وعمي موسى**».

(٢) جامع الترمذي، كتاب المناقب، باب فضل أزواج النبي ﷺ، رقم (٣٨٩٢).

(٣) مصنف عبدالرزاق، ١١/ ٤٣١، رقم (٢٠٩٢٢)، وطبقات ابن سعد، ٨/ ١٢٨.

تاسعاً: ميمونة بنت الحارث بن حزن بن عامر بن صعصعة الهلالية، وأمها هند بنت عوف، تزوجت مسعود بن عوف الثقفي، ثُمَّ خلف عليها أبو رهم بن عبدالعزى، فمات عنها، فزوجها العباس - وكيلها[1] - النبي ﷺ، وبنى بها بسرف قرب مكة، وكانت آخر امرأة تزوجها سنة سبع في عمرة القضاء.

*** ومن مناقبها:**

١ - شهادة النبي ﷺ لها بالإيمان.

عن ابن عباس رضي الله عنه قال: «قال رسول الله ﷺ: **«الأخوات مؤمنات.. ميمونة زوج النبي ﷺ، وأختها أم الفضل بنت الحارث، وأختها سلمى بنت الحارث امرأة حمزة، وأسماء بنت عميس أختهن لأمهن»**[2].

٢ - سمّاها رسول الله ﷺ ميمونة.

روى الحاكم بإسناده إلى ابن عباس رضي الله عنه: «كان اسم خالتي ميمونة برّة، فسماها رسول الله ﷺ ميمونة»[3].

(١) العباس بن عبدالمطلب زوج أختها أم الفضل بنت الحارث، فعلى هذا تكون السيدة ميمونة خالة عبدالله بن عباس رضي الله عنهم جميعاً.

(٢) المستدرك: ٤/ ٣٢ - ٣٣، وصححه الحاكم، ووافقه الذهبي، وقال الألباني «صحيح» كما في صحيح الجامع الصغير (٢٧٦٣)، وسلسلة الأحاديث الصحيحة (١٧٦٤).

(٣) الحديث في صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه (٢١٤١). وفي مستدرك الحاكم، ٤/ ٣٠، من طريق ابن عباس رضي الله عنه.

الدعوة في حياة أمهات المؤمنين

لقد كانت الدعوة إلى الله تعالى هي الهدف الأسمى لأمهات المؤمنين، فما من حديث قيل عند إحداهن أو رأت أي واحدة منهن النبي ﷺ يفعل شيئاً إلا وقامت بتبليغه كما سمعته، متذكرات قول النبي ﷺ: «**نضَّر الله امرءاً سمع منَّا شيئاً فبَلَّغه كما سمعه، فرب مبلغ أوعى من سامع**»(١)، ولقد امتزن - رضي الله عنهنَّ - بسعةِ العلم والفقه في الدِّين، فتعلَّم الفقهاء منهنَّ أحكاماً كانت نافعةً للناس كافة، وحكت لنا كتب السير عن أمهات المؤمنين مواقف تدل على بذلهنَّ للنصيحة، وأمرهن بالمعروف، ونهيهنَّ عن المنكر. وهذه بعض النماذج التي تدل على ذلك:

*** خديجة بنت خويلد:**

لا نذهب بعيداً إذا قلنا إن من أسباب نجاح الدعوة إلى الله تعالى في أول عهدها كان بسبب خديجة رضي الله عنها، فهي أول من آمنت برسول الله ﷺ، ونصرته بمالها ونفسها، فكانت نِعمَ الزوجة التي تربط على قلب رسول الله ﷺ مع بزوغ فجر الوحي، ولذلك فقد عنها رسول الله ﷺ متذكراً لجميلها: «**لقد آمنت بي حين كَفَر بي الناس، وصدَّقتني حين كذَّبني الناس، وأشْرَكَتني في مالها حين حَرَمني الناس**»(٢). لقد كانت - رضي الله عنها - لها القدم الراسخة في نشر دين الله، فرضي الله عنها وأرضاها.

---

(١) صحيح الجامع الصغير، رقم (٦٧٦٤).
(٢) انظر الاستيعاب لابن عبدالبر، ١/٥٨٩.

*** عائشة بنت أبي بكر الصديق:**

وتلكم السيدة عائشة الصديقة بنت الصديق، تحفظ عن رسول الله ﷺ العديد من الأحاديث لتبثها في الناس، فيتعلَّم منها الفقهاء والعلماء، وأكثر الناس الأخذ عنها، فنقلوا عنها من الأحكام والآداب شيئاً كثيراً، حتى قيل: إن ربع الأحكام الشرعية منقول عنها - رضي الله عنها - ولقد أثنى العلماء من الصحابة والتابعين على عائشة - رضي الله عنها -، وعلمها، فقد قال مسروق: رأيتُ مشيخة من أصحاب رسول الله ﷺ الأكابر يسألون عائشة - رضي الله عنها - عن الفرائض، وكان إذا حدَّث عنها يقول: حدثتني الصديقة بنت الصديق حبيبة حبيب الله، المبرأة من فوق سبع سموات، فلم أكذبها[١].

ويقول عطاء بن أبي رباح: كانت عائشة أفقه الناس، وأعلم الناس، وأحسن الناس رأياً في العامة.

ويقول هشام بن عروة عن أبيه: ما رأيتُ أحداً أعلم بفقه ولا بطب ولا بشعر من عائشة[٢].

وقال عبدالله بن عبيد بن عمير: أما إنه لا يحزنُ عليها إلا من كانت أمه[٣].

---

(١) سير أعلام النبلاء، ٢/ ١٨١.
(٢) عاطف صابر شاهين، نساء حول الرسول، ط. دار الغد، (المنصورة)، ص٦٦.
(٣) سير أعلام النبلاء، ٢/ ١٨٥.

ومن دعوتها - رضي الله عنها - لغيرها، دخلت عليها حفصة بنت عبدالرحمن بن أبي بكر وعليها خمار رقيق يَشِفُّ عن جبينها، فشقته عائشة عليها وقالت: أما تعلمين ما أنزل الله في سورة النور؟! ثُمَّ دعت بخمار فَكَسَتْها.

وكانت تعظ النساء فتقول: «يا معشر النساء.. اتّقين الله ربكن وبالغن في الوضوء، وأقمن صلاتكن، وآتين زكاتكن طيبة بها أنفسكن، وأطعن أزواجكن في ما أحببتن أو كرهتن».

وكانت تقول: «خليفة الله تعالى على المرأة زوجها، فإذا رضي عنها زوجها رضي الله عنها، وإذا سخط عليها زوجها سخط الله عليها وملائكته؛ لأنها تحمل زوجها على ما يحلُ لها». ومن قولها: «من حق الزوج على المرأة أن تلزم فراشه وتتجنب سَخطه، وتتبع مرضاته، وتوفر كسبه، ولا تعصي له أمراً، وتحفظه في نفسها»[1].

*** زينب بنت جحش:**

لقد تبوأت زينب بنت جحش - رضي الله عنها - منزلة العالمات العاملات الواعظات الناصحات لكل مؤمن ومؤمنة في العمل بسنة النبي ﷺ في حياته وبعد مماته، حفظت سمعها وبصرها عمّا يغضب الله تعالى، فلما سألها النبي ﷺ عن السيدة عائشة - رضي الله عنها - في حديث الإفك، قالت: «أحمي سمعي وبصري، ما علمت عليها إلا خيراً».

(١) المصدر السابق، الصفحة نفسها.

*** ميمونة بنت الحارث:**

لقد نقلت أم المؤمنين ميمونة بنت الحارث، للأمة بعض أحاديث رسول الله ﷺ المتعلّقة بالأحكام الفقهية، مثلما حدث في يوم عرفة، حيث شكّ الناس هل النبي ﷺ صائم أم مفطر في ذلك الموقف، فأرسلت إليه بحلاب وهو واقف في الموقف فشرب منه والناس ينظرون[١].

ترتيب أمهات المؤمنين

من حيث روايتهنَّ للحديث النَّبويّ الشريف[٢]

١ - السيدة عائشة بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنها:

روت ألفان ومائتي حديث وعشرة أحاديث (٢٢١٠)، اتفق لها البخاري ومسلم على مائة وأربعة وسبعين حديثاً، وانفرد البخاري بأربعة وخمسين حديثاً، وانفرد مسلم بتسعة أحاديث، وروى لها أحمد في «مسنده» أكثر من ألفي حديث.

---

(١) انظر الحديث في صحيح مسلم، كتاب الصوم، باب صوم يوم عرفة، رقم (١٩٨٩).

(٢) سيكون تركيزنا في إيراد مرويات كل واحدة من أمهات المؤمنين رضي الله عنهن على خمسة مصادر رئيسة: أسماء الصحابة الرواة لابن حزم، وتلقيح فهوم أهل الأثر لابن الجوزي، وسير أعلام النبلاء لشمس الدين الذهبي، ومخطوط جزء فيه ما لكل واحد من الصحابة من الحديث لبقي بن مخلد الأندلسي، وكتاب «نساء في ظل رسول الله ﷺ» للشيخ عرفان العشا حسونة الدمشقي.

٢ - السيدة أم سلمة رضي الله عنها:

ذكر الذهبي أن مسندها يبلغ ثلاث مائة وثمانية وسبعين حديثاً (٣٧٨)، اتفق البخاري ومسلم على ثلاثة عشر حديثاً، وانفرد البخاري بثلاثة، وانفرد مسلم بثلاثة عشر.

٣ - السيدة ميمونة بنت الحارث رضي الله عنها:

قال الذهبي: روي لها سبعة أحاديث في الصحيحين، انفرد لها البخاري بحديث، ومسلم بخمسة، وجميع ما روت ثلاثة عشر حديثاً (١٣)».

وقال الشيخ المحقق عرفان العشا: «حديثها أكثر من ذلك، فقد روى لها أحمد، وحديثها في المسند يبدأ بالرقم (٢٦٨٥٨/ ١٠)، وينتهي بالرقم (٢٦٩٢١/ ١٠)».

وفي كتاب «أسماء الصحابة الرواة» روت ستة وسبعين حديثاً، ونقل المحقق في حاشية الكتاب المذكور كلام كحالة في «أعلام النساء» قال: وفي مطالع الأنوار أنها روت (٧٧) حديثاً، وفي الكمال في معرفة الرجال أنها روت (٤٦) حديثاً، وفي مجموعة رقم (٣٢) من مخطوطات دار الكتب الظاهرية أنها روت (٧٩) حديثاً[1].

(١) أسماء الصحابة الرواة، حاشية ص ٦٨.

٤ - أم حبيبة بنت أبي سفيان رضي الله عنهما:

في أسماء الصحابة الرواة أنها روت خمسة وستين حديثاً (٦٥)، وكذلك ما ذكره ابن الجوزي في «تلقيح فهوم أهل الأثر»[١].

وهذا أيضاً ما ذكره الذهبي: «مسندها خمسة وستون حديثاً (٦٥)»[٢] اتفق لها البخاري ومسلم على حديثين، وتفرَّد مسلم بحديثين.

٥ - حفصة بنت عمر بن الخطاب رضي الله عنهما:

ذكر ابن حزم في «أسماء الصحابة والرواة» أنها روت ستين حديثاً (٦٠)، وكذلك ذكر ابن الجوزي في «تلقيح فهوم أهل الأثر»[٣].

قال الذهبي: «وسندها في كتاب بقي بن مخلد ستون حديثاً (٦٠)»[٤].

اتفق لها الشيخان على أربعة أحاديث، وانفرد مسلم بستة أحاديث.

---

(١) أسماء الصحابة الرواة، ص ٧٢، وتلقيح فهوم أهل الأثر لابن الجوزي، ٣٦٥.

(٢) نساء في ظل رسول الله ﷺ، ص ٢٠٨.

(٣) أسماء الصحابة الرواة ص ٧٥، وتلقيح فهوم أهل الأثر ٣٦٥.

(٤) سير أعلام النبلاء، ٢/ ٢٢٧ - ٢٣٠، وقال الشيخ عرفان العشا: إن مسند بقي ابن مخلد مفقود، وانظر للإفادة حاشية ص ١٢٤ من نساء في ظل رسول الله.

وقال الشيخ عرفان العشا: «وقد روى لها أحمد في «المسند» أربعة وأربعين حديثاً بدءاً بالرقم(٢٦٤٨٥) وإلى الرقم (٢٦٥٢٩/ ١٠)»[١].

٦ - زينب بنت جحش رضي الله عنها:

ذكر ابن حزم[٢] وابن الجوزي[٣] أنها روت أحد عشر حديثاً (١١).

قال الشيخ عرفان العشا: «وحديثها في مسند الإمام أحمد من الرقم (٢٦٨١٣ - ٢٦٨١٦/ ١٠) و(٢٧٤٨٣ - ٢٧٤٨٦/ ١٠). والترمذي (٢١٨٧)، وابن أبي شيبة (١٩٠٦١)، وابن حبان (٨٢٧)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٩٣/ ١٠)، والبغوي في «شرح السنة» (٤٢٠١).. وغيرهم»[٤].

كما روى لها «مالك في موطئه» (١٢٦٨)... والنسائي (٣٥٠٠)[٥].

---

(١) نساء في ظل رسول الله ﷺ، ص ١٢٤.
(٢) أسماء الصحابة الرواة، ص ١٥٣.
(٣) تلقيح فهوم أهل الأثر، ص ٣٦٩.
(٤) نساء في ظل رسول الله ﷺ، ص ١٨٦.
(٥) نساء في ظل رسول الله ﷺ، ص ١٨٦.

٧ - صفية بنت حُيي بن أخطب رضي الله عنها:

ذكر ابن حزم[١] وابن الجوزي[٢] أنها روت عشرة (١٠) أحاديث.

وقال الذهبي: «ورد لها من الحديث عشرة أحاديث، منها واحد متفق عليه»[٣].

وحديثها عند البخاري (٢٠٣٥)، ومسلم (٢١٧٥)، وأحمد (٢٦٩٢٧/ ١٠) و(٢٦٩٢٩/ ١٠)[٤].

٨ - جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار رضي الله عنها:

ذكر ابن حزم[٥] وابن الجوزي[٦] أنها روت سبعة أحاديث (٧)، وهو ما ذكره الذهبي أيضاً، وفصل فقال: «جاء لها سبعة أحاديث، منها عند البخاري حديث، وعند مسلم حديثان»[٧]، وأضاف الشيخ عرفان العشا: «وحديثها عند أحمد في «المسند» (٢٦٨١٧ - ٢٦٨٢٠/ ١٠)، وفيه غير الذي ذُكر»[٨].

---

(١) أسماء الصحابة والرواة، ص ١٥٥.
(٢) تلقيح فهوم أهل الأثر، ص ٣٦٩.
(٣) سير أعلام النبلاء ٢/ ٢٣٨.
(٤) فصَّل ذلك الشيخ عرفان العشا في نساء في ظل رسول الله ﷺ، ص ٢٣٩.
(٥) أسماء الصحابة الرواة، ص ١٩٥.
(٦) تلقيح فهوم أهل الأثر، ص ٣٧١.
(٧) سير أعلام النبلاء ٢/ ٢٦٣.
(٨) نساء في ظل رسول الله ﷺ، ص ٢٠٠.

٩ - سُودة بنت زمعة رضي الله عنها:

ذكر ابن حزم[١] وابن الجوزي[٢] أنها روت خمسة أحاديث (٥)، روى لها البخاري رقم (٦٦٨٦، ٦٧٤٩)، ومسلم رقم ١٤٥٧، وأحمد في مسنده (٢٧٤٨٨/ ١٠) و(٢٧٤٨٧/ ١٠) و(٢٧٤٨٩/ ١٠) و(٦١٢٧/ ٢)، وروى لها النسائي رقم (٣٤٨٥).

أما السيدة خديجة بنت خويلد والسيدة زينب بنت خزيمة - رضي الله عنها - فليس لواحدة منهما رواية.

وهذا ما أمكن جمعه في بيان مرويات أمهات المؤمنين من الحديث رضوان الله عليهن، لبيان ما بذلن في نشر حديث رسول الله ﷺ[٣].

---

(١) أسماء الصحابة الرواة، ص ٢٢٢.

(٢) تلقيح فهوم أهل الأثر، ص ٣٧٢.

(٣) كل الاقتباسات السابقة من كتاب (شذى الياسمين)، إصدارات مبرة الآل والأصحاب، دولة الكويت.

جدول يبين ترتيب أمهات المؤمنين
من حيث روايتهن للحديث النبوي الشريف

أمهات المؤمنين	المرويات عند ابن حزم	المرويات عند ابن الجوزي	المرويات عند بقي بن مخلد	المرويات عند الذهبي
١ - السيدة/ عائشة بنت أبي بكر الصديق	٢٢١٠	٢٢١٠	٢٠٥٥	٢٢١٠
٢ - السيدة/ أم سلمة	٣٧٨	٣٧٨	-	٣٧٨
٣ - السيدة/ ميمونة بنت الحارث	٧٦	٧٦	٧٦	١٣
٤ - السيدة/ أم حبيبة بنت أبي سفيان	٦٥	٦٥	٦٥	٦٥
٥ - السيدة/ حفصة بنت عمر بن الخطاب	٦٠	٦٠	٦٠	٦٠
٦ - السيدة/ زينب بنت جحش	١١	١١	١١	١١
٧ - السيدة/ صفية بنت حيي بن أخطب	١٠	١٠	١٠	١٠
٨- السيدة/ جويرية بنت الحارث	٧	٧	-	٧
٩ - السيدة/ سودة بنت زمعة	٥	٥	٥	٥

الباب الثامن

الأسرة والمهام التربوية

الفصلُ الأول

أسس تربية الفرد في الأسرة

١ - الأساس العقدي في تربية الفرد في الأسرة.

٢ - الأساس البيئي في تربية الفرد في الأسرة.

٣ - وسائل التربية عند الفتن.

الأساس العقدي في تربية الفرد في الأسرة

أجمع المسلمون قاطبة، في كل العصور، على أن مصادر التلقي في مجال التربية العقدية هي الكِتَاب والسُّنَّة وما أجمعت عليه الأمة، وما يلحق بهذه المصادر من علوم أخرى يلزم بالمسلم أن يُلِمَ بها أو يعلمها، وما يتفرّع من ذلك كله من علوم أخرى.. بعضها يعتبر فرض كفاية، وبعضها فرض عين.

وابتداء فإن كتاب ربنا سبحانه وتعالى ملزم لكل المسلمين في الرضا بحكمه، والنزول على قوله، والاعتصام به، وقبول تحكيمه، وهذا هو دليل الإيمان، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٥٢﴾﴾ [النور: ٥١-٥٢].

وعلى المربِّين في كل وقت وحين أن يجعلوا علوم القرآن ضمن الأصول الواجب تعليمها، وأول العلوم القرآنية «علم التلاوة»، ويدخل في هذا العِلْم علما «التجويد»، و«أدب التلاوة».

ومن علوم القرآن: علم القراءات، حيث أن القرآن الكريم استوعب في مجال القراءة لهجات العرب المختلفة، وطرائقهم في النطق، وقد أجمع العلماء على أن القراءة الصحيحة هي التي توفرت فيها ثلاثة شروط:

- ١ - النقل المتواتر عن رسول الله ﷺ.
- ٢ - موافقة الرسم العثماني للمصحف.
- ٣ - انطباق القراءة على وجه من أوجه العربية.

وأهم الكتب المؤلفة في هذا المجال «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري.

ولقد نشأ مع القرآن الكريم ثلاثة علوم:

- ١ - علم الناسخ والمنسوخ.
- ٢ - علم أسباب النزول، وأمكنة النزول.
- ٣ - علم غريب القرآن.

ومن أقرب المراجع فيما سبق: «الناسخ والمنسوخ» لابن حزم، و«لباب النقول في أسباب النزول» للسيوطي، و«كلمات القرآن.. تفسير وبيان» لمفتي الديار المصرية سابقاً محمد حسنين مخلوف.

إن على المربي الواعي لأهمية مصادر التربية أن يحيط تلامذته والمتعلمين عموماً بهذه العلوم، ويستحسن أن تكون في كتابٍ واحد تشمل: رسالة في التجويد، وآداب حمل القرآن، وأسباب النزول، والناسخ والمنسوخ، وغريب القرآن.

ولقد نشأت علوم أخرى، متّصلة بما سبق، فمنذ عصر الصحابة رضي الله عنهم نشأ عِلْم تفسير القرآن الكريم، ثُمَّ نشأت الدراسات القرآنية، وتم تأليف كتب حول قصص القرآن الكريم، وإعرابه،

وإعجازه، وأحكامه.. وغيرها من التآليف. كما أُلِّفت معاجم القرآن الكريم، وترجمة معانيه، وربما يكون أبرز ما تم تأليفه في هذه المواضع «الاتقان في علوم القرآن» للسيوطي، ومن المعاجم المطبوعة «المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم» لمحمد فؤاد عبدالباقي.

وعلى المربِّينَ أن تكون لهم وصاياً ثلاث لطلبتهم، هي:

١ - أن يُديمَ الطالب تلاوة القرآن الكريم، وأن يكون له ورد يومي في حدود جزء - كحد أدنى - حتى إذا انقضى الشهر يكون انتهى من تلاوته كله، وختم القرآن.

٢ - أن يُحاولَ حفظ شيء من القرآن الكريم أو حفظه كله.

٣ - أن يتعوَّدَ الرجوع إلى كلام المفسرين.

ويحتاج المسلم إلى تفسير مختصر، يعتمد على المأثور حتى يتضح له أقوال السلف، مثل تفسير «ابن كثير»، ويحتاج إلى تفسير معاصر مثل «في ظلال القرآن»، ويمثل الأخير محاولة جديدة لإعطاء النصوص مدلولاتها التربوية، وربطها بواقع الحياة المعاصرة؛ وإبراز جمالها وجلالها، واستعلائها وكمالها، وبالتالي فهو كتاب يمثل أداة تربية قرآنية لا مثيل له.

من جهة أخرى، هناك المصدر الثاني وهو «السُّنَّة» النبوية المطهرة، فالقرآن الكريم لا يفهم فهماً تطبيقياً دون السُّنَّة، لأن

الرسول ﷺ هو المظهر العمليّ للقرآن الكريم، فعن عائشة بنت أبي بكر الصديق - رضي الله عنهما - عندما سُئِلَت عن خُلق الرسول ﷺ قالت: «كان خلقه القرآن»[١].

والسُّنَّة واجبة، فلا يسع مسلم أن يتجاوزها، وهي تعني عند الأصوليين: «ما نُقل عن النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير»، وذلك لأن علماء الأصول هم الذين بحثوا عن رسول الله ﷺ المشرّع الذي يضع القواعد، ويوضِّح للناس دستور الحياة.

وقد حُفظت السُّنَّة في عصر الرسول ﷺ، وحفظها لا يرقى إليه شك للأسباب الآتية:

١ - أن الرسول ﷺ كان يعيد - عادة - الكلمة ثلاثة لتُعقل عنه.

٢ - تربية أصحابه جميعاً على الصدق.

٣ - حرص الصحابة، وخوفهم من التقوّل.

٤ - سهولة افتضاح أمر من يكذب عليه وقتذاك، لأن المراقبين كُثُر حوله، وهم المراقبون لأحواله، والمرافقون له في حله وترحاله.

٥ - قوة حفظ نادرة عند العرب والتي كانت مضرب المثل.

وقد ظل هذا حتى جاء القرن الثالث الهجري، وهو العصر الذهبي لخدمة الحديث بما حفل من مدققين وجامعين ومؤلفين.

---

(١) رواه أحمد وأبو داود.

من هنا فإن على المربي أن يجعل طلابه يُلِمُّونَ بطرقٍ من علوم السُّنَّة ومظانها، وعلوم مصطلح الحديث، حتى يكونوا على بينة من المصدر الثاني للتربية.

ومن الكتب التي ينصح بها ذوو الخبرة والتجربة في هذا المجال - خاصة وأن الإلمام بالسُّنَّة وعلومها يعتبر من فروض الكفاية - كتاب «الأربعين النووية» ويحفظها إن أمكن، وكتاب «الأذكار» للنووي، أو «رياض الصالحين» أو هما معاً.

إن التربية العقدية التي يتفيأها المرء تحتاج إلى فنون كثيرة، منها فن الاختيار حسب طبائع النفس البشرية ما بين تقديم وتأخير، ومعرفة مفاتيح المتعلم وما يستطيع هضمه في وقت دون وقت، ومراعاة هذه القدرات جديرة بأن تكون الثمار طيبة، فضلاً عن مراعاة التدرج وهو السمة التي ينبغي أن يركز عليها المربون، وذلك كله في إطار الرفق.. والرحمة، وإعطاء القصص دورها في التأثير، مع ضرب المثال بالماضي القريب أو البعيد، وإيراد الشواهد الكثيرة عند ذكر «المعلومة» حتى تؤكدها، ولا بأس أن تكون هناك أسئلة في نهاية كل مرحلة.

وقد لاحظ بعض المربِّين أن جرعات البناء العقدي لا يتم تقديمها إلا في صورة جافة أو محفوظات قد تولِّد السأم عند الناشئة الذين لا يدركون المرامي البعيدة لمفردات المنهج العقدي.

لكن هناك بعض الكُتّاب الذين تميّزوا بعرض مسائل العقيدة

بأسلوب يتَّسم بالسهولة واليُسْر، منهم: الأستاذ/ صلاح شادي، وهو أحد كبار التربويين في القرن العشرين، فقد نهج نهجاً مختلفاً لكل ما درج عليه المربون من قبل، فعلى مدى ثلاث سنوات كان يقدم جرعة ثقافية توعوية كل شهر في مجلة «الدعوة» القاهرية بعد الافتتاحية مباشرة، وهذه الجرعة تشمل الحديث عن أسماء الله تعالى وصفاته، ومفاهيم الألوهية والربوبية والحاكمية، وذلك في صورة دروس متدرجة غير مسبوقة من الشرح، وبسط القول، بطريقة وجدانية بعيدة عن الاختصار المخل والتقعيد الصعب.

إن من ثمار التربية العقدية توليد معاني الأخوة الحقيقية في الله تعالى، وما ينجم عن ذلك من معاني الحب، الذي عناه إمام العربية في العصر الحديث الأستاذ/ مصطفى صادق الرافعي في قوله: «لا يبلغ الحب بين محبين مداه، حتى يقول أحدهما للآخر: يا أنا»، وهذا الذي جاء به الحديث عن رسول الله ﷺ: «**إن من عباد الله ناساً ما هم بأنبياء ولا شهداء، يغبطهم الأنبياء والشهداء يوم القيامة بمكانهم من الله، على غير أرحام بينهم، ولا أموال يتعاطونها، فوالله إن وجوههم لنور، وإنهم لعلى نور، لا يخافون إذا خاف الناس، ولا يحزنون إذا حزن الناس**»، ثم قرأ: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [يونس: ٦٢][1].

---

(١) رواه أبو داود.

ومن ثمار هذه التربية تحرير الولاء لله ولرسوله وللمؤمنين، وموالاة المؤمنين، والتعاون فيما بينهم، والإيثار والتداعي عند النوازل، وإغاثة الملهوف، وإطعام المساكين.

ومن آثارها أيضاً: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والدفاع عن الدِّين، وعدم الترخُّص في محارمه، والحفاظ على العرض والمال والنفس، والسعي لإقامة المجتمع المتماسك الذي يتحلَّى بالأخلاق النبيلة والبُعد عن الشبهات، وغير ذلك من الفضائل التي يأمر بها الدِّين، وتمسَّك بها المؤمنون جيلاً إثر جيل.

وهناك ملاحظات جديرة بطرحها هنا إزاء المربِّين الذين يقومون بالتربية العقدية، ومن أهمها:

أولاً: للتدين الحق مقياسان:

أ - مقياس الاستجابة لمطالب المنهج ومقتضياته.

ب - مقياس الطاقة والوِسع.

وكلا المقياسين مترابطان متكاملان.

وهذان المقياسان ضروريان - اليوم - للابتعاد عن ثقافة العنف والغلو، وبالتالي فعلى المربين مراعاة هذين المقياسين حتى تكون الثمار يانعة، وذات فائدة.

ثانياً: ما أجمل الشيء الوسط في كل شيء:

لا إفراط ولا تفريط، ولا غلو ولا تفلّت، ولنا في سيرة الرسول ﷺ وهو نموذج لِقِمَّةِ «الكمالات».. عملاً وسلوكاً، فكيف نبتعد عن هذا المنهج السامق والناجح؟

ثالثاً: إن قوام الدين وعماده حقائق ثلاث:

١ - حقيقة الغلو والعصمة في مصدري التلقي: الكِتَاب والسُّنَّة، ومن المقطوع به عدم ورود أي دعوة للغلو فيهما، بل فيهما ما هو نقيض الغلو، أي الدعوة إلى التوسط، والنهي عن الغلو.

٢ - حقيقة وضوح المنهج.

٣ - حقيقة الاستقامة على هذا المنهج.

ومن المنهج أن نعلم أن الغلو شقوة وعنت، ومن المنهج كذلك أن الإسلام ما جاء لكي يشقى الناس ولا يضيق عليهم بالشدة، بل جاء لراحتهم وسعادتهم والتيسير عليهم.

قال ابن كثير - في التفسير - «أي نسهّل عليك أفعال الخير وأقواله، ونشرع لك شرعاً **سهلاً سمحاً مستقيماً عدلاً**، لا اعوجاج فيه، ولا حرج، ولا عسر».

وعلى الرغم من وضوح المنهج،فإن تاريخ التَدَيّن وحاضره قد أُصيبا بآفتين مهلكتين:

١ - آفة الإعراض عن هدي الدِّين، أو التفلت منه.

٢ - آفة الإيغال في الدِّين بغير رفق ولا سكينة، ولا اعتدال ولا لطف، وذلك إما في الفهم والاعتقاد، وإما في العمل والسلوك.

من هنا فإن التربية العقدية القائمة على مراعاة الملاحظات السابقة، أحرى أن تكون ثمارها - فعلاً - في المستوى المطلوب لأولادنا، ولمخرجات العملية التربوية العقدية كافة، وبذلك - وحده - نقفل على روافد الغلو منافذه - منذ بواكير النمو - فلا نحتاج بعد ذلك إلى لجان، وفرق عمل، لمواجهة الانحراف الفكري الذي قد يعصف بأمتنا،ويبدّد برامج التنمية.

* * *

الأساس البيئي في تربية الفرد في الأسرة

«البيئة» . . ذلك المورد الطبيعي الذي حبا الله به الكرة الأرضية، لعيش آمن ورغد. إنها مفهوم شامل وواسع يحتوي الهواء والمياه في البحار والمحيطات، إلى المسطحات الخضراء والمزروعات وكافة الكائنات البرية والبحرية والجوية.

«البيئة» ذلك العالم الذي لَمْ يَعُد مورداً فحسب، بل أصبح مقوّماً رئيساً من مقومات الحياة على كوكب الأرض، لذا بات على بني البشر السعي الحثيث نحو المحافظة على هذا المورد، وذلك المقوم.

وفي هذا الإطار تُبذل جهوداً طيبة ومتواصلة على كافة الأصعدة. . المحلية والإقليمية والدولية . . جهوداً فردية أو مؤسساتية أو حكومية، وذلك بعدما استشعر الجميع عواقب الإفراط في التعاطي مع المفردات البيئية، والتفريط في تلك الثروات الطبيعية.

ودولة الكويت كونها دولة نفطية، تشهد العديد من الصناعات المترتبة على ذلك، بالإضافة إلى امتلاكها تلك السواحل والجزر، وهذا الحجم من المياه الإقليمية -ناهيك عن حركة التنمية والتطور الإنساني والعمراني والحضاري - بلا شك تأثرت بيئتها بسبب أو بآخر. من أجل ذلك ذهبت الكويت بعيداً في اهتمامها البيئي، وأولته مزيداً من الاهتمام والرعاية، ووضعت الاشتراطات والمعايير والقوانين البيئية، وألزمت الجميع بها.

وتحرص دولة الكويت على المشاركة في احتفالات «اليوم الإقليمي للبيئة»، تأكيداً منها على إعلاء هذا المفهوم وتأصيله.. ليس فقط محلياً، وإنما انطلقت به نحو إقليمها الخليجي، وتفاعلت مع شقيقاتها دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية.

وفي واقع الأمر فإن التلوث لا يعترف بحدود جغرافية، وحماية البيئة مسؤولية مشتركة تحتاج إلى تضافر الجهود على المستوى الإقليمي والدولي، وهذا الأمر يتطلَّب بناء القدرات البشرية، وتعزيز الجهات المؤسساتية، ووضع آليات فنية لتنفيذ الاتفاقات الدولية والإقليمية لحماية البيئة.. ذلك المورد الطبيعي والبشري، بالإضافة إلى تبادل الخبرات والمعلومات ذات العلاقة بالشأن البيئي، الذي أصبح هاجساً مشتركاً لكافة الدول النامية والمتقدمة على السواء.

وقبل الحديث عن البيئة والمنطلقات العامة للتربية وعلاقاتهما التبادلية، وما يضم هذه العلاقة من الحديث عن التربية المستدامة، والحديث عن الطاقة وتغير المناخ وغيرها.. قبل الحديث عن ذلك، لا بد من الإشارة - ولو باختصار - إلى الفاجعة التي سبّبها الاحتلال العراقي الآثم لدولة الكويت في الثاني من أغسطس عام ١٩٩٠م، والذي ينم عن حقد دفين، وقد بلغت آثار ذلك الاحتلال تدمير البيئة الكويتية، وقتل الأحياء البرية والبحرية والأعشاب المائية - مثل قتل الأبرياء من الناس - وحرق أكثر من

تسعمائة بئر من آبار النفط الكويتية، والتي ظلت مشتعلة منذ أواخر الاحتلال إلى أن جاء التحرير - بفضل الله عز وجل - وبدأ إطفاء هذه الآبار التي تسببت نيرانها بتكوين سحب سوداء كانت تغطي سماء المنطقة، ووصل مداها إلى شرق القارة الآسيوية في ماليزيا وأندونيسيا، وأطفئ آخر بئر في السادس من نوفمبر ١٩٩١م.

إن هذا العدوان على البيئة ضم الاعتداء على البر والبحر والهواء.. وعلى الإنسان والحيوان والنبات.. في حادثة لم يسجل التاريخ لها مثيلاً.

وعلى المُربِّينَ الذين يتولّون تعليم الناشئة قضايا البيئة، أن يسردوا هذا الاعتداء ومظاهره على الثروة الزراعية والسمكية.. وعلى الهواء نفسه، ليدرك الناشئة حجم هذا العدوان الغشوم، ويقارنوا ذلك بما هو قائم الآن، حتى يعرفوا حقيقة النعم التي يرفلون فيها، بعد زوال العدوان، وزوال الطغمة الحاكمة التي دبّرت هذا العدوان ووجهته إلى الكويت.

ولعل المُربِّينَ يسردون جملة من الدروس في هذا المجال، من أهمها:

١ - الوطن لم يقصر مع بنيه، ومن ثم فعلى الأبناء عدم التقصير مع الوطن.

٢ - الحفاظ على البيئة والممتلكات العامة واجب على الجميع.

٣ - من حُسْنِ إسلام المرء مراعاة الجوانب التربوية في قضايا البيئة ، من عدم تلويث المصادر الطبيعية، وتأمين المحميات من إلحاق الأذى بها، وما تضمنها من حيوانات ونباتات فريدة، وعدم رمي الفضلات في الشوارع، وإزاحة الأذى عن الطريق، وتكوين فرق التطوع لتنظيف البيوت والشوارع والضواحي، خاصة تلك التي تطل على البحر، ومراقبة ناقلات النفط ومحاسبتها على رمي بقاياها في الخليج، مع الالتزام التام بكافة اللوائح والمواثيق التي قررتها المنظمات الدولية والإقليمية.

الأصول البيئية للتربية

وحتى نساهم في التوعية البيئية لدى الأسرة ليتعزز لديها مفهوم حماية البيئة ابتداءً من الفرد، نستعرض فيما يلي صوراً للأصول البيئية للتربية، مع سرد نماذج واقعية وعملية لها، لتكوين الثقافة الفردية والأسرية حول البيئة وحمايتها.

* دمج مبادئ التنمية المستدامة في سياسات البلدان وبرامجها القطرية:

لقد أحرز كثير من بلدان المنطقة تقدماً في التصدي لتحديات التنمية المستدامة، فقد أنشئت عدداً من المحافل السياسية على المستوى الإقليمي لتحسين التحكيم، وتحديد الأهداف ومجالات العمل ذات الأولوية، ولاعتماد نهج متكامل في التنمية المستدامة،

منها مثلاً، المبادرة العربية للتنمية المستدامة في عام ٢٠٠٢م، وإعلان أبو ظبي عن البيئة والطاقة في عام ٢٠٠٣م، وأثناء ذلك حصلت تحسنات ملموسة في السياسات المائية وقضايا الحكم المتعلقة بالمياه، تجلّت في تنسيق وإدماج أفضل للجهود بين مختلف المؤسسات وأصحاب المصلحة، بما في ذلك شراكات بين منظمات القطاعين العام والخاص. ومع ذلك فإن تحقيق الاستدامة البيئية يستلزم مزيداً من الجهود لحماية الموارد وحفظها، لاسيما موارد الطاقة والمياه والتربة، لزيادة كفاءة استخدام موارد الطاقة والمياه غير المتجددة، وتصحيح أوجه القصور والاختلال في السوق، من خلال إدخال الحسابات البيئية في الحسابات القومية.

وسوف نسرد في الصفحات القادمة بعض المفردات البيئية أو ذات العلاقة بقضايا البيئة، مثل مفاهيم الطاقة، وإدارة الموارد المائية وحمايتها، ومناطق الغابات والمحميات، وتغير المناخ، وأثر طبقة الأوزون عليه.. وغير ذلك.

إن هذه المفاهيم ذات المدلول البيئي تحتاج إلى بسط أكثر تركيزاً، وهذا هو الذي سوف نطالعه في الصفحات القادمة، بما يحقق العلاقة التبادلية بين قضايا البيئة وقضايا التربية.

* إمكانية الحصول على الطاقة وكفاءة الطاقة:

تتوفر لدى المنطقة العربية موارد ضخمة من الطاقة تشمل الوقود الأحفوري القابل للنفاد (النفط والغاز)، وموارد متجددة غير قابلة للنفاد، خاصة الموارد الشمسية والريحية، ومع ذلك فإن عدة بلدان في المنطقة ليس لديها أية موارد من النفط أو الغاز، أو ما هو متوفر لديها منهما محدود جداً، ورغم موارد الطاقة الضخمة هذه، لم تكن الكهرباء متوفرة إلا لـ ٧٩ في المائة من سكان المنطقة العربية في عام ٢٠٠٣م، وكانت هذه النسبة تتراوح بين ما يقارب ١٠٠ في المائة في دول مجلس التعاون الخليجي العربية، وأقل من ٨ في المائة في عدد من أقل البلدان نمواً، ونتيجة لذلك.. لم تكن الكهرباء متوافرة لدى نحو ٦٤ مليون شخص في البلدان العربية، بحوالي ٢١ في المائة من مجموع سكان المنطقة العربية، ومعظمهم في المناطق الريفية، في حين كان ٦٠ مليوناً آخرين، بنحو ٢٠ في المائة يعانون من نقص شديد في الإمدادات، في المناطق الريفية، والمناطق الحضرية الفقيرة على السواء. وفي أثناء ذلك، كان خُمس سكان المنطقة العربية يعتمدون على الوقود غير التجاري في تلبية احتياجاتهم اليومية من الطاقة، خصوصاً في أقل البلدان العربية نمواً[1].

ونظراً لتركيز الاتجاهات الحالية على الإدارة المستدامة لقطاع

(١) المصدر هو مجموعة مراجع حديثة من وكالات الأمم المتحدة مثل الأسكوا، منظمة الأغذية والزراعة، برنامج الأمم المتحدة للبيئة، منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة، منظمة الصحة العالمية، بتصرف.

الطاقة، راجعت بلدان المنطقة سياساتها وبرامجها في مجال الطاقة، لتشمل رفع مستوى إنتاج الطاقة وزيادة كفاءة الاستهلاك بزيادة استخدام الوقود النظيف، وتطوير وتشجيع تطبيق تكنولوجيات الطاقة المتجددة، بغية زيادة إمكانية الحصول على الطاقة، ودعم التخفيف من الفقر، خاصة في المناطق الريفية.

*** إدارة الموارد المائية وحمايتها:**

يُشكل توفير الموارد المائية وحمايتها قضية رئيسة في المنطقة العربية، فموارد المياه العذبة المتجددة المتاحة محدودة، حيث تبلغ حصة كل فرد منها أقل بكثير من ١٠٠٠ متر مكعب في السنة. ويُشكل التفاوت الكبير بين البلدان من حيث الرفاهية الاقتصادية ونصيب الفرد من المياه العذبة، والتنوع في استخدام المياه.. كل ذلك يشكل تحديات رئيسة في المنطقة، وسوف يؤدي الاستغلال المفرط للمياه، خاصة في القطاع الزراعي الذي يستأثر بـ ٨٠ في المائة من مجموع المياه المستهلكة، وضغوط احتياجات النمو السكاني والصناعي، إلى زيادة الطلب على الموارد المائية القليلة أصلاً في المنطقة. وتعد نوعية المياه أيضاً من الشواغل الرئيسة في المنطقة العربية، فتلوث المياه نتيجة جراثيم مياه الصرف الصحي، والنفايات الصناعية، والنفايات السائلة الزراعية.. تمثل تهديداً خطيراً لصحة البشر، وتزيد من حدة مشكلة ندرة المياه بتقليل المتاح من المياه النظيفة.

ومع وضع هذا في الاعتبار، يلاحظ أن البلدان العربية سعت خلال السنوات القليلة الماضية إلى توحيد جهودها لمواجهة أزمة المياه، ووضعت رؤية عربية مشتركة حول المياه من أجل تطوير الموارد المائية، وإدارتها بشكل ملائم حتى عام ٢٠٢٥م. ووضعت خططاً رئيسة وطنية للمياه العذبة، وسياسات زراعية أكثر ملاءمة لزيادة كفاءة استخدام المياه، بما في ذلك فرض قيود على استخدام المياه، واسترداد التكاليف، وتخفيض أو إلغاء الإعانات، ونهوج إدارة الطلب، وقد أقر بأن الاستثمار في تحلية المياه ومعالجة المياه المستعملة أمر ضروري، وأصبحت مكافحة تلوث المياه أيضاً من اتجاهات السياسة العامة.

ونظراً لطابع تعدد القطاعات الذي تتسم به إدارة الموارد المائية، اعتمدت وكالات الأمم المتحدة المختصة، وهي الإسكوا ومنظمة الأغذية والزراعة للأمم المتحدة (الفاو)، وبرنامج الأمم المتحدة للبيئة، ومنظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة (يونيسكو)، ومنظمة الصحة العالمية.. اعتمدت نهج الإدارة المتكاملة للموارد المائية من خلال ورشات عمل لبناء القدرات، واجتماعات فرق خبراء، ومنتديات للمناقشة، وتنظيم دورات تدريبية بشأن إدارة الطلب على المياه. وإضافة إلى ذلك، جرى تنظيم عدد من اجتماعات فرق الخبراء، وأعدّت أدلة لبناء القدرات في تسوية المنازعات، وتحسين المهارات التفاوضية في مجال قضايا موارد المياه المشتركة.

* الغابات والمناطق المحمية:

تغطي الغابات ٣,٤ في المائة من المساحة الإجمالية للمنطقة العربية، وأفادت التقارير بأن أقل البلدان نمواً شهدت تقلصاً نسبته ١٩ في المائة في الغطاء الحرجي بين عامي ١٩٩٠ و٢٠٠٠م، غير أن تدهور التربة والتصحر هما مشكلتان أكثر خطورة في المنطقة من إزالة الأحراج. وفي بلدان مجلس التعاون الخليجي والمشرق، لا تمثل الأرض المزروعة سوى ٥ في المائة من مجموع مساحة الأراضي، مما يجعل تدهور الأراضي خطراً كبيراً، خصوصاً وأن نحو ٧٣ في المائة من الأراضي يعاني من تدهور بسيط إلى شديد جراء الرعي المفرط، والتآكل بفعل الرياح والمياه، وعدم كفاءة استخدام الموارد المائية والعمليات العسكرية في المنطقة.

أما المناطق المحمية فهي تشكل أقل من ٥ في المائة من مساحة اليابسة، وتأتي هذه النسبة دون المعيار العالمي الذي يحدد مساحة المحميات بـ ١٠ في المائة. ومع ذلك، تهدف بعض البلدان إلى زيادة مساحة المناطق المحمية إلى أكثر من ١٥ في المائة خلال العقد القادم.

* طبقة الأوزون وتغير المناخ:

أدَّت الجهود المتضافرة التي بذلت بين عامي ١٩٩٥ و٢٠٠٠م إلى تخفيض استهلاك المواد المستنفدة لطبقة الأوزون في كافة

بلدان المنطقة. وخلال هذه الفترة، انخفض استهلاك غازات الكلورفلوروكربون في المشرق والمغرب العربي، وأقل البلدان العربية نمواً بنسبة ٢١ في المائة كمتوسط عام، أما في بلدان مجلس التعاون الخليجي، فقد انخفض الاستهلاك بنسبة ٩ في المائة بين عامي ١٩٩٥ و٢٠٠٠م، وبأكثر من ٥٠ في المائة بين عامي ٢٠٠٠ و٢٠٠١م، حيث هبط من ٤٩٥ إلى ٢٣٥ طناً.

وبين عامي ١٩٩٦ و٢٠٠٣م انخفض استهلاك غازات الكلوروفلوروكربون والهالونات، التي تمثّل غالبية المواد المستنفدة للأوزون المستهلكة في المنطقة، بنسبة ٤٣ في المائة من ١٩٥٠٠ إلى ١١٠٠٠ طن قدرة على استنفاد الأوزون.

ووفقاً لهذا الاتجاه، يتوقع أن تحقق معظم البلدان العربية تخفيضاً بمقدار النصف في استهلاك غازات الكلوروفلوروكربون والهالونات في الأعوام التالية، حيث ينبغي ألا يتجاوز الاستهلاك الإجمالي ٩٠٠٠ طن قدرة على استنفاد الأوزون. وزيادة على ذلك، بلغ استهلاك بروميد الميثيل ١٤٨٥ طن قدرة على استنفاد الأوزون في عام ٢٠٠٣م، وهذا يمثل انخفاضاً بنسبة ١٤ في المائة عن مستويات عام ١٩٩٦م. واستناداً إلى هذا الاتجاه، يتوقع أن تحقق المنطقة التخفيض المقرر بنسبة ٢٠ في المائة في الأعوام القادمة، بحلول عام ٢٠٠٥م، ومعنى ذلك أن الاستهلاك سينخفض إلى نحو ١٣٦٤طن.

وفيما يتعلَّق بانبعاثات ثاني أكسيد الكربون، ورغم الجهود المبذولة لرفع مستوى إنتاج الطاقة، وكفاءة الاستهلاك في المنطقة، زادت هذه الانبعاثات للفرد الواحد بنسبة ١٥ في المائة بين عامي ١٩٩٠ و٢٠٠٣م نتيجة لازدياد الأنشطة الصناعية والتنموية، خاصة في بلدان مجلس التعاون الخليجي، ومستويات الانبعاث في عام ٢٠٠٣ في المغرب وفي المشرق، التي كانت تبلغ بين ٢,٧ و٢,٢ طن متري، انخفضت خلال الفترة ذاتها بنسبة ٢٤ في المائة. أما في أقل البلدان العربية نمواً، فقد انخفضت مستويات الانبعاث إلى ٠,٥ طن متري، وهذا يمثل انخفاضاً بنسبة ٦٥ في المائة مقارنة بمستويات عام ٢٠٠٠م، نتيجة لاستمرار هيمنة القطاع الزراعي، وقلة فرص الوصول إلى مصادر الطاقة العصرية، ومحدودية النشاط الصناعي، وقلة استخدام السيارات الخاصة وموارد الطاقة.

ولا تزال المنطقة العربية تواجه عدداً من التحديات فيما يخص بروتوكول مونتريال، من بينها الامتثال لتدابير الخفض النهائية المقررة لعام ٢٠١٠م بالنسبة لغازات الكلوروفلوروكربون والهالونات، وتفعيل التشريعات (النظم) الإقليمية، وكبح الاتجاه المتزايد إلى التجارة غير المشروعة بالمواد المستنفدة للأوزون، ومواصلة الامتثال بعد عام ٢٠١٠م، خاصة لتقليل الاعتماد على استهلاك غازات الكلوروفلوروكربون وتجميده، ووضع سياسات

تعالج القضايا الشاملة لعدة قطاعات، مع اتفاقات بيئية أخرى متعددة الأطراف[١].

*** في مجال البيئة التعليمية:**

- بناء وتطوير مصفوفة متكاملة، تحدد عناصر البيئة التعليمية الفاعلة والآمنة، وتقويم بيئاتنا التعليمية على ضوئها، ووضع الخطط العلاجية اللازمة.
- تصميم نماذج اقتصادية للأبنية المدرسية، تراعي التنوع والاختلاف في البيئات والمناخات في البلاد العربية، وتراعي تلبية متطلبات الطلبة وذوي الاحتياجات الخاصة.
- اعتماد منهجية الخريطة المدرسية على الصعيد القطري والإقليمي، لضمان تكافؤ الفرص التعليمية.
- إعادة تأهيل الأبنية المدرسية والمرافق، بالتجهيزات التربوية وفي مقدمتها أجهزة الحاسوب، لتحقيق الاستثمار الأفضل والأكثر استدامة.
- البحث عن مصادر تمويل إبداعية من خلال استقطاب مؤسسات القطاع الخاص، وبناء شراكات وآليات فاعلة مع المجالس المحلية (البلديات) والمجتمع المحلي وأولياء الأمور، للإسهام في إنشاء الأبنية والمرافق المدرسية وتجهيزها وتزويدها بالتقنيات

(١) نفس المصدر السابق (بتصرف).

الضرورية، وتحفيز هذه المبادرات الإبداعية وتعزيزها، وتفعيل دور الإعلام في هذا المجال.

- تفعيل التواصل مع المنظمات الدولية والجهات المانحة، للبحث عن المصادر المتاحة لتمويل الخطط التربوية، وبخاصة في مجال إنشاء الأبنية والمرافق المدرسية وتجهيزها.
- وضع آليات فاعلة لتحقيق الاستثمار الأفضل للأبنية والمرافق المدرسية، والتجهيزات التربوية، والاستفادة منها خارج أوقات الدوام الرسمي، وبخاصة في مجال التعليم للجميع ومحو الأمية.
- حثّ الدول على اعتماد مبدأ المكتبات والمعامل المتحركة، وغيرها مما تحتاجه البيئة المدرسية، وبخاصة في المناطق النائية.
- توظيف تقنيات المعلومات والاتصالات، للإسهام في معالجة مشكلات عدم توافر البناء المدرسي ومرافقه وتسهيلاته، واعتماد طرائق التعلم والتدريب عن بُعد، مع تأمين البنى التحتية المناسبة.

* * *

وسائل التربية عند الفتن

التربية الإسلامية تربي الفرد على أن يكون توجهه الدائم إلى الله، وصلته القوية به، في جميع أحواله، فعند كل موقف من المواقف في حياة المسلم له مناجاة روحية مع ربه، يحس من خلال ذلك الموقف أنه يعيش معه وبه وله، حيث يعلن أنه بحاجة إلى توفيق ومدد منه، وهي تربية على أدب الدعاء، ففي القرآن الكريم والسُّنة النَّبوية، يوجد الكثير من الأدعية التي ينبغي أن يدعو فيه المسلم ربه، جاء قول الله سبحانه وتعالى داعياً الإنسان إلى الاستعاذة بالله من انحراف القلب وزوغانه بعد الاهتداء: **﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ﴾**[(١)].

أما في السُّنَّة النبوية، فقد كان رسول الله ﷺ يستعيذ بالله من أشياء كثيرة، ومنها عذاب القبر، وفتنة الدجال وغيرها. وقد أثر عنه أنه كان يدعو في صلاته: «**اللَّهُم إني أعوذ بك من عذاب القبر، وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال، وأعوذ بك من فتنة المحيا وفتنة الممات، اللَّهُم إني أعوذ بك من المأثم والمغرم**»[(٢)].

---

(١) سورة آل عمران، آية (٨).

(٢) البخاري: كتاب صفة الصلاة، باب التشهد في الآخرة، (١/٢٨٦).

وسائل التربية في زمن الفتن:

إنَّ الفِتَنَ التي تعصف بالفردِ كثيرة ومتنوعة، وهي تهدد وجوده، لذلك فإن التربية الإسلامية توصي بأن يسلك المسلم حينها مجموعة من السبل والطرق الكفيلة بالنجاة منها، وتتمثل تلك السبل بالثبات والصبر، واللجوء إلى الله، والعبادة، والالتفاف حول العلماء، واعتزال الفتن، والثقة الدائمة بالله والتربية على التناصح، والتأسي بالأنبياء، والتربية على تحري الحق، وضبط الأقوال، وعدم موالاة الكافرين، والتربية على علو الهمة.

ومن الوسائل التربوية المفيدة في زمن الفتن:

١ - الثَّباتُ والصَّبر:

إن الأزمات والمحن التي تواجه الأفراد أو الأمم عواصف تهزها ومحكات تميّز بينهم، لذا فإنه ينبغي في مثل هذه المواقف التزام خلق الصبر، والثبات على العقيدة، وذلك لأنهما من أجل الصفات التي تتمتع بها النفوس، وأعظمها قدراً، وهما من أهم العوامل التي تعين النفوس على الثبات، لذلك فقد حثت التربية الإسلامية على الصبر في أكثر من موطن في كتاب الله وسنة نبيه ﷺ، فقد ربطت بينه وبين الصلاة في القرآن الكريم حينا، وذلك لما بينهما من روابط وعلاقة، فقال الله تعالى: ﴿وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ﴾[١].

(١) سورة البقرة، آية (٤٥).

وقال كذلك رابطاً بينه وبين مرحلة متقدمة منه وبين المرابطة كذلك: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[1].

وقد بينت السُّنَّة النبوية الشريفة أن الذي رُبِّيَ على خلق الصبر فقد وصل إلى منزلة متقدمة من خير. فقد روى عن الرسول ﷺ أنه قال: «**وما أعطى أحد عطاء خيراً وأوسع من الصبر**»[2].

ويروى عن أنس بن مالك أنه عندما شُكي إليه ما يلاقي الناس من جور الحجاج، فقد أوصاهم بالثبات والصبر، وبيَّن لهم أن الزمان يسير من سيء إلى أسوأ، ونسب ذلك إلى النبي ﷺ فقال: «**اصبروا.. فإنه لا يأتي عليكم زمان إلا الذي بعده شر منه، حتى تلقوا ربكم**» سمعته من نبيكم ﷺ[3].

ويمكن تقسيم الفتن التي ينبغي للفرد المسلم أن يتذرع لها بالصبر إلى نوعين: أما النوع الأول فهو الصبر على المعصية، لأن النفس الإنسانية تميل إلى الشهوات، وإذا ما قهرت بالصبر فإنها تتصبر والنوع الثاني هو الصبر على الطاعة.

وتتمثل القيم التربوية للصبر بما يترتب للمسلم بعد ذلك من أجر

---

(١) سورة آل عمران، آية (٢٠٠).

(٢) البخاري، كتاب الزكاة، باب قول الله تعالى وفي الرقاب وفي سبيل الله، (٢/ ٥٣٤).

(٣) البخاري، كتاب الفتن، باب لا يأتي زمان إلا الذي بعده شر منه، (٦/ ٢٥٩١).

وجزاء ومثوبة، فقد ورد قول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[1].

وقول الرسول الله ﷺ مبيناً أن كل أذى يصيب المؤمن في الحياة الدنيا يسجل له في ميزان عمله فقال: «**ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن ولا أذى ولا غم حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله بها من خطاياه**»[2].

٢ - اللجوء إلى الله:

ينبغي للمسلم أن يلجأ إلى الله عز وجل ويلوذ به عند الفتن، وذلك لتثبيت الإيمان وتعزيزه في النفس، لذلك فقد طلب الله تعالى من المسلم أن يلوذ بالله، ويفر إليه في كل حين، وإذا كان هذا الأمر مطلوباً في الظروف العادية، فإنه من اللازم أكثر عند اشتداد الفتنة، فقال الله تعالى: ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾[3].

والتربية الإسلامية تدعوا إلى اللجوء إلى الله، والقدوة في ذلك هو رسول الله ﷺ، إذ كان كثير اللجوء والتوجّه إليه بعد استيفاء السُّبُل المادية والأخذ بالأسباب.

---

(١) سورة الزمر، آية (١٠).

(٢) البخاري، كتاب المرضى، باب ما جاء في كفارة المرض، (٥/٢١٣٧).

(٣) سورة الذاريات، آية (٥٠).

وقد بيَّن ابن القيم أن الفرد ينبغي أن يلجأ إلى الله عزَّ وجل عندما يعز الملجأ وينقطع النصير، وقد ذكر أن دخول المرء على الله عند ذلك ينبغي أن يكون دخولاً مشعراً بالذلة، والشعور بالحاجة، والانكسار إلى الله شعور من كسر الفقر قلبه[1].

٣ - الحثّ على العبادة:

دعت التربية الإسلامية إلى أن يهرع المسلم إلى العبادة بمختلف أصنافها، وبمفهومها الواسع عند الفتن، وأجرت للمسلمين على ذلك أجراً عظيماً، فقد ورد عن الرسول ﷺ أنه قال: «**العبادة في الهرج كهجرة إلي**»[2].

كما شرع أن يهرع المسلم إلى الصلاة عند الأزمات، وعند خوف الفتنة، فقد رووا أنه استيقظ ﷺ في ليلة وهو يقول: «**سبحان الله.. ماذا أنزل من الخزائن.. وماذا أنزل من الفتن.. من يوقظ صواحب الحجر - يريد به أزواجه - حتى يصلين، رب كاسية في الدنيا عارية في الآخرة**»[3]. وقد علَّق ابن حجر على ذلك فبيَّن أنه يستحبُّ الإسراع إلى الصلاة عند خشية الفتنة، وبين القيمة التربوية المترتبة على ذلك[4].

---

(١) ابن القيم الجوزي، الوابل الصيب، (١٤).

(٢) مسلم، كتاب الفرج، باب فضل العبادة في الهرج، (٤/٢٢٦٨).

(٣) البخاري، كتاب الأدب، باب التكبير والتسبيح عند التعجب، (٥/٢٢٩٦).

(٤) فتح الباري: ١/٢١١.

وروي عن النبي ﷺ أنه كان يردد دعاء يستعيذ بالله فيه من جملة أشياء فيقول: «**اللَّهُمَّ أعوذ بك من عذاب القبر، ومن عذاب النار، ومن فتنة المحيا والممات، ومن فتنة المسيح الدجال**»[1].

وتتمثل القيمة التربوية للدعاء في زمن الفتن أنه يحسس الفرد بحاجته إلى الله، وضعفه وقلّة حيلته إزاء ذلك، فيلجأ إليه ويطلب تثبيته وعفوه.

ومن صور العبادة كذلك الإقبال على كتاب الله ومدارسته، لأنه حبل الله المتين، ونوره المبين، وقد بيَّن الله عزَّ وجل القيمة التربوية في نزوله منجماً، وتتمثل بتثبيت فؤاد الرسول ﷺ فقال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا﴾[2].

أمَّا الأثر التربوي الذي يتركه القرآن في نفس الفرد فيتمثل بزراعة الإيمان وتزكية النفس من خلال الصلة بالله، ولأن الآيات تنزل برداً وسلاماً على قلب المؤمن فتحميه من الفتنة وتُطمئن قلبه.

٤ - التفقه في الدين:

ينبغي للمسلم أن يكون متفقهاً في دينه كي يقي نفسه من الفتن، ويتم التفقه في الدين من خلال فهم ومدارسة كتاب الله- عزَّ وجل -

---

(١) البخاري، كتاب الجنائز، باب التعوّذ من عذاب النار، (١/ ٤٦٣).

(٢) سورة الفرقان، آية (٣٢).

وسُنَّة النبي ﷺ، وبخاصة عندما يحصل تشويش وسوء فهم في قضية من القضايا، فعندما توفي الرسول ﷺ، حدثت فتنة الردّة، وحصل سوء فهم مقاتلة المرتدين أم لا، فسأل عمر أبا بكر: كيف تقاتل الناس وقد قال الرسول ﷺ: «**أمرت أن أُقاتل النّاس حتى يقولوا لا إله إلا الله، فمن قال لا إله إلا الله فقد عصم مني ماله ونفسه، إلا بحقه وحسابه على الله**» فقال: والله لأقاتلن من فرَّق بين الصلاة والزكاة، فإن الزكاة حق المال، والله لو منعوني عقالاً كانوا يؤدونه إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم على منعه. فقال عمر: فوالله ما هو إلا أن رأيت الله قد شرح صدر أبي بكر للقتال فعرفت أنه الحق[1].

وأخطر أنواع التشويش هو الذي يحصل في العقيدة، لذلك فينبغي على العلماء الراسخين أن يكشفوا عن الشُّبُهات، ويبيِّنوا حُكم الإسلام في مسائل العصر، ويضعوا الإجابات الشافية على الأسئلة التي تراود الشباب المسلم.

والالتفاف حول العلماء الأفذاذ، والربّانيين الذين يذودون عن الحق، ولا تأخذهم بالله لومة لائم، يسهم في الثبات على الحق والطريق القويم، ومثل هؤلاء العلماء يكونون قدوة ومثلاً يحتذى به.

إن للعلماء دوراً بارزاً في قيادة عقول الناس وقلوبهم منذ أقدم العصور، وذلك لما يتمتّعون به من مكانة واحترام في نفوس الناس، وإن غيابهم عن الناس عند الحاجة إليهم يجعل الساحة

(١) البخاري: كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب الاقتداء بسنة النبي (٦/ ٢٦٥٧).

تخلو لغيرهم من غير الراسخين في العلم، فيلبسوا عليهم دينهم. فقد ورد عن النبي ﷺ أن العلم يقبض بقبض العلماء، حيث قال: «**إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من العباد، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يبق عالماً اتَّخذ الناس رؤساء جهالاً فسئلوا فأفتوا بغير علم، فضلّوا وأضلوا**»(١).

وقد بيَّن النبي ﷺ أمر الخوارج، وشرع قتلهم بسبب فسادهم وضررهم الكبير على الأُمَّة أيام الفتن، فقال: «**سيخرج في آخر الزمان قوم أحداث الأسنان، سفهاء الأحلام، يقولون من خير قول البرية، يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم، يمرقون من الدِّين كما يمرق السهم من الرمية، فإذا لقيتموهم فاقتلوهم فإن في قتلهم أجراً لمن قتلهم عند الله يوم القيامة**»(٢).

٥ - اعتزال الفتن:

تدعو التربية الإسلامية الفرد إلى التزام جماعة المسلمين، وذلك عندما تكون جماعتهم على الحق، لأن الجماعة رحمة، أما إذا لم يكن ذلك متيسراً، وخشي الفرد على نفسه الفتنة، عندها شرعت له التربية الإسلامية اعتزال تلك الفتنة، والنبي ﷺ يشير إلى ذلك عندما قال: «**تكون فتنة.. النائم فيها خير من اليقظان، واليقظان فيها خير من القائم، والقائم فيها خير من الساعي، فمن وجد**

(١) البخاري: كتاب العلم، باب عظة الإمام النساء وتعليمهن (١/ ٥٠).

(٢) مسلم: باب التحريض على قتل الخوارج، (٢/ ٧٤٦).

ملجأ أو معاذاً فليستعذ» [١]، وقال كذلك: «**يوشك أن يكون خير مال المسلم غنم يتبع بها شعف الجبال ومواقع القطر يفر بدينه من الفتن**» [٢].

إن الفتنة إذا وقعت تكون وطأتها شديدة. وتختلط الأمور لدى الفرد بحيث تعمى عليه الأمور، وقد بيَّن الرسول ﷺ ذلك عندما قال: «**بادروا بالأعمال فتناً كقطع الليل المظلم.. يصبح الرجل مؤمناً ويمسي كافراً، أو يمسي مؤمناً ويصبح كافراً.. يبيع دينه بعرض من الدنيا**» [٣].

٦ - الثقة واليقين بنصر الله:

من الضروري أن يثق المؤمن بنصر الله، وخاصة عندما يحس بالفتن تعصف به من حوله، وذلك انطلاقاً من قول الله تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [٤].

---

(١) مسلم: كتاب الفتن، باب نزول الفتن كمواقع القطر (٤/ ٢٢١٢).

(٢) البخاري: كتاب الإيمان، باب من الدين الفرار من الفتن (١/ ١٥).

(٣) مسلم: كتاب الإيمان، باب الحث على المبادرة بالأعمال قبل تظاهر الفتن: (١/ ١١٠).

(٤) سورة النور، آية (٥٥).

وقد أراد النبي ﷺ أن يلقي في روع الصحابة أن يصبروا، ويبشرهم بهذا اليقين والإحساس، عندما ناشده خباب بن الأرت أن يدعو الله عز وجل لهم، وأن يستنصره لهم، فقال في آخر الحديث: «**والله ليتمن هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله، والذئب على غنمه، ولكنكم تستعجلون**»[(١)].

والتربية الإسلامية توصل هذا الإحساس واليقين إلى نفس المؤمن، وتجعله واثقاً كل هذه الثقة بسبب معرفته بحقيقة الباطل، وعدم الاغترار به، قال تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ﴾[(٢)].

لذا ينبغي أن يعي المسلم معنى النصر وسبيله، وأن يعلم بقاءه مع الله نصر مهما حصل له، ويعقب هذا النصر تمكين للدين في الأرض، إلا بعد اختبار وامتحان شديدين، وقد مرَّ هذا الأمر بالمسلمين في غزوة الأحزاب، حيث صوَّر الله عزَّ وجل ذلك في أدق صورة عندما قال: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ﴾[(٣)].

---

(١) البخاري: كتاب الإكراه، باب من اختار الضرب والقتل والهوان على الكفر، (٦/ ٢٥٤٦)، الحديث (٣٦١٢، ٦٩٤٣).

(٢) سورة الرعد، آية (١٧).

(٣) سورة البقرة، آية (٢١٤).

٧ - التربية على التناصح:

التناصح في لغة العرب: من نصح الشيء، أي: أخلص، والناصح تعني الخالص من العسل، وهو نقيض الغش[(١)]، والنصيحة من الكلمات الجامعة التي تعني إرادة الخير للمنصوح.

وقد حثت التربية الإسلامية وأكدت على النصيحة، فجعلتها هي الدِّين، فمما ورد عن النبي ﷺ: «**الدِّينُ النَّصِيحة**» قيل: لمن؟ قال: «**لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم**»[(٢)].

وقد دلَّ مقتضى النصوص الشرعية، على أن النصيحة المطلوبة ينبغي أن تكون باللِّين حتى تكون مُجدية، دون تعسُّف أو غِلظة، فقد قال الله تعالى لموسى وهارون عندما أرسلهما إلى فرعون: ﴿ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ۝٤٣ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾[(٣)].

وبما أن النصيحة مشروعة ومطلوبة لكل مسلم، فينبغي أن تسدى أولاً لإمام المسلمين، وينبغي أن تتم بالطرق الكفيلة بإيصالها إليهم كما قال العلماء، دون تشهير أو تحقير، وبالمشافهة أو الكتابة، وذلك بالرفق واللِّين والأدب، حتى لا تزرع الفتنة والعداوة بين الحكام ورعيتهم، الأمر الذي يترتب عليه أضرار كبيرة، لأنهم ربما

---

(١) لسان العرب: مادة نصح، (٣/ ٦٤٦).
(٢) مسلم: كتاب الإيمان، باب بيان أنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون، (١/ ٧٤).
(٣) سورة طه، آية (٤٤).

تسلطوا على أهل العلم والدعاة بما يوجد شروراً أكثر مما أريد تغيير من منكر[١]، واعتبر ابن تيمية أن من حق ولي الأمر أن يدعى له بالصلاح والاستقامة والهدى، وذلك بانتقاء الأزمان والأوقات التي يستجاب فيها الدعاء، وقال إن من منهج الفضيل بن عياض أنه كان يقول: «لو كانت لي دعوة مستجابة لدعوت بها للسلطان»[٢].

ومن المعاني التربوية التي تستفاد في هذا المجال أن النصيحة إذا كانت في الظروف العادية يلزمها اللِّين، فهي في الأوقات الصعبة وأزمان الفتن أكثر لزوماً، إضافة إلى أن التربية الإسلامية تحث على الستر وعدم التشهير بالآخرين، ومما ورد في هذا المجال قول الرسول ﷺ: «**ومن ستر مسلماً ستره الله في الدنيا والآخرة**»[٣]، وقد كان من المنهج التربوي الذي يتبعه الرسول ﷺ للتصويب والتصحيح لأمر يراه خلاف ما ينبغي هو ألا يخص أشخاصاً معينين بنقد مباشر لما في ذلك من تأثير بالغ على نفسية الفرد، بل كان يلجأ إلى المعاريض بما يوصل الرسالة التي يريد بعثها، فعندما أراد النبي ﷺ أن يصحح أمراً رخص الله تعالى له فيه، وتنزه بعض الناس عنه، وعندما علم قال: «**ما بال أقوام يرغبون عمَّا رخص لي فيه، فو الله لأنا أعلمهم بالله وأشدهم له، خشية**»[٤].

(١) الإجابات المهمة في المشاكل الملمة: (١٩).

(٢) الفتاوى: (٢٨/ ٣٩١).

(٣) مسلم: كتاب الذكر، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر، (٤/ ٢٠٧٤).

(٤) مسلم: كتاب الفضائل، باب علمه ﷺ وشدة خشيته، (٤/ ١٨٢٩).

٨ - التأسي بقصص الأنبياء:

من المعلوم أن الأنبياء هم أكثر الناس مواجهة للفتن والابتلاءات، ولذلك فإن مما يعيّن المسلم على مواجهة الفتن التي تحصل له في الحياة، أن يتأسى بالرسل والأنبياء، ومما وقع لهم من فتنة في دينهم، وذلك من خلال تدبر قصصهم، والاتعاظ بما حصل لهم، وكيف انتصروا في نهاية الأمر، لأن في هذا تعزية للمرء بعد أن كان ذلك تعزية ومواساة للرسول ﷺ، فبيَّن الله تعالى أن في ذلك تثبيتاً لفؤاده، وعظة للمؤمنين، فقال في هذا السياق: ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَۚ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾[١].

وفي قصة إبراهيم ورميه في النار - كمثال - عزاء ومواساة أخرى للمؤمنين الذين يفتنون بسبب دينهم، وبيان بأن الله تعالى انتصر لنبيه وخليله في نهاية المطاف.

والقيمة التربوية المستفادة في هذا السياق أن الله سبحانه وتعالى ينصر عبده عندما يثبت على المبدأ الحق الذي يؤمن به، فقد ثبت إبراهيم عليه السلام على مبدئه، فكان توجهه إلى الله توجهاً تاماً، فأحال الله النار إلى برد وسلام، ومما يورد في هذا السياق أن آخر كلام كان لإبراهيم قبل أن يقذفوه في النار أنه قال: حسبي الله ونعم الوكيل[٢].

---

(١) سورة هود، آية (١٢٠).

(٢) فتح القدير: (٣/ ٤١٥).

٩ - التربية على تحري الحق وضبط الأقوال:

يكثر في زمن الفتن القيل والقال وتناقل الكلام، وأخذه على عواهنه دون تحر أو تمحيص، حتى أن الأحاديث المكذوبة والمنسوبة إلى النبي ﷺ يكثر تداولها وتناقلها على الألسن، ويقبل الناس على هذه الأحاديث وخاصة إذا كانت مقاربة للنازلة أو الفتنة.

وقد اهتمت التربية الإسلامية بالتحذير من الافتراء والكذب عليه، ومما ورد عنه ﷺ في هذا السياق قوله: «**إن كذباً عليَّ ليس ككذب على أحد، من كذب عليَّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار**»[١].

والمغزى التربوي الذي يستدل عليه في هذا السياق أن النبي ﷺ مشرع عند ربه، فمن يكذب عليه فكأنما يدخل إلى التشريع ما ليس فيه، فاستحق بذلك هذا الوعيد.

ويكثر في زمن الفتن والنوازل تتبع الأخبار، والرغبة الجامحة في متابعتها، مما يؤدي إلى الغفلة عن القيام بالواجبات الشرعية، والتفريط في أعمال الطاعات، وما صلح من مستحبات.

أما بخصوص ضبط الأقوال، والوقوف عند بعض الأخبار، فليس كل ما يعرف يقال، بل لا بد من مراعاة الشخص الناقل

---

(١) البخاري: كتاب الجنائز، باب ما يكره من النياحة على الميت، (١/ ٤٣٤)، مسلم كتاب وجوب الرواية عن الثقات وترك الكذابين، باب تغليظ الكذب على رسول الله ﷺ، (١/ ١٠).

لحال المتلقين ومستواهم الفكري، وذلك خشية فتنتهم، لأن الناس متباينين في مستوياتهم الفكرية والعلمية، وقد ورد في الأثر أن السلف انتبهوا إلى هذه القضية وراعوها أثناء تعاملهم مع القضايا المطروحة، فقد روي عن عبدالله بن مسعود: «ما أنت بمحدث قوم حديث لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة»[(١)].

فقد يسمع المتلقون كلاماً فيشوه عليهم اعتقاداتهم أو يجعلهم يتصرفون تصرفات غير محمودة العواقب، وفي هذا السياق فقد توقف الرسول ﷺ عن فعل بعض الأمور مخافة أن يوقع الناس في الفتنة، ومما ورد عن النبي ﷺ في هذا الخصوص ما قاله لعائشة رضي الله عنها: «**لولا قومك حديث عهدهم بكفر لنقضت الكعبة، فجعلت لها بابين، باب يدخل الناس وباب يخرجون**»[(٢)].

ومما يروى عن حذيفة بن اليمان أنه كتم بعض الأحاديث الواردة في الفتن وذلك خوفاً من الفتنة، ولعدم حاجة الناس إليها، ومن ذلك قوله: «والله إني لأعلم الناس بكل فتنة هي كائنة فيما بيني وبين الساعة، وما بين إلا أن يكون رسول الله ﷺ أسرّ إليَّ في ذلك شيئاً لم يحدثه غيري، ولكن رسول الله ﷺ قال وهو يحدث مجلساً أنا فيه عن الفتن، فقال وهو يعد الفتن منهن ثلاث لا يكدن

(١) مسلم: كتاب وجوب الرواية عن الثقات وترك الكذابين، باب تغليظ الكذب على رسول الله ﷺ، (١/١٠).

(٢) البخاري: كتاب العلم، باب من ترك بعض الاختيار مخافة أن يقصر فهم بعض الناس عنه فيقعوا في أشد منه، (١/٥٩).

يذرن شيئاً، ومنهن فتن كرياح الصيف، ومنها صغار، ومنها كبار، قال حذيفة فذهب أولئك الرهط كلهم غيري»[١].

فالذي يستدل عليه من خلال النصوص السابقة أن التربية الإسلامية تربي الأفراد على أن يضبطوا ألسنتهم، وألّا يدعوها دون ضبط، لأن تركها قد يجلب الفتن والمصائب التي لم يحسب لها أي حساب.

١٠ - الولاء لله تعالى:

حرصت التربية الإسلامية - أشد الحرص - على أن يكون ولاء المسلم وحبه الخالصين لله ولرسوله وللمؤمنين، والسبب في ذلك يعود إلى أن منطق الحب. وإعطاء الولاء يقتضي الرضا بما هو عليه الولي أو المحبوب، لذلك فقد نهى سبحانه وتعالى عن موالاة اليهود والنصارى، مبيناً العلّة في ذلك، وهي أنهم أولياء بعض، فقال تعالى في ذلك: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[٢].

ويستدل على ذلك من خلال قصة حاطب بن بلتعة في فتح مكة، عندما أرسل كتاباً مع المرأة الذاهبة إلى مكة، يتضمن إخبارهم بأن الرسول ﷺ عازم على ذلك، وقد كان يريد أن يعمي عليهم

(١) مسلم: كتاب الفتن، باب نزول الفتن كمواقع القطر، (٤/ ٢٢١٦).
(٢) سورة المائدة، آية (٥١).

ويفاجئهم حتى لا يحدث قتالاً في مكة، ثُمَّ كشف الله تعالى لرسوله ﷺ أمر الكتاب المذكور، فتابع بعض الصحابة تلك المرأة بأمر من الرسول ﷺ، وأخذوا منها الكتاب، ثم استدعى الرسول ﷺ حاطباً وسأله قائلًا له: «**ما حملك على ما صنعت؟**» قال: لا تعجل.. والله ما ازددت للإسلام إلا حُبّاً، ولم يكن أحد من أصحابك إلا وله بمكة من يدفع الله به عن أهله وماله، ولم يكن لي أحد، فأحببت أن أتخذ عند القوم يداً، فصدّقه الرسول ﷺ وعفا عنه[(١)].

والاستدلال الموجود في أن النبي ﷺ سارع في الحديث السابق إلى الاستفهام عن قضية الولاء والبراء لدى حاطب، لأنه يريد أن يتأكد منها. وقد سارع الرجل إلى تأكيدها، ونفي الشكوك التي ربما تناهت إلى نفس الرسول ﷺ.

١١ - التربية على علو الهمة:

تؤمن التربية الإسلامية بأن المدافعة سُنَّة من سُنَن الله تعالى في الكون، وهذا واضح من خلال قول الله تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: ٤٠][(٢)].

---

(١) البخاري: كتاب استتابة المرتدين، باب قتل الخوارج والملحدين، (٣/ ١١٢٠).
(٢) سورة الحج، آية (٤٠).

والتربية الإسلامية تركز على أنه يجب على الفرد المسلم أن يكون مطيعاً لله ولرسوله في سبيل عقيدته ودينه، ولذلك فهي تعده لكي يكون ذا همة عالية، ومن الأمثلة الدالة على ذلك أنه عندما غزا المسلمون الروم في «**مؤتة**» بعد مقتل الحارث بن عمير الأزدي، فوجئ المسلمون أن عدد جيش الروم كبير، وهو يربو على مائتي ألف مقاتل، وأن عدد جيش المسلمين لا يعدو أن يكون ثلاثة آلاف فقط، فتشاوروا في طلب المدد من المدينة حيث الرسول ﷺ أو الإقدام، فقام عبدالله بن رواحة، وشجعهم بكل **علو همة** قائلاً: «والله إن التي تكرهون للتي خرجتم تطلبون الشهادة، وما نقاتل الناس بعدد ولا قوة ولا كثرة، ما نقاتلهم إلا بهذا الدِّين الذي أكرمنا الله به، فانطلقوا فإنما هي إحدى الحسنيين، إما ظهور وإما شهادة»(١).

وقد ثبت الجيش المسلم في هذه المعركة، ولم تثر الفتنة بين أفراده، بل ثبت وسجل موقفاً عسكرياً مع أقوى دولة كانت في ذلك الزمن، مع العلم أنه لا يوجد وجه مقارنة بين أعداد الجيشين، وذلك بسبب الهمة العالية لديهم.

وفي يوم «**اليرموك**» وقف خالد بن الوليد أمام جيشه يخطب فيهم ويشجعهم ويحثهم على القتال في سبيل الله رافعاً من هممهم قائلاً: «إن هذا يوم من أيام الله، لا ينبغي فيه الفخر ولا البغي، أخلصوا جهادكم، وأريدوا الله بعملكم، فإن هذا يوم له ما بعده»(٢).

---

(١) البداية والنهاية: (٤/٢٤٣)، والسيرة النبوية لابن هشام (٤/٣١٨).

(٢) تاريخ الأمم والملوك: (٢/٣٣٥).

الفصل الثاني

التربية الدينية في الأسرة

١ - ملامح التربية الإسلامية في الطفولة.

٢ - رعاية الأسرة للطفولة وبرامج الوقاية للطفل.

٣ - الاتجاهات والقيم في تربية الطفل المسلم.

٤ - نماذج من سيرة الرسول ﷺ وصحابته لدى الطفل.

٥ - أساليب التنمية الجسمية وفق هدى الإسلام.

٦ - الألعاب.. وتنمية الطفل.

٧ - القصة.. وتنمية الطفل.

٨ - القراءة.. وتنمية الطفل.

ملامح التربية الإسلامية في الطفولة

أولاً - موقع الطفل في الإسلام:

الطفل إنسان ضعيف، يلج المجتمع ضيفاً عليه، بلا حول ولا طَوْل، في انتظار أن يصبح عضواً كاملاً فيه، له من الحقوق ما للأعضاء الآخرين.

هذا الطفل.. يحتاج من المجتمع الذي يعيش فيه، أن يحسن ضيافته، من خلال أسرة ترعاه وتحنو عليه، فيتغذى منها لبان الخير امتداداً للفطرة التي خُلق بها، أو يحدث العكس، مصداقاً لقول الرسول ﷺ: «**كل مولود يُولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه**»[1].

وموقع الطفل - في ثقافتنا الإسلامية - موقع واضح مميز، ويحظى باهتمام قلَّ نظيره في المناهج الأرضية، فهو يُذكر مرتين في سورة النور، وهي السورة التي عالجت قضايا الأسرة ومسارها الاجتماعي، في المرة الأولى يأتي ذكره عندما تتحدد التوجيهات القرآنية العظيمة ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ

(١) رواه البخاري الحديث (١٣٨٥)، ومسلم الحديث (٢٦٥٨).

بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوْ نِسَآئِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُهُنَّ أَوِ ٱلتَّـٰبِعِينَ غَيْرِ أُو۟لِى ٱلْإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا۟ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ ۖ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ۚ وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٣١].

ثم يتابع القرآن الكريم ذكر الطفل في الآية ٥٩ من السورة نفسها: ﴿وَإِذَا بَلَغَ ٱلْأَطْفَـٰلُ مِنكُمُ ٱلْحُلُمَ فَلْيَسْتَـْٔذِنُوا۟ كَمَا ٱسْتَـْٔذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَـٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [النور: ٥٩].

ويرد ذكر الطفل مرة أخرى عند استعراض مراحل النشأة: ﴿وَنُقِرُّ فِى ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا﴾ [الحج: ٥]، وفي ذات المعنى يرد قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا﴾ [غافر: ٦٧].

ومن جانب آخر يعلمنا القرآن الكريم المبدأ الأول في الدفاع عن الطفل في مستهل الحياة: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَـٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَـٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ . . .﴾ [الإسراء: ٣١]، وفي آية أخرى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَـٰدَكُم مِّنْ إِمْلَـٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ﴾ [الأنعام: ١٥١].

إن الله تعالى ينهى عن التفريط بحق الطفل، ويأمر بالمحافظة عليه، ويوجه طلباً للمجتمع آمراً: ﴿ٱدۡعُوهُمۡ لِأٓبَآئِهِمۡ هُوَ أَقۡسَطُ عِندَ ٱللَّهِۚ فَإِن لَّمۡ تَعۡلَمُوٓاْ ءَابَآءَهُمۡ فَإِخۡوَٰنُكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمۡۚ﴾ [الأحزاب: ٥]، لأن إثبات النسب للطفل ليس حقاً له وحده، ولكنه حق للأب وحق للأم، وهو ابتداء حق الله تعالى كذلك، لأن حق الطفل بثبوت النسب من أهم الحقوق، وقد ابتدأت الحماية للطفل في ظل الإسلام حتى الحمل، فحرم الإسلام الإجهاض، وبعد الولادة أوجب الرضاعة، والحضانة، والولاية على النفس، وعلى المال، وفرض تعليم الطفل وتربيته على والديه أو وليه. وفي الوقت الذي جعل الحضانة للمرأة.. جعل الولاية على النفس وعلى المال للرجل.

إن الطفل في ظل ثقافتنا الإسلامية يخضع للحفاظ على فطرته، وتوجيه هذه الفطرة نحو صلاحها، ويخضع للمحافظة على مواهبه واستعداداته وقدراته وإعدادها لتؤدي دورها في مجال المهارة والإبداع، ويخضع لتوقي نفسه وصحته من الآفات الاجتماعية والصحية، كي يكون لبنة قوية في بناء مجتمعه، ويخضع لمناهج تعليمية منضبطة بضوابط الإسلام، حتى يغدو في قابل الأيام صالحاً في نفسه، ومصلحاً لغيره، ويخضع لبرامج تأديبية وتهذيبية كي يواصل دوره في إشاعة قيم الحق والخير والجمال... كل هذا لا يتحقق إلا في إطار أسرة تقوم بدورها الإيجابي والدائم من البداية حتى النهاية.

الزواج وتكوين الأسرة :

من هنا نرى أن الإسلام قد أولى الأسرة الاهتمام اللائق بها، والتي أساسها الزوجان: «رجل وامرأة»، اهتماماً يتناول أسس تكوين هذه الأسرة، وأسباب سعادتها، وعوامل استقرارها، ووظائفها في الحياة، باعتبارها لبنة، ضمن لبنات أخرى، يقوم عليها المجتمع، ويحصل له منها الامتداد الأفقي حتى يصير شعباً، والامتداد الرأسي حتى يظل تاريخاً لمن جاء بعده.

ومن أمثلة ذلك:

١ - يقرر القرآن الكريم في معرض الخلق الحقيقة الدائمة بأن المرأة ترى في الرجل امتداداً لها، والرجل يرى في المرأة بضعة منه، وكلاهما لا غنى له عن الآخر ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾ [الأعراف: ١٨٩]، والنفس الواحدة هنا هي نفس «آدم» عليه السلام، وزوجه هي «حواء».

والقرآن الكريم بنَظْمِه المعجز، يستجيش في المرء وهو يقرأ هذه الآية، هتاف الحق، ونداء الضمير، فلا يريد أن يبرح هذا السكن بعيداً، ولا يفكر فيه ابتداءاً، لأن القائل هو ربنا سبحانه وتعالى، ومن أصدق من الله قيلا.

٢ - هناك وحدة شعور بين الزوجين، ووحدة عواطف، ووحدة مضجع، ووحدة رؤية لجمالِ الحياة، ووحدة أسرار متبادلة، ووحدة أمل، ووحدة تفاهم، ووحدة إنتاج للذرية، وسهر

وكد من أجلها... هذه المعاني كلها ذكرت في ست كلمات من كتاب ربنا تبارك وتعالى حيث يقول: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾ [البقرة: ١٨٧].

٣ - وفي القرآن الكريم سورة من طوال السور تُسمَّى سورة «النساء» نالت فيها المرأة حقوقاً ما كانت تخطر ببالها، لذلك لم تستطع المرأة أن تستعمل هذه الحقوق إلا في إطار الإسلام. لأن الإسلام يوجد التغير، ويرفع من شأن الإنسان، ويضع الجميع على بساط المساواة، ويعطي كل مسلمة ومسلم الحق في أن يقول للآخر: هذا حق أعطاني الله إيّاه، فلا تتعرض لغضب الله بمنعه عني.

وهناك آية في هذه السورة العظيمة.. تحرك مشاعر الرجل نحو المرأة بالرحمة والعطف إلى أبعد حد، وفي نفس الوقت، تضع الرجل أمام عهد قوي، وميثاق عظيم أخذه على نفسه.. وهو عقد الزواج، وما يترتب عليه، وتحذره من التفريط فيه، أو في أثر من آثاره، وإلا اعتُبر ناقض عهد، وغادراً وخائناً. ثُمَّ تثير نفس الآية في نفس الرجل والمرأة معاً الشعور بأخص خصائص الحياة الزوجية، وأن كل واحد من الزوجين أفضى إلى الآخر بما عنده من أسرار، وامتزاج والتآم... إلخ. هذه الآية هي قوله تعالى: ﴿وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا﴾ [النساء: ٢١].

هذه هي الصورة الجميلة التي وضع الإسلام الزوجين في إطارها، ومن هنا يحسن بنا أن نلم الآن بحقوق كل منهما على الآخر بالتفصيل، وأثر هذه الحقوق على العلاقات بينهما وبين الأطفال.

ثانياً - الحقوق التي تتعلق بحياة الجنين وسلامته:

قبل ذكر هذه الحقوق، نود أن نعرف الأطوار التي يمرّ بها الجنين، وهذه الأطوار قد وردت في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾﴾ [المؤمنون: ١٢-١٤].

ابتداءً.. فإن الجنين هو المخلوق الحي منذ اللحظة التي تم بها اللقاح بين بويضة المرأة والحيوان المنوي للرجل؛ وتشعر الحامل بحركة الجنين في النصف الأخير من الشهر الخامس كارتعاش أو رفرفة في أسفل البطن.

يقول الإمام سيد قطب - رحمه الله -: «يقف الإنسان مدهوشاً أمام ما كشف عنه القرآن، من حقيقة في تكوين الجنين، لم تعرف على وجه الدقة إلا أخيراً، بعد تقدم علم الأجنة التشريعي. ذلك أن خلايا العظام غير خلايا اللحم، وقد ثبت أن خلايا العظام هي

التي تتكون أولاً في الجنين، ولا تشاهد خلية واحدة من خلايا اللحم إلا بعد ظهور خلايا العظام، وتمام الهيكل العظمي للجنين، وهي الحقيقة التي يسجلها النص القرآني ﴿فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا﴾ [المؤمنون: ١٤] فالطين هو أصل الإنسان في أفراده التناسلية، وفي مادته الأولى آدم عليه السلام، ولكن ليس طوراً من أطوار الجنين باعتبار أنه ليس أمراً مباشراً لتكوينه، وإنما هو أصل بعيد نستطيع أن نعتبره أساساً للطور الأول، لا مرحلة تعد في سلسلة تكوينه وخلقه».

أما الأدوار التي يمرّ بها الجنين في الرحم من وقت التلقيح الذي هو أصل تكوين الجنين حتى مرحلة نفخ الروح، فهي الأطوار التي تناولها قوله تبارك وتعالى فيما سبق، وهي على النحو الآتي:

الطور الأول: «**نطفة**» ، وهي التي تخرج من صلب الرجل وترائب المرأة (صُلب الرجل: هي عظام ظهره الفقارية، وترائب المرأة هي عظام صدرها العلوية).

الطور الثاني: «**العلقة**» ، وهو الدم الجامد الغليظ.

الطور الثالث: «**المضغة**» ، وتعني في علم الأجنّة الولد في رحم الأم حتى آخر الشهر الثاني.

الحقوق التي تتعلق بحياة الجنين وسلامته:

نستطيع إجمال هذه الحقوق في البنود الآتية:

أ - **اهتمت الشريعة بالطفل قبل وجوده** في دعوتها الرجال إلى اختيار الزوجات ذوات الدِّين والخُلُق والمَنْبَت الحسن، وذلك كي تسري إلى الأولاد عناصر الخير والكمال. كما وجّه الشارع الآباء إلى اتخاذ الوسائل التي تكون بها حماية الطفل وصيانته من نزعات الشيطان عند وضعه في الرحم، وذلك بالدعاء عند الجماع بالدعاء المأثور، رجاء الولد الصالح، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال النبي ﷺ: «**أما لو أن أحدهم يقول حين يأتي أهلِه: باسم الله، اللَّهُمَّ جَنِّبني الشيطان، وجَنِّب الشيطان ما رزقتنا. ثُمَّ قدر بينهما في ذلك أو قضي ولد، لم يضره شيطان أبداً**»[1] .

ب - **إباحة الفطر في شهر رمضان للحامل**: يوجه الإسلام النساء إلى الرعاية بأنفسهنَّ أثناء الحمل، رفقاً بالجنين، ومحافظة عليه حتى لا يتعرض للنقص أو السقوط. وبالحمل تصبح الزوجة من أصحاب الأعذار.. فلها رخصة الفطر في رمضان، وعليها القضاء بعد ذلك، وكذلك لها عذر التصرف في هيئة حركات الصلاة إن آذاها تعب أو غيره، فقد روي عن النبي ﷺ أنه قال: «**إن الله عزَّ وجل وضع عن المسافر شطر الصلاة وعلى المسافر والحامل والمرضع: الصوم**»[2] .

---

(١) رواه البخاري الحديث (٥١٦٥).

(٢) رواه ابن ماجة الحديث (١٦٦٧)، والنسائي (٤/ ١٨٠، ١٨١، ١٨٢).

ج - **الإسلام يدعو الأم إلى تناول طيب الغذاء ويحرم ضار الغذاء:** طلب الإسلام من الأم أن تبقى بحالة نفسية هادئة، لأن حالة الأم النفسية تؤثر على صحة الجنين، كما تؤثر على نفسيته مستقبلاً، وفي هذا طُلِب منها الهدوء والاستقرار، والتقرب إلى الله تعالى بالصلاة وقراءة القرآن، كي يعود لها هدوءها النفسي، واتّزانها الانفعالي.

د - **تحريم الإجهاض:** الإجهاض هو إسقاط المرأة جنينها بفعل منها عن طريق دواء أو غيره، أو بفعل غيرها. لذا منع الإسلام المرأة من فعل ما يضر بالجنين، أو يلحق به الأذى، أو يؤدي إلى الإجهاض، سواء كان ذلك بواسطة عمليات جراحية، أم بتناول بعض الأدوية التي ينتج عنها سقوط الجنين.

هـ - **تأجيل إقامة الحد على المرأة الحامل حتى تضع حملها:** وذلك حُرمة للجنين، وإبقاء على حياته، ولذلك قرر الفقهاء أن القصاص أو الحد يؤجل تنفيذه حتى تضع الحامل حملها وترضعه، لأن قتل الأم هو قتل للجنين.

و - **فرض الإسلام عقوبات بدنية ومالية ضد كل من يتعدَّى على الجنين:** فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «اقتتلت امرأتان من هذيل، فرمت إحداهما الأخرى بحجر فقتلتها وما في بطنها، فاختصموا إلى رسول الله ﷺ، فقضى رسول الله ﷺ

أن دية جنينها غرة عبد أو وليدة، وقضى بدية المرأة على عاقلتها وَوَرَّثَها ولدها ومن معهم..»[(١)].

هذا في حالة الخطأ على الجنين، أما في حالة العمد فإنه إذا سقط الجنين قبل أن ينفخ فيه الروح فتجب الغرة على الجاني، وإن كان قد نفخ فيه الروح فإنه يتعيّن القصاص من الجاني لأنه قتل نفساً مؤمنة عمداً.

ز - **نفقة المطلقة الحامل حتى تضع حملها**: وذلك مراعاة للجنين قبل ولادته، وتستمر نفقة الرضاع والحضانة بعد الولادة على الأب.

ح - **الحقوق المالية للجنين**: يثبت للجنين منذ تكوينه حقوق مالية، حيث أثبت له الإسلام الحق في الإرث والوصية والوقف.

ثالثاً - حقوق الأبناء على الآباء:

نوجز هنا حقوق الطفل في الإسلام على النحو الآتي:

١ - حقُّ الطفل في الحياة.

٢ - الأذانُ في أذن المولود.

٣ - التسميةُ باسم حسن.

٤ - العقيقةُ.

---

(١) رواه مسلم الحديث (١٦٨١).

٥ - حَلْقُ الشعر.

٦ - الختان.

٧ - العناية بنظافته.

٨ - حَقَّهُ في الغذاء الذي ينبت اللحم وينشر العظم، وهو حقه في الرضاع.

٩ - وجُوب حمايته ورعايته، ويتمثل ذلك في «الحضانة».

١٠- حَقَّهُ في الإنفاق عليه حتى يبلغ السن التي يكون فيها قادراً على التكسّب.

١١- الرحمةُ والتلطُّف معه.

١٢- التسويةُ والعدل بين الأبناء.

١٣- التربيةُ.

١٤- التعليم.

١٥- الحكمةُ في التوجيه.

١٦- التأديبُ.

١٧- تعليمهُ الأخلاق.

١٨- تعليمُ الوضوء.

١٩- تعليمُ الصلاة.

٢٠- تعليم الطهارة.

٢١- حب الله عزّ وجل.

٢٢- حبّ الرسول ﷺ والأدب معه وطاعة هديه.

٢٣- تَحمّل المسؤولية.

٢٤- تَحفِيظَهُ القرآن الكريم والأحاديث النبوية.

٢٥- تقديم القدوةُ الصالحة.

رابعاً - حقوق الطفل اليتيم:

«اليتيم» هو الطفل الذي فقد أباه، قبل بلوغه الحُلم، وقال البعض إن اليتيم إذا بلغ الحلم لا يُسمَّى يتيماً، ومن فقد أباه وأمه معاً يسمى «لطيم»، ومن فقدهما وهو صغير فإن حاله يكون أسوأ، ومن هنا وجب على أقارب اليتيم أن يقوموا برعايته ولا يفرطوا في ذلك، فإن لم يفعلوا فعلى الأقرب فالأقرب، حتى يتم تعيين كفيلٍ له وَوَصِيٍّ عليه، لأن فرض كفيل على اليتيم من مسؤولية المجتمع ككل، والمجتمع الذي تسوده روح التكامل يبادر فوراً إلى سد هذه الثغرات التي تنشأ نتيجة الموت والعوارض الأخرى.

وحقوق الطفل «اليتيم» في الإسلام كثيرة يمكن إيجازها في البنود الآتية:

١ - حسن تربيته وتعليمه التعليم المناسب، سواء أكان تعليم صنعة أو حرفة يتعيش منها ويتكسّب، إن كان فقيراً، أو تعليمه تعليماً عالياً مناسباً إن كان غنياً.

٢ - العناية بصحته وتطبيبه، ووقايته من الأمراض.

٣ - الاهتمام بماله وتنميته، وعدم الإسراف فيه، وعلى الكفيل أن يتاجر بهذا المال ويشارك فيه، وله أن ينفق على نفسه من مال اليتيم بالمعروف إن كان الكفيل فقيراً، وكان استثمار مال اليتيم يشغله عن العمل لنفسه، وله أن يخلط ماله مع مال اليتيم ويخصم منه قدر نفقة اليتيم حسب العرف الشائع.

يقول تعالى: ﴿وَءَاتُوا۟ ٱلْيَتَـٰمَىٰٓ أَمْوَٰلَهُمْ ۖ وَلَا تَتَبَدَّلُوا۟ ٱلْخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِ ۖ وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَهُمْ إِلَىٰٓ أَمْوَٰلِكُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا﴾ [النساء: ٢].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَـٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ [النساء: ١٠].

يقول الله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَـٰمَىٰ ۖ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ ۖ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ ٱلْمُفْسِدَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٢٠].

٤ - إدخال السرور على اليتيم، والتبسُّم في وجهه، ومسح رأسه، والسؤال الدائم عنه ومتابعته، خاصة في المواسم والأعياد والمناسبات، حتى لا يشعر بالوحدة وانكسار النفس.

٥ - دعوته لحضور جلسات العلم والتوجيه والإرشاد، مع غشيانه للحلقات العلمية الهادفة في النوادي والجمعيات.

٦ - مصاحبة اليتيم في السفر وقضاء الإجازات، واعتباره واحداً من أفراد الأسرة، بل هو أولى.

٧ - عيادته عند مرضه، وتسهيل كافة الإجراءات التي تجعله سليماً معافى في بدنه.

٨ - اختيار الأصحاب والقرناء الذين يصلحون لصحبته، من ذوي الأخلاق والسجايا الرفيعة، ومشاركتهم له في الرحلات الداخلية والخارجية لتنمية شخصيته وصقلها، وتعويده على تحمّل المسؤوليات.

٩ - مراعاة شعور اليتيم - وبالأخص الأنثى - والمحافظة على مجالات الحياء والعفة، وتقدير ذلك في حفظ كرامتها، وإعلاء القيم القائمة على هدي الإسلام في حفظ الأعراض، وصيانة الأسرار.

وهناك الأحاديث النبوية العظيمة التي حثّت على رعاية اليتيم ورفعت منزلته، ودعت إلى رعايته والتقرُّب إلى الله تعالى بالعطف عليه، ففي ذلك خير عاجل لليتيم، وخير آجل للمجتمع.

ففي الحديث الذي رواه البخاري وأبو داود والترمذي، قال رسول الله ﷺ: «**أنا وكافل اليتيم في الجنَّة هكذا**»[1]، وأشار بالسبابة والوسطى، وفرَّج بينهما».

(١) رواه البخاري (٧/٦٨، ٨/١٠)، وأبو داود الحديث (٥١٥٠)، والترمذي الحديث (١٩٢٣) وقال عنه: حسن صحيح.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما، أن نبي الله ﷺ قال: «**من قبض يتيماً من بين مسلمين إلى طعامه وشرابه، أدخله الله الجنَّة البتة إلا أن يعمل ذنباً لا يُغفر**»[1]، ويعني هذا الحديث أن من أخذ يتيماً ليس له أب ولا أُم فأطعمه وسقاه، أدخله الله الجنَّة قَطْعاً إلا إن كان مشركاً.

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه، عن النَّبيِّ ﷺ قال: «**الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله**»، وأحسبه قال: «**وكالقائم لا يفتر، وكالصائم لا يفطر**»[2].

وهذا الحديث الأخير له صلة رغم عدم وروده باليتيم، نصاً، فالأرملة قد تكون قائمة برعاية يتامى في حجرها، فتكون رعايتها والسعي عليها - بمعنى جلب الرزق لها ومساعدتها في أمور المعيشية - رعاية لمن معها من اليتامى، فينال ثواب الاثنين معاً، وما أعظمه من ثواب[3].

* * *

(١) رواه الترمذي الحديث (١٩٢٢).

(٢) رواه البخاري الحديث (٥٣٥٣)، ومسلم الحديث (٣٩٨٢).

(٣) انظر بالتفصيل كتاب (الطفل في الإسلام)، كلية التربية الأساسية، إشراف ومراجعة د. محمد المأمون محمد على المحرزي، (دولة الكويت: ٢٠٠٠م).

رعاية الأسرة للطفولة وبرامج الوقاية للطفل

الطب الوقائي في الأسرة

الطب الوقائي: هو محاولة المحافظة على صحة الإنسان بإكسابه القوة والمناعة والنشاط والحيوية، مع الحيلولة بين الفرد وبين المرض قبل وقوعه.

وقد قسمت منظمة الصحة العالمية خدمات الرعاية الصحية إلى مستويات أربع:

١ - **تحسينية أو تعزيزية**: وذلك بتحسين صحة الفرد، وتوفير الصحة الإيجابية التي تحقق له القوة والمناعة، والتي تعتبر مصداقاً لقول الرسول الكريم ﷺ «**المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف**»[١].

٢ - **وقائية**: وذلك لحماية الفرد من المرض قبل حدوثه.

٣ - **علاجية**: لعلاج الفرد إذا حلَّت به نازلة المرض.

٤ - **تأهيلية**: بعد علاج المرض لتقليل الآثار الناتجة عن المرض، وتحسين قدرات الفرد على ممارسة أنشطته في الحياة.

ويشمل الجانب الوقائي كلًّا من المستويين الأول والثاني.

---

(١) رواه مسلم في القدر (٣٤)، وابن ماجة، الحديث (٧٩، ٤١٦٨).

المستوى الأول: تعزيز الصحة:

خلق الإنسان لعبادة الله تعالى بالعمل الصالح الذي ينفعه في دينه ودنياه، ولكي يستوفي حق العبادة ويؤدي وظيفة الخلافة في الأرض فإن عليه أن يكون صحيحاً معافى، فقد روى الإمام أحمد عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال: «سلوا الله المعافاة - أو قال العافية - فما أوتي أحد قط بعد اليقين خيراً من العافية أو المعافاة» والصحة الإيجابية تعني التمتع برصيد من القوة يعين على مواجهة مسببات الأمراض، وليست مجرد الخلو من المرض.

وتحقيق الصحة الإيجابية من كفاية بدنية ونفسية واجتماعية لا يتوفر إلا بتكاتف الظروف الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية والروحية، بحيث تصب كلها في توفير مجتمع صحيح قوي. فمثلاً القيم السائدة في المجتمع التي تُصورها وسائل الاعلام.. فإن كانت قيماً صحيحة، فإنها ترسم صورة في ذهن الطفل والشاب - على سبيل المثال - لتبعده عن التدخين والمسكرات والمخدرات، وتدفعه إلى السلوك المتزن الذي يحميه من الحوادث، وتشجعه على بناء جسمه وعقله وتكيفه مع بيئته، وهكذا.. فإن تعزيز الصحة مهمة شاملة تشترك فيها كل قطاعات المجتمع، وليست قاصرة على المسؤولين عن الخدمات الصحية.

أمثلة لتحسين الصحة من منظور إسلامي:

١ - أمر الإسلام باختيار شريك صالح لإنتاج ذرية صالحة سليمة

خالية من الأمراض الوراثية. روى ابن عباس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قوله: «**تخيروا لنطفكم**»[1].

٢ - دعا الإسلام إلى الرضاعة الطبيعية لتوفير القوة والمناعة والبناء السليم للجسم. قال تعالى: ﴿وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ ۚ﴾ [البقرة: ٢٣٣].

٣ - ولكي يعطى الطفل فرصة للرضاعة، ويعطي الأم فرصة لاستعادة صحتها بين الحمل والآخر، فقد كره رسول الله ﷺ أن تحمل الأم حملاً جديداً وهي ما تزال ترضع طفلها إذ يقول ﷺ: «**لقد هممت أن أنهي عن الغيلة**»[2].

٤ - اللياقة البدنية تبنى بالتدريب على مختلف أنواع الرياضات، وقد أوصى رسول الله ﷺ بها في حديثه: «**عليكم بالرمي فإنه خير لعبكم**»[3] كما روى أبو داود أنه كان يسابق السيدة عائشة رضي الله عنها.

٥ - التغذية الصحيحة، وخاصة للأطفال في مرحلة النمو لبناء الجسم بناء سليماً، فقد قال ﷺ: «**أفضل الدينار دينار ينفقه**

---

(١) رواه ابن ماجة، الحديث (١٩٦٨)، والبيهقي في السنن الكبرى (٧/ ١٣٣)، وابن حجر في الفتح (٩/ ١٢٥).

(٢) رواه مسلم في النكاح باب (٢٤) رقم (١٤٠، ١٤١)، وأبو داود، الحديث (٣٨٨٢)، والترمذي، الحديث (٢٠٧٧)، والنسائي (٦/ ١٠٧).

(٣) ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٥/ ٢٦٨)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ٢٧٨).

الرجل على عياله»[1] وهناك حث للمرء على اختيار الغذاء النافع لبناء الجسم مثل اللبن واللحم لما فيهما من البروتينات الهامة.

٦ - وبما أن صحة البيئة تنعكس على صحة الإنسان، فقد ورد أن النبي ﷺ كان يستحب الصلاة في الحيطان - أي البساتين المحاطة بحائط - حيث الهواء النقي.

٧ - توفير قسط من الراحة البدنية والنفسية لقوله ﷺ: «**إن لربك عليك حقاً، ولنفسك عليك حقاً، ولأهلك عليك حقاً**»[2] وإعطاء الجسم كفايته من النوم والراحة، والترويح عن النفوس بالتسلية المباحة لقوله ﷺ: «**روّحوا القلوب ساعة وساعة**»[3].

المستوى الثاني: الطب الوقائي:

حماية الصحة والمحافظة عليها من المفاهيم الإسلامية الأصيلة. ومنذ صدر الإسلام ظهر مفهوم حفظ الصحة وتجنّب أسباب المرض، وكتب الإمام علي بن موسى الرضا إلى الخليفة المأمون وصايا صحية بعنوان: «الرسالة الذهبية في حفظ الصحة».

---

(١) رواه الترمذي، الحديث (١٩٦٦).
(٢) رواه البخاري (١٩٦٨)، والترمذي (٢٤١٣)، وابن حبان (٣٢٠).
(٣) إتحاف السادة المتقين (٥/٣٠٨، ٦/٣٦٨، ١٠/٣٤)، وكنز العمال، الحديث (٥٣٥٤).

ويعتمد حفظ الصحة على مفاهيم إسلامية ثابتة أهمها:

١ - حفظ صحة الفرد يعينه على العبادة، وهي بذلك تحقق مصلحة الدين، كما تحميه من المرض، وبذلك تحقق مصلحة البدن والعقل، والصحة تعين على العمل والكسب والتناسل، فهي بذلك تحفظ مصلحة النسل والمال، وهكذا.. فحفظ صحة الفرد يحقق المقاصد الخمس للشريعة.

٢ - حفظ صحة البيئة فيه حماية لأمة المسلمين من الضرر، لأن سلامة المجتمع المسلم وقوَّته فيها رفع لكلمة الله.

وإذا نظرنا إلى موقف الإسلام من الوقاية والعلاج، نجد أن رسول الله ﷺ أمر بالتداوي «يا عباد الله تداووا»[(١)]، أما في الوقاية والحماية فإنها أقرب إلى صيغة الإلزام خاصة في ما يمس سلامة المجتمع، فمثلاً أمر رسول الله ﷺ بقتل الحيات والأفاعي حتى لا تؤذي مسلماً، واعتبر هذا العمل الوقائي واجباً على المسلم بحيث يكون المتقاعس عنه كمن ارتكب إثماً كبيراً، حيث يقول ما رواه أبو داوود عن ابن عباس رضي الله عنهما: **«من ترك الحيات مخافة طلبهن فليس منا»**[(٢)].

وفي حديث الطاعون الشهير، يتبيَّن أن من بقي في موقعه عند

---

(١) رواه الترمذي، الحديث (٢٠٣٨).

(٢) رواه أبو داود، الحديث (٥٢٥٠)، والإمام أحمد في المسند (١/ ٢٣٠).

ظهور الطاعون حتى يتجنّب نشر العدوى بين الآخرين فإنه يكون شهيداً «**الطاعون شهادة لكل مسلم**»[1].

عناصر الطب الوقائي في الأسرة

أولاً: الصحة الشخصية:

١ - الطهارة:

الطهارة شرط لدخول الإنسان في الإسلام، وشرط للصلاة والصيام والحج والعمرة. قال عليه الصلاة والسلام: «**الطهور شطر الإيمان**»[2]، ومن الصعب أن نجد ترجمة في غير العربية لمفهوم الطهارة، لأن الطهارة في اللغة العربية أوسع بكثير من النظافة، فهي تشمل طهارة النفس والبدن، والارتباط بينهما عنصر أساسي في الإسلام.

أما بالنسبة للنظافة فقد سبق الإسلام كل ثقافات الشعوب، وتعاليمه في النظافة من الوضوح والدّقة بحيث أن تقدّم العلم لم يزد عليها شيئاً إلا مجرد تفسيرات حديثة للإجراءات التي وصفها الإسلام. قال ﷺ: «**إن الله جميل يحب الجمال**»[3] والجمال يقتضي كل معنى حسن، من طهارة ونظافة وغيرها مما يتّصل بالإنسان.

---

(١) رواه البخاري (٤/ ٢٩، ٧/ ٦٩)، ومسلم في الإماءة (١٦٦).

(٢) رواه مسلم في الطهارة (١)، والإمام أحمد في المسند (٥/ ٣٤٢، ٣٤٣، ٣٤٤).

(٣) رواه مسلم في الإيمان (١٤٧)، والإمام أحمد في المسند (٤/ ١٣٣، ١٣٤، ١٥١).

ومن بعض عناصر النظافة الشخصية الآتي:

أ - **نظافة اليدين**، ففي الحديث الشريف «**من بات وفي يده ريح غمر فأصابه وضح، فلا يلومن إلا نفسه**»[1] والغمر هو الدسم.

ب - **نظافة الملبس**، حيث يقول تعالى: ﴿خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ﴾ [الأعراف: ٣١].

ج - **نظافة البدن**، ويكفي في ذلك الوضوء خمس مرات في اليوم وغسل الجمعة الذي هو واجب على كل مسلم.

د - **نظافة الحواس**، كالعين والأنف وغيرهما، ونظافة الجوارح كلها، والأخذ بسنن الفطرة من ختان، وتقليم أظفار، وغيرهما مما جاء في حديث رسول الله ﷺ: «**خمس من الفطرة: الختان والاستحداد وقص الشارب وتقليم الأظفار ونتف الإبط**»[2].

وهذه السنن عنوان النظافة الشخصية في الإنسان، وهي مرضاة للرب ووقاية للبدن.

هـ - **السواك**، نظراً لأهمية الأسنان لمضغ الطعام، وتوفير التغذية السليمة للجسم، فإن نظافتها ووقايتها لا تعتبر مجرّد عادة

---

(١) رواه الترمذي، الحديث (١٨٦٠).

(٢) أبو داود في الترجل ب ١٦، والترمذي، الحديث (٢٧٥٦)، والنسائي (١/ ١٤، ٧/ ١٢٩، ١٨١)، وابن ماجة (٢٩٢)، والإمام أحمد في المسند (٢/ ٢٢٩، ٢٣٩، ٢٨٣، ٤١٠، ٤٨٩).

صحية فحسب، ولكن من أعمال العبادة التي يتقرّب بها العبد من الله. يقول ﷺ: «**السواك مطهرة للفم مرضاة للرب**»[1]، وقد ربطها الإسلام بأهم الفرائض وهي الصلاة لقوله ﷺ «**لولا أن أشق على أُمَّتي لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة**»[2]، والقصد من السواك ليس إزالة بقايا الطعام فحسب، ولكن إزالة الطبقة الرقيقة من اللعاب الذي يجف على سطح الأسنان فتتكاثر فيها الجراثيم، لذا تلزم إزالتها بين الحين والآخر، وقد روى البخاري: «**كان رسول الله ﷺ إذا قام من النوم يشوص فاه بالسواك**»[3].

٢ - الوقاية من الأمراض المعدية:

انطلاقاً من وجوب الوقاية متى توفرت إمكانياتها، فإن تطعيم الأطفال من الأمراض المعدية كشلل الأطفال والحصبة والسعال الديكي والدفتيريا.. وغيرها، تعتبر من الواجبات التي لا يجوز التقصير فيها، ويأثم الأب والأم بإهمالها «**كفى بالمرء إثماً أن يضيع من يقوت**»[4].

---

(١) أخرجه البخاري (٣/ ٤٠)، والنسائي (١/ ١٠)، وابن ماجة الحديث (٢٨٩).

(٢) أخرجه البخاري (٢/ ٥، ٣/ ٤٠، ٩/ ١٠٦)، ومسلم في الطهارة ب (١٥) رقم (٤٢).

(٣) أخرجه البخاري (١/ ٧٠، ٢/ ٥)، ومسلم في الطهارة ب (١٥) رقم (٤٦) مكرر، ٤٧.

(٤) رواه أبو داود، الحديث (١٦٩٢)، والإمام أحمد (٢/ ١٦٠، ١٩٤، ١٩٥).

٣ - وقاية الجسم من الخبائث:

أحلَّ الله الطيِّبات وحرَّم الخبائث، ومن أخطرها المخدرات والخمر والتدخين، فهي تنعكس على صحة البدن، والصحة النفسية، وتجعل متعاطيها مستهدفاً للحوادث وتشوهات الأجنة، كما أنها إضاعة للمال فيما حرَّم الله.

٤ - الوقاية من الأمراض المرتبطة بالسلوك الاجتماعي:

من حكم الله تعالى أن الجراثيم والفيروسات التي تنتقل بالاتصال الجنسي ضعيفة ولا تتحمل الجفاف، لذلك فالعدوى لا تحدث إلا بالالتقاء الجسدي الوثيق، ولا تحدث عرضاً من السلام، أو استعمال الأدوات الشخصية، أو عن طريق التنفس، ومن هنا كان التزام السلوك القويم وتجنب ما حرَّم الله عزَّ وجل خير وسيلة للوقاية من الأمراض المنتقلة بالاتصال الجنسي، والتي ظهرت منها أنواع ليس لها طُعم واق أو علاج شاف حتى الآن. لذلك شجع الإسلام على الزواج المبكر، قال ﷺ: «**يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج، فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج**»[١].

٥ - حماية الصحة النفسية:

تتحقق بتكيف الفرد مع الأسرة والمجتمع، من خلال الإيمان بالله

(١) رواه البخاري (١/٣)، ومسلم في النكاح (١، ٢).

والالتزام بتعاليم الدين، وصلة الرحم، وحفظ النفس من الانزلاق للهوى والشهوات. وفي رضى الإنسان عن نفسه واطمئنانه إلى رضاء ربه، يتولّد الشعور بالسكينة الذي يقي الفرد من المرض النفسي.

٦ - صحة المرأة:

في فقه النساء عناصر كثيرة تجمع بين الطهارة والنظافة الشخصية، والإجراءات الصحية الضرورية في أمور الحيض والاستحاضة والجنابة والنفاس.. وغيرها. والالتزام بهذا النوع من الفقه ضرورة شرعية، وعنصر أساس من عناصر الوقاية من الأمراض.

ثانياً: صحة البيئة:

حماية صحة البيئة تطبيق لقاعدة أساسية، وهي أن كل مسلم مسؤول عن سلامة جماعة المسلمين، تطبيقاً لمبدأ أنهم كالجسد الواحد.. إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء. ولحماية صحة البيئة مستويان سلبي وإيجابي:

أ - **المستوى السلبي**: هو تجنب الإفساد وإلحاق الضرر بالبيئة، فمثلاً يقول الرسول الكريم ﷺ: «**المسلم من سَلِمَ المسلمون من لسانه ويده**»[1]، ويقول ﷺ: «**ملعون من ضار مؤمناً أو**

(١) رواه البخاري (١/٩، ٨/١٢١)، ومسلم في الإيمان (٦٥).

مَكَر به»[1]، ويقول ﷺ: **«اتقوا الملاعن الثلاثة: البراز في الموارد وقارعة الطريق والظل»**[2]. وهناك ارتباط عضوي بين صحة الفرد وصحة البيئة، وأي تلوث للبيئة ينعكس على صحة الإنسان، وفيه أذى للمسلمين.

ب - **المستوى الإيجابي**: وهو الإصلاح، أي: إزالة الأذى والخطر الذي قد ينتج عنه ضرر للمسلمين، حتى ولو لم يكن المرء متسبباً في حدوثه، فيقول ﷺ: **«اعزل الأذى عن طريق المسلمين»**[3]، ويقول ﷺ: **«وإماطتك الأذى والشوك والعظم عن الطريق لك صدقة»**[4] وهذا المستوى من الإصلاح هو من شعب الإيمان، والقيام به يؤدي إلى طريق الجنّة.

وإذا كانت الأحاديث النبوية الشريفة قد ركَّزت على نظافة مصادر المياه وأساليب صرف الفضلات، فإن الحضارة الحديثة قد أنتجت الكثير من الملوثات التي تلوث الماء والهواء والغذاء، وأياً كان نوع التلوث، فإنه يقع تحت طائلة ما نهى عنه الله ورسوله، ومن واجب الأسرة المسلمة تعويد أولادها من الصغر على العادات

---

(١) رواه الترمذي، الحديث (١٩٤٦)، وقال عنه: غريب.

(٢) رواه مسلم.

(٣) رواه ابن ماجة، الحديث (٣٦٨١)، والإمام أحمد في المسند (٤/ ٤٢٠، ٤٢٣).

(٤) رواه الترمذي، الحديث (١٩٦١)، وقال عنه: حسن غريب، وعنده لفظة (الحجر) بدلاً من (الأذى). ورواه أيضاً ابن حبان في صحيحه (٥٣٠)، والمنذري في الترغيب والترهيب، الحديث (٣٩٧٠).

الإسلامية الصحيحة، سواء في النظافة الشخصية من البدن واللباس والطعام والشراب والرياضة والترويح، وأيضاً في تحمل مسؤوليتهم في حفظ صحة البيئة، بتجنّب الممارسات التي تؤدي إلى تلوثها، وأكثر من ذلك في أن يتّسموا بعلو الهمّة، وأن يساهموا في مجهودات إصلاح البيئة لما أصابها من ضرر أو تلوث.

* **الوقاية من الحوادث**: تشكل الحوادث عموماً وحوادث الطرق خصوصاً نسبة عالية من أسباب الموت والإعاقة، ومن هنا ظهر علم السلامة الذي يقوم على تحليل أسباب الحوادث، ودراسة الوقاية منها؛ لأن كل حادثة تنتج من أسباب يمكن تلافيها. وقد وضع الإسلام القاعدة الأساس لعلم السلامة في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ خُذُواْ حِذْرَكُمْ﴾ [النساء: ٧١]. واتخاذ الحيطة لا ينفي التوكل على الله، فالمسلم لا يترك نفسه للعوامل المختلفة تؤثر على سلامته، بل يجب عليه أن يتّخذ ما بوسعه من إجراءات الوقاية والسلامة.

ومن إجراءات الوقاية من الحوادث تحريم الخمر والعقاقير، ومنها تربية الأبناء على التروي والأناة، وتجنّب التهوّر والعجلة والاندفاع، ومنها وضع كل شيء في البيت في موقع يجعله غير مؤهل للسقوط، أو أن يكون سبباً في حادثة غير متوقعة، بحيث يتربى الأبناء على فكرة السلامة، وتَحَسُّبِ الأمور قبل حدوثها، وهذا ينفعهم في كافة أمور حياتهم.

من برامج الوقاية وفق هدي الإسلام

أولاً: اتباع السنن النبوية في الأكل والشراب:

يعتبر الغذاء ضروري لحياة الإنسان، فهو يؤثر تأثيراً مباشراً على صحته وقدرته على العمل والحركة، فبالغذاء يستطيع أن يستمر في حياته، وإذا لم يتناول طعاماً فإنه يموت. والأصل في الأغذية أنها لبناء الجسم، ولتعويض عما يفقد من مجهوداته المختلفة، والنمو، ولتقويته، ولمناعته من الأمراض، وتقديم القدرة الكافية في الحفاظ على حرارته، وفي قيام أجهزته بأعمالها.

فإذا ولد الطفل، دعا الإسلام للاهتمام بإشباع حاجاته الفسيولوجية الأساسية، والتي لا بد له من إشباعها حتى يحتفظ ببقائه، كالحاجة إلى الطعام والنوم.. وغيرهما. لذا اهتمت التربية النبوية بتكوين العادات الصحية في تناول الطعام - والتي سبق ذكرها - من غسل اليدين، والفم، والتسمية قبل الأكل، وهيئة الجلوس الصحية.

وقد وضع المربون المسلمون المنهج الذي يُتَّبع في تأديب الصبيان، فمن هذا المنهج تعلم الصبي آداب تناول الطعام، فهذا مسكويه، يقول: «يعلم الصبي أن تناول الطعام لحفظ الصحة وليس للذة، فلا يجب أن يتناول من الطعام إلا ما يحفظ صحة البدن، ويدفع ألم الجوع، أو يمنع من المرض، ويقبح عنده

الشره»، ويقول: «ويؤاخذ باشتهائه للمآكل والمشارب والملابس الفاخرة، ويزين عنده خلق النفس، والترفُّع عن الحرص في المآكل خاصة، وفي الملذات عامة، ويحبب إليه إيثار غيره على نفسه بالغذاء، والاقتصار على الشيء المعتدل، والاقتصاد في التماسه».

والله تعالى طلب من الإنسان الاهتمام بجسمه، فلا يفرط في أكله وشرابه، حيث يقول تبارك وتعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ﴾ [الأعراف: ٣١]. ففي الآية الكريمة يناديهم تعالى ليتمتعوا بالطيِّبات من الطّعام والشراب دون إسراف.

لقد وضع الإسلام منهجاً خاصاً للتغذية، وأمر المسلمين بتطبيقه وهو:

أ - الاعتدال في الطعام:

مصداقاً للآية الكريمة السابقة ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ﴾ [الأعراف: ٣١]. لقد جمعت الآية الكريمة أسس حفظ الصحة الموجودة، وذلك لأن البدن لا بد له من ملاقاة أشياء ضرورية ينبغي تدبيرها وتعاهدها لحفظ صحة البدن، ويأخذ القدر الأصلح من كل منها، وهي: الأكل والشراب، وغيرها.

وضعت الآية الكريمة قاعدة لسلامة الجسم، وهي عدم الإفراط في الأكل، لأن ذلك يضر المعدة، ويحملها ما لا طاقة لها به، فإن النهمة تفتك بالجسم، وتسبب إصابته بكثير من الأمراض، وتشل حركة تفكيره ونشاطه، وقد أكد الرسول ﷺ على الاقتصاد في الطعام من حيث كميته للمعدة، لأن ذلك فيه صحة للإيمان وللأجسام، فيقول عليه أفضل الصلاة والسلام: «**طعام الاثنين كافي الثلاثة وطعام الثلاثة كافي الأربعة**»[1].

ويقول الإمام الرضا - عليه السلام - في رسالته الذهبية، التي ألّفها بطلب من المأمون: «فانظر يا أمير المؤمنين إلى ما يوافقك، ويوافق معدتك، ويقوي عليه بدنك، ويستمرئ به من الطعام، فقدره لنفسك، واجعله غداءك».

وهذا ابن القيم الجوزية يضع منهاجاً للمربين لاتباعه في تعويد أطفالهم على الطريقة السليمة في الطعام فيقول: «من أنفع التدبير لهم أن يعطوا دون شبعهم ليجود هضمهم، وتعتدل أخلاطهم، وتقل الفضول في أبدانهم، وتصح أجسادهم، وتقل أمراضهم لقلة الفضلات الغذائية».

لكل هذا سوف نبيّن مضار الشره والإسراف التي تتمثل بالآتي:

---

(١) رواه مسلم، الحديث (٢٠٥٩)، والترمذي، الحديث (١٨٢٠)، وابن ماجة، الحديث (٣٢٥٤).

١ - التعرض للبدنة والسمنة: قيل: «كلما طال زنارك قصرت حياتك»، وتبين أرقام شركات الضمان (التأمين) أن الذين وزنهم أقل من المقياس الطبيعي يأملون بحياة أطول،. كما أنه ليس فيهم استعداد للإصابة ببعض الأمراض التي يصاب بها عادة الذين وزنهم فوق الطبيعي.

٢ - اضطراب الجهاز الهضمي: وقد يحصل الإسهال، والإمساك، ويؤدي أيضاً إلى توسع أو امتداد المعدة الحاد.. والتي قد تؤدي إلى الموت إذا لم تعالج، وإلى التخمة، وعسر الهضم، والتلبك المعدي، وكثرة الغازات، وأوجاع في المنطقة السرسوفية (منطقة من البطن تقع أسفل القفص وفوق منطقة السبرة)، لذا فإن الرسول ﷺ يقول: **«ما ملأ آدمي وعاء شراً من بطن، بحسب ابن آدم أكلات يقمن صلبه، فإن كان لا محالة فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه»**[(١)].

٣ - التعرض للأمراض: عدم الاعتدال في الطعام قد يؤدي إلى مرض النقرس أو داء الملوك، أمراض الجهاز الدوري (القلب والأوعية الدموية، والتهاب البنكرياس الحاد، والمرارة، والسكري. .إلخ) وكثرة التعرض للحوادث والإصابات.. الصحية، ونخر الأسنان، والتسممات الغذائية، والضرر بالنفس والفكر، فكثرة الأكل تؤدي إلى همود في النفس،

(١) رواه الترمذي، الحديث (٢٣٨٥)، وقال عنه: حسن صحيح، ورواه الحاكم في المستدرك (٤/ ٣٣١)، وابن ماجة، الحديث (٣٣٤٩).

وبلادة في التفكير، وميل إلى النوم.. قال لقمان: «يا بني إذا امتلأت المعدة نامت الفكرة، وخرست الحكمة، وقعدت الأعضاء عن العبادة». هذه بعض الأضرار الناجمة عن الشراهة والإفراط في الطعام.

ب - الأغذية المحرمة:

أكد الطب الحديث أن بعض الأطعمة تضر ببعض الأجسام، وتظهر عليها عوارض الحساسية والعلل والضعف العام، لذلك فإن كل ما يضر بالجسم يعتبر حراماً؛ لأن الضرر مرفوض في الإسلام، فمن هنا حرَّم الإسلام الأطعمة التي تؤدي إلى انهيار الجسم والصحة، والتي تعطل المسلم عن أداء واجباته تجاه ربه ونفسه وأمته، مثل الخمر والدم ولحم الخنزير وجميع المسكرات والنجاسات، منها ما حُرِّم لضررها البيِّن، ومنها ما حُرِّم تعبداً.

وهنالك أحاديث نبوية تحدد لنا الأغذية المحرمة التي تضر بالصحة إلى جانب الآيات الكريمة والتي منها: قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ [المائدة: ٩٠]، وهذا رد الرسول الكريم الشافي للصحابي حين سأله عن الخمر يصفها للدواء، فكان قوله عليه الصلاة والسلام: «**إنه ليس بدواء ولكنه داء**»[(١)]. ويمكن

---

(١) رواه الإمام مسلم في الأشربة (١٢)، والإمام أحمد في المستدرك (٤/ ٣١٧).

القول أن فلسفة التربية الإسلامية عندما تحدد تحريم أنواع معينة من الطعام في غذاء الإنسان، فإن الهدف من ذلك هو المحافظة على الجسم قوياً قادراً كي يظل متلقياً أصول التربية الإسلامية بأقصى قدراته، وإمكاناته، وليس بجزء منها.

ج - مضغ الطعام:

حثَّ الإسلام على مضغ الطعام جيداً وندب إليه، وهذا ابن مسكويه يقول: «إذا جلس (أي الصبي) مع غيره للطعام، فلا يبادر إلى الطعام، ولا يديم النظر إلى ألوانه، ولا يحدق إليه شديداً، ويقتصر على ما يليه، ولا يسرع في الأكل، ولا يعظم اللقمة، ولا يبلعها حتى يجيد مضغها».

د - عدم الأكل والشرب متكئاً أو نائماً:

يُكره الأكل والشرب متكئاً ونائماً لأنه ضرر للمعدة، والرسول ﷺ يقول: «**إني لا آكل متكئاً**» [(١)].

هـ - عدم النفخ في الطعام:

منع الإسلام تناول الطعام الحار، وقد نهى الرسول ﷺ من النفخ في الطعام الحار، فعن أبي داود والترمذي أن رسول الله ﷺ قال: «**ولا ينفخ في الطعام الحار**»، فهو منهي عنه، بل يصبر إلى أن

(١) ذكره ابن حجر في فتح الباري (٩/ ٥٤٠).

يبرد ويسهل أكله، وقد ثبت صحياً الأثر السلبي للنفخ على الطعام من خروج للميكروبات وثاني أكسيد الكربون مع النفس إلى الطعام المنفوخ.

هذا هو منهج الإسلام، ومنهج سيد الهدى في التغذية السليمة، إن تعليم أولادنا الالتزام بهذا المنهج، بالتوسط في الأكل قدر الحاجة والبُعد عن كل ما حرَّمه الشرع من الأطعمة والأشربة لهو كفيل بالمحافظة على صحته، ومن الجدير بالعلم أن الطعام لا يؤكل لأجل الطعام، إنما الطعام له غايته.. وهي بناء الجسد بالقدر الذي يحتاجه الجسد، على أن لا يخضع الإنسان لشهوة الطعام ويصير عبداً لها.

ثانياً: اتباع السُّنَن النبوية في النوم:

يعتبر النوم من العمليات الأساس في الحياة، لذا أصبح حالة سوية لكل الناس، فكما أن الطعام يؤدي إلى نمو اللحم، نجد أن النخاع أو اللب الذي يزداد نحافة وضعفاً بسبب طول فترة الاستيقاظ، يستعيد بناءه وتكوينه ونموه مرة ثانية أثناء النوم. إن الإسلام دعا إلى راحة الجسم بالنوم وقتاً كافياً، بعد العناء والكد في النهار، ولا يزول تعب الإنسان إلا بالراحة، ويكون بالنوم، فالنوم والتعب والراحة يتعاقبان على الإنسان على الدوام، وهذا قانون طبيعي له علاقة شديدة بالصحة كالتغذية ونحوها.

ويعرف الكندي النوم بأنه «ترك استعمال النفس للحواس جميعاً، فإننا إذا لم ننظر، ولم نسمع، ولم نذق، ولم نشم، ولم نلمس، من غير مرض عارض، ونحن على طباعنا، فنحن نيام». والحاجة إلى النوم، كما يعرف الناس جميعاً، تزداد كلما طالت الفترة التي قضيناها أيقاظاً.

من فوائد النوم:

١ - سكون الجوارح وراحتها مما يعرض لها من التعب، فيريح الحواس من نصب اليقظة، ويزيل الأعياء والكلال[١].

٢ - هضم الغذاء، ونضج الأخلاط، لأن الحرارة الغريزية في وقت النوم تغور إلى باطن البدن، فتعين على ذلك، ولهذا يبرد ظاهره، ويحتاج النائم إلى فضل دثار.

٣ - التخلص من السموم المتراكمة من الجسم، وبناء أنسجة الجسم التالفة.

٤ - علاج القلق والتوتر.

ويقول الكندي: «للنوم فائدة كبيرة للإنسان والحيوان، فإنه يؤدي إلى سكون الأعضاء عن الحركة، وتفريغ الآلة الهاضمة للهضم، وإفادة البدن من الغذاء، خلفاً من كل ما سال وتحلل منه بالتعب».

---

(١) ابن قيم الجوزية.

الآثار المترتبة على الحرمان من النوم:

يقول الكسندر بوربلي عن الآثار المترتبة على الحرمان من النوم عند قطاعات متعددة من القوة العاملة «إنه يمكن أن يؤدي إلى خفض في قدرة الشخص في أداء وظائفه بكفاءة، وقد تكون له عواقب مأساوية بالنسبة لسائقي السيارات أو عمال الصناعة وغيرهم..». فالإنسان الذي لم ينم تظهر عليه علامات التعب والإعياء، فيقل تركيزه كما ينقص وزنه، لأن النوم فيه تجديد لحيوية الإنسان ونشاطه.

نوم الطفل:

يعتبر النوم وكيفيته من أعظم الأمور أهمية في حياة الطفل العقلية والبدنية، وخاصة أثناء السنوات الثلاث الأولى من عمره، فقد رأى المربون المسلمون أن على الأم أن تعنى بمضجع الطفل وغذائه، ويقول ابن سينا: «يجب أن يكون رأسه في مرقده أعلى من سائر جسده، ويحذر أن يلوي مرقده شيئاً من عنقه وأطرافه وصلبه».

التوازن بين النوم واليقظة:

وإذا نظرنا إلى نوم رسول الله ﷺ ويقظته لوجدناه: أعدل نوم، وأنفعه للبدن والأعضاء والقوى، فإنه كان ينام النصف الأول من الليل ($\frac{٣}{٦}$ الليل)، ثم يقوم ويستاك، ويتوضأ ويصلي ما كتب الله له - وتقدر

بثلث الليل ($\frac{2}{6}$ الليل)، فيأخذ البدن والأعضاء والقوى حظها من النوم والراحة، وحظها من العبادة مع وفور الأجر، وهذا غاية صلاح القلب والبدن، والدنيا والآخرة.

النوم على الشق الأيمن:

وأنفع النوم ما جاء به الحديث النبوي الشريف، أنه من الأفضل أن ينام الإنسان على الشق الأيمن، فعن البراء بن عازب، أن رسول الله ﷺ قال: «**إذا أتيت مضجعك فتوضأ وضوءك للصلاة، ثُمَّ اضطجع على شقك الأيمن، ثم قل: اللَّهُمَّ إني أسلمت نفسي إليك، ووجهت وجهي إليك، وفوّضت أمري إليك، وألجأت ظهري إليك، رغبة ورهبة إليك، لا ملجأ ولا منجا منك إلا إليك، آمنت بكتابك الذي أنزلت، ونبيك الذي أرسلت، فإن مُتَّ مت على الفطرة، فاجعلهن آخر ما تقول**»(١).

وقد أيَّد الطب الحديث كلام رسول الله ﷺ حين اكتشف أن الحكمة من النوم على الجانب الأيمن ترجع إلى: استقرار الطعام بهذه الهيئة في المعدة استقراراً حسناً، فإن المعدة أميل إلى الجانب الأيسر قليلاً، ثُمَّ يتحوّل إلى الشق الأيسر قليلاً ليسرع الهضم بذلك لاستمالة المعدة على الكبد، ثُمَّ يستقر نومه على الجانب الأيمن،

(١) أخرجه البخاري (١/ ٧١).

ليكون الغذاء أسرع انحداراً عن المعدة. . وكثرة النوم على الجانب الأيسر مضر بالقلب بسبب ميل الأعضاء إليه فتنصب إليه المواد.

النهي عن النوم على البطن:

إن اتباع سُنَّة رسول الله ﷺ بالنوم على الشق الأيمن يبعد الطفل عن كثير من المهيجات الجنسية أثناء النوم، وقد وصف رسول الله ﷺ النوم على الوجه بنومة الشيطان، فعن أبي أمامة قال: مَرَّ النبي ﷺ على رجل نائم في المسجد منبطح على وجهه، فضربه برجله، وقال: «**قم أو أقعد، فإنها نومةٌ جهنمية**»[1]، فإذا نام الطفل على بطنه، فذلك يؤدي إلى كثرة احتكاك أعضائه التناسلية التي قد تثير شهوته في هذه الحالة، فضلاً عن أن النوم على الصدر يورث كثيراً من الأمراض الجسمية، والأطباء جميعاً بدون استثناء ينصحون بالابتعاد عن النوم على البطن.

النوم على الظهر:

إن أسوأ أنواع النوم، هو النوم على الظهر، خصوصاً بعد تناول الطعام، إذ إن امتلاء المعدة بالطعام، تضغط على الشرايين والأوردة، وبهذا تعرقل وصول الدم من هذه المناطق إلى القلب مما يقلل كمية الدم الواصلة إلى المخ.

---

(١) رواه ابن ماجة (٣٧٢٥).

النهي عن النوم بين الشمس والظل:

- لقد نهى رسول الله ﷺ عن النوم في الشمس، ونوم الإنسان بعضه في الشمس وبعضه في الظل رديء، فقد رُوي عن النبي ﷺ أنه قال: «**إذا كان أحدكم في الشمس فقلص عنه الظل، فصار بعضه في الشمس، وبعضه في الظل فليقم**»[1].
- نوم النهار رديء، يورث الأمراض الرطوبية والنوازل، ويفسد اللون ويورث الطحال، ويرخي العصب، ويكسل، ويضعف الشهوة، إلا في الصيف وقت الهاجرة، وأردؤه نوم أول النهار، وأردأ منه النوم آخره بعد العصر. وقد رأى عبدالله بن عباس - رضي الله عنهما - ابناً له نائماً نومة الصبحة، فقال له: قم، أتنام في الساعة التي تقسم فيها الأرزاق؟!

ومن الإرشادات التي من خلال أدائها يحقق الإنسان النوم الطيّب:

- اجعل لنفسك موعداً معيّناً ثابتاً تأوي فيه إلى فراشك.
- احصل على مقدار النوم الذي تحتاج إليه.
- ونم في غرفة هادئة مظلمة جيدة التهوية.
- من الأمور التي ينبغي تجنّبها في ساعات المساء، الإفراط في تناول الشاي والقهوة والنيكوتين، والوجبات الثقيلة، والأنشطة المجهدة الذهنية أو الجسمية.

---

(١) رواه الإمام أحمد في المسند (٢/ ٢٨٣)، وأبو داود، الحديث (٤٨٢١).

وتذكر: أن ليلة واحدة تنقضي بدون نوم، لا ينبغي أن تكون مدعاة للانزعاج والهَم.

وأخيراً، لو غرسنا في نفوس أطفالنا ما ينبغي من العادات الطيّبة المتعلقة بالنوم في صدر حياتهم، لأمكن أن نجنبهم بذلك كثيراً من الاضطراب والقلق والهلع الذي يرتبط بالأرق في حياتهم المقبلة، ولينعموا بنوم هادئ مفيد.

اهتمام الأطفال بالنظافة

لقد عنى الإسلام بالطهارة والنظافة عناية بالغة، لأن النظافة إحدى العناصر المهمة في تكوين الجانب الصحي، وتجعل الإنسان بمأمن من التلوث بالأمراض السارية، والأوبئة الفتّاكة، لذا جاءت آيات كثيرة تحث على التطهر والنظافة، منها قول الله تعالى: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ۝﴾ [المدثر: ٤ - ٥]، أما رسول الله ﷺ فقد حثَّ كذلك على النظافة والطهارة. روى أبو داود وغيره أن النبي ﷺ أوصى بعض أصحابه وهم قادمون من سفر بالاعتناء بالنظافة وحسن المظهر، ومن هذه الوصايا قوله: «**إنكم قادمون على إخوانكم، فأصلحوا رحالكم، وأصلحوا لباسكم حتى تكونوا في الناس كأنكم شامة، فإن الله عزَّ وجل لا يحب الفحش ولا التفحش**»[١].

إن النظافة مهمة دائماً بصحة الولد حتى قيل أن «النظافة تدعو إلى

(١) ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١/ ٢٣٦).

الإيمان»، وكل واحد منا يفضل ويحب أن يعيش في بيئة نظيفة وصحية مع أفراد نظيفين متحلين بقواعد الصحة والنظافة، لذلك يجب أن يتعلم الولد منذ صغره كيف يحفظ نفسه وثيابه وبيته نظيفاً، وعادات النظافة تعتبر من أركان بناء الشخصية المتزنة، الواثقة من نفسها.

النظافة نوعان: نظافة السرائر ونظافة الظاهر:

١ - **نظافة السرائر:** وتتمثل في تطهير القلب والصدر من الأخلاق المذمومة، مثل الكذب والرياء والنفاق والشك والظن والحقد وغيرها.. لقوله ﷺ: «**الإيمان ما وقر في القلب وصدقه العمل**».

٢ - **نظافة الظاهر**: وتتمثل بما شرعه الإسلام، ودعا إليه من نظافة ظاهرية، ومنها:

أ - نظافة الجسم:

وإزالة ما عليه من الأوساخ عن طريق الغسل، حيث أمر الإسلام غسل جميع البدن. وفي الغسل تخليص للجسم من الأوساخ والأتربة، وما يتعلق به من أدران.

ب - تقليم الأظافر:

ندب الإسلام إلى نظافة أجزاء البدن، فقد حثَّ على تقليم

الأظافر، فقد جاء في الحديث: «**خمس من الفطرة: الختان، والاستحداد، ونتف الإبط، وتقليم الأظفار، وقص الشارب**»[1]، وتقليم الأظافر واجب على الفرد، لأنها تحمل تحت طياتها الأوساخ والميكروبات والجراثيم والفيروسات، وتتكاثر في هذه المنطقة، وتنقل الأمراض للإنسان، وتسبب الإسهال والمغص البطني.. وتسبب للعين التهابات متعددة، منها التهابات الجفن، والشحاد، والتهابات الملتحمة.. وغيرها.

ج - قص الشعر ونظافته:

يقول رسول الله ﷺ: «**اللَّهُمَّ ارحم المحلّقين**» قالوا: والمقصرين يا رسول الله، قال: « **اللَّهُمَّ ارحم المحلّقين** » قالوا: والمقصرين يا رسول الله، قال: « **والمقصرين** »[2]، ففي هذا الحديث الشريف - وإن كان مقصوداً به ركن في العمرة والحج إلا أنه يستفاد منه بعموم الفائدة - حيث نجد أن في قص الشعر نظافة، ومن عناية الإسلام بالمظهر حثه على إصلاح شعر الرأس واللحية، فقد روى الإمام مالك في الموطأ أن رجلاً جاء إلى النبي ﷺ ثائر الرأس واللحية، فأشار إليه الرسول ﷺ كأنه يأمره بإصلاح شعره، ففعل، ثُمَّ رجع، فقال النبي ﷺ: «**أليس هذا خيراً من أن يأتي**

---

(١) رواه أبو داود في الترجل ب (١٦)، والترمذي، الحديث (٢٧٥٦)، والنسائي (١/ ١٤، ١٢٩/٧، ١٨١)، وابن ماجة، الحديث (٢٩٢).

(٢) رواه البخاري، الحديث (١٧٢٧)، ومسلم، الحديث (١٣٠١).

أحدكم ثائر الرأس كأنه شيطان»[(١)]، فلنعتن بنظافة شعر أولادنا بغسله، لأنه عامل قوي لحفظ جودة الشعر وسلامته والعناية بتمشيطه وترتيبه.

هـ - نظافة أسنان الطفل:

من المهم أن يعتني الإنسان بمظهره الخارجي الذي يقابل به الناس، فإن من كريم العشرة أن لا يقع عين أخيك منك على ما يكره، من قذارة على جسدك أو ملبسك، ومن رائحة تفوح منك، وإن أول ما يلاحظه الناس عند مقابلتنا إياهم هو نظافة أسناننا وهيئتها لأن الأسنان المريضة تشوه شكل الوجه وهيئته، لذا نجد أن قواعد الصحة تشمل دائماً العناية بالأسنان.

ولأهمية الأسنان لدى الطفل تخصص وزارة الصحة عيادات أسنان للأطفال حماية لها ووقاية، كي تنشأ سليمة، ويستفيد منها إذا كبر الطفل، إضافة إلى تقويم الأسنان لتقدم وظائفها بالشكل السليم.

ولهذا فقد حثَّ الرسول ﷺ على استعمال «السّواك»، والسّواك يحصل عليه من شجرة الأراك، واسمها العلمي هو: السفادورا براسيكا (Salvadora Persica)، وتنمو هذه الشجرة في مناطق عديدة

(١) انظر تهذيب تاريخ دمشق لابن عساكر، ط. بيروت (٥/ ٤٤٢)، وموارد الظمآن للهيثمي (١٤٣٦)، ط. المطبعة السلفية، وتجريد التمهيد لابن عبد البر (٩٦)، ط. القدس.

حول مكة، وفي المدينة المنورة، وفي اليمن، وفي أفريقيا، والجزء المستعمل من السِّواك هو لُب الجذور. ومن السُّنَّة الاستواك، وهو حك الأسنان بعود السُّواك، فعن العباس بن عبدالمطلب - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال: «**لولا أن أشق على المؤمنين لفرضت عليهم السِّواك عند كل صلاة**» [(١)]، وكان النَّبيُّ ﷺ: «**إذا قام من الليل يشوص فاه بالسواك**»[(٢)].

وقد ثبت علمياً بعد تحليل أعواد السواك كيميائياً أن الأراك - هذا النبات - يتكوّن كيميائياً من ألياف السيليلوز، وبعض الزيوت الطيارة، وبه راتنج عطري، وأملاح معدنية، أهمها كلوريد الصوديوم، وهو ملح الطعام، وكلوريد البوتاسيوم، وإكسالات الحبر، وهذه كلها مفيدة للأسنان.

إن قواعد الصحة تشمل دائماً العناية بالأسنان، ولكي تتم الفائدة منها يجب أن تبدأ باكراً في الحياة.. أي في سن الطفولة، فيتعلم كل طفل كيف يعتني بأسنانه وينظفها، ولا شك أنه يجب على الوالدين أن يكونوا قدوة لأولادهم في هذا المجال.

وجميل أن نعوّد الأطفال على استعمال الفرشاة ومعجون الأسنان بالطريقة السليمة بعد كل وجبة طعام، ونعودهم على استخدام السواك تطبيقاً لسنة المصطفى ﷺ.

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) سبق تخريجه.

و - نظافة السبيلين والأعضاء التناسلية:

مما شرعه الإسلام للنظافة «الاستنجاء»، وهو تطهير مخرج البول بالماء، أو مخرج الغائط باستعمال الماء الكثير لإزالة التلوث نهائياً، ثُمَّ تجفف هذه المخارج بورق نظيف، حتى لا تبقى رطبة، وتكون الفرصة سانحة لنمو الفطريات في هذه الأماكن، ونظافة هذه الأعضاء عند الإناث يجب أن يَنَال اهتماماً أكثر. لأن أي إهمال يؤدي إلى تكاثر الجراثيم، وحدوث الالتهابات في المثانة عند صعودها عبر الإحليل، وكذلك التهابات الرحم.. وغيرها.

ز - نظافة الثياب:

أمر الإسلام المسلمين بالعناية بنظافة ملبسهم، وحسن هيئتهم، وبخاصة إذا ذهبوا إلى المسجد، أو اختلطوا مع غيرهم في المناسبات الاجتماعية. وقد كان رسول الله ﷺ دقيق الملاحظة لملبس وهيئة أصحابه، ولذلك فقد كان إذا رأى مسلماً يهمل في ثيابه، وتنسيق هيئته، نهاه عن الاستمرار في هذا الإهمال، ومما يدل على ذلك أنه ﷺ رأى رجلاً يوماً عليه ثياب وسخة، فقال عليه الصلاة والسلام: **«أما كان هذا يجد ماء يغسل به ثوبه»**.

وأخيراً لا بد من تعليم أولادنا الامتثال والأخذ بأساليب الإسلام في التطهير والنظافة، والمحافظة على الصحة والجسم منذ صغرهم، فإذا كبروا وبلغوا مبلغ الرجال، أصبحت هذه الأعمال جزءاً من

حياتهم، وعادة متأصلة لا يمكن استئصالها، ويكونوا بذلك قد اتبعوا نهج رسول الله ﷺ ، وفازوا بالامتثال لأوامره واجتناب نواهيه.

الطفل والأمراض المعدية

لقد أُوحِيَ إلى رسول الله ﷺ بقواعد وتعاليم وردت في آيات قرآنية كريمة تضمن للناس صلاح أجسامهم وقلوبهم وعقولهم وأنفسهم، كما جاءت أحاديث نبوية شريفة عن رسول الله ﷺ تدعو إلى الاهتمام بالصحة، وتجنب الإصابة بالأمراض المعدية والسارية والوراثية والولادية، وتدعو إلى التطهر والتنظيف من النجاسات والأوساخ المادية والمعنوية لأن الالتزام بهذه الأمور خير وقاية من الأمراض. وهذا يعتبر من الطب الوقائي.

وللطب الوقائي أهمية كبرى في الوقاية من الأمراض ومنع انتشار الأمراض من المرضى إلى المعافين، ومن الوقاية التي عينها الإسلام ما يُسمَّى اليوم بالحجر الصحي، فقد ورد عن النبي ﷺ أنه قال: «**إذا سمعتم بالطاعون بأرض فلا تدخلوها، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا منها**»[١]. وقد جاءت أحاديث كثيرة للرسول العظيم ﷺ تحض المرضى على عدم الاختلاط بالأصحاء وعدم التنقل من أماكنهم إلى أماكن أخرى، حتى لا تنتقل العدوى.

---

(١) رواه البخاري، الحديث (٥٧٢٨).

روى مسلم وابن ماجه وغيرهما من حديث جابر بن عبدالله - رضي الله عنهما - أنه كان في وفد ثقيف رجل مجذوم، فأرسل إليه النبي ﷺ: «**إنا قد بايعناك فارجع**»، وقوله عليه أفضل الصلاة والسلام: «**فر من المجذوم كما تفر من الأسد**»[(١)].

وللتربية دورها في تفهيم الإنسان وتعليمه أين يكمن الخطر وأين يوجد ميكروب المرض، وكيف يحافظ ويحمي نفسه من الإصابة بهذه الميكروبات والجراثيم.

ومن أنواع الوقاية التي أشارت إليها السنة النبوية: الوقاية من الحيوانات التي تحمل ميكروبات ضارة، فقد قال عليه الصلاة والسلام: «**إذا شرب الكلب في إناء أحدكم فليغسله سبعاً**» والحديث يشير إلى أن لعاب الكلاب، يحمل الميكروبات، وعلى هذا قد ينقل هذا الميكروب أيضاً من مداعبة الكلاب فلا بد من تعويد الأطفال التوقي منها، فلا تتركها تلعق أيديهم. ولا ينبغي إبقاء الكلاب مجال نزهة الأطفال، وميادين رياضتهم، ويجب أن لا تطعم الكلاب في الأواني المعدة لأكل الناس، وأن لا يسمح لها بدخول متاجر المأكولات والأسواق العامة أو المطاعم، وعلى وجه عام يجب إبعادها عن كل ما له صلة بمأكل الإنسان ومشربه.

---

(١) رواه البخاري في الطب، باب الجذام، والإمام أحمد (٢/ ٤٤٣).

من كل ما سبق يتضح لنا أن رسول الله ﷺ وضع قاعدة عامة لجميع الناس.. كبيرها وصغيرها، تدعو المرضى إلى عدم ورود الاختلاط بالأصحاء، وعدم التنقل وزيارة أحد حتى لا تنتقل العدوى، وليجنب إصابة الأصحاب من الناس، فقد ورد في الصحيحين عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا يوردن ممرض على مصح**»(١).

إن أكثر الأمراض التي يعاني منها الإنسان من صنع يديه، ومن آثار سلوكه في البيئة التي يعيش فيها، ومن نتائج معاملاته مع نفسه، ومع الناس، ومع الحياة، ومعظم هذه الأمراض قابل للتوقي. كما أن معظم أمراض الأطفال تكون من جهل الأبوين بالوقاية الصحية، فقد يأخذان طفلهما في زيارة إلى الجيران أو الأقرباء، ويكون بينهم طفل مصاب بمرض معد، فينقل له المرض، لذا يحذر الأبوان من أن يأخذا طفليهما إلى زيارة أحد ممن له طفل مصاب بمرض معد. أو أن يرسل أب ابنه إلى المدرسة أو المسجد أو مكان تجمع للأطفال وهو مريض فيعديهم. فهذه الأمراض قابلة للتوقي لو عرف كل فرد التزاماته الصحية، وعمل بالهدي النبوي في الوقاية، وتربية الأجسام، والحفاظ على صحة الأبدان.

---

(١) رواه البخاري في الطب، باب لا هامة ولا عدوى، ومسلم في السلام، باب لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر.

وعند إصابة الطفل بالمرض، فإن الإسلام وجهنا إلى الأخذ بالآتي:

أ - العلاج النفسي والروحي للمرض بالصبر والتوكل:

إن الأوهام النفسية وما يدور داخل الإنسان قد تؤدي إلى المرض أو مضاعفته أو زيادته، فإذا مرض لنا طفل وجب علينا الصبر على المرض، واعتباره، قضاء الله تعالى يؤجر الإنسان عليه، روى الترمذي عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة في نفسه وولده وماله حتى يلقى الله وما عليه من خطيئة**»[1]. لذلك فلا يحزن على مرض ولده لأن المسلم الصحيح الإيمان لا يفزع عند الضراء، بحيث يفقده الصبر عن الإيمان بالله، فقد قال رسول الله ﷺ: «**عجباً لأمر المؤمن.. إن أمره كله له خير، وليس ذاك لأحد إلا المؤمن، إن أصابته سراء شكر.. فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر.. فكان خيراً له**»[2].

ب - السرعة في معالجة الطفل المريض:

إن السرعة في أخذ الطفل إلى الطبيب، تشكل عاملاً كبيراً في التخفيف من المرض، وإن استفحال كثير من الأمراض يرجع إلى

(١) رواه الترمذي (٢٣٩٩)، وقال عنه: حسن صحيح، والحاكم (٤/ ٣١٤) وصححه.

(٢) رواه مسلم، الحديث (٢٩٩٩).

تهاون الأهل في أخذ الطفل إلى عيادة الطبيب، لهذا نجد رسول الله ﷺ يعلمنا السرعة في معالجة الطفل، فقد روى ابن سعد عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: عَثُر أسامة - رضي الله عنه - على عتبة الباب - أو أسكفة الباب - فشج جبهته، فقال رسول الله ﷺ: «**يا عائشة.. أميطي عنه الدم**»، فتقذرته، قالت: فجعل رسول الله ﷺ يمص شجته ويمجه، ويقول: «**لو كان أسامة جارية لكسوته وحليته حتى أنفقه**»(١).

جـ - معالجة المرض بالتداوي واستشارة الطبيب:

إن الدواء والعلاج من وسائل تربية الجسد برعايته صحيحاً. فرسول الله ﷺ أمر بالتداوي في أكثر من حديث، فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن النبي ﷺ قال: «**إن الله أنزل الداء والدواء، وجعل لكل داء دواء، فتداووا ولا تتداووا بحرام**»(٢). وعن جابر بن عبدالله رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «**لكل داءٍ دواء، فإذا أصيب دواء الداء برأ بإذن الله عزَّ وجل**» (٣).

ولا يقال إن المريض يتكل على الله فلا يعالج بالدواء؛ لأنه كما أن المرض من الله تعالى، فإن الدواء منه أيضاً، وبذلك يرمي نفسه في بحور الاتكالية القدرية، وهذا عين الجهل، فإن أخذ بالدواء لمعالجة

(١) رواه ابن سعد في الطبقات (٤: ١: ٤٣)؛ وانظر الإتحاف (٦/ ٣٢٠).
(٢) رواه أبو داود، الحديث (٣٨٧٤).
(٣) رواه مسلم، السلام ب (٢٦) رقم (٦٩).

مرضه، فهو آخذ بما هو من الله تعالى لمعالجة ما هو آت منه تعالى أيضاً.

وبيَّن رسول الله ﷺ عن استشارة الأطباء، بوجوب استشارة الأحذق والماهر في المعالجة الطبية، لذلك نصح - عليه الصلاة والسلام - سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه حين أصيب بمرض القلب قائلاً: «**إنك رجل مفؤدٌ، ائت الحارث بن كلدة أخا ثقيف، فإنه رجل يتطبب..**»[1]. إن رسول الله ﷺ في هذا الحديث الشريف يدعو إلى احترام التخصص في فروع الطب.

فما على الآباء إلا أن يتّبعوا توجيهات رسول الله ﷺ في شأن الاهتمام بالأولاد حين يصابون بالمرض، والمسارعة بمعالجتهم والكشف عليهم عند أطباء متخصصين، وبذلك يكونوا قد أدُّوا الأمانة حق أدائها[2].

* * *

---

(١) رواه أبو داود، الحديث (٣٨٧٥).

(٢) راجع بالتفصيل كتاب «الطفل في الإسلام»، كلية التربية الأساسية، إشراف ومراجعة د. محمد المأمون محمد علي المحرزي، (دولة الكويت: ٢٠٠٠م).

الاتجاهات والقيم في تربية الطفل المسلم

ركائز البناء الإيماني عند الطفل

يتمثل الطفل العقائد من البيئة التي يعيشها، وعلى وجه الخصوص من الشخص المفضل عنده ومن ذوي النفوذ لديه كالأب فالأب من القدوات المحببة للطفل، ويرتضيها حقيقة مسلماً بصحتها، لا يناقشها، لأنه لا يشك في صحتها كونها وردت من أبيه أو ممن وثق به واعتمده قدوة له. وقد يخطئ المربون في تعرف اهتمامات الطفل الدينية في هذه المرحلة، فيقدمون له تفسيرات دينية غير ملائمة لعمره العقلي وخبرته الحياتية، وحينئذ.. إمَّا أن ينبذها - كما ينبذ أية فكرة لا تتسق مع تكوينه النفسي - وإمَّا أن يتقبلها على مضض مجاملة للأهل، وضماناً لاستمرار عطفهم، ولكنه يبقى تقبل مؤقت وسط معارضة مكبوتة.

ومن ركائز البناء العقدي عند الطفل:

أ - الإيمان بالله تعالى:

والمُربي هنا يبتعد عن تلقين الأطفال اسم الله تعالى من خلال أحداث أليمة، ذلك أن للخبرات الأليمة أثرها في تشكيك المؤمن في عقائده، وانحيازه إلى النزعة الأخرى.

ومن الأحداث الأليمة عند الطفل - مثلاً - أن نقرن له ولادة الطفل بشق بطن أمه، فيتصور أن فعل الميلاد أمر بشع، وحيث أن مولد طفل جديد يثير قلقه.. فمن المحتمل أن تكون أولى خبرات الطفل بالله خبرات أليمة.

لذلك يجب ذكر اسم الله تعالى أمام الطفل خلال مواقف محببة سارة. ولا يجوز للمربي أن يرعب الطفل بغير موجب، بكثرة الحديث عن الله تعالى وعذابه، والنار وبشاعتها، إنما يجب أن نبدأ بالترغيب، حتى يتعلق قلب الطفل بالله تعالى من خيط الرجاء أولاً، فهو أحوج في صغره إلى الحب.

ب - تعويد الطفل التقدير والإعزاز والحب للنبي محمد ﷺ:

يجب أن نغرس في أطفالنا حب الرسول ﷺ وذلك من خلال سردنا لمواقف محددة من سيرته، وتبيان أثر تطبيق الدين في السلوك، والأخلاق، والعبادة، حتى تتأثر نفوسهم، وتتفاعل قلوبهم بحب صاحب الرسالة عليه الصلاة والسلام وحب رسالته.

ج - الإيمان بالملائكة:

إن العالم يضم مخلوقات كثيرة لا نعرفها.. ومن بينها الملائكة.. هكذا ينبغي مخاطبة الطفل، وأعمال الملائكة كثيرة..

منها حفظ الإنسان.. وكتابة ما يعمله المرء في دنياه.. ومنها إنزالها لنصرة المسلمين في المعارك.. مع ضرب الأمثلة.

وينبغي ألا يثبت المربون صورة خاطئة في عقول الأطفال عن شكل الملائكة، ولاسيما أن أكثر وسائل الإعلام تصور الملائكة بأشكال معينة لها أجنحة، وذلك حتى لا تثبت هذه الصور الخاطئة في نفس الطفل.

د - عدم التركيز على الخوف الشديد من النار:

إن الطفل ذو نفس مرهفة شفافة، فلا ينبغي تخويفه ولا ترويعه، لأن نفسه قد تتأثر تأثراً عكسياً، وإنما يستحسن للمربي أن يمر على ذكر جهنم مروراً خفيفاً رفيقاً أمام الأطفال، دون التركيز المستمر على التخويف بالنار.. ظنا منه أن هذه وسيلة تربوية ناجحة.

هـ - التشجيع على حفظ القرآن الكريم:

ينبغي على المربين ابتداع أفكار تتعلق بتحفيظ الأطفال القرآن الكريم، وذلك لأن الأطفال بحاجة لابتكار وسيلة مثلى لتلاوة القرآن الكريم خاصة وأن هناك وسائل إعلامية مسموعة ومرئية يمكن الاستفادة منها في هذا المجال، كما هو الحال بالنسبة للكبار، فقد ابتكرت وسائل كثيرة في مجال التلاوة للكبار بالقراءات السبع والعشر والمصحف المرتل.. وغير ذلك،

واستطاع المربون من خلال نقل التلاوة من المساجد أيام الجمع، أو أثناء المسابقات الدولية والمناسبات، أو في شهر رمضان المبارك بنقل صلاتي التراويح والتهجد.. أن يؤدوا الأذان ويؤثروا في القلوب، ولكن لم يبتكر أحداً طريقة تجذب الأطفال لسماع تلاوة القرآن الكريم، خاصة في أعمارهم الصغيرة، وهذا أمر يحتاج إلى مبادرة.

من جهةٍ أخرى فقد أصبح لدينا من الناشئة من يحفظ القرآن الكريم كله أو بعضه، وهذا شيء طيب، ولكن نشعر أن هناك قصوراً في تقديم تفسير للقرآن الكريم يتفق مع أعمار الأطفال.. صحيح أن هناك محاولات أصدرتها بعض دور الكتب والطباعة والجمعيات في تقديم تفسير للقرآن يتفق مع الشباب الكبار، لكنه يقيناً لا يمكن للأطفال قراءتها أو استيعابها، ولم نجد حتى الآن أو لم نعثر على طريقة نجتذب بها الأطفال لمعرفة معاني السور حتى القصار منها. وهذا أمر يحتاج إلى مبادرة أيضاً.

وما يقال عن القرآن الكريم.. يمكن أن ينطبق على الأحاديث النبوية الشريفة، وهي في اللغة قد تكون أيسر، ومن الممكن تقديم قصص مستوحاة من القرآن الكريم والحديث النبوي يسهل فهمها. وهذه تحتاج إلى مبادرة ثالثة.

لقد دأبت الإذاعة على أن تُذكِّر الناس - أطفالاً وكباراً - بمواقيت الصلاة، وأحياناً تقطع برامجها لتذيع هذه المواقيت، وفي أحيان أخرى تكتفي بلفت النظر إلى أن موعدها حان، ويسبق هذا أو يتلوه تقديم أحاديث وبرامج عدة عن الإسلام وأركانه ومبادئه،

لكن المادة التي تقدم قلما تكون مبسطة وتناسب الأطفال، وهذا ميدان واسع وضخم يستحق اهتمام مسؤولوا الأعلام.

إن الرؤية التربوية المسلمة إذا وجدت المجال الفسيح والأفكار المشجعة والقنوات المهيأة، فإنها لن تعدم الأكفاء من المخلصين الذين يترجمون الأفكار إلى مبادرات، وتحويلها إلى واقع عملي من أجل طفل الروضة، ومساره التربوي السليم.

تدريبُ الطفل وتربيته من خلال العبادات

أولاً - الصَّلاةُ:

من المعلوم أن الإسلام كلفنا أن نأمر أطفالنا بالصلاة عند بلوغهم السابعة من أعمارهم، وأن نضربهم إذا قصروا فيها عند العاشرة لذلك فعلى الوالدين أن يعودا أطفالهما على الصلاة في سن مبكرة حتى يتعوَّدوا عليها، ويكون ذلك بأن يوقفوا الطفل في الصلاة في مرحلة وعيه، وعند إدراكه يمينه ويساره، وقد أخرج أبو داود في سننه عن معاذ بن عبد الله بن حبيب الجهني: قال رواية هشام بن سعد: دخلنا عليه فقال لامرأته: متى يصلي الصبي؟ قالت: نعم كان رجل منا يذكر عند رسول الله ﷺ أنه سئل عن ذلك؟ فقال: «**إذا عرف يمينه من شماله فأمروه بالصلاة**»[(١)].

بعد ذلك تأتي مرحلة تعليم الطفل الصلاة، فقد روى البخاري

(١) رواه أبو داود، الحديث (٤٩٧).

حديثاً ذكر فيه أنه ﷺ صلى بالناس إماماً وهو على المنبر ليروا صلاته كلهم، ويتعلموا من أفعاله، فلما فرغ أقبل الناس إليه، فقال: «**يا أيها الناس.. إنما صنعت هذا لتأتموا بي ولتعلموا صلاتي**»[(١)]، وهذا درس عظيم يوضح لنا أنه لابد من النموذج حتى يتم الاقتداء به، وعلى الآباء أن يعرفوا أطفالهم الأمور التي تسبق الصلاة من طهارةٍ ولباسٍ ووضوء ومعرفة القبلة، وأفضلية حضور الجماعات، والصلاة في أوقاتها.

وكان رسول الله ﷺ يباشر بنفسه تعليم الأطفال كل ما يحتاجونه في الصلاة، أخرج أبو داود والترمذي والنسائي عن الحسن بن علي بن أبي طالب - رَضِيَ الله عنهما - قال: علمني رسول الله ﷺ كلمات أقولهن في الوتر: «**اللَّهُمَّ اهدني فيمن هديت، وعافني فيمن عافيت، وتولني فيمن توليت، وبارك فيما أعطيت، وقني شر ما قضيت، فإنك تقضي ولا يُقضى عليك، وإنه لا يُذل من واليت تباركت ربنا وتعاليت**»[(٢)].

وتلي ذلك مرحلة التطبيق، وذلك بأمر الطفل بالصلاة والضرب على تركها، وعلى الوالدين والمربين أن يلحظوا جانب التطبيق للعبادة، وذلك بأمر الطفل بالصلاة وهو في سن السابعة امتثالاً لقوله عليه الصلاة والسلام: «**مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء**

(١) رواه الإمام أحمد في المسند (٥/ ٣٣٩).

(٢) سبق تخريجه.

سبع، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر، وفرقوا بينهم في المضاجع»[1]. إن الصلاة أعظم العبادات أجراً، وأهم ما أكد عليها الأنبياء في رسالاتهم، وقد أوصى لقمان ابنه بالصلاة قال تعالى: ﴿يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ...﴾ [لقمان: ١٧].

فما السر من وراء قول نبينا محمد ﷺ: «**مروا أولادكم بالصلاة**» وقول لقمان عليه السلام لابنه: «**أقم الصلاة**»؟! والجواب كما بين أهل العلم.. لأهميتها، وأسرارها النفسية، والخُلُقية، والاجتماعية،...

١- الصلاة ضرورة نفسية:

إن الصلاة ضرورة نفسية، فهي تُقَوِّمُ النفس وتهذبها، وتجعل صاحبها على علاقة وطيدة مع ربه سبحانه وتعالى، كما أنها تجعل المسلم في مناجاة مع ربه ما دام في صلاته، وعن ذلك يقول رسول الله ﷺ: «**إن المصلي يناجي ربه عزَّ وجل، فلينظر أحدكم بما يناجي ربه..**»[2] والمناجاة مخاطبة لله عزَّ وجل بشكل مباشرة.. يدعوه فيستجب له، وهذه المناجاة عندما تتكرر خمس مرات في اليوم، توقظ في المرء قواه الروحية، وتشعره بالقوة.. فتقوي عزيمته وإرادته، فالإنسان إذا لم تتصل روحه بمبدعها، ظهرت عليه عوارض القلق والاكتئاب، بسبب ما يلاقيه من مصائب وخيبة أمل.

---

(١) رواه أبو داود في الصلاة ب (٢٦).

(٢) رواه الإمام أحمد في المسند (٢/ ٦٧، ٤/ ٣٤٤)، والبيهقي في السنن الكبرى (٣/ ١٢).

٢- آثارها الخُلُقية:

إن مُواظبة المسلم على الصلاة تربي فيه الضمير الحي، الذي يبعث على الخير ويحث عليه، ويمنع الشر، ويحذر منه. لهذا نجد الآية الكريمة تقول: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ [العنكبوت: ٤٥]، فالصلاة في الإسلام بما تحتويه من مراقبة لله، وقيام وسجود له، وما تشتمل عليه من معاني القربى له، تربط المصلي بخالقه، وتشعره بعلو مكانته في نظر نفسه، حتى يرى من آثار الكرامة ما يستقذر معه الإتيان بالقبائح.

٣- آثارها الاجتماعية:

من تخلق بحسن الخُلُق، أصبح عضواً نافعاً في المجتمع الذي يعيش فيه.. يعمل وينتج ويعم خيره على الناس كافة. إن الإسلام حث على صلاة الجماعة، وأوجب حضور صلاة الجمعة كل أسبوع لما لها من تقوية الروابط الاجتماعية، وشد أواصر الصلات بين المصلين.

إذاً.. لأهمية الصلاة، يجب علينا كمربيين أن نأمر أولادنا بالصلاة وهم في سن العاشرة، فإذا تهاونوا عن الصلاة وتكاسلوا، فعند ذلك يجوز للوالدين استخدام الضرب، على ألا يُضرب الطفل قبل أن يبلغ العاشرة من السن، آخذاً بالحديث الشريف الذي سبق بيانه، لأن الإسلام يهتم بسن الطفولة، لأنها أكثر قابلية للتعليم والتأثر والمحاكاة، ومن هنا يأمر الرسول ﷺ المربيين

بتدريب الأطفال على العبادات وأداء فرائضها، وفعل الخيرات متى بلغوا سن التمييز. كما أمرهم بأخذهم بالحزم والشدة إذا قاربوا سن المراهقة. والضرب هنا ليس مقصوداً لذاته، وإنما المراد به إشعار الولد بأهمية ما يؤمر به، وجدية الأب في أمره به، وتعويد الطفل على الحرص في تنفيذ ما يُؤمر به، فلهذا جاء الأمر بالضرب لإشعار الطفل بأن الأمر جد لا هزل فيه، فعل لا قول.

وحتى لا يخرج الضرب عن أهدافه، فقد حدد علماء التربية كيف يكون ضرب الأطفال للتأديب والتعليم، وأهم ما أشاروا إليه أن لا يكون على الوجه، ولا يشعر فيه الطفل بالإهانة والذل والخنوع، وأن يكون الضرب مؤلماً غير مؤذٍ.

يقول ابن سينا: «وليكن أول الضرب قليلاً موجعاً، كما أشار به الحكماء وذلك بعد الإرهاب الشديد، وبعد إعداد الشفعاء، فإن الضربة الأولى إذا كانت موجعة.. ساء ظن الصبي بما بعدها، واشتد منها خوفه، وإذا كانت الأولى خفيفة غير مؤلمة.. حسن ظنه بالباقي، فلم يحفل به».

ويقول أحد المربين: «لا ينبغي لمؤدب الصبيان أن يزيد في ضربهم إذا احتاجوا إليه، لأن إرهاف الحد بالتعليم مضر بالمتعلم ولاسيما في أصاغر الولد، ومن كان قرباه بالعسف والقهر.. سطا به القهر، وضيق على النفس انبساطها، وذهب بنشاطها، ودعاه إلى الكسل، وحمله إلى الكذب والخبث.. خوفاً من انبساط

الأيدي بالقهر عليه، وعلمه المكر والخديعة لذلك، وصارت له هذه عادة وخُلُقاً، فينبغي للمعلم في متعلمه، والوالد في ولده، أن لا يستبدّا عليهما في التأديب».

وتدريب التلاميذ عملياً على العبادات يتم في ضوء «قدرات» الطفل واستعداداته وحاجاته.

تعليم الطفل الصلاة في المدرسة:

يتعلم الطفل الصلاة في المدرسة على مرحلتين:

أ - يأخذ المعلم التلاميذ إلى مصلى المدرسة ليتعايشوا مع الجو العام للصلاة، ويتعلمون احترامها واحترام المسجد. ثم يعلمهم أركان الصلاة ويؤديها أمامهم، ويجعل بعض الطلبة يؤدونها للتحقق من استيعابهم.

ب - يعلمهم أركان الوضوء عملياً في متوضأ المصلى نفسه، ويتوضأ أمامهم، ويجعل الطلبة يتوضؤون للتحقق من استيعابهم.

ثم يطلب منهم حضور صلاة الظهر في المصلى، وتشجيع من يصلي بالدرجات والهدايا؛ فيجب أن يدرب التلاميذ على ذلك في كل مدرسة تحرص على تعليم أولادها على أداء الفرائض. يقول بعض المُربِّين: الطلبة الذين يتاح لهم الصلاة في المدرسة، يدركون بصورة أفضل معنى الانضباط والمساواة.

أَخذُ الطفل إلى المسجد وتربيته على التعلق به:

لم تقتصر وظيفة المسجد على العبادة فقط، فمن وظائفه أيضاً التعليم ومدارسة القرآن الكريم أيضاً. وكان الرسول ﷺ يعلم أصحابه في المسجد، وذات مرة قال أُبَي بن كعب: «رحت إلى المسجد فسمعت رجلاً، يقرأ، فقلت: من أقرأك؟ فقال: رسول الله ﷺ».

لذلك.. ينبغي على الأسرة ربط أطفالها بالمساجد لأن ذلك من الأمور المهمة التي تربيه على العبادة وتبث فيه الاتجاهات الروحية والفكرية، لأن الولد يحتاج إلى من يدله على العبادات، وما أكثر ما ينوه المربون بالمسؤولية الملقاة على عواتق الوالدين، على اعتبار أن الولد وديعة ثمينة جعله الله بين أيديهم، فإذا هم أحسنوا رياضة أخلاقه، وعودوه على الخير وعَلِمَه.. نشأ عليه، وسعد في الدنيا والآخرة، وشاركه في ثوابه أبواه، وإن تعود الشر، وأُهمل إهمال البهائم.. شقي وهلك، وكان الوزر في رقبة القيم عليه، والوالي له.

وإذا تربى على ربط أبويه له بالمساجد اعتاد على الذهاب إليها من نفسه، وعلى المربي ألا يغفل جانب التشجيع والترغيب في ارتياد الأولاد مساجد الله تعالى، حتى يندفعوا بكليتهم إلى الصلوات في أوقاتها، ويتسابقوا إلى الصلاة الجماعة في حينها، ويحرصوا على التزام حلقات القرآن الكريم والعلوم الشرعية في المواعيد المحددة لها.

لهذا عني أطفال الصحابة بالصلاة مع رسول الله ﷺ في المسجد، لأنهم وُجِّهُوا إلى ذلك من قبل آبائهم وأقربائهم وإخوانهم وأقرانهم، فهذا جابر بن سَمُرَة يقول عن طفولته وصحبته لرسول الله ﷺ: صليت مع رسول الله ﷺ صلاة الأولى[1] ثُمَّ خرج إلى أهله وخرجت معه، فاستقبله ولداه، فجعل يمسح خَدَّيْ أحدهم واحداً واحداً، قال: وأما أنا فمسح خَدِّي. قال: فوجدت ليده برداً أو ريحاً كأنما أخرجها من جؤنة عطار[2]»[3].

والإمام الغزالي لم يمنع الصبي من دخول المسجد فيقول: «ولا بأس بدخول الصبي المسجد إذا لم يلعب، ولا يحرم عليه اللعب في المسجد، ولا السكوت على لعبه، إلا إذا اتخذ المسجد ملعباً، وصار ذلك معتاداً فيجب المنع منه».

أما الوقت الذي يُؤخذ الطفل فيه إلى المسجد، فيقول أ. محمد نور سويد: «عندما يستطيع الطفل قضاء حاجته بنفسه ويصبح نظيفاً فلا يبول ولا يتغوط تحته وإنما يذهب إلى بيت الخلاء بنفسه، يكون قد تعلم آداب المسجد من دخوله بهدوء».

ثانياً - الصوم:

لأهمية عبادة الصوم، إذ تعتبر من العوامل التي تؤثر تأثيراً فعَّالاً

(١) صلاة الأولى: يعني الظهر.

(٢) جؤنة عطار: «أي السقط الذي فيه متاع العطار».

(٣) رواه مسلم (٢٣٢٩).

في تنمية الروح عند الطفل، كالصلاة وتلاوة القرآن والقيام بالواجبات الدينية التي تطهر القلب والروح والنفس والبدن، فقد ورد عن الإمام عليّ - عليه السلام - قوله: « الصلاة قربان كل تقي، والحج جهاد كل ضعيف، لكل شيء زكاة.. وزكاة البدن الصيام».

وكما قلنا.. يهتم الإسلام بسن الطفولة لأنه أكثر قابلية للتعليم والتأثير والمحاكاة، لذا يأمر الآباء والمربين بتدريب أطفالهم على الطاعات، وأداء الفرائض متى بلغوا سن التمييز، ويؤمر الصغير بالصيام متى أطاقه. يقول الإمام الحسين - عليه السلام - في حديث له: « إنا نأمر صبياننا بالصيام إذ كانوا بني سبع سنين، فإن كان إلى نصف النهار أو أكثر من ذلك أو أقل، فإذا غلبهم العطش والفتور أفطروا حتى يتعودوا الصوم ويطيقوه، فأمروا صبيانكم إذا كانوا بني سبع سنين بالصوم ما أطاقوا من صيام، فإذا غلبهم العطش أفطروا».

إذاً الحكمة من ذلك أن نعود الطفل ونمرنه على فعل هذه العبادة، لذا نرى الصحابة رضوان الله عليهم قد ربوا أطفالهم على عبادة الصوم، ففي البخاريّ، باب صوم الصبيان، عن الربيع بنت معوذ قالت: أرسل النَّبيّ ﷺ غداة عاشوراء إلى قرى الأنصار **«من أصبح مفطراً فليتم بقية يومه، ومن أصبح صائماً فليصم»**[1]،

(١) رواه البخاري (٣/٤٨).

قالت: فكنا نصومه بعد ونصوّم صبياننا، ونجعل لهم اللعبة من العهن، فإذا بكى أحدهم على الطعام أعطيناه ذاك حتى يكون عند الإفطار».

الفوائد التي يجنيها الأطفال من التمرين وممارسة عبادة الصوم:

لم يكن الحرمان من الطعام والشراب هو الهدف من افتراض الصوم على المسلمين، بل هنالك فوائد وحكمة حقيقية منها:

١ - غرس خلق المراقبة والصبر والاستقامة. يقول بعض المربين: المدرسة التي تشجع طلبتها البالغين على الصوم تطوعاً يوماً أو يومين في الأسبوع، تهذب نفوسهم، وتحثهم على الاستقامة، وما أحوج طلابنا إلى ممارسة هذه العبادة وبيان فوائدها وحكمها من قبل المعلمين، لأنهم يتعلمون منها الإخلاص الحقيقي لله، ومراقبته له في السر، وما أحوجهم إلى أن يتحلوا بالصبر ليثبتوا في مواجهة الحياة، وتحديات العصر، وما أحوجهم إلى أن يتسلحوا بسلاح المراقبة والاستعانة بالله في كل أمر.

٢ - تربيته على النظام والطاعة والالتزام وتعويده على ذلك لأن العبادات تأتي في أوقات محددة، ويخضع فيها لنظم ثابتة، فلا تصح العبادة إذا أخل المؤمن بنظامها، فالمسلم في رمضان يأكل بنظام، وينام بنظام، ويستيقظ بنظام، والمجتمع الإسلامي في رمضان مجتمع يتحلى فيه النظام بأروع مظاهره.. إنه نظام لا مثيل له في أمة من الأمم.. نظام

يستوي فيه الكبير والصغير، والعالم والجاهل، والحاكم والرعية، والغني والفقير، لا تمتاز فيه طبقة عن طبقة، ولا فرد عن فرد..، فيا لها من روعة كونها من أجدى الوسائل لتربية الأطفال على النظام على الطاعة والنظام.

٣ - تربيته على الأمانة في كل أمور الحياة وتعويده عليها، لأن الصوم تربية للضمير، وتشعر الصائم أن الله عزَّ وجل رقيب عليه في كل أفعاله وأقواله، فيحرص على مرضاة ربه في كل الأحيان والأحوال.. في سره وعلانيته، وفي نهاره وفي ليله.. مما تجعله مرتاح الضمير، هادئ البال بطاعة خالقه وبارئه. كل ذلك يولد في نفسه إيماناً وتسليماً وقناعة ذاتية، بحيث يقبل على فعلها والتمسك بها ملء حريته وإرادته، بعد أن يكون والداه قد غرسا في نفسه تلك الصورة المشرقة لتلك العبادة، بحيث يتعلق بها قبل بلوغه، فلا تشق عليه بعد البلوغ.

٤ - عبادة الصوم تشعره بمساعدة الفقير والمحتاج.

ثالثاً - الحج:

إن مرافقة الأطفال والديهم إلى مكة المكرمة لأداء مناسك العمرة، وكذلك زيارة المدينة المنورة يعتبر مجالاً محموداً، مع تلافي الازدحام والضياع حتى لا يولد في نفوسهم كرهاً لهذا

المكان. أما الحج فيفضل عدم أخذ الصغار إلا لضرورة لنفس السبب. وعلى كل حال.. فعلى معلمي التربية الدينية في المدارس تعليم الأطفال كيفية الحج ليعرفوا مناسكه[١].

ومما ورد في شأن حج الصبيان:

- عن ابن عباس، أن النبي ﷺ لقي ركباً بالروحاء، فقال: «**من القوم؟**» قالوا: المسلمون، فقالوا: من أنت؟ قال: «**رسول الله**»، فرفعت امرأة إليه صبياً، فقالت: يا رسول الله.. ألهذا حج؟ قال: «**نعم، ولك أجر**»[٢].
- يساعد الطفل في لبس ثوب الإحرام، ويلقنه التلبية إن أحسنها وإلا لبى عنه، فعن جابر قال: «حججنا مع رسول الله ﷺ ومعنا النساء والصبيان، فلبينا عن الصبيان ورمينا عنهم»[٣].
- عن السائب بن يزيد قال: «حج بي أبي مع رسول ﷺ في حجة الوداع وأنا ابن سبع سنين»[٤].

* * *

(١) لمزيد من التفصيل، راجع كتاب (الطفل في الإسلام)، كلية التربية الأساسية، إشراف ومراجعة محمد المأمون محمد علي المحرزي، (دولة الكويت: ٢٠٠٠م).

(٢) أخرجه مسلم، الحديث (٩٧٤)، وأبو داود، الحديث (١٧٣٦)، والترمذي، الحديث (٩٢٤)، والنسائي (٥/ ١٢١)، وابن ماجة (٢٩١٠).

(٣) رواه ابن ماجة، الحديث (٣٠٣٨).

(٤) سنن الترمذي، الحديث (٩٢٥)، وقال عنه: حسن صحيح.

نماذج من سيرة الرسول ﷺ وصحابته لدى الطفل

من سيرة النبيّ ﷺ في «الأدبِ»

الأطفال أمانة وضعها الله بين يدي الآباء، وهم مسؤولون عنها، فإن أحسنوا إليهم بحسن التأديب، كانت لهم المثوبة، وإن أساءوا تهذيبهم وتأديبهم استوجبوا العقوبة، والأبناء يُخلقون مزودين بقوى فطرية تصلح أن توجه للخير، كما تصلح أن توجه للشر، فعلى الآباء أن يستغلوا هذه القوى ويوجهوها وجهة الخير، ويعودوهم الفضائل والعادات الحسنة، حتى ينشأ الطفل خَيِّراً.. ينفع نفسه وأمته. فالتأديب هو الترويض على الأعمال والأخلاق الحسنة حتى تصبح عادة مستقرة في النفس.

إن من مستلزمات التربية والرعاية على الآباء والمربين تأديب أولادهم بآداب الإسلام، وأولى متطلباتها أن يكونوا قدوة حسنة أمامهم.. في أقوالهم وأفعالهم، لأن الطفل بطبعه ميّال إلى التقليد، ومحاكاة كل ما يراه ويقع تحت حسه أو سمعه.

وهذا نبي الأُمّة محمد عليه أفضل الصلاة والسلام، قد وضع إرشادات في التربية الخُلُقية للأطفال، سواء بالتوجيه أو التقرير.

ما وردَ عن النبي ﷺ في غرسِ الأدب في الأطفال:

لقد عنى الرسول ﷺ عناية كبيرة بالأدب وغرسه في نفوس الأطفال، مما يعطي أهمية عظمى في البناء الأخلاقي، فقد أرشد رسول الله ﷺ ما ينبغي أن يكون عليه الآباء من ملازمة أولادهم، ليكون تصرف الأبناء تحت نظر الآباء وإشرافهم، فإذا صدر تصرف يحتاج إلى توجيه، يكون هذا التصرف موضع العناية والنظر، فيقول رسول الله ﷺ: **«أَكْرِموا أولادكم وأحسنوا أدبهم»**[1].

لقد أشار رسول الله ﷺ إلى أن غرس الأدب في نفس الطفل حتى يصبح الأدب من طبائع الطفل الخُلُقية، أفضل من عملية الصدقة التي تطفئ الخطيئة، أما مجموع التأديبات بحمل الطفل على التعليمات الإسلامية كلها، فإنها تضيف صاعاً إلى صاع دون حصر ولا عد. فعن جابر بن سمرة قال: قال رسول الله ﷺ : **«لأن يؤدب الرجل ولده خير له من أن يتصدق بصاع»**[2].

وقد وجه الإسلام المربين، والآباء إلى غرس الأدب في نفوس الأطفال تجاه كل من له علاقة به، وها هي بعض الإشارات التي ترشدنا إلى ذلك.

---

(١) رواه ابن ماجة (٣٦٧١)، والمنذري (٢٩٥٦).

(٢) سنن الترمذي، الحديث (١٩٥٦)، وقال عنه: غريب.

أولاً: الأدب مع الوالدين:

من خير ضروب الإحسان انتقاء العبارات الحسنة، والألفاظ النظيفة، والكلمات المهذّبة في مخاطبة الناس والتحدّث إليهم، والتي تشمل في المضمون على القيم الراقية، فإن ذلك يوثق الصلات ويقوي الروابط، ويعود بالنفع والفائدة في الدنيا والآخرة، ويبعد عن نزغات الشياطين التي تفسد العلاقات وتقطع ما أمر الله به أن يوصل، قال تعالى: ﴿وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُواْ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾ [الإسراء: ٥٣].

لقد حدد رسول الله ﷺ من خلال أحاديثه النبوية الشريفة الخطوط العامة الرئيسة لأدب المسلم، وخلق المسلم، من رعاية حقوق الوالدين - وخاصة إذا بلغا الكِبَر - وتلك الحقوق من أعظم ضروب الإحسان، وقد قرنها الله تعالى بعبادته ليلفت النظر إلى هذه الرعاية، وليؤكد حقوق الجماعة على المسلم، قال تعالى: ﴿وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔاۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ [النساء: ٣٦]. وجعلها الرسول ﷺ أفضل الأعمال بعد الصلاة.

فقال ﷺ: «**بر الوالدين أفضل الأعمال بعد الصلاة**»[1].

وقد جاء الإسلام داعياً الأولاد إلى النهوض بهذه الحقوق نحو آبائهم، ولافتاً أنظارهم إلى القيام بها، ليكونوا بررة، مستحقين لبر

---

(١) رواه مسلم في الإيمان (١٣٧، ١٣٨، ١٣٩)، والترمذي، الحديث (١٧٣، ١٨٩٨).

الله ومثوبته، فعن ابن مسعود - رضي الله عنه - قال: سألت النبي ﷺ: أي العمل أحب إلى الله تعالى؟ قال: «**الصلاة على وقتها**». قلت: ثُمَّ أي؟ قال: «**بر الوالدين**». قلت: ثُمَّ أي؟ قال: «**الجهاد في سبيل الله**»[١]. وعلى الأولاد أن يتخيَّروا في مخاطبةِ آبائهم أجمل الكلمات وألطف العبارات، وأن يكون قولهم كريماً، لا يصحبه شيء من العنف.

أدب خطاب الوالدين:

يقول العلّامة سيد قطب - رحمه الله - في تفسير قوله تعالى: ﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾. «وهذا أول مرتبة من مراتب الرعاية والأدب ألا يرد من الولد ما يدل على الضجر والضيق، وما يشي بالإهانة وسوء الأدب.. ﴿وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ وهي مرتبة أعلى إيجابية أن يكون كلامه لهما يشتمل على الإكرام والاحترام»[٢].

وقد ورد النهي في الآية الكريمة عن نهر الوالدين بغلظة، وزجرهما بخشونة، ولا حتى بكلمة «أُفٍّ» الدالة على الضجر والتبرم، وإذا كانت كلمة «أفٍّ» منهيّ عنها، فما بالك بغيرها؟ وهذا النهي خاصاً بحالة الكِبَر، وعام في جميع الأحوال والأوقات.

---

(١) رواه البخاري في كتاب مواقيت الصلاة وفضلها، باب فضل الصلاة لوقتها، ومسلم في كتاب الإيمان، باب كون الإيمان بالله أفضل الأعمال.

(٢) تحذير الخواص (٥١).

وأورد النووي - رحمه الله - في الأذكار، باب نهي الولد والمتعلم والتلميذ أن ينادي أباه ومعلمه وشيخه باسمه. وفي كتاب ابن السني عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن النبي ﷺ رأى رجلين فقال لأحدهما «**ما هذا منك**»؟ قال: أبي، فقال: «**لا تُسَمِّه باسمه ولا تمش أمامه ولا تجلس قبله**»[1]

ثانياً: أدب الاحترام والتوقير:

من الاتجاهات الخُلُقية التي يجب على البيت مراعاتها وغرسها في نفس الطفل الاحترام والتوقير للكبير والصغير، وفائدة هذه الخصال أنها وبمرور الأعوام لا ينحصر هذا الاحترام للأشخاص فقط، بل يتناول المُثُل العليا والمبادئ المُثلى والقِيَم الروحية، فيحترم نفسه ومن ثَمَّ يحترم ويوقر الآخرين، ثُمَّ يحترم الحياة والكرامة الشخصية والقانون وغير ذلك.

ورسول الله ﷺ نادى بخُلُق الاحترام والتوقير، وطالب أُمَّته بالعمل به، أخرج الترمذي عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال: جاء شيخ يريد النبي ﷺ، فأبطأ القوم أن يوسعوا له، فقال النبي ﷺ: «**ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويوقر كبيرنا**»[2]،

---

(١) أي: لا تفعل فعلاً يتعرّض فيه لأن يسبك أبوك زاجراً لك وتأديباً على فعلك القبيح، وهذا شرح النووي.

(٢) رواه الترمذي، الحديث (١٩٢٤)، وقال عنه: غريب.

فحديث رسول الله ﷺ يعلمنا الرحمة، واحترام الصغير، وإعطائه حقوقه وتوفير الاطمئنان له، ومن ثم يعلمنا كذلك احترام وتوقير الكبير.

إن حق الكبير توقيره لسنه، وإجلاله لتقدمه في الإسلام قبل من هو أصغر منه، ولا تسبقه إلى طريق ولا تتقدمه ولا تستجهله، وإن جهل عليك.. احتملته وأكرمته لحق الإسلام وحرمته.

روى الشيخان عن أبي يحيى الأنصاري قال: «انطلق عبدالله بن سهل ومحيصة بن مسعود إلى خيبر، فتفرقا في النخل، فَقُتِل عبدالله ابن سهل، فجاء عبدالرحمن بن سهل وحويصة ومحيصة ابنا مسعود إلى النبي ﷺ فتكلموا في أمر صاحبهم، فبدأ عبدالرحمن وكان أصغر القوم، فقال النبي ﷺ: **«كبّر الكُبر»**[1] أي ليتكلم الأكبر سناً، وهذا الحديث يدل على أهمية أدب الاحترام والتوقير للكبار، وتقديم الكبير للكلام.

أما حق الصغير فيكون في رحمته، وتعليمه، والعفو عنه، والستر عليه، والرفق به، والمعونة. لذا يجب علينا كمربين أن نعلم أولادنا أن يعاملوا من هم أكبر منهم بالتوقير والاحترام، ومن هم أصغر منهم بالرحمة والعفو.

ثالثاً: أدب الأخوة:

من الاتجاهات الخُلُقية التي يعمل البيت على بثّها وغرسها في

(١) رواه البخاري، الحديث (٦١٤٢، ٦١٤٣)، ومسلم، الحديث (١٦٦٩).

نفوس أولادهم الحب والود والاحترام بين الأخوة جميعاً، كباراً أم صغاراً، وهذا رسول الله ﷺ لا يسمح لأي أخ سواء كان صغيراً أم كبيراً أن يشهر أي نوع من السلاح لتخويف أخيه، وإلقاء الرعب في قلبه، أخرج مسلم عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: **«من أشار إلى أخيه بحديدة، فإن الملائكة تلعنه حتى يدعه، وإن كان أخاه لأبيه وأمه»**[1].

ورسول الله ﷺ يؤكد للأبناء أن الأخ الكبير له منزلة خاصة في الإسلام، فقد روي عن النبي ﷺ قوله: **«حق كبير الأخوة على صغيرهم كحق الوالد على ولده»**[2]، والسبب في ذلك أن الأخ الأكبر يقوم بدور المعلم بالنسبة لأخيه الأصغر، ويساعده في التكيف، وفي تطوير قدراته المختلفة، ويقوم الأخ الأكبر بالدور الرئيس في عملية التفاعل، فهو الذي يوجه النشاطات المختلفة ويقودها، ويعلم أخاه الكثير من الألعاب والمهارات، فالأخ الأكبر يساهم في تحمل أعباء الأسرة، وعليه المشاركة في مسؤولية تربية أخوته ممن هم أصغر منه سناً، والقيام على شؤونهم ورعايتهم، وينبغي ألا يغيب عن بال الأبوين أن التركيز على إصلاح ولدهما الأكبر من أبرز المؤثرات في إصلاح باقي الأولاد، لأن الولد الأصغر يحاكي عادة ما يفعله الأكبر.

---

(١) رواه مسلم، الحديث (٢٦١٦).

(٢) انظر إتحاف السادة المتقين (٦/ ٣٢٢)، ومشكاة المصابيح للتبريزي (٤٩٤٦)، ط. المكتب الإسلامي، وتاريخ أصفهان لأبي نعيم (١/ ١٢٢).

إذاً. . واجب الأسرة أن تعمل داخل البيت على بث روح التعاون والثقة والمودة والاحترام بين أفراده جميعاً، فيشعر الولد بأن إخوانه أصدقاء له، يتبادل معهم الحب والاحترام، ومن ثم يشيع داخل البيت أنهم كلهم أفراد متفاهمون متعاضدون، بالإضافة إلى أن التبادل بين الأخوة والتفاعل الذي يمكن أن يحصل بينهم في أي وقت كونهم يعيشون تحت سقف واحد، يمكن لهذا التفاعل أن يلعب دوراً هاماً في سياق التطور الاجتماعي للطفل.

رابعاً: أدب احترام المعلم:

إن ما ذكرناه من الأدب مع الوالدين يماثله الأدب مع العلماء، خاصة وأن المعلم يعتبر بمنزلة الوالد، وهذه بعض الآداب التي يجب أن نغرسها ونبثها في نفوس الأطفال تجاه العلماء ومعلميهم عموماً، ومن هذه الآداب:

١ - بما أن مجالس العلماء تحضرها الملائكة لقول النبي ﷺ: «**وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم**»[١]، فالمطلوب من الآباء أن يغرسوا في نفوس أولادهم احترام هذه المجالس، كما أنه من المفروض عليهم أن يغرسوا في نفوسهم أيضاً حب مجالسة العلماء ومحاولة الاستفادة مما عندهم من العلم كي تحيا قلوبهم بنور العلم، ولنستمع إلى وصية لقمان لابنه: «**يا بني**

(١) رواه أبو داود في كتاب العلم، باب (١)، وابن ماجة، الحديث (٢٢٣)، والإمام أحمد (٤/٢٣٩، ٢٤٠، ٢٤١).

جالس العلماء وزاحمهم بركبتك، فإن الله يحيي القلوب الميتة بنور العلم كما يحيي الأرض الميتة بوابل المطر».

٢ - وإذا جالسهم يجب أن يتحلى بالسكينة والوقار والتواضع لهم. روى أبو سعيد الخدري - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: «**تعلموا العلم، وتعلموا له السكينة والوقار، وتواضعوا لمن تتعلمون منه، ولا تكونوا جبابرة العلماء**»[١].

٣ - من الحقوق الاجتماعية الهامة التي يجب أن يتنبه المربون لها تربية أولادهم على احترام المعلم وتوقيره بالقيام له، والسلام، وعدم رفع الصوت، وحسن الجلوس، وعدم فعل ما يكره، والمبادرة إلى خدمته فيما يطلبه ويريده.

٤ - نعلم أولادنا أن ينظروا إلى معلميهم بعين الإجلال مع إظهار فضائله ومحاسنه، وعدم التحدث في مجلسه، والإصغاء إليه وعدم التلهي والانصراف عنه، والاستفهام منه بلطف.

ولنكن في معاملتنا لأساتذتنا ومشايخنا كما كان علماؤنا الأجلاء، فقد كانوا يجلون ويبجلون ويحترمون مشايخهم.

فهذا الإمام الشافعي - رضي الله عنه - يقول: «كنت أصفح الورقة بين يدي مالك صفحاً رقيقاً هيبة لئلا يسمع وقعها»، وهذا

(١) ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١/ ٢٩)، وانظر إتحاف السادة المتقين (١/ ٤٢٠، ٨/ ٢٧).

الإمام أبو حنيفة - رضي الله عنه - يوصي الطلاب بالوفاء والولاء لذوي الفضل عليهم، حيث يقول: «واستغفر لأساتذتك ومن أخذت عنهم بعلم».

وحين دخل الإمام الشافعي - رضي الله عنه - بغداد، أسرع إلى قبر أبي حنيفة زائراً مترحماً. ومن أدبه أنه صلى في مسجد أبي حنيفة، وأخذ يصلي ركعتين دون أن يرفع يديه مع التكبير خلافاً لمذهبه في رفع اليدين مع تكبيرات الإحرام، والركوع والقيام منه. وحين يُسأل عن ذلك قال: «ليس أدباً مع الإمام أن أظهر خلافه في حضرته» وهذا يدل على وفائه وتوقيره للعلماء.

خامساً: أدب الجار:

إن للجار حقوقاً كبيرةً في الشريعة الإسلامية ينبغي على الوالدين والمربين ترسيخها في نفوس الأطفال، وأكد عليها رسول الله ﷺ في قوله: **«ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه»**[1]، وجعل الاعتداء عليه بالقول أو بالفعل بُعد عن الإيمان، ودليل على غضب الرب، فقال رسول الله ﷺ: **«والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، والله لا يؤمن»**، قيل: من يا رسول الله؟ قال: **«الذي لا يأمن جاره بوائقه»**[2].

---

(١) أخرجه البخاري (٨/ ١٢)، ومسلم في البر والصلة ب (٤٢) رقم (١٤٠، ١٤١)، وأبو داود، الحديث (٥١٥١، ٥١٥٢)، والترمذي، الحديث (١٩٤٢، ١٩٤٣).

(٢) رواه البخاري (٨/ ١٢)، والإمام أحمد في المسند (٢/ ٢٨٨، ٤/ ٣١، ٦/ ٣٨٥).

وحقوق الجار في نظر الشريعة الإسلامية ترجع إلى أربعة أصول هي:

١ - **كف الأذى عن الجار**: والأذى أنواع منها: الزنى، والسرقة، والسباب والشتائم. يقول الإمام الغزالي: «واعلم أن ليس حق الجوار كف الأذى فقط، بل احتمال الأذى، فإن الجار أيضاً قد كف أذاه فليس من ذلك قضاء حقه، ولا يكفي احتمال الأذى، بل لا بد من الرفق وإسداء الخير والمعروف، إذ يقال إن الجار الفقير يتعلق بجاه الغني يوم القيامة فيقول: يا رب سل هذا لِمَ منعني معروفه، وسد بابه دوني».

٢ - **عدم جرح مشاعر الجار**: للأطفال آداب ينبغي أن يتحلوا بها مع أطفال جيرانهم، بعد أن يغرسها في نفوسهم الآباء والأمهات، ويربوهم عليهما حتى يألفوها ويتعودوها، منها: حسن التحسس بآلام الجار، وعدم إيذائه بأي طريق من طرق الإيذاء، وفي مقدمتها عدم خروج الطفل وبيده شيء من الطعام يأكل منه، أو فاكهة يتناولها ليغيظ بها ولد الجار الذي قد لا يملك والده أن يشتري له، أو أن يكون الجار في ضائقة مالية لا تمكنه من الشراء الفوري. لذلك فإن الطفل يتعوّد بذلك ألا يأكل في الطريق، وإنما بالبيت، ليكون ذلك أدعى إلى الالتزام بالآداب العامة.

وقد روى الطبراني عن عمر بن شعيب قوله ﷺ: «**وإن اشتريت**

فاكهة فأهد له، فإن لم تفعل فأدخلها سراً، ولا يخرج ولدك ليغيظ بها ولده»[(١)].

٣ - **الإحسان إلى الجار:** لا يكفي أن يكف الجار أذاه عن الجار أو يدفع عنه الضرر، بل يدخل في حسن الجوار أن يبدأه بالسلام، ولا يطيل معه الكلام دون حاجة، ويعوده في المرض، ويعزيه في المصيبة، ويقوم معه في العزاء، ويهنئه في الفرح، ويظهر المشاركة معه في السرور، ويصفح عن زلاته.. وغير ذلك. وقد قال رسول الله ﷺ: **«أتدرون ما حق الجار؟ إن استعان بك أعنته، وإن استنصرك نصرته، وإن استقرضك أقرضته، وإن افتقر عدت عليه، وإن مرض عدته، وإن مات اتبع جنازته، وإن أصابه خير هنأته، وإن أصابته مصيبة عزيته، ولا تستعل عليه بالبناء فتحجب عنه الريح إلا بإذنه...»**[(٢)].

وقال رسول ﷺ : **«المسلم أخو المسلم.. لا يظلمه ولا يسلمه (يخذله)، من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرَّج عن مسلم كربة فرَّج الله عنه بها كربة من كرب يوم القيامة، ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة»**[(٣)].

وقد عدّ رسول الله ﷺ إكرام الجار والإحسان إليه من خصال

---

(١) فتح الباري (١٠/٤٤٦)، وإتحاف السادة المتقين (٦/٣٠٨).

(٢) إتحاف السادة المتقين (٦/٣٠٨)، وكشف الخفاء ومزيل الإلباس (١/٣٨٣).

(٣) رواه البخاري، الحديث (٢٤٤٢، ٦٩٥١)، ومسلم، الحديث (٢٥٨٠).

الإيمان، فقال: «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليحسن إلى جاره**»[1].

٤ - **احتمال أذى الجار**: إذا كانت كل الحقوق المذكورة للجار، يستحق المرء من ورائها فضل وثواب من الله، فله كذلك فضل وثواب إذا تجاوز عن أخطاء جاره، وتغاضى عن هفواته، بالصفح والحلم، وله في ذلك أرفع منازل السعادة يوم القيامة، روى البزار والطبراني عن عبادة بن الصامت - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: «**ألا أدلكم على من يرفع الله به الدرجات؟**» قالوا: نعم يا رسول الله، قال: «**تحلم على من جهل عليك، وتعفو عمن ظلمك، وتعطي من حرمك، وتصل من قطعك**»[2].

سادساً: أدب الاستئذان:

الإنسان بطبعه يحب التآلف مع غيره، لذا يحرص على مخالطتهم والتعاون بينه وبين بني جنسه، وقد شرع الإسلام لتنظيم هذه العلاقات مناهج، ومن هذه المناهج التي رسمها الإسلام «أدب الاستئذان» حتى تكون المخالطة على أساس أدبي سليم، والأساس الذي رسمه الإسلام لذلك هو ماذ كره القرآن الكريم في سورة النور. قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِيَسْتَـْٔذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ وَٱلَّذِينَ لَمْ

---

(١) رواه مسلم، الحديث (٤٨)، والبخاري، الحديث (٦٠١٩، ٦١٣٥).

(٢) رواه البزار (١٩٤٧)، والمنذري في الترغيب (٣٦٢٥).

يَبْلُغُواْ ٱلْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَٰثَ مَرَّٰتٍۚ مِّن قَبْلِ صَلَوٰةِ ٱلْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ وَمِنۢ بَعْدِ صَلَوٰةِ ٱلْعِشَآءِۚ ثَلَٰثُ عَوْرَٰتٍ لَّكُمْۚ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌۢ بَعْدَهُنَّۚ طَوَّٰفُونَ عَلَيْكُم بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٨﴾ وَإِذَا بَلَغَ ٱلْأَطْفَٰلُ مِنكُمُ ٱلْحُلُمَ فَلْيَسْتَـْٔذِنُواْ كَمَا ٱسْتَـْٔذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٩﴾﴾.

يقول العلامة سيد قطب رحمه الله تعالى: «إن الإسلام منهاج حياة كامل، فهو ينظم حياة الإنسان في كل أطوارها ومراحلها، وفي كل علاقاتها وارتباطاتها، وفي كل حركاتها وسكناتها، ومن ثم يتولى بيان الآداب اليومية الصغيرة، كما يتولى بيان التكاليف العامة الكبيرة، وينسق بينها جميعاً، ويتّجه بها إلى الله في النهاية».

يأمر الله تعالى الآباء والمربين في النص القرآني السابق أن يرشدوا أطفالهم الذين لم يبلغوا الحلم إلى الاستئذان على أهليهم في ثلاثة أوقات: من قبل صلاة الفجر، وعند القيلولة في وقت الظهر، ومن بعد صلاة العشاء، لأن هذه الأوقات يأوي الناس فيها عادة إلى فراشهم، وقد يكون الإنسان في هذه الحالة على هيئة لا يحب أن يراه أحد عليها، والسبب بأن يستأذن الصغار كي لا تقع أنظارهم على عورات أهليهم، وهو أدب يغفله الكثيرون في حياتهم المنزلية، مستهينين بآثاره النفسية والخُلُقية، ظانين أن الصغار قبل البلوغ لا

ينتبهون لهذا المنظر، بينما يقرر النفسيون اليوم - بعد تقدم العلوم النفسية - أن بعض المشاهد التي تقع عليها أنظار الأطفال في صغرهم هي التي تؤثر في حياتهم كلها.

وعن ابن عباس رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ، أرسل غلاماً من الأنصار يقال له: مُدْلج بن عمرو إلى عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - وقت الظهيرة ليدعوه، فَدَخَلَ فرأى عمر على حال كره عمر رؤيته عليها، فقال عمر: «يا رسول الله.. وددت لو أن الله تعالى أمرنا ونهانا في حال الاستئذان».. فأنزل الله تعالى هذه الآية: ﴿يَتَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِيَسْتَـْٔذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا۟ ٱلْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَـٰثَ...﴾[1]. أما الدخول في غير هذه الحالات بالنسبة للصغار، فلا حرج فيه.

هذه الآداب هي أحكام الاستئذان في داخل البيوت، أما أحكام الاستئذان على البيوت، فتكون كما وضَّحها النص القرآني التالي: قال تعالى: ﴿يَتَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا۟ وَتُسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَهْلِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ فَإِن لَّمْ تَجِدُوا۟ فِيهَآ أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ ۖ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ٱرْجِعُوا۟ فَٱرْجِعُوا۟ ۖ هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨﴾ لَّيْسَ عَلَيْكُمْ

(١) أسباب النزول للواحدي ص ٣٣٩، تحقيق ودراسة كمال بسيوني زغلول، ط. دار الكتب العلمية - بيروت.

جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُواْ بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَٰعٌ لَّكُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴿٢٩﴾﴾ [النور].

ففي هذه الآيات من آداب الاستئذان ما يجب علينا كمربين أن نرشد أولادنا إليها، وهي مرتبة على النحو الآتي:

١ - **أن يستأنس ويسلم ثم يستأذن**: نهى النص القرآني عن دخول بيوت الغير، إلا إذا استأذن واستأنس طالباً الدخول، وأذن له بالفعل، وطريقة الإذن أن يقف المستأذن على الباب، دون أن ينظر إلى داخل البيت، حتى لا يتطلع على عورات من في البيت، يقول الرسول ﷺ: «**إنما جعل الإذن من أجل البصر**»[(١)]، فيجب عليه أن يستأنس ويسلم ثم يستأذن، روى أبو داود أن رجلاً من بني عامر استأذن على النبي ﷺ وهو في بيت، فقال: أألج؟ فقال رسول الله ﷺ لخادمه: «**اخرج إلى هذا فعلمه الاستئذان**»، فقال له: قل السلام عليكم، أأدخل؟ فأذن له النبي ؟ [(٢)].

٢ - **أن يعلن عن اسمه أو كنيته**: بعد أن يستأنس ويسلم ويستأذن يطلب الدخول بعد ذلك مبيناً اسمه، ولا يكتفي بكلمة «أنا»، فعن محمد بن المنكدر قال: سمعت جابر بن عبدالله رضي

(١) رواه البخاري (٧/ ٢١١، ٩/ ١٣)، ومسلم في الآداب (٤٠، ٤١)، والدارمي (٢/ ١٩٨).

(٢) رواه أبو داود، الحديث (٥١٧٧)، والبيهقي في الكبرى (٨/ ٣٤٠).

الله عنهما يقول: أتيت النبي ﷺ في دَيْنٍ كان على أبي، فَدَقَقْتُ الباب، فقال: «**من ذا؟**» فقلت: أنا، فقال: «**أنا، أنا**» كأنه كَرِهَهَا»[1].

٣ - **أن يستأذن ثلاث مرات**: فإن لم يؤذن له، أو لم يجبه أحد فلينصرف، فقد روى البخاري وغيره، عن أبي موسى الأشعري، أن النبي ﷺ قال: «**إذا استأذن أحدكم ثلاثاً فلم يؤذن له فليرجع**»[2]. هذه الأحكام خاصة بالكبار، ولكننا ندرب أولادنا منذ الصغر على ذلك حتى تكون لهم عادة راسخة في الكِبَر.

٤ - **ألا يطرق الباب بعنف**: بل عليه أن يقرع الباب قرعة خفيفة تدل على أدبه ولطفه، وإذا طلب منه رب المنزل أن يرجع، فلنعلمه الرجوع دون حرج ولا تذمّر.

ولنختم هذه الآداب بمثال حي من سيرة رسول الله ﷺ ومن لطائف الاستئذان من الأطفال، فعن سهل بن سعد الساعدي - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ أُتِيَ بشراب فشرب منه، وعن يمينه غلام وعن يساره الأشياخ، فقال للغلام: «**أتأذن لي أن أعطي هؤلاء؟**» فقال الغلام: لا والله يا رسول الله، لا أؤثر بنصيبي منك أحداً. فَتَلَّهُ رسول الله ﷺ في يده»[3]، يعني دفعه إليه.

---

(١) رواه البخاري، الحديث (٦٢٥٠)، ومسلم (٢١٢٧، ٢١٥٥)، بدون ذكر «الدين».

(٢) رواه البخاري، الحديث (٦٢٤٥).

(٣) رواه البخاري، الحديث (٢٤٥١)، ومسلم، الحديث (٢٠٣٠).

سابعاً: أدب الحديث:

١ - **التمهل بالكلام أثناء الحديث**: حتى يفهم المستمع المراد منه، وأن يكون الحديث منظوماً مرتّباً واضح المعنى، وهذا ما كان يفعله رسول الله ﷺ تعليماً لأمّته. روى الشيخان عن عائشة - رضي الله عنها: «ما كان لنبي الله ﷺ يحدث حديثاً لو عدّه العاد لأحصاه».

٢ - **أن يحسن اختيار الألفاظ والكلمات المناسبة**، حتى لا ينفر المستمعين، ولا يزعج الحاضرين، وذلك لقول رسول الله ﷺ: **«أبعدكم مني يوم القيامة الثرثارون والمتشدقون والمتفيهقون»**، وأن يبتعد عن التصنّع في الكلام، والتكلّف في فصاحة اللسان، فقد روى أبي داود عن ابن عمر - رضي الله عنهما - أن رسول الله ﷺ قال: **«إن الله عزَّ وجل يبغض البليغ من الرجال، الذي يتخلَّل بلسانه تخلل الباقرة بلسانها»**[١].

٣ - **المخاطبة على قدر التفهم**: يجب أن لا يخاطب الناس إلا على قدر عقولهم، بأسلوب يتماشى وثقافة من يخاطبهم، ويتّفق مع عقولهم وعلى قدر فهمهم وأعمارهم.

٤ - **الإقلال من الكلام**: يجب أن لا يتكلم كثيراً، وأن لا يقطع كلام غيره، وإن سبقه أحد إلى الحديث فعليه أن لا يتدخل إلا بعد أن ينتهي. وعلى من أراد الكلام أن يستوثق من وضوح الفكرة في

(١) رواه أبو داود، الحديث (٥٠٠٥).

ذهنه، وعلى المرء أن لا يتكلم إلا إذا دعت الضرورة إلى ذلك.. إلى غير ذلك من آداب الحديث.

ثامناً: أدب السلام:

من آداب السلام التحية عند اللقاء، وعند المفارقة، وهذه التحية لها آداب يجب على المربي أن يعلمها الطفل، وأن يرسخ في نفسه أن التحية من شأنها أن تؤلف القلوب، وتقوي الصلات، لذا أمر الإسلام أن يلقي المسلم السلام على أخيه المسلم، فقد قال رسول الله ﷺ: **«لا تدخلوا الجنّة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أولا أدُلُّكم على شَيْءٍ إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم»**[1].

وحري بالمربي أن يعلم الطفل الأمور التالية التي تتعلق بالسلام وآدابه:

١ - تقديم أفضل صيغة للسلام، وأن أتم صيغة للتحية هي «السلام عليكم ورحمة الله وبركاته»، تحية شرعها الله للمسلمين، وكلها خير وبركة، لِمَا فيها من جلب المحبة، وتقوية عرى المودة، فقد روى أبو داود والترمذي عن عمران بن حصين - رضي الله عنهم - قال: «أن رجلاً جاء إلى النبي ﷺ فقال: السلام عليكم، فردّ عليه السلام ثم جلس، فقال النبي ﷺ: **«عشر»**

(١) رواه مسلم، الحديث (٩٣ - ٥٤)، والترمذي، الحديث (٢٦٩٣)، وقال عنه: حسن صحيح، وأبو داود، الحديث (٥١٩٣). واللفظ لمسلم.

(أي عشر حسنات)، ثُمَّ جاء آخر فقال: السلام عليكم ورحمة الله، فرد عليه، فجلس، فقال: «**عشرون**»، ثم جاء آخر فقال: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، فرد عليه فجلس، فقال: «**ثلاثون**»[1]. هذه هي صيغة إلقاء التحية، أما الجواب: «وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته».

٢ - أن السلام سُنَّة مُؤَكَّدة، وأما ردّه فهو فرض لازم، لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا . . .﴾ [النساء: ٨٦]. أي إذا قال لكم أحد: السلام عليكم ورحمة الله، فقولوا: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته، فيكون رداً للتحية بأحسن منها.

٣ - آداب السلام: فمن آداب السلام أن يسلم القادم على من يقدم عليه، والراكب على الماشي، والماشي على القاعد، والقليل على الكثير، والصغير على الكبير، قال النبي ﷺ: «**يسلم الراكب على الماشي، والماشي على القاعد، والقليل على الكثير**»[2]، وفي رواية البخاري: «**يسلم الصغير على الكبير**»[2].

---

(١) رواه أبو داود، الحديث (٥١٩٥)، والترمذي، الحديث (٢٦٩٤)، وقال عنه: حسن غريب، واللفظ لأبي داود.

(٢) رواه البخاري، الحديث (٦٢٣٣، ٦٢٣٤)، ومسلم، الحديث (٢١٦٠)، واللفظ للبخاري.

٤ - إذا دخل على أهل بيته يلقي عليهم السلام، لقول رسول الله ﷺ لأنس رضي الله عنه: «**يا بني.. إذا دخلت على أهلك فسلّم، يكون بركة عليك وعلى أهل بيتك**»[١].

تاسعاً: آداب الطعام والشراب:

يتعامل الإنسان مع الطعام بشكل دائم، قضاءً لحاجة أساسية قد أودعها الله تعالى فيه، والجلوس إلى مائدة الطعام من الأمور الطبيعية لكل إنسان. وكما اعتنت الشريعة الإسلامية بحلال الطعام وحرامه، كذلك اهتم الإسلام بالآداب المتعلقة بالطعام والشراب، وليس من المبالغة القول أن مئات الأحاديث الشريفة قد تطرقت لهذه المواضيع، سواء مارسها الإنسان منفرداً أو مع جماعة، حتى تبعد الإنسان عن الشره والطمع والبُعد عن اللياقة، حرصاً على سلامة الجسد، وسلامة العلاقات الاجتماعية، وحتى يظهر الإنسان نظيفاً،مؤدباً، غير مزعج ولا مقرف، محبباً، لطيفاً.. وما إلى ذلك من صفات محمودة تتعلق بالمجالسة والمؤاكلة وحسن التصرف داخل الحلقات الاجتماعية.

أ - آداب الطعام:

١ - اختيار الطعام الطيّب النظيف المتوافق مع القواعد الصحيحة من حيث عناصره الغذائية المتنوعة. يقول الإمام الغزالي: «أن

(١) رواه الترمذي، الحديث (٢٧٠٣)، وقال عنه: حسن غريب.

يكون الطعام بعد كونه حلالاً في نفسه طيباً في جهة مكسبه موافقاً للسُّنَّة والوَرَع. . فالأصل من الطعام كونه طيباً وهو من الفرائض وأصول الدين».

٢ - غسل اليدين قبل الطعام وبعده، كما يستحب الوضوء قبل الطعام، وهو من آداب المسلم، وتذكره الدائم لربه جلَّ وعلا، وقد قال رسول الله ﷺ: «**بركة الطعام الوضوء قبله والوضوء بعده**»[١].

٣ - التسمية قبل الطعام، والحمد بعد الفراغ منه، وشكر الله عَزَّ وجل على هذه النعمة، وأن نعلم الطفل أن لا يحقّر شيئاً منه، حتى الفتات من كسرات الخبز.

روى أبو داود والترمذي عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: قال رسول الله ﷺ: «**إذا أكل أحدكم طعاماً، فليقل بسم الله، فإن نسي في أوله، فليقل بسم الله في أوله وآخره**»[٢].

٤ - وبعد أن يسمي الطفل، يجب أن نعلمه أن يأكل بيمينه ومما يليه، لما روى مسلم عن عمر بن أبي سلمة - رضي الله عنهما - قال: «كنت غلاماً في حجر رسول الله ﷺ، وكانت يدي تطيش في

---

(١) رواه الترمذي، الحديث (١٨٥١)، وأبو دود، الحديث (٣٧٦١)، والإمام أحمد (٥/ ٤٤١).

(٢) رواه الترمذي، الحديث (١٨٦٣)، وابن ماجة، الحديث (٣٢٦٤)، والإمام أحمد في المسند (٦/ ٢٠٨).

الصحفة (تتحرك في الإناء)، فقال رسول الله ﷺ: «**يا غلام. . سم الله، وكل بيمينك، وكل مما يليك**»[1] فما زالت تلك طعمتي بعد.

٥ - ألَّا يعيب طعاماً قُدِّم إليه، فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: «ما عاب رسول الله ﷺ طعاماً قط. كان إذا اشتهى شيئاً أكله، وإن كَرِهَهُ تركه»[2].

٦ - أن نعلمه تصغير اللقمة، والمضغ الشديد الجيد، كما في ذلك من آثار صحية على المعدة وعملية الهضم.

٧ - أن لا يأكل متكئاً لما لذلك من آثار سيئة على الصحة والنفس، روى البخاري عن أبي جحيفة وهب بن عبدالله قال: قال رسول الله ﷺ: «**إني لا آكل متكئاً**»[3].

٨ - لا يبادر إلى الطعام قبل من هو أكبر منه مقاماً أو عمراً أو علماً، لما روى مسلم في صحيحه عن حذيفة - رضي الله عنه - قال: «كنا إذا حضرنا مع النبي ﷺ طعاماً، لم نضع أيدينا حتى يبدأ رسول الله ﷺ»[4].

---

(١) رواه الإمام مسلم، الحديث (٢٠٢٢).

(٢) رواه الإمام مسلم، الحديث (٢٠٦٤)، والبخاري، الحديث (٣٥٦٣، ٥٤٠٩)، واللفظ لمسلم.

(٣) رواه البخاري، الحديث (٥٣٩٨).

(٤) رواه مسلم، الحديث (٢٠١٧).

٩ - أن لا يكثر من الأكل والتمادي فيه، فالمستحب أن يأكل في حال جوعه.

ب - آداب الشراب:

١ - استحباب الشراب ثلاثاً، والتسمية والحمد مع كل شربة، فعن ابن عباس - رضي الله عنهما - «لا تشربوا واحداً كشرب البعير، ولكن اشربوا مثنى وثلاث، وسموا إذا أنتم شربتم، واحمدوا إذا أنتم رفعتم»[١]. أي انتهيتم من الشرب. وقد قال ﷺ بعد الشرب: «**الحمد لله الذي جعله عذباً فراتاً برحمته ولم يجعله ملحاً أجاجاً بذنوبنا**»[٢].

٢ - لا تشرب قائماً ولا مضطجعاً، فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ أنه قال: «**لا يشربن أحد منكم قائماً**»[٣].

٣ - لا يتجشأ ولا يتنفس في الكوز، بل ينحيه عن فمه بالحمد ويرده بالتسمية. لأن النفخ والتنفس من الأضرار الصحية والمنافية للآداب الاجتماعية، ولا يشرب بطريقة الكرع في الماء.

---

(١) رواه الترمذي، (١٨٩)، وقال عنه: غريب.

(٢) انظر الدر المنثور (٥/ ٢٤٧)، وإتحاف السادة المتقين (٥/ ٢٢٣).

(٣) رواه مسلم، الحديث (٢٠٢٦).

عاشراً: آداب المشي والجلوس:

أ - آداب المشي:

يقول تبارك وتعالى في كتابه العزيز: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا﴾ [الفرقان: ٦٣]. يقول العلامة سيد قطب رَحِمهُ الله تعالى في تفسير هذه الآية الكريمة: «ها هي ذي السمة الأولى من عباد الرحمن.. إنهم يمشون على الأرض مشية سهلة هيّنة، ليس فيها تكلّف ولا تصنّع، وليس فيها خيلاء ولا تنفر، ولا تصغير أحد، ولا تخلع أو ترهل، فالمشية ككل حركة تعبير عن الشخصية».

وقد نهى تبارك وتعالى عن مشية المتكبّر بقوله: ﴿وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ...﴾ [الإسراء: ٣٧]. إنما المستحب في الإسلام أن يمشي المرء مشية المتواضع المتذلل في نفسه لله تبارك وتعالى، يمشي برفق ولين وتواضع للعباد.

ب - آداب الطريق:

١ - إلقاء السلام على من تعرف ومن لا تعرف، لما روى الشيخان عن عبدالله بن عمر بن العاص - رضي الله عنهما - أن رجلاً سأل النبي ﷺ قال: أي الإسلام خير؟ قال: «**تطعم الطعام وتقرأ السلام، على من عرفت ومن لم تعرف**»[1].

---

(١) رواه البخاري، الحديث (١٢، ٢٨، ٦٢٣٦)، ومسلم، الحديث (٣٩).

٢ - إذا لقيت أحداً فصافحه مع بشاشة الوجه، فإن ذلك مما يزيد في المودة والحب، فعن البراء قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما من مسلمَين يلتقيان، فيتصافحان، إلا غفر الله لهما قبل أن يتفرقا**»(١).

٣ - عدم إلقاء ما يؤذي الناس على الأرض، كإلقاء القمامة أو المخلفات أو أشياء تسبب الانزلاق أو الجرح أو القذارة.

٤ - إماطة الأذى عن الطريق، وإزالة ما يمكن أن يؤذي المارة من الحجارة والزجاج.. وغيرها، فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ أنه قال: «**الإيمان بضع وسبعون - أو بضع وستون - شعبة، فأفضلها قول: لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق**»(٢).

٥ - التوسعة على المارة المسرعين، أو الراكب دابة أو سيارة، وإعطاء الطريق حقه. فعن النبي ﷺ أنه قال: «**إياكم والجلوس في الطرقات**»، قالوا: يا رسول الله.. ما لنا بُد من مجالسنا نتحدّث فيها. قال: «**فإذا أبيتم إلا المجلس، فأعطوا الطريق حقه**» قالوا: وما حقه؟ قال: «**غض البصر، وكف الأذى، ورد السلام، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر**»(٣).

(١) رواه أبو داود، الحديث (٥٢١٢)، والترمذي، الحديث (٢٧٢٧)، والمنذري في الترغيب (٤٠٠٥).

(٢) رواه البخاري، الحديث (٩)، ومسلم، الحديث (٣٥ - ٥٨)، واللفظ لمسلم.

(٣) أخرجه البخاري، الحديث (٢٤٦٥، ٦٢٢٩)، ومسلم، الحديث (٢١٢١، ٢١٩١)، واللفظ له.

ج - آداب الجلوس:

جميل أن تعلم الطفل هذه الآداب الجميلة حتى لا يكون غريباً في مجتمعه، ومن هذه الآداب:

١ - أن يجلس في مكانه، لا يتجاوزه ولا يجلس دونه.

٢ - عدم التثاؤب والتمطي، وإذا جلس لا يمد رجليه ولا يضع رجلاً فوق أخرى، ولا يحني رقبته، ولا يلعب بيديه أو بغيرها من أعضائه، ولا يفرقع أصابعه ولا رقبته ولا أي عضو من أعضاء جسمه، ولا يبصق أو يتمخط بحضور الناس، ولا يدخل يده في أنفه إن أمكن.

أما داخل الملجس فله آداب يختص به:

١ - حسن الإصغاء إلى المتحدث، وعدم الانشغال بحديث آخر أو قراءة أو نحوها، خصوصاً إذا كان عالماً أو كبيراً في السن، وأن يكون هادئاً في مجلسه.

٢ - إذا تحدّث يجب أن يكون حديثه منظوماً، مرتباً، قليل الكلام.

٣ - عدم مقاطعة المتحدث مهما كان السبب، مما يدل على قلة احترام المتحدث، ألا يمازح لبيباً أو غير لبيب، قال سعيد ابن العاص لابنه: «يا بني.. لا تمازح الشريف فيحقد عليك، ولا الدنيء فيجترئ عليك»، وهذا نبي الهدى يوصي بعدم المزاح الجارح أو المؤذي أو الساخر فيقول ﷺ: «**لا تمار**

أخاك ولا تمازحه»[1]. والعلة في ذلك أن المزاح قد يخرق الهيبة، ويسقط ماء الوجه، ويعقب الحقد، ويذهب بحلاوة الود، ويشين فقه الفقيه، ويجرئ السفيه، ويسقط المنزلة عند الحكيم.

٤ - **دعاء ختم المجلس**: عن النبي ﷺ قال: «**من جلس في مجلس فكثر فيه لغطه، فقال قبل أن يقوم من مجلسه ذلك: «سبحانك اللَّهُمَّ وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك» إلا غفر له ما كان في مجلسه ذلك»**[2].

حادي عشر: أدب الإنصات أثناء تلاوة القرآن:

القرآن الكريم كلام الله المعجز والذي وصفه تعالى بقوله: ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ﴾ [المائدة: ١٥]. وقد حثّنا سبحانه وتعالى على تلاوته فقال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ﴾ [فاطر: ٢٩]. كما حثّنا رسول الله ﷺ على قراءة القرآن بقوله: «**اقرءوا القرآن، فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه»**[3].

---

(١) رواه الترمذي، الحديث (٢٠٠٠)، وقال عنه غريب.

(٢) رواه الترمذي، الحديث (٣٤٤٢)، وقال عنه: حسن صحيح غريب. والحاكم ١/ ٥٣٦، ٥٣٧)، وابن حبان (٥٩٣).

(٣) رواه مسلم، الحديث (٨٠٤).

إن تعليم أطفالنا القرآن الكريم ضرورة وواجب، لأجل إزالة الجهل، وحفظ الدين، وتحقيق السعادة في الدنيا والآخرة، لأنه جاء ليكون منهاج حياة يقودنا إلى أقوم طريق.

وينبغي تربية الأطفال على الاستماع إلى هذا القرآن والإنصات إليه، قال تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ﴾ [الأعراف: ٢٠٤]. يقول العلامة سيد قطب - رحمه الله - في تفسير الآية الكريمة: «فالاستماع إلى هذا القرآن والإنصات له - حيثما قرئ - هو الأليق بجلال قائله سبحانه، وإذا قال الله أفلا يستمع الناس وينصتون؟! ثم رجاء الرحمة لهم: ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾.. وحيثما قرئ القرآن، واستمعت له النفس وأنصتت، كان ذلك أرجى لأن تعي وتتأثر وتستجيب، وكان ذلك أرجى أن ترحم في الدنيا والآخرة جميعاً». ومن فوائد الإنصات للقرآن الكريم، حضور القلب، وترك حديث النفس، وهذا يتولَّد من التعظيم.. ففي القرآن ما يستأنس به القلب، فكيف يُطلب الأُنس بالفكر في غيره وهو في متنزه. وقال الحسن إذا جلست إلى القرآن فأنصت له، وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: «**من استمع إلى آية من كتاب الله، كُتبت له حسنة مضاعفة، ومن تلاها كانت له نوراً يوم القيامة**».

إن تدريب الأطفال على الإنصات إلى القرآن الكريم شيئاً فشيئاً حتى يصبح لهم عادة ثابتة، وكلما أنصتوا إليه وأدركوا معانيه تأثروا

به، واستجابوا له، فيشعروا بالطمأنينة والراحة، ولا يكونوا ممن أحزنوا الرسول ﷺ واشتكى منهم. قال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوۡمِي ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ مَهۡجُورٗا﴾ [الفرقان: ٣٠]. إن ترك تدبر وتفهم القرآن الكريم بعدم الإنصات إليه، هو من هجران القرآن الكريم وفي هذا المجال يقول سامي خضر: «إن عدم الاستماع والإنصات إلى القرآن الكريم عند تلاوته، قد يؤدي في المدى البعيد، إلى قساوة في القلب، وجفاء في الروح، وجرأة على مقام العزيز تبارك وتعالى».

كذلك إن من فوائد الإنصات إلى القرآن الكريم التفهّم، وهو أن يستوضح من كل آية ما يليق بها، إذ القرآن يشتمل على ذكر صفات الله تعالى وذكر أفعاله وأحوال أنبيائه والمكذبين لهم وأوامره والجنة والنار.

غرس فضيلة الحياء في نفس الطفل

إن خلق «**الحياء**» أول قوة يشدد عليها المربون، لأنها تدل على العقل، وعلى أن الولد قد أحس القبيح، وبالتالي فإن إحساسه ذلك يجنّبه الوقوع في قبيح الأفعال والأقوال. يقول مسكويه: «فإذا نظرت إلى الصبي فوجدته مستحياً مطرقاً بطرفه إلى الأرض، غير وقاح الوجه ولا محدّق إليك، فهو أول دليل نجابته، والشاهد لك على أن نفسه قد أحست بالجميل والقبيح...».

ولقد أحسّ وفهم مسكويه أن نفس الطفل تكون مستعدة للتأديب،

وأن نفسه مستعدة لقبول الأخلاق والفضيلة، لذا علينا كمربين أن نتدبر أحوال أولادنا ما داموا أطفالاً، ونبدأ بغرس الفضائل في نفوسهم خاصة فضيلة «الحياء».

والحياء في اللغة: التوبة والحشمة، وقد حيى منه حياءً واستحيا واستحى (حذفوا الياء الأخيرة كراهية التقاء الياءين)، والأخيرتان متعديان بحرف وبغير حرف، يقال: استحيا منك، واستحياك.

إن الإنسان إذا تجرّد من خُلق الحياء جهر بذنبه، والجهر بالذنب فسوق، يجلب سخط الله، فيقول من السوء ما يشاء، ويفعل من الشر ما يريد، لأنه قد خلع قناع الحياء عن وجهه، فصدق فيه قول رسول الله ﷺ: «**إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى.. إذا لم تستح فافعل ما شئت**»[1]. وصدق كذلك فيه قول الشاعر:

إذا لم تخشَ عاقبة الليالي　　ولم تستحِ فافعل ما تشاء

فلا والله ما في العيش خير　　ولا الدنيا إذا ذهب الحياء

يعيش المرء ما استحيا بخير　　ويبقى العود ما بقي اللحاء

وإذا تجرّد الإنسان عن الحياء، فإنه يصبح أهلاً لارتكاب كل منكر وشر، يندفع في تصرفاته وراء هواه، ويمشي في ركب الفساد.. يقص على الناس في وقاحة ما سوّل له الشيطان، وما

---

(١) رواه الإمام أحمد في المسند (٤/ ٥٢١، ٥/ ٣٧٢)، والبيهقي في السنن الكبرى (١٠/ ١٩٢).

أغراه به من معصية الله، يحكيها فخوراً بها.. مما يشجع غيره على تقليده، لذلك يخرج أمثال هؤلاء من عفو الله وستره، حيث يشير الرسول الكريم ﷺ إلى ذلك بقوله: «**كل أمتي معافى إلا المجاهرين**»[1]، ولذا جاء الاستثناء في قوله: «... **إلا المجاهرين**».

وروي عن النبي ﷺ أنه قال: «**إن الله عزَّ وجل إذا أراد أن يهلك عبداً نزع منه الحياء، فإذا نُزع منه الحياء لم تَلْقه إلا مَقِيتاً مُمَقَّتاً، فإذا لم تَلْقَهُ إلا مقيتاً مُمَقَّتاً نزعت منه الأمانة، فإذا نزعت منه الأمانة لم تلقه إلا خائناً مُخَوَّناً، فإذا لم تلقه إلا خائناً مُخوَّناً نُزعت منه الرحمة، فإذا نزعت منه الرحمة لم تلقه إلا رجيماً مُلَعَّناً، فإذا لم تَلْقَه إلا رَجيماً ملعَّناً نزعت منه ربقة الإسلام**»[2].

أما آثار هذا الخُلق الطيب في حياة الإنسان، والذي ينظر الإسلام إليه على أنه في طليعة أسس البناء الأخلاقي قول رسول الله ﷺ: «**الحياء لا يأتي إلا بخير**» متفق عليه، ويقول الرسول ﷺ عن ابن عباس: «**إن لكل دين خلقاً، وخُلُق الإسلام الحياء**»[3].

لذا يجب على الآباء والمربين أن يأخذوا أبناءهم بهذا الخلق،

---

(١) أخرجه البخاري، الحديث (٦٠٦٩)، ومسلم، الحديث (٢٩٩٠).

(٢) رواه ابن ماجة، الحديث (٤٠٥٤)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٣٨٩٨). (والربقة) بكسر الراء وفتحها: واحدة الرِّبق: وهي: عرى في حبل تشد به البهم وتستعاد لغيره.

(٣) رواه مالك وابن ماجة (٤١٨١)، والمنذري (٣٨٩٣).

ويرشدوهم إلى ما ينبغي فعله، وما ينبغي تركه من الأقوال والأفعال، وعليهم أن يتخيَّروا لهم الأصحاب والأصدقاء ممن اتّصفوا بصفة الحياء والأخلاق الحسنة، ويجنبوهم رفقاء السوء، واختيار الكتب الصالحة والقصص، البنّاءة التي لها تأثير خاص في التوجيه الحسن الذي له شأنه في اكتساب هذا الأساس من الخُلق الفضيل.

ومما تجب ملاحظته: أن على المربي أن يكون حكيماً، فلا يبالغ في أخذ الناشئين بهذا الخلق إلى حد يصل بهم إلى الخجل وضعف الشخصية، وصرف النفس عن ارتياد معالي الأمور، واقتحام المشاق والجرأة في الحق. وهذا رسول الله ﷺ يشيد بنساء الأنصار فيقول: «**نعم النساء نساء الأنصار. لم يكن يمنعهن الحياء أن يتفقَّهنَ في الدين**»[1]. وبهذه التربية الواعية نصل بنفوس أطفالنا إلى أعلى مدارج السمو والفضيلة.

غرس فضيلة الصدق في نفس الطفل

الصدق في اللغة: نقيض الكذب، صدق يصدقُ صِدقاً وصُدقاً وصادقاً وصَدَّقه. مثل قوله: وصدقه الحديث، أي: أنبأه بالصدق، ويقال: صدقت القوم: أي: قلت لهم صدقاً.

إن الصدق دعامة الفضائل، ومظهر من مظاهر السلوك النظيف، ودليل الكمال، وعنوان الرقي. بالصدق توطد الثقة بين الأفراد

(١) رواه البخاري ك (٣) ب (٥٠)، ومسلم، الحديث (٣٣٢).

والجماعات، لا يستغني عنه حاكم ولا تاجر، ولا رجل ولا امرأة، ولا صغير ولا كبير.. ما داموا يعيشون في مجتمع فيه تُرَد وتُضمن الحقوق.. ويُعطى كل ذي حق حقه.

فواجبنا كمربين أن نربي ونعوّد أطفالنا الصدق والأمانة شيئاً فشيئاً من خلال البيئة، خصوصاً إذا كان المحيطون بهم يراعون الصدق في أقوالهم وأعمالهم ووعودهم. والطفل الذي يعيش في وسط لا يساعد على تكوين اتجاه الصدق والتدرب عليه، يسهل عليه الكذب، خصوصاً إذا كان يتمتّع بالقدرة الكلامية، ولباقة اللسان، وعلى هذا الأساس.. فإن الكذب صفة أو سلوك مكتسب، نتعلمه كما نتعلم الصدق، وليس صفة فطرية أو سلوكاً موروثاً.

و«الصدق» من صفات الله عز وجل، يقول تبارك وتعالى: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٨٧]. وأول ما يتميز به الأنبياء «الصدق» قال تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا﴾ [مريم: ٤١]. وهذا نبي الأمة يوصي معاذ بصدق الحديث فيقول ﷺ: «**أوصيك بتقوى الله، وصدق الحديث، وأداء الأمانة، والوفاء بالعهد، وبذل السلام، وخفض الجناح**».

إن رسالة الإسلام كلها الصدق، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ [الزمر: ٣٣]. والله سبحانه يأمر المؤمنين بالتقوى، وأن يكونوا مع الصادقين في كل أفعالهم وأقوالهم، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ

﴿وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩]. والصدق تطمئن له النفوس العزيزة، والكذب يقلق القلوب، ويدعها مضطربة حائرة، فعن الحسن بن علي – عليه السلام – قال: حفظت من رسول الله ﷺ «**دع ما يريبك إلى ما لا يريبك فإن الصدق طمأنينة، وإن الكذب ريبة**»[(١)].

والصدق مصدر لكل فضيلة من الفضائل، كما أن الكذب أساس كل الشرور والمفاسد، وما كان من خُلقٍ أبغض إلى رسول الله ﷺ من الكذب.

إن للطفل حقوقاً في التعامل الإنساني، ولا يجوز للوالدين خداعه والكذب عليه، وإذا كانت التربية الفاضلة في نظر المربين تعتمد على القدوة الصالحة، فجدير بكل مرب مسؤول ألا يكذب على أطفاله بحجة إسكاتهم من بكاءٍ، أو ترغيبهم في أمر، أو تسكيتهم من غضب، فإنهم إن فعلوا ذلك يكونون قد عوّدوهم عن طريق الإيحاء والمحاكاة القدوة السيئة على أقبح العادات، وأرذل الأخلاق ألا وهي رذيلة الكذب.

أخرج أبو داود عن عبدالله بن عامر أنه قال: دعتني أمي يوماً ورسول الله ﷺ قاعد في بيتنا، فقالت: ها تعال أعطيك، فقال لها رسول الله ﷺ «**وما أردت أن تعطيه؟**» قالت: أعطيه تمراً، فقال

(١) رواه الترمذي، الحديث (٢٥٢٣)، وقال عنه: حسن صحيح.

لها: «**أما إنك لو لم تعطه شيئاً كتبت عليك كذبة**»[1]. «فإذا نشأ الطفل في بيئة تحترم الحق وتلتزم الصدق، حيث يفي القوم بما وعدوا وإذا عجزوا عن الوفاء شرحوا السبب في ذلك شرحاً وافياً، وفي أسرة تلتزم الأمانة والصدق بقدر دعوتها إليها، كان من الطبيعي في مثل هذه الظروف أن يلتزم الطفل حدود الصدق المرعية.

غرس فضيلة الأمانة في نفس الطفل

الأمانة أهم الأسس التي تبنى عليها المجتمعات الإنسانية، ولولاها ما بقي مجتمع، فقد كشف الحق أن الأمانة دعامة بقاء الإنسان، وروح العدالة وحدها، ولا يكون شيء من ذلك بدونها. وقد قيل: إن الأمانة أمر يكتسب ولا يورث، وهي من خصائص الخُلق الذي يعلق عليها المجتمع أهمية كبيرة، حتى إن الفرد إذا اعتدى على ما يملكه غيره عرّض نفسه لحساب عسير، فعن أنس - رضي الله عنه - قال: «ما خطبنا رسول الله ﷺ خطبة إلا قال: «**لا إيمان لمن لا أمانة له، ولا دين لمن لا عهد له**»[2]، وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: «**آية المنافق ثلاث: إذا حدَّث كَذب، وإذا وَعَد أخلف، وإذا أؤتمن خان**»[3].

والأمانة خلق تحلّى به رسول الله ﷺ منذ أن كان صغيراً، حتى

---

(١) رواه أبو داود (٤٩٩١).

(٢) رواه الإمام أحمد في المسند (٣/ ١٣٥)، وابن حبان (١٩٤).

(٣) رواه البخاري (٣٣، ٢٦٨٢، ٢٧٤٩)، ومسلم (٥٩).

وصفه المشركون بالصادق الأمين، وفي سيرة رسول الله ﷺ عبرة وقدوة يجب أن يقتدي بها أطفالنا.

و«الأمانة» هي أن لا تخالف سريرة علانية، وهي السلامة مع الاستقامة، وهي الالتزام بالعهد وما أؤتمن عليه الفرد، وعكسها «الخيانة». وأعظم الخيانة أن تحدّث أخاك بحديث يرى أنك صادق فيه، وأنت على غير ذلك. يقول تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ﴾ [المؤمنون: ٨].

ومن مجالات الأمانة:

أولاً : أمانة الفطرة، يقول العلامة سيد قطب - رحمه الله تعالى -: «الأمانات كثيرة في عنق الفرد وفي عنق الجماعة، وفي أولها أمانة الفطرة.. والمؤمنون يرعون تلك الأمانة الكبرى فلا يدعون فطرتهم تنحرف عن استقامتها». وأي تقصير في النهوض بهذه التبعة خيانة لله ولدينه، يقول تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الأنفال: ٢٧].

ثانياً : إحسان المعاملة مع الأفراد والجماعات في الأمانات، فالودائع من أعظم الأمانات التي يجب حفظها وردها إلى أصحابها، وحفظ الأسرار، وعدم إفشائها مما يدخل في هذا المجال، لما في هذا من المحافظة على حقوق

المعارف والأصدقاء، يقول الرسول ﷺ: «**إذا حدث الرجل بحديث ثم التفت فهي أمانة**»[1].

ثالثاً : أمانة الحكم، حيث تقتضي إسناد المناصب العامة إلى الأمناء الأقوياء، والأكفاء المخلصين، وجميع الحقوق المشروعة، فالشعب أمانة في عنق الحاكم، وهو مسؤول عن حمايته وتمكينهم. قال رسول الله ﷺ: «**الإمامُ راع ومسؤول عن رعيته**». وقد حدد رسول الله ﷺ مسؤولية الولد في مال أبيه، فإن استخلفه في مكتبه، أو متجره، لزمه أن يخلص ولا يخفي عن أبيه شيء، فإن الله مطلع على ما في قلبه، وأن يكون أميناً على القيام به، والمحافظة على أموال والده إذا كلفه بالتصرف فيها، ففي البخاري عن عبدالله بن عمر بن الخطاب - رضي الله عنهما - أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «**كلكم راع وكلكم ومسؤول عن رعيته، . . . والرجل في مال أبيه راع ومسؤول عن رعيته . .**»[2].

يقول «دوجلاس توم» مدير العيادات السيكولوجية بمدينة بوسطن وأستاذ الطب النفساني بجامعة هارفرد: «الشخص الأمين كل

---

(١) رواه أبو داود (٤٨٦٨)، والترمذي (١٩٦٤) وحسنه، والمنذري في الترغيب والترهيب (٣٠٠١).

(٢) رواه البخاري (٨٩٣، ٢٤٠٩، ٢٥٥٤، ٢٥٥٨، ٢٧٥١، ٥١٨٨، ٥٢٠٠، ٧١٣٨)، ومسلم (١٨٢٩).

الأمانة. . لا حاجة به أبداً إلى أن يقف متردداً في أحكامه، أمن الأنفع أن يسلك سلوكاً أميناً أم غير أمين؟ وهو لا يوطن نفسه على الأمانة، بعد أن يزن كل نواحي الأمر وزناً دقيقاً. . إن الأمناء لا ينفقون جهداً أو يلقون عناء في اصطناع سلوكهم، أما غيرهم فقد يستلزم الأمر عندهم جهداً كبيراً من قوة الإرادة لالتزام الأمانة».

فالأمين يصبح موضع ثقة الناس واحترامهم، والخائن مناط سخطهم واحتقارهم، ولهذه الخصلة الحميدة جعلها الله تعالى إحدى صفات الأبرار حين يقول: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ﴾ [المؤمنون: ٨].

إن عدم تكوين هذه الخاصة الخُلُقية في نفوس أطفالنا يكون وراءه خطراً كبيراً وأذى، فالطفل الذي لا يدرب ويغرس في نفسه الأمانة، فإنه حتماً سوف يقوده إلى الخيانة والسرقة وما شابه ذلك. . فلنحرص على تأصيل هذه الخصلة الفاضلة في نفوس أطفالنا لتخلق منهم رجالاً أمناء صادقين أوفياء.

حفظ الأسرار

إن حفظ الأسرار، وعدم إفشائها، مما يدخل في مجال الأمانة، لما في هذا من المحافظة على حقوق المعارف والأصدقاء. وإذا تهاون الإنسان وأفشى سر غيره، كان إفشاؤه حراماً إن كان فيه إضراراً، ولوماً إن لم يكن فيه شيء من ذلك، ومن حقه أن ينكره، وإن كان كاذباً فليس الصدق واجباً في كل حال. فعن جابر

ابن عبدالله، أن النبي ﷺ يقول: «**المجالس بالأمانة، إلا ثلاثة مجالس: سفك دم حرام، أو فَرْجٍ حرام، أو اقتطاع مال بغير حق**»[(١)].

وهذه وصية أمامة بنت الحارث لابنتها أم إياس.. حيث تعد ابنتها لتكون زوجة مخلصة لزوجها، فقالت: «أي بنية.. إن الوصية لو تَركت لفضل أدب تُركت لذلك منك، ولكنها تذكرة للغافل، ومعونة للعاقل»، ومما قالته في وصيتها الطويلة: «ولا تفشي له سراً، ولا تعصي له أمراً، فإنك إن أفشيت سره لم تأمني غدره، وإن عصيت أمره أوغرت صدره...». إن هذه الوصية تدل على ما تتّصف به الأم العربية من ذكاء وذوق وحكمة بالغة.

إن الطفل الذي يتعوَّد على كتم الأسرار، فإنه ينشأ ضابط اللسان، محاسب لنفسه، حافظ حقوق الآخرين، قوي الإرادة، يجني من ورائها ثقة الناس به.

وقد أخرج الإمام أحمد عن أنس قال: مرّ بي النبي ﷺ وأنا ألعب مع الصبيان، فسلَّم علينا، ثم دعاني فبعثني إلى حاجة له، فجئت وقد أبطأت عن أمي، فقالت: ما حبسك.. أين كنت؟ فقلت: بعثني رسول الله ﷺ إلى حاجة. فقالت: أي بني.. وما هي؟ فقلت: إنها سر. قالت: لا تحدّث بسر رسول الله ﷺ أحداً. ثم قال: والله يا ثابت لو كنت حدّثت به أحداً لحدثتك»[(٢)].

---

(١) رواه أبو داود (٤٨٦٩)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٣٠٠٠).

(٢) رواه الإمام مسلم (٢٤٨٢ - ١٤٥)، والإمام أحمد في المسند (١٢٨١٥، ١٣٠٥٣، ١٣٤١٣، ١٣٦٨٩).

وعن أنس بن مالك قال: «أسر إليَّ النبي ﷺ سراً فما أخبرت به أحداً بعده، ولقد سألتني عنه أم سليم فما أخبرتها به»[1].

قيل لبعض الأدباء: كيف حفظك السر؟ قال: أنا قبره. وقد قيل: صدور الأحرار قبور الأسرار. وقيل إن قلب الأحمق في فمه، ولسان العاقل في قلبه. أي: لا يستطيع الأحمق إخفاء ما في نفسه فيبديه من حيث لا يدري به. فمن هذا يجب مقاطعة الحمقى والتوقي من صحبتهم، بل عن مشاهدتهم. وقال آخر: أستره وأستر أني أستره. وعبر عنه ابن المعتز فقال:

ومستودعي سراً تبوأت كتمه　　　فأودعته صدري فصار له قبراً

وهذا الإمام الغزالي يقول في حقوق الأخوة والصحبة: «أن يسكت عن أسراره التي بثها إليه، ولا يبثها إلى غيره البتة. ولا إلى أخص أصدقائه، ولا يكشف شيئاً منها، ولو بعد القطيعة والوحشة، فإن ذلك من لؤم الطبع وخبث الباطن»[2]

* * *

---

(١) رواه البخاري (٦٢٨٩)، ومسلم (٢٤٨٢ - ١٤٦).

(٢) طالع بالتفصيل البنود السابقة وغيرها كتاب (الطفل في الإسلام)، وكتاب نظرات في الفكر التربوي الإسلامي، كلية التربية الأساسية، إشراف ومراجعة د. محمد المأمون محمد علي المحرزي، (دولة الكويت: ٢٠٠٠م).

أساليبُ التنمية الجسمية وفق هدي الإسلام

لكي يسير نمو الطفل في مساره الطبيعي والسويّ، ينبغي إشباع حاجات الطفل المختلفة الجسمية والعقلية والوجدانية والبيولوجية والاجتماعية والروحية، في الوقت المناسب، وبالقدر والأسلوب المناسبين.

حاجات النمو الجسمي والفسيولوجي:

- الحاجة إلى الغذاء الصحي المتكامل والمتوازن، الذي يمد الجسم بالطاقة، ويحافظ على حيويته ونشاطه، ويجدد خلاياه، ويزيد مناعته ضد الأمراض، ويساعد على النمو الجسمي والعقلي السليم.
- الحاجة إلى المسكن الصحي المناسب للمعيشة والحركة واللعب والاستكشاف.
- الحاجة إلى الملبس الذي يقي الجسم ويسمح للطفل بالحركة والنشاط.
- الحاجة إلى زمن كاف للراحة والنوم يومياً لاستعادة الجسم لنشاطه وحيويته.
- الحاجة إلى الوقاية والعلاج من الأمراض المختلفة، لما لها من آثار مدمرة على نمو الطفل الجسمي والعقلي، حيث إن ضعف الصحة والمرض من أكثر أسباب التأخر الدراسي والتأخر العقلي.

- الحاجة إلى الوقاية من الحوادث والأخطار والعدوان، حيث تزداد في هذه المرحلة من العمر نسبة إصابات ووفيات الأطفال، عنها في أي مرحلة، بسبب زيادة واتساع مجال نشاط الأطفال وحركتهم وحبهم للاستطلاع والمخاطرة، مما يعرضهم للحوادث في المنزل وفي الشارع وفي المدرسة، ويذكر أولسون أن ٢١٪ من وفيات الأطفال التي تنجم عن الحوادث تكون فيما بين السنة الأولى ونهاية السنة الرابعة، و٣٢٪ من الخامسة إلى نهاية التاسعة.
- كما يتعرض الطفل للأذى والعدوان مثل الضرب والتعذيب الجسمي والنفسي من قبل الكبار، وأحياناً من قبل الوالدين بسبب الانهيار الأسري، كما قد تتسبب الحروب والاضطرابات في إصابة الأطفال بالعاهات وفقدان الأهل والأمن، مما يتطلب وقاية الأطفال من الحوادث والعدوان، ورعايتهم، والرفق بهم من قبل الوالدين والآخرين.
- الحاجة إلى ضبط الإخراج، وهي حاجة بيولوجية تحتاج إلى نضج وتدريب مناسب من قبل الطفل، وأناة وصبر وتشجيع من قبل الأم والمحيطين بالطفل، وقد يؤدي عقاب الطفل على فشله في السيطرة المبكرة على هذه العملية إلى اضطرابه وخوفه وعدم ثقته في نفسه، وشعوره بالعجز والقلق بالنسبة لعلاقته بالآخرين وبخاصة الأم، وتكوين اتجاهات غير سليمة في مواجهة الحياة، وقد يستمر هذا السلوك لدى الطفل كسمة شخصية، وتركز مدرسة التحليل النفسي

على أثر عمليات التدريب والضبط التي يتلقاها الطفل أثناء عملية الإخراج على شخصيته في المستقبل.

حاجات النمو العقلي، ومنها:

- الحاجة إلى البحث والاستطلاع والتجريب.
- الحاجة إلى المعرفة واكتساب المهارات اللغوية.
- الحاجة إلى تنمية القدرة على التفكير والتخيّل.

ويمكن إشباع هذه الحاجات من خلال توفير فرص وأدوات ومجالات اللعب والحركة والبحث والاستطلاع والتجريب للطفل، في بيئته المنزلية والمدرسية، وتوفير الإمكانات والمثيرات الثقافية ككتب الأطفال، والمجلات المصورة، والأشرطة والأقراص المسجلة المسموعة والمرئية وأجهزة الكمبيوتر، وتشجيع الطفل على الاستماع إلى القصص والأناشيد والأغاني والمشاركة فيها، وتنمية محصوله اللغوي الذي يزداد في هذه المرحلة بسرعة كبيرة جداً، والاهتمام بأسئلة الطفل والإجابة عنها، بأسلوب مبسط مهما كانت غريبة، حيث إن ذلك يشعر الطفل بالأمن والقبول، وينمّي تفكيره، ويساعد تعلم الطفل اللغة وسيطرته عليها.. على توافقه الشخصي والاجتماعي، وعلى نموه العقلي، ويتفوق الأطفال الأكثر ذكاء في المهارات اللغوية.

حاجات النمو الوجداني والاجتماعي ومنها:

حاجات الأمن والتقبل والتقدير الذاتي والاجتماعي، وهي حاجات متصلة ومتكاملة وأساسية في نمو الطفل النفسي، وتعتبر الأم مصدر الإشباع الأول لهذه الحاجات، إذ تقوم على رعاية الطفل، وإشباع كل حاجاته منذ لحظة ميلاده وخلال مراحل نموه، فهي التي ترضعه، وتسهر على حمايته، وتتفاعل معه، وتوفر له الحب والأمان.

ويشارك الأم في إشباع هذه الحاجات الأب والأسرة والقائمون على رعاية الطفل في المنزل وفي المدرسة، من خلال تفاعلهم وتعاملهم، ورعايتهم له وإشعاره بالقبول، وعدم السخرية منه، أو الإسراف في نقده، أو التمييز في معاملته، وإشباع هذه الحاجات بطريقة سوية يؤدي إلى التوافق الشخصي والاجتماعي للطفل، أمَّا عدم إشباعها فيشعر الطفل بأنه غير مرغوب فيه، ومنبوذ، ويصبح سيء التوافق مضطرباً نفسياً.

حاجات الإنجاز والنجاح وتأكيد الذات:

يزداد الاستقلال النسبي للطفل عند فطامه وتعلمه الكلام، وتمكنه من ضبط عمليات الإخراج، وتفاعله مع الآخرين، حيث يرغب في الاعتماد على نفسه في بعض أموره، ويصر على ذلك، وفي القيام ببعض الأدوار والمهام المناسبة لعمره، والتي ينبغي تشجيعه وإثابته على النجاح في أدائها، لأن ذلك يزيد من ثقته في نفسه، ويؤكد

ذاته، ويدعم استقلاليته، ويشعره بالأمن والتقدير. وتؤدي أساليب الحماية الزائدة للطفل إلى إعاقة إشباع هذه الحاجات، وبالتالي إعاقة نموه النفسي، وجعله إتكالياً، متمركزاً حول ذاته، وأنانياً، ومن الضروري إعطاء الطفل الفرصة في المنزل وفي المدرسة للقيام ببعض الأدوار والأعمال والمسؤوليات المناسبة التي يستطيع أن ينجزها بنجاح، لأن ذلك يدفعه إلى المزيد من الإنجاز والنجاح ويُنمِّي شخصيته.

الحاجة إلى اللعب وإلى الرفاق:

يحتاج الطفل إلى اللعب لما له من أهمية كبيرة بالنسبة لنموه الجسمي والعقلي والاجتماعي والنفسي، كما يحتاج إلى رفاق من عمره يشاركونه لعبه، ويتفاعل معهم، ويُنمِّي معهم أواصر الصداقة والتعاون وأساليب ومعايير السلوك الاجتماعي، ونظراً للأهمية الكبيرة للعب في نمو الطفل فقد تَمَّ تناوله بشيءٍ من التفصيلِ فيما بعد.

الحاجةُ إلى سلطةٍ ضابطةٍ، وإِلَى تَعَلُّم المعايير الأخلاقية والدينية:

يحتاج الطفل إلى وجود سلطة ضابطة ترعى نموه، وتوجه سلوكه في حب ودفء، ودون إسراف في ثوابٍ أو عقاب، وتتمثل هذه السلطة في الوالدين، وفي من يقوم على رعاية الطفل، وتساعد هذه السلطة الضابطة الطفل على التفرقة بين الصواب والخطأ،

ومعرفة حقوقه وواجباته، وتعلم واكتساب المعايير الأخلاقية، ممَّا يبني لديه أسس الحكم الأخلاقي السليم.

كما يحتاج الطفل إلى القدوة الحسنة، والبيئة الدينية، لتعلم واكتساب الثقافة، والمعايير والسلوك الإسلامي.

أساليب التنمية الجسمية وفق هَدْي الإسلام

إن الاهتمام بالبدن وإعطائه حقه من الرعاية والمداواة شيء طبيعي فطري في الإنسان، والرسول ﷺ يقر هذا الحق، حيث قال: «**إن لأهلك عليك حقاً، وإن لضيفك عليك حقاً، وإن لنفسك عليك حقاً، فصم وأفطر، وصلِّ ونَمْ**»[1]. فأعضاء الجسم وعضلاته تحتاج إلى الحركة والترويض كي لا تخمل ولا تترهل ولا تتعطل عن العمل والنشاط. إن التمرين الجسدي ضروري للحياة كالراحة، غير أن كثيراً منّا يُكَسّلُونَ، فمن أُتيح لهم الركوب ولو إلى مسافةٍ قصيرة يُقْلِعُونَ عن المشي، وليست هذه هي الطريق الصحيح للصحة، إذ يجب أن نُمَرِّنَ عضلات الساقين والظهر وسائر عضلات الجسم، فالمشي وتنشُّق الهواء النقي من أهم مقويات الصحة.

والتربيةُ البدنية هي تلك «العملية التربوية التي تتم عند ممارسة

(١) رواه أبو داود (١٣٦٩)، والإمام أحمد في المسند (٦٨٣٩)، وصححه الألباني، وحسنه شعيب الأرناؤوط.

أوجه النشاط التي تنمو وتصون جسم الإنسان، لذا وجه الإسلام إلى العناية بالتربية الرياضية، وإن نظرة فاحصة إلى التكوين البدني للإنسان، وكثرة مفاصله، وتعدد أنواع هذه المفاصل، تدل دلالة واضحة على أن جسم الإنسان خلق ليتحرك، وإن الحركة أساسية للحفاظ على صحته، واكتسابه مكونات اللياقة البدنية اللازمة للحياة»[(١)].

إنَّ التربية الجسدية تهدف إلى تمكن التكوين العضوي في الإنسان من القيام بوظيفته، ولهذه الأهمية وضح الرسول ﷺ ميادينها كما جاء في الحديث الشريف: عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ : «**المؤمن القوي خير وأفضل وأحب إلى الله عزَّ وجل من المؤمن الضعيف، وفي كل خير...**»[(٢)].

من أجل ذلك دعا الإسلام إلى تعلم السباحة والرمي وركوب الخيل، وقد كتب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - إلى الولاة ما يلي: «أما بعد.. فعلِّموا أولادكم الرماية والسباحة وركوب الخيل...».

١ - **السباحة**: تعتبر السباحة وسيلة رائعة ذات تأثير مثمر في نمو الطفل، وخبرة يعوّل عليها كثيراً من الحياة العملية.

---

(١) انظر بالتفصيل (الطفل في الإسلام)، مرجع سابق.

(٢) رواه الإمام أحمد في المسند (٨٧٧٧)، والإمام مسلم (٢٦٦٤)، وابن حبان (٥٧٢٢).

وبالإمكان البدء بها في السنة الرابعة أو الخامسة للطفل، على أن يتم تعلمها بشكلٍ تدريجيّ». وهذا نبيّ الهُدى ﷺ سَبَح وهو صغير في بستان أخواله بني النجار، ولعب مع الصبيان.

٢ - **ركوب الخيل**: قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ [الأنفال: ٦٠].

وقد أقام رسول الله ﷺ سباقاً للخيل، فعن عبدالله بن عمر - رضي الله عنهما - قال: «أن رسول الله ﷺ سابق بين الخيل التي قد ضُمِّرَت من الحَفياء إلى ثنية الوداع، وسابق بين الخيل التي لم تُضَمَّرْ من الثنية إلى مسجد بني زُرَيْق»(١)، وقال ﷺ: «**لا سبق إلا في خف أو حافر أو نصل**»(٢)، وحثَّ الرسول ﷺ على تعلم الفروسية لما لها من أثر في تربية الجسد وقوته فيقول: «**الخيل معقود في نواصيه الخير إلى يوم القيامة.. الأجر والمغنم**»(٣).

٣ - **الرماية**: عن عقبة بن عامر - رضي الله عنه - قال: سمعت رسول

---

(١) رواه ابن حبان (٤٦٩٢).

(٢) رواه الإمام أحمد (٢/ ٤٧٤)، وأبو داود (٢٥٧٤)، والترمذي (١٧٠٠)، وابن حبان (٤٦٩٠).

(٣) رواه الإمام أحمد (٤/ ٣٦١)، ومسلم (١٨٧٢)، والنسائي (٦/ ٢٢١)، وابن حبان (٤٦٦٩).

الله ﷺ وهو على المنبر يقول: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾، «**ألا إنَّ القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي**»[1]. ويقصد بالرماية التمرين على عمليات الحروب وحمل السلاح، فمن فوائد الرماية نمو الحركة الحيوية في الجسم، وتوفير القوى الجسمية التي يحتاج إليها المحارب القوي المؤمن، وتقوية الإرادة عند المسلم، وتعويده الاعتماد على الله سبحانه وتعالى ثم على نفسه وقدراته.

وهنالك أنواع أخرى للرياضة البدنية منها المشي، والركض، والمصارعة والصيد، وكرة القدم، وكرة السلة والطائرة والتنس. . وغيرها من الألعاب الرياضية الحديثة.

من فوائد الرياضة البدنية:

الرياضة: هي نشاط بدني تطبيقي، يخضع لشروط الممارسة المستمرة والمتواصلة، المتدرجة في الصعوبة، حتى تأخذ عناصر اللياقة البدنية والمهارات الحركية الناقصة للحياة، طريقها إلى الاستقرار في الجسد، ويصبح التدريب عليها وممارستها عادة سلوكية يومية. أمَّا فوائدها فهي:

١ - لها تأثير في حرق المواد الدهنية الفائضة في الجسم، وتقليل خطر أمراض القلب.

---

(١) رواه مسلم(١٩١٧)، والإمام أحمد (٤/ ١٥٦، ١٥٧)، وأبو داود (٢٥١٤)، والترمذي (٣٠٨٣)، وابن ماجة (٢٨١٣)، وابن حبان (٤٧٠٩).

٢ - تُعوِّد البدن الخفة والنشاط، وتجعله قابلاً للغذاء، وتمنع تصلب المفاصل، وتقوي الأوتار والرباطات، وتؤمن من جميع الأمراض المادية، وأكثر الأمراض المزاجية إذا استعمل القدر المعتدل منها في وقته.

٣ - والرياضة لا تختص بالجسم وحده، وإنّما تمتد آثارها إلى مكونات الشخصية الإنسانية، فللتربية البدنية أهدافاً فكرية تتضمن إدراك المعارف والمدركات، وأهدافاً جمالية: ومنها تنمية التذوق للأداء الماهر، وأهدافاً اجتماعية: منها العمل على غرس صفات إيجابية كالروح الرياضية العالية، والتعاون.

٤ - شغل أوقات الفراغ بطريقة نافعة مفيدة.

الألعاب.. وتنمية الطفل

كتب الأستاذ عباس محمود العقاد في مجلة الرسالة بتاريخ ١٢ فبراير ١٩٤١م تحت عنوان «اللَّعب» يقول: «... ما عرف التاريخ قط أُمَّة أحسنت الجد ولم تحسن اللعب، وما عرف التاريخ قط أمة من أمم القوة والسيادة لم تكن لها ألعاب، ولم يكن لها زعماء في هذا المضمار، وناهيك بالرومان وملاعبهم في كل مدينة وضعوا حجراً، وبالفرس ومراكب الكرة والصولجان، وبالعرب وميادين الفروسية، ومنازل الصيد والقنص، وما اقتبسوه من سائر الأمم، حيث استقرت لهم إمامة، وارتفع لهم عرش. أما في التاريخ الحديث.. فيوشك أن يكون السبق في مضمار اللعب.. قريناً بالسبق في مضمار السيادة».

وقد وضع رجال التربية وعلماء النفس والمحدِّثون وغيرهم نظريات وتعريفات لتفسير ماهية **اللعب**، ومن هذه التعريفات، ما يقوله محمد عماد الدين إسماعيل في تعريف اللعب قائلاً بأنه: «ذلك النشاط الحر الذي يمارس لذاته وليس لتحقيق أي هدف عملي»، وعرفه بأنه «التعبير العفوي للأنماط السلوكية الفطرية كاللهو والمرح الصاخب، فإن هذه الأنماط من السلوك قد طوِّرت في دورة نمو الجنس الحيواني ووجدت من أجل البقاء»[1].

(١) محمد عماد الدين إسماعيل، الأنماطالسلوكية، القاهرة.

إن اللعب وسيلة للتخلص من الحيوية الفائضة في جسم الإنسان، والطفل يميل بطبيعته إلى حب اللهو واللعب، لأنها حاجات فطرية لا يمكن استغناؤه عنها، أو حرمانه منها، لهذا فقد ورد عن الإمام الصادق - عليه السلام : «دع ابنك يلعب سبع سنين»، وبما أن الأطفال أكثر تدفقاً للحيوية فإنهم أشد ولعاً وطلباً للعب من الكبار[١].

أما **الهواية**. . فهي. شكل من أشكال النشاط - ومنه اللعب، وتوجه توجيهاً دقيقاً نحو نشاطات خاصة، ومتعة معينة. وعُرِفت الهوايات بأنها الأعمال التي يهواها المرء ويشغف بها شغفاً شديداً، فيخصص لها جزءاً من أوقات فراغه، ويجد فيها المتعة والاستجمام.

وهذه الهوايات يجب أن يكون لها مكان في حياة كل طفل، وفي كل منهج مدروس، لذا فواجب المدرسة أن تنمي وتشجع التلميذ منذ صغره على ممارسة هواية ما مثل القراءة أو الرسم. . وغيرها، فإن لم يوجه الطفل وهو في المدرسة على ممارسة هواية، فإن من الصعب أن يتيسَّر له بعد ذلك تنميتها وممارستها، وعلى الأسرة كذلك أن تشجِّع أطفالها على ممارسة نوع من أنواع الهوايات المختلفة، فإنها في حد ذاتها نشاط ممتع، لأنها تمنح الطفل فرصة التعبير عن فرديته، كما أنها منفذ للتعبير عن نزعاته الفطرية الطبيعية.

---

(١) الطفل في الإسلام، مرجع سابق.

فوائد اللعب في مرحلة الطفولة :

للألعاب أهمية خاصة في حياة الطفل في عمر ما قبل التلمذة، إذ يتعرف الطفل عن طريق لهوه بالعالم المحيط به، مما يمنحه السعادة والفرح، ويُنمِّي كافة جوانب الحياة فيه، وعلى رأس هذه الفوائد:

- **القيمة الجسدية**: لأن اللعب الحركي النشط ضروري لنمو عضلات الطفل من ناحية، وضروري أيضاً لتنمية مهارات الاكتشاف، وتجميع الأشياء التي إذا تراكمت جعلت من الطفل شخصاً متوتراً عصبياً حاد المزاج. لهذا كان من اللازم أن نُلمَّ بأنواع الخبرة التي ينبغي أن يمر بها الطفل، وبصنوف الأدوات التي تيسر أمر الترتيب.
- **القيمة التربوية**: اللعب وسيلة الطفل في التعرف على ما يحيط به والتكيّف وفقه، فهو يستطلع ويستكشف الألعاب الجديدة التي يأتيه بها والداه، وخاصة تلك التي تحتوي على أزرار، ومحولات تحدث أصواتاً، أو تشغل أضواءً، وهو في كل ذلك يدرك ويتذكر ويتصور، ويفكر... إلخ، فهو إذن يقوم بنشاط معرفي واضح.
- **القيمة الاجتماعية**: إن الطفل أثناء اللعب يتفاعل اجتماعياً، لأنه يتصور نفسه مكان الآخرين، فهو من خلال اللعب يتعلم كيف يتعامل مع المادة، وكيف يطوِّر كفاءاته، وكيف يتجنب المخاطر، ومن ثُمَّ كيف يتعاون مع الآخرين.

- **القيمة الإبداعية**: إن للّعب أثراً في إبراز مواهب الطفل، وقدراته الشخصية، وقوة التعبير، بحيث تصبح عنده القدرة على الابتكار والاستعداد الفني، من خلال الرسم أو التمثيل وغيرها. يقول الشاعر الألماني «شيلر» في هذا الصدد: «إن كل المشاعر الجمالية الراقية، وخير ما أنتجه عقل الإنسان في العلوم والفنون والمباحث الفلسفية، تستمد من الدافع الطبيعي للعب».
- **القيمة العلاجية**: إن اللعب العضوي يخدم وظيفة مهمة جداً في تحرير العقد العاطفية المكبوتة، وعليه.. فإن العلاج باللعب يؤخذ به بشكل واسع كوسيلة لتشخيص ما هو مضر للطفل نفسانياً وللعلاج، لذا يُقال: إن اللعب.. وخاصة اللعب الإيهامي، يقدم للأخصائيين فرصة آمنة للكشف عن الصراعات الانفعالية، دون أن يكون للكبير في هذه المواقف أي تدخل، ويساعد اللَّعب على تشكيل مواقف تعليمية علاجية، يمكن أن يكتسب فيها الطفل مهارات سلوكية جديدة تساعده على إعادة التكيف.
- **القيمة الخُلُقية**: ليس من شك في أن اللعب أحسن وسيلة لضبط النفس، ومفاهيم الخطأ والصواب والألعاب الجماعية المنظمة والتي تعوِّد اللاعب التعاون والروح الرياضية، والخضوع للنظام العام وغيرها.

إجراء المسابقات الرياضية بين الأطفال:

من المستحسن أن يساهم أولياء الأمور بأنفسهم في تنظيم مسابقات جماعية للأطفال، سواء في المنزل، أو البهو، أو الحدائق العامة. فقد أجرى رسول الله ﷺ مسابقة الجري بين أطفال بني عمه العباس، ويستقبل الفائز بصدره، ثُمَّ الآخر.. وهكذا. فعن عبدالله بن الحارث - رضي الله عنه - قال: كان رسول الله ﷺ يَصُفُّ عبدالله وعبيد الله وكثيراً من بني العباس ثم يقول: «**من سبق إليَّ فله كذا وكذا**»، قال: فيسبقون إليه فيقعون على ظهره وصدره فيقبلهم ويلتزمهم[1].

وإذا أجريت هذه المسابقات، يجب أن تكون خالية من التعصب والإثارة، والمغالاة، والصراع الدامي، ويجب أن تكون مسابقات تفسح الطريق أمام ذوي المواهب لتنمية مواهبهم وقدراتهم وصولاً إلى المستويات العالية.

اللعب والأصحاب:

ينبغي أن يصرف الطفل الشطر الأكبر من أوقات لعبه مع غيره من الأطفال الذين يماثلونه في السن، أو يزيدون عنه قليلاً. ذلك لأن الطفل يلقى إجهاداً كثيراً لو أنه فرض عليه أن يلاحق ويلعب من

(١) رواه الإمام أحمد في المسند (١٨٣٦).

يفوقونه من أترابه، وعلى الوالدين أن يختارا أطفالاً مهذبين، قد ربُّوا تربية صالحة، خشية أن يتعلم الطفل بذاءة اللسان، وسوء الخُلُق والانفعالات غير المرضية في أثناء اللعب.

لعب الكبار مع الصغار والأطفال:

إذا أراد الأطفال اللعب مع الكبار، وجب على الكبار تلبية ذلك، وأثناء اللعب يجب أن يخضع لزعامة الصغار، نتقبل الفكرة أو الخطة التي يرسمونها، ولانفرض عليهم ما نود نحن في اللعب، وفي أثناء اللعب معهم نستطيع أن نوجه لعبه ونشاطه في لباقة وفهم، وأن نقف على أسلوبه في التفكير ودرجة نموه، وإذا كان هنالك تقويم فلنقومه بالأسلوب الهادئ الناصح. وهذه أمور من المحال أن نقف عليها لو قمنا بدور القيادة والتوجيه في اللعب، فالطفل ليس في حاجة لتعليمه اللعب، ولكنه في حاجة إلى إرشاده، في عفوية لعبه.

وهذا نبيّ الأمة يلعب مع الأطفال.. فعن أبي أيوب الأنصاري قال: دخلت على رسول الله ﷺ والحسن والحسين يلعبان بين يديه أو في حجره، فقلت: يا رسول الله.. أتحبهما؟ فقال: «**وكيف لا أحبهما وهما ريحانتاي في الدنيا**».

اعتبارات شراء واختيار الألعاب للأطفال:

١ - إن الإسراف في عدد اللُّعب التي تتوفر للطفل مفسدة لتنشئته من الناحية الوجدانية والعقلية والاجتماعية، كما أن قلة اللُّعب له

مفسدة كذلك، لهذا ينبغي أن يكون عدد اللعب محدوداً، فيها من الاختلافات ما يتناسب وميول الطفل. وهنالك مبدأ وجوب مسايرة اللعب لعمر الطفل العقلي، لأن الألعاب التي تعتبر أعلى من مستوى الطفل قد تسبب له بعض الاضطراب الانفعالي، فاللعبة المعقدة لطفل صغير لن تؤدي الغرض المنشود.. أي يجب أن تتناسب اللعبة وسن الطفل.

٢ - يجب أن تكون من النوع الذي يشجع تقليد سلوك الكبار الإيجابي وطرائق تفكيرهم.

٣ - ينبغي أن تكون اللعب من الصنف الذي يمكن غسله، كأن تكون من الخشب أو المطاط غير المضر. كما أنها يجب أن تكون غير ذات حواف أو رؤوس حادة، وغير خطرة كأن تكون صغيرة يمكن بلعها كالأزرار وغيرها، وأن تكون أصباغها مجازة صحياً.

٤- أن تكون من النوع الذي يتيح التفكيك والتركيب.

وصايا للمربين:

١ - لا تتدخل في شؤون الطفل أثناء انصرافه إلى اللعب، إلا إذا استدعى نظام طعامه أو نومه ذلك، أو إذا تعرَّض الطفل للخطر.

٢ - لا تفرض عليه خططاً معينة في اللعب.

٣ - اعط ابنك فرصة للعب وفقاً لمستواه وميله الخاص.

٤ - شارك طفلك في لعبه من حين لآخر.

٥ - ينبغي مراعاة التوسط والاعتدال في اللعب، فاللعب وسيلة وليس غاية، وهو حاجة للطفل أساسية.

٦ - شجع طفلك على اللعب الجماعي من حين لآخر، لإبعاده عن الانطواء.

٧ - لا تعط أطفالك لعباً كثيرة دفعة واحدة، حتي لا يزهدوا فيها جميعاً.

٨ - لا مانع أحياناً من متابعة الطفل دون إشعاره بذلك لوقايته من الحوادث، ولتوجيهه وتهذيب أخطائه.

٩ - علِّم طفلك قيمة الوقت، كأن تحدد له فترة اللعب، ليتعلم التوازن في الوقت.

١٠ - شجع طفلك على اللعب إن كان قليل النشاط، فإن أحجم ففتّش عن السبب، فقد يكون لمرض أو لسبب آخر.

١١ - اجعل في بيتك - إن أمكن - غرفة لطفلك، يضع فيها أدواته وأغراضه، وتكون جدرانها مزدانة باللوحات الجميلة للطبيعة التي تروق للأطفال. وضع فيها بضع كراسي صغيرة ومنضدة وشيئاً من علب فارغة، ورمل وصلصال وعلب تلوين وطباشير للرسم ومكعبات خشبية... إلخ.

وليس معنى هذا أن نترك الطفل وحده دائماً، بل لابد من زيارته من وقت إلى آخر للإشراف على تنظيم أدواته، وتعويده العادات النافعة من نظافة وتعليم وترتيب.

١٢ - لا تُكثر من فرض القواعد والأحكام على الأطفال أثناء لعبهم.

١٣ - لا تبالغ في إضفاء الحماية على الأطفال أثناء لعبهم، فمن الآباء من لا تغيب عيونهم عن أطفالهم لحظة واحدة أثناء لعبهم.

١٤ - لا تصرَّ على أن يبقى الأطفال في كامل نظافتهم أثناء لعبهم، فلابدَّ أن يتّسخوا أثناء قيامهم ببعض الألعاب.

١٥ - اسأل نفسك دائماً: لو كنت أنا في مكان هذا الصغير في مثل هذا الموقف، فماذا كنتُ أفعل؟ وماذا كنتُ أقول.

١٦ - اسمح للطفل بالجري أو القفز في المكان الملائم، فهو بحاجة إلى حرية الحركة.

١٧ - لا تضحك أو تسخر من سلوك طفلك مهما كان.

١٨ - حاول ألّا تكون سلبياً أمام خيال طفلك، فإن قال لك عن علبة فارغة أنها «سيارة» فلا تحطم خياله فتقول له: هذه ليست سيارة. اتركه لخياله ودعه يجرّب بنفسه ما يخطر بباله، واعرض عليه مساعدتك عندما يطلب منك ذلك.

١٩ - شجعه على أن يثق بإمكاناته وقدراته، واتركه يحاول حلَّ مشكلاته وصعوباته.

٢٠ - لا تنتقد ابنك حين يخرِّب لعبة «بناء رملي» مثلاً، أو بناء من المعجون بعد انتهائه منه، فالطفل يستمتع باللعب بغضِّ النظر عن النتيجة النهائية.

٢١ - حذِّر طفلك من اللعب بالألعاب الخطرة، ونبهه إلى أخطار الكهرباء، وأبعد عنه الأدوات الحادَّة كالسكاكين والمقصَّات، وأرشده إلى مخاطر الطريق، ولا تدعه في الشارع يلهو بين السيارات، وأبعد عنه السموم كالمبيدات الحشرية، والأدوية، فضعها في مكان آمن.

لعب الأطفال في السيرة:

روى الطبراني عن جابر رضي الله عنه قال: «كنا مع رسول الله ﷺ فَدُعِينَا إلى طعام، فإذا الحسين يلعب في الطريق مع صبيان، فأسرع النبي ﷺ أمام القوم ثم بسط يده، فجعل يفرُّ ههنا وههنا، فيضاحكه رسول الله ﷺ، حتى أخذه فجعل إحدى يديه في ذقنه والأخرى بين رأسه وأذنيه ثم اعتنقه وقبَّله».

وقد لعِب النبي ﷺ في طفولتهِ مع الصبيان، «**وأتاه جبريل وهو يلعب مع الصبيان فأخذه وشقَّ صدره**...»[1] كما ورد في الحديث الذي رواه أحمد في مسنده.

(١) انظر القصة في سيرة ابن هشام (١/١٦٦، ١٦٧).

ولم ينكر الرسول ﷺ على البنات باللعب بالمجسَّمات، فقد روى البخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت: «كنت ألعب بالبنات عند النبي ﷺ، وكان لي صواحبُ يلعبن معي، فكان رسول الله ﷺ إذا دخل يتقمَّعن منه، فيُسرّبهنَّ إليّ فيلعبن معي»[1]، والبنات هي اللعب التي تلعب بها الطفلات الصغيرات على شكل عرائس وصور. وقد شاهد الرسول ﷺ الأطفال يلعبون في عدّة مواطن ولم ينكر عليهم ذلك.

(١) رواه البخاري (٦١٣٠)، ومسلم (٢٤٤٠).

القصة.. وتنمية الطفل

الأطفال والقصص:

مما لا شك فيه، أن الأطفال هم عالمنا الذي نحياه، ونحيا به من أجله، وهم نحن الآن، وآثارنا التي تبقى، وكذلك كان آباؤنا وأجدادنا من قبل، ولهذا كانت الحياة امتداداً للطفولة عبر الأزمنة.

إننا حينما ننظر ونفكر في واقع الوجود، نرى أن لكل مخلوق عالمه الذي يعيشه ويحياه، فالطفل في مختلف العصور من مختلف الأجناس له عالمه الذي يعايشه، وهو عالمه الخيالي البعيد المدى.. الذي يعيشه في تصوره هو دون سواه، ودون واقع الحياة.

إن الطفل في مدرجة حياته بين أسرته كبرعم الزهرة في أكمامها، ترويه النسمة الندية، وتفتح أوراقه قطرات الطل، وإشعاعات الصباح، فكهذا الطفل تؤنسه البسمة، وترضيه النظرة الحانية من الأم الحنون.

وينشأ في أسرته متصوراً أنها عالمه الأعظم، يتلقى ما يلقى على سمعه وبصره بصفحة ناصعة خيالية، وخالية من الشوائب والشواغل، ويسمع وينظر في شغف إلى حركة الأم والأب، وإلى أصواتهما ليقلدهما في كل شيء، من جلوس وقيام وحركة ووقوف وأكل وشرب... إلخ، لأنها العالم الأكبر، والمثال الصحيح، والقدوة

الصالحة في حياته الأولى، ومرحلته السنية القادمة بما ينطبع في نفسه من قيم خلقية سامية.

وهكذا تبدأ حياة الطفل في معاصرة الحياة، ومعايشتها، حيث تنمو، وينمو معها، وتكبر فيها آماله، وتتعدد مطالبه ورغباته، ثم يصغر في عينيه بعد ذلك ما كان كبيراً بالأمس القريب.. وهكذا ينتقل تصوره من الأقصوصة إلى الحكاية، بعد أن انطبع في ذهنه ما صورته البسمة والمناغاة، والكلمة البسيطة (ماما... بابا...)، وما أوحت به تقاسيم وجه المتحدث، مما يؤكد آثار الكلمة المسموعة والمحكية في صورة متحركة تصاحبه في نومه.

وبعد عامه الثاني إلى الخامس، يتصور ما يسمعه ويراه في يقظته، يمشي ويجري ويحكي كل ذلك على مسرح المشاهدين والمعجبين به من الأهل والأقارب والأصدقاء، وقد يقوم بدور البطولة فيما يتمثله، ويمثل ما يتخيله دون سواه، وقد يعينه على تحقيق رغبته وإشباع هوايته وتنمية قدراته ومواهبه تلك الآلة التي تجسم المعاني، وتحرك الكلمة مع الصورة، وتنطق خلجات القلوب، وتصور الأوهام والأحلام التي يعيشها الطفل غالباً بخياله الخصيب. وتلك الآلة هي «التلفاز»، والطفل بخصوبة خياله يحقق كل آماله وبها يعرف كيف يحصل في يسر على ما يريد باستغلال مواطن الحب والعطف لدى الأبوين، وبخاصة الطفل الأول أو الوحيد أو الأخير، وخصوصاً إن جاء الطفل على كبر، كما تلعب الأم دوراً

حاسماً في رسم مستقبله، إذ ترضعه الحنان والحب والصدق وكل القيم الأخلاقية مع إرضاعه لبنها، فيشعر بكل الثقة والأمان والسعادة الغامرة حينما تجلسه في حجرها وتضمه إلى صدرها برفق، وتمسح رأسه بيدها، أو تربت على ظهره وكتفيه، وكم يكون بذلك قد ملك كل السعادة، ولو نطق مفصحاً لقال: «إن الدنيا جميعها ملك يدي».

ميل الأطفال إلى القصص:

الطفل بطبيعته شغوف بالقصص، ويتتبع أحداثها، لأن حب الاطلاع والاستطلاع من الأمور القوية في الطباع البشرية، وأقوى ما تكون لدى الأطفال كما يرى علماء النفس والتربية والصحة والاجتماع.

ولذلك نلاحظ أن الطفل في مرحلة طفولته المبكرة يجلس إلى لعبه، ويحاول تشخيصها والتحدث إليها، ومحاكاة ما يصدر عنها من حركات أو أصوات إن كانت بأجهزة حركية، وهنا يأتي دور الأم المثقفة في غرس القيم الأخلاقية والصفات الحميدة في طفلها رجل المستقبل، إذ يجب أن تفطن إلى معرفة أسماء اللعب والصور التي تقدمها لطفلها، وتحكي له قصة كل لعبة أو صورة بأسلوب سهل بسيط مشوق، يتناسب ومدارك الطفل العقلية واللغوية، على أن تبث في عقل طفلها وقلبه من خلال حديثها بعض القيم الأخلاقية التي تحققها القصة التي تحكيها، ومن تلك

القيم المطلوب غرسها في الأطفال: النظافة، والصدق، والأمانة، والمحبة، والتعاون، والمحافظة على الأشياء، وغيرها من القيم الجميلة، ويمكنها أن تستغل هذه الصور واللعب في تطبيق نموذج من المحبة والتعاون والإخاء بالمفهوم البسيط، وهذا من شأنه أن يشبع رغبات الطفل وينمي خياله المتحفز إلى الكشف عن أشياء غير التي ألفها، ويحقق في نفسه ومع غيره ما سمعه عن الصدق فلا يكذب، وعن التعاون فيؤدي ما تطلبه الأسرة منه مما يناسب قدرته الجسمانية والفعلية، ويؤكد معنى المحبة فلا يكره أحداً، ويحافظ على حاجياته وحاجيات المنزل فلا يضيعها ولا يتلفها، كما ترغبه الصور واللعب في القراءة والكتابة بعد أن تشتد عضلات أصابعه ويده وعينيه، وبذلك يهيأ عقلياً ونفسياً ووجدانياً وجسمانياً للتعامل مع المدرسة، والرغبة فيها، والإقبال عليها، حتى إذا التحق بها لا ينفر منها ولا يفر عنها.

أنسب القصص الملائمة للطفل:

إن أنسب القصص للأطفال ما كانت مشتملة على قيم أخلاقية سليمة، تتلاءم مع ما سمعوه وألفوا تطبيقه في الأسرة، على أن تقدم إليهم بأسلوب سهل بسيط مشوّق منسق مع الأفكار. وتكون القصة متصلة بالواقع الذي يمكن تحقيقه، مسلسلة الحوادث، مثيرة للمتعة النفسية والوجدانية، يراعى فيها المستوى العقلي والثقافي، والعمر الزمني، وتفاوت وسيلة الفهم والأداء، ويحسن أن تكون

معبرة عن البطولات الصادقة في خدمة الحياة، والتي تكسب الأطفال صفة من الصفات الحميدة التي ترسخ في أذهانهم.

والمدرسة هي البيئة الخصبة التي تنمي خيال الأطفال، وتأخذ بأيديهم حتى يصلوا إلى مرحلة الشباب، وكل منهم قد اكتمل إنساناً سوي التفكير، حسن السلوك، مستقيم السيرة، غزير العطاء، شديد الحب والانتماء إلى الوطن، يؤدي في إخلاص حقوق الأسرة والمجتمع، طائعاً ربه في مسيرة تجمع بين العقيدة والسلوك في نظام القدوة التطبيقية الشاملة، بأن تكون في مختلف أوجه النشاط المنتجة والموجهة لتؤتى ثمارها كل حين، وليصير الإحساس الديني نابعاً من أعماق صاحبه بشغف إليه وبحث عنه، لا اضطرار ولا تعنت فيه.

والأسلوب القصصي خير نبع يرتوي من معينه الأطفال، ليزيد في ثروتهم الثقافية واللغوية والمعرفية، وينمي فيهم حب القراءة الواعية الهادفة، والبحث الجيد المفيد.

وما أحوجنا اليوم في بناء صرح الحضارة في بلادنا ومجتمعاتنا إلى شباب قارئ واع، وباحث مفكر، يستلهم الحياة من قصص الماضي، وعلماء الحاضر، وأهل الخبرة والتدريب والتجريب العملي، والحوار السهل البناء الذي له فعل السحر وحلاوة الشهد، وأريج الرياض في جذب ميول الأطفال وشحذ عزائمهم.

وقد اشتمل القرآن الكريم في بعض مقاصده على أحسن القصص التي تحمل العبرة والقدوة، وتوجه إلى كمال القيم الأخلاقية السلوكية التي توضح جزاء الاتباع والتطبيق، كما تبين عاقبة الضياع، والإهمال، والتفريط.

وإذا كان القرآن الكريم منبع إرشاد وحقيقة لذلك، فإن السُّنة النَّبويّة الشريفة تناولت منهج القصة المثرية للعقول، وقد كانت ومازالت حياة الرسول ﷺ مثلاً تطبيقياً للقيم الأخلاقية الفاضلة التي نأخذ منها: الصدق، والتضحية، والأمانة، والبر، والرحمة، والوفاء، والتعاون، والنظافة، والاتحاد... وغيرها من القيم الفاضلة، وهي أمثلة حية ناطقة بالأسوة الحسنة، والقدوة الموجهة الصالحة، وسنضرب أمثلة لهذه القيم الأخلاقية التي أنشأت الدولة الإسلامية، وأقامت حضارتها التي عمت المشارق والمغارب، وأحيت شباباً من موات الخمول، ونشرت لواءها فوق هامات الوجود، وأنصفت المظلومين، وعلّمت المغرورين والمتجبرين أن الحياة للأتقى، وأن السعادة للمخلص المستقيم، وأن لا عدوان إلا على الظالمين.

أمثلة من قصص القرآن الكريم:

إن قصص القرآن الكريم قصص هادفة، وبناءة، توجه سلوك الحياة، وتنمي غراس الفضيلة لدى الناشئة من أبناء حاضرنا ليكونوا رجال المستقبل، وأساتذة لمن يأتي بعدهم، ويقتدي بمسيرتهم الناهضة.

ومن أمثلة القدوة الناجحة في محاربة الطغيان ونشر لواء الإيمان القائم على صدق المعرفة والذي ينجي صاحبه من مكر الماكرين، وغدر الظالمين، بل من التعذيب في الدنيا، ما وقع لسيدنا إبراهيم - عليه السلام - مع «النمرود بن كنعان» وأعوانه الصارفين عن الحق، والداعين إلى التمرّد والجحود، وحينما عجزوا عن مقارعة الحجة بالحجة، وخافوا من نور الإيمان أن يكشف ظلام باطلهم وضلالهم، جمعوا حطباً وأشعلوا فيه النيران، حتى إذا ما تأججت واستعرت، ألقوا فيها بسيدنا إبراهيم - عليه السلام - موثق اليدين والرجلين، فلم تحرق إلا وثاقه ولم تصبه بأذى، لأن الله تعالى برحمته قد سلب منها قوة التأثير حيث يقول سبحانه: ﴿قُلْنَا يَـٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَـٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَـٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾﴾ [الأنبياء: ٦٩ - ٧٠]، ثم كانت نجاته إلى الأرض المباركة، وهي بيت المقدس، القبلة الأولى للمسلمين.

هذه القصة من القصص التي تُنمّي خيال الأطفال، وتشبع نهم ميولهم الاستطلاعية في غيب المجهول، كما تفتح أمامهم مجالات حوار البناء الذي يقوم على الدعوة إلى الفضيلة بالحسنى والإقناع والإمتاع، وهنا يأتي دور المعلم المثقف في التوجيه.

وهناك أمثلة قرآنية من القصص الهادف مثل قصة سيدنا يوسف عليه السلام فهي قصة مليئة بالمواقف الكثيرة المتعددة في شتى المجالات، ومنها هذا الموقف الذي يمثل الأمانة والمحافظة على

مال الغير والمال العام، واستثمار الأراضي الزراعية لزيادة المحصول بزيادة أحسن طرق الإنتاج ليعم الرخاء. فحينما طلب ملك مصر أن يكون سيدنا يوسف عليه السلام من خاصة حكومته، قال له سيدنا يوسف كما حكى القرآن الكريم: ﴿قَالَ ٱجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: ٥٥].

قرر أن يتولى شؤون وزارة المالية لأنه أمين على الأموال التي تعد من أخطر أنواع الفتن تأثيراً في النفوس، وأنه يحسن حفظها بالعلم والمعرفة التي تجعله يعطي كل ذي حق حقه، وأنه خبير بفنون الزراعة التي هي عماد الطعام ومصدر الأمن والاستقرار، ودليل هذه الخبرة إجابته على تعبير رؤيا الملك كما حكى القرآن الكريم قوله: ﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ ﴿٤٨﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ ﴿٤٩﴾﴾ [يوسف: ٤٧ - ٤٩].

وتحثنا هذه القصة على البحث والدراسة، وتطوير وسائل الإنتاج، ومعرفة طرق الاستفادة من ذلك الإنتاج، كما تحثنا على استمرار التجارب المفيدة للمجتمع، وتقديم المصلحة العامة، وتفضيلها على المصلحة الفردية الذاتية بيد طاهرة نقية، ولسان عفّ، وقلب يحب الخير للجميع، كما أنها تربي في النشء حب الأمانة، والتمسك بها، والقيام عليها، وبخاصة ممن يلي أمراً أو

أموراً من شؤون الدولة، كما توجه إلى مفهوم التعاون، وتنمية فضيلة حب المجتمع، وتقديم الخير النافع للجميع.

وقصة سيدنا موسى - عليه السلام - مع الخضر - العبد الصالح - وهي قصة تحثّ على طلب العلم، وتضع الأسس السليمة الضرورية لكل من المعلم والمتعلم، وقد صوَّر القرآن الكريم كل ذلك في أسلوب قصصي حواري، فحينما التقى سيدنا موسى-عليه السلام- بالخضر عند مجمع البحرين: ﴿قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ﴿٦٨﴾ قَالَ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِى لَكَ أَمْرًا ﴿٦٩﴾﴾ [الكهف: ٦٦ - ٦٩].

هذا الحوار التعليمي يوضح لنا أن المعلم يجب أن يبيِّن لطلابه أن ثمرة العلم ولذة حلاوته تحتاج إلى صبر ومثابرة وثقة في النفس، كما يرشدنا إلى أن المتعلم يجب أن يخلي قلبه من الشواغل والمشاغل، وأن يحسن الإصغاء في أدب جم، وأن يتزين بالحلم وسعة الصدر، وحسن السؤال عمّا يريد معرفته في غير تكبر أو خوف أو خجل، فالعلم يضيع بين اثنتين.. الحياء والكِبْر، فإذا استحيا الطالب من السؤال أو تَكَبَّر على أستاذه، فلن يفيد شيئاً من المعارف العلمية، وليضع الطالب نصب عينيه قول الله تعالى: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣].

وسورة **الكهف** اشتملت على عدد ليس بالقليل من القصص البنّاءة الهادفة في شتى الأغراض التربوية والتوجيهية لسلوك الأطفال، والقراءة لغرس القيم الفاضلة التي لابد منها لتنمية السلوك، ومن ذلك قصة الخير الذي يكون ابتلاء ونقمة إذا لم يؤد صاحبه حق الله تعالى وحق العباد فيه، وأسند تكثيره إلى نفسه وأعوانه، كما يكون نعمة لمن يؤدي شكره، ويتواضع لله عزَّ وجل ولأهل التواضع.

ولقد صوّر القرآن الكريم ذلك في قصة حوار جرى بين صاحب حديقتين مُثمرَتين، مُتَكبِّر، مُتَغطرّس مُنْكِر لفضلِ المُنْعم، وبين صديق له فقير، فقال الله تعالى: ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَٰبٍ وَحَفَفْنَٰهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ﴿٣٢﴾﴾ إلى آخر الآيات.. ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٤٢﴾ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا ﴿٤٣﴾﴾ [الكهف: ٣٢ - ٤٣].

من منطوق هذه الآيات ندرك أن المال والخير ليس نقمة بذاتهما إن أحسن استغلالهما وتصريفهما في وجوه الخير الصحيحة والنافعة، بل يكونان مصدر السعادة ورقي الأمّة في تقدم الصناعة والحضارة، وإن أسيء استغلالهما وكانا مطية الكبر والغرور وكفران النعم فإنهما يكونان وسيلة الهلاك والدمار والندم القاتل.

هذه القصص تغرس في القلوب شكر النعمة، والخوف من الغرور والتكبر، كما تغرس فضيلة حب الخير والإحسان إلى

المحتاجين، والتحلي بالتواضع، فإن من تواضع لله رفعه، ومن تكبر على الله خفضه، وما ذكر هنا إنما هو نقطة من محيط متلاطم الأمواج، بعيد الأغوار، مليء بالجواهر واللآلئ.

ومن الصفات الحميدة التي تنميها القصص الهادفة سلوكاً في الأطفال "الصدق"، الذي ينبع من طهارة النفس، ونقاء السريرة، فيظهر قولاً وعملاً، ويستقر سلوكاً نافعاً، يطبقه المرء في نفسه ومع نفسه، بأن يكون صريحاً معها فلا يغشها ولا يدلس عليها، ولا يخادعه وبذلك لا يغش غيره ولا يكذب عليه ولا يخدعه، وبذلك يكتسب الذكر الحسن، ويكون باراً، ويكتب من الصدّيقين. وتسري هذه الصفة الحميدة في أسرته ومجتمعه، فينشأ المجتمع الصالح الذي يقدر الحياة حق قدرها، إيماناً وإنتاجاً وتطويراً، وبذلك ينتفي الظلم، ويصل إلى كل ذي حق حقه، ويؤدي كل واجبه، وتتلاشى الأحقاد والحروب، وتزول عنجهية المتكبرين، ويبسط الحب سلامه فوق القلوب، ويتذوق المنصفون لذة التعاون والإنصاف.

وجميع الفضائل الخلقية المطلوب تحقيقها ونشرها في عقول الأطفال، قد تمثلت في كمالات سيدنا رسول الله ﷺ، وكانت بطولات نادرة المثال.

ولنتذكر، قصة عزمه وتضحيته لتبليغ أمر ربه، حينما اجتمع سادات العرب وقريش، وعرضوا على عمه أبي طالب عروضاً

مغرية، جمعت بين الإغراءات والتحذير والوعيد، ليكف ابن أخيه ﷺ عن الدعوة، فقال قولته التي دوت في أسماء الزمن، واستشرقت لها صفحات التاريخ حيث قال النبي ﷺ : «**يا عم.. لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر، حتى يظهره الله، أو أهلك فيه ما تركْتُهُ**» فقال له عمه: اذهب يابن أخي فقل ما أحببت، فوالله لا أُسْلِمُكَ لِشَيْءٍ أبداً»[1].

ومن القصص التي تروى للأبناء موقف السيدة خديجة بنت خويلد - رضي الله عنها - التي ضحت بكل مالها في سبيل نصرة دين الله، ومواساة رسوله ﷺ، وقصة نسيبة بنت كعب[2] - رضي الله عنها - التي جعلت من جسمها ترساً تقي به رسول الله ﷺ في غزوة أحد من سهام الأعداء، وتذب عنه بسيفها البتار حتى أصابتها ضربة قاطعة على عاتقها، ثم أجهزت على ضاربها وضارب ابنها، ولم تمكن عدواً من الوصول إلى رسول الله ﷺ، فقال لها قولته الخالدة: «**بارك الله فيكم من آل بيت**»، وهذه التضحية من أكمل أنواع التضحيات التي يقول الشاعر فيها:

يجود بالنفس إن ضن البخيل بها والجود بالنفس أقصى غاية الجود

وأما قصص «الأمانة» فهي بحر زاخر، لا يسبر غوره، ولا

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام (١/ ٢٥٣)، تحقيق وضبط وشرح مصطفى السقا وزملاؤه. ط. دار المعرفة، لبنان (ط. ٣) ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م.

(٢) انظر قصتها في السيرة النبوية لابن هشام (٢/ ٧٢). المرجع السابق.

تحصى جواهره ولآلئه، ولا يحد ساحله، فلقد كان رسول الله ﷺ الأمين في قومه، والأمين في نفسه، وكان أمين العرب على أماناتهم برغم كفرهم ومعاداتهم له.

ويوم أن هاجر - عليه الصلاة والسلام - من مكة إلى المدينة، أبقى الإمام علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - ليؤدي عنه الأمانات والودائع التي كانت لديه إلى أهلها، وهذا خير مثال للأمانة التي يجب أن يتحلى بها شبابنا في الشدة والرخاء، وفي المحبة والعداواة.

وكان أبو بكر الصديق - رضي الله عنه - تُودع لديه الديات في الجاهلية، ولا يأمنون عليها سواه، فما قَبِلَه! أقرته العرب عليه، وما رفضه لا يقرونه عند غيره، وهذا خلق حميد، ولقد مدح الله المؤمنين بقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَـٰنَـٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ﴾ [المؤمنون: ٨].

والوفاء في حقيقته سمة من سمات الأنبياء، وقد مدح الله عزَّ وجل به سيدنا إبراهيم - عليه السلام - فقال سبحانه: ﴿وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ﴾ [النجم: ٣٧].

وهناك قصة أخرى تمثل فيها الوفاء والشهامة والمروءة، إنها قصة ذلك الأعرابي الذي حكم عليه بالإعدام لدم عليه، وحينما مثل أمام السياف لتقطع عنقه، تذكر شيئاً، وطلب من الحاكم مهلة يسيرة «ثلاثة أيام»، ليؤدي أمانة عنده، ثم يعود لينفذ حكم الإعدام فيه، فقال له الحاكم: ومن يضمن لي أن تعود بعد هروب؟

فقال أحد الحاضرين: أنا أضمنه إلى نهاية ثلاثة الأيام المحددة.

قال الحاكم: أتدري ما يصيبك إذا لم يحضر صاحبك؟

قال الرجل: نعم، وأعلم أن تنفيذ الحكم عند غروب الشمس بعد ثلاث.

ذهب الأعرابي مسرعاً، وانقضت الأيام الثلاثة، وبدأ قرص الشمس يميل إلى الغروب وأهل الدم والناس حضور. وقدم الضامن لتنفيذ حكم الإعدام راضي النفس، غير خائف أو ناقم، ولحظة أن همَّ السياف برفع يده، التفت بعض الحاضرين فرأوا غباراً مقبلاً، وسمعوا صوتاً ينادي صارخاً، فتوقف السيّاف.. ثم انكشف الغبار عن ذلك الأعرابي المطلوب للإعدام، فوجم القوم.

قال الحاكم للأعرابي: ما الذي أحضرك، ونجوت من القتل؟

فقال الأعرابي: إنما جئت حتى لا يُقال: إن الدنيا قد خلت من أهل «الوفاء».

ثم سأل الحاكم الضامن قائلاً له: ما الذي حملك أن تضمن إنساناً لا تعرفه، وأنت تعلم أنك مقتول به لا محالة؟

فأجاب الضامن قائلاً: حتى لا يظن الناس أن الدنيا خلت من «الشهامة».

ثم تقدّم أهل الدم قائلين في صوت واحد: قد عفونا عن القاتل، ولن نطالبه بشيء حتى لا يقول الناس: إن الدنيا قد خلت من أهل «المروءة».

نستخلص من هذه القصة التاريخية أن الوفاء خير طريق للنجاة، وخير مسار إلى قمة المجد والسؤدد، وأنه ينشئ الشهامة ويحقق المروءة.

ومن القيم الخلقية التي لابد أن تتناولها القصة الهادفة «النظافة»، والنظافة كلمة جامعة لمعاني الخير، كما أنها طريق للحب والألفة والتعاون، وتشمل نظافة الجسم والثوب والمكان، والقلب والعقل، وبذلك تكون نظافة مادية ومعنوية.

ويدل على قيمة «الاتحاد» وحاجة الفرد والجماعة إليه، قصة ذلك الشيخ الذي جمع أولاده وأحضر لهم حزمة من الحطب، وطلب من كل منهم أن يكسرها مجتمعة، فلم يقدر واحد منهم على ذلك، وحينما أعطى كل واحد عوداً سهل عليه كسره، وهكذا يدرك الطفل أن الاتحاد قوة والتفرق ضعف.

وما أكثر الأمثلة القصصية التي تتناول معاني الاتحاد وآثاره النافعة، ولذلك من المهم أن تزود المكتبات المدرسية بالقصص الهادفة التي تتحقق فيها الصفات الحميدة الوارد ذكرها وما يماثلها، ويتم تشجيع الأطفال على قراءتها وتلخيصها وإعادة سردها لأقرانهم.

* * *

القراءة وتنمية الطفل

وفي مرحلة ما قبل المدرسة، المرحلة التي تسبق تعلم القراءة، ينقسم سلوك الأطفال إلى ثماني مراحل تسير، وفقاً لنظام تتابعي محدد، ويتوقف العمر الذي تظهر فيه كل مرحلة على اهتمامات الطفل نفسه وقدراته الطبيعية، وعلى نوعية وكم الكتب التي توجد في محيطه، كما يتوقف على موقف الآباء ومدى الصبر في قراءة الكتب لهم، وتقليب صفحاتها معهم، وهذه المراحل هي:

المرحلة الأولى: مرحلة تناول الكتب باليد.

المرحلة الثانية: الإشارة إلى الصورة.

المرحلة الثالثة: مرحلة تسمية الأشياء.

المرحلة الرابعة: مرحلة حب التكرار بين الرسومات والكلمات.

المرحلة الخامسة: معرفة المعاني.

المرحلة السادسة: مرحلة سرد القصة.

المرحلة السابعة: مرحلة التمييز والقدرة على حفظ القصص في سهولة.

المرحلة الثامنة: التمييز بين الحروف والاستعداد للقراءة.

ويبدأ الاهتمام الواضح من جانب الطفل بكتابه فيما بين الرابعة والسادسة، ومع نمو الطفل العقلي وتفتحه الذهني، يتزايد اهتمامه

بالكتب خصوصاً مع بداية تعلمه القراءة، ويستمتع بالكتاب الذي يمده بالمعلومات، ويتحدث عن الدراجات والسيارات والطائرات والقطارات. . وغيرها، وتصبح لغة الكتاب وما تحتويه من كلمات وجمل من حيث الأهمية في نفس مستوى اهتمامه بالصور في المرحلة الثانية، وهنا تبدأ المنافسة بين الكلمات والصور أو الرسم.

وتبدأ علاقة الطفل بالصحف والمجلات في الشهور الأولى عندما يمضي لحظات سعيدة في انتزاع الصحف وتمزيق ورقها ووضعها في فمه، حتى يصبح محاطاً بكومة الورق الممزق، وفي خلال نشاطه هذا تجذب انتباهه صورة براقة من صور المجلة فيمنحها شيئاً من اهتمامه، ومع نموه يبدأ في التعرف على صور الأشياء المألوفة لديه، ويتمكن من تسميتها بأسمائها، وهكذا. . تبدأ الصحف والمجلات في إثارة فضول الطفل.

ومن هنا. . بدأت الأبحاث العلمية والتربوية، ونتيجة الاهتمام العالمي بصحافة الطفل التي تعني بالدراسات حول أثر المجلات في تنشئة الأبناء، حماية لهم من المؤثرات الضارة التي من شأنها إفساد عقلية الطفل بحجة إدخال السرور على نفسه بأي ثمن، أو بهدف الكسب والانتشار، وثَمة حقيقة أخرى تبعث على القلق نتيجة لتعلق الأطفال بالصحف والمجلات التي تقدم أبطالاً يتسمون بصفات خارقة مبالغ فيها إلى درجة التجرد من الإنسانية.

ويتفق علماء النفس على أن القيمة الأساس للدور الرئيس الذي يلعبه الكتاب، ويساعد الطفل على فهم الحياة حتى يستمتع برحلات لا نهائية في الزمان والمكان، وحتى يصبح الطفل مستعداً لصداقة الكتاب، لابد أن يراعى الشكل لكل مرحلة من ناحية الورق والطباعة واللون والمقاس.

فكتب الأطفال تعتمد اعتماداً أساساً على الصور والرسوم، لكن قراءة الصور ليست عملية سهلة في كل الأحوال، وكثير من الصور يقف الكبار أمامها حيارى لفترة غير قصيرة، لذا وجب أن تكون الصور المقدمة للطفل بسيطة وواضحة، وخالية من التعقيد والتفاصيل المربكة، وذلك حتى تتناسب مع خبرات الطفل ومعلوماته وقدراته. إن فهم الرسوم يرتبط بسن وخبرة الطفل نفسه.. شأنه في ذلك شأن اللغة اللفظية، بل يُسمِّي البعض الرسوم لغة غير لفظية. إن الرسوم باعتبارها عناصر بصرية تعتمد على نمو حاسة البصر، كما تعتمد على نمو قدرات الطفل العقلية عموماً، فإنه كلما صغر سن الطفل، وجب الإقلال إلى أقصى حد ممكن من تفاصيل الرسوم المقدمة إليه مع الاهتمام بوضوحها الشديد.

فبالنسبة للسن الصغيرة جداً يجب أن تقدم الرسوم في وحدات مكبرة شبه منفصلة عن غيرها، مع إبرازها بأقل تفاصيل ممكنة وهو ما يمكن أن نسميه اللقطة المقربة.

ومن وجهة نظر أحد رسامي كتب الأطفال يمكن أن نسرد المهام التالية لمركز خاص يمكن إنشاؤه لإنتاج كتب الأطفال:

١ - تحديد عدد من الأشكال المتنوعة لكتاب الطفل حسب الأعمار والفروع، وإجراء دراسة تفصيلية لكل منها قبل اختيار فرق المتخصصين لإنتاجها.

٢ - إنتاج بعض الأعمال التجريبية كنماذج وكمادة للبحث والنقاش بين المختصين، دون أن يكون الهدف من إنتاجها - بالضرورة - هو النشر العام.

٣ - تشجيع إنتاج أنواع من الكتب التي لم تُقبِل دور النشر على إنتاجها حتى الآن.

٤ - العمل على تطوير الكتاب المدرسي المتواضع المستوى من الناحية البصرية، وإنجاز تجارب نموذجية لتحسين شكل الكتاب المدرسي وصورته.

٥ - العمل على إحداث تراكم من المادة النظرية المتعلقة بموضوع كتاب الطفل، سواء المحلية أو الأجنبية المختارة، وتسهيل استفادة الباحثين والمنتجين منها.

٦ - محاولة الحصول على نماذج لوسائط تقنية متقدمة لمراحل إنتاج الكتاب قبل طباعته، لتدريب التقنيين والمصممين والرسامين والفنيين.

٧ - العمل على الحصول على رسوم لكتب الأطفال من الفنانين التشكليين المحترفين بتوظيف آخر منجزاتهم التشكيلية وأساليبهم المتنوعة في كتاب الطفل.

٨ - التصدي لكتب ومجلات الأطفال الأجنبية والمحلية الضارة بفكر وثقافة وقيم الطفل.

٩ - نشر تقييم دوري لنشاط النشر للأطفال على نطاق إعلامي واسع.

١٠ - الدعوة إلى إنشاء معاهد لفن الكتاب، يُدَرَّس فيها ما يمدنا بخبراء مقتدرين مؤسسين.

إن كتاب الطفل ليس مجرد ترفيه عن الطفل، فهو في الأساس رسالة لنقل الخبرات الإنسانية والإبداعية والحضارية والمعرفية والعاطفية من إنسان واع أكبر منه في الحياة إلى إنسان آخر أحدث، ولكي تكون الرسالة حقيقية.. على الأكبر أن يعرف ويتفهم ويحترم الطرف الآخر.

المكتبة المنزلية الصالحة وأثرها في بناء المادة الفكرية للأبناء:

إن وجود مكتبة في البيت تساهم بشكل كبير في بناء المادة الفكرية والعلمية للأبناء، والسبب في ذلك يرجع إلى أهمية الكتاب والاستفادة منه، يقول الإمام الشافعي - رضي الله عنه: «مَن تفقه من بطون الكتب ضيَّع الأحكام»، وكان بعضهم يقول: «من أعظم البلية تشيّخ الصحيفة» أي الذين تعلموا من الصحف. ونظراً لأهمية

الكتب عند المسلمين وأثرها في الحركة العلمية التربوية، حرص العلماء والزائرون على حمل أكبر قدر منها مما يستطيعون نسخه إلى بلادهم، ليراجعوها ويدرسوها ويعلِّقوا عليها ثم يتدارسونها مع طلابهم.

لذا . . فإن وجود الكتب المختلفة والمتنوعة في المكتبة تشكل الدعامة الأولى للمعرفة لما تقدّم لهم من مناهل الثقافة، وتهديهم إلى مصادر المعرفة في أقصر وقت وبأيسر جهد، ولكل هذا نقول: إن المكتبةَ تشكل جزءاً أساسياً من أركان البيت، لأغراضها المختلفة والمتعددة.

أغراض المكتبة:

أولاً : **غرض تعليمي**: تشجع المكتبة الكبار والصغار على التعلم، وتمكن الأبناء من الحصول على المراجع التي تقوي موضوعات دراستهم.

ثانياً : **غرض ثقافي**: فهي تقدم للأبناء المعلومات العامة للاستزادة من المعرفة والثقافة العامة. ولذلك فكثير من الأسر التي لا توفِّر أجواء المطالعة والمكتبة يعاني أبناؤها من الفقر الفكري. ولذلك فإن بيوت العلماء والمفكرين تخرِّج علماء ومفكرين، في حين بيوت الصناع تخرِّج الصناع، فالجو العام في البيت له تأثيره الكبير في بناء الفكر المطلوب للأبناء بشكل متكامل، وهذا ما يكون غالباً.

ثالثاً : شغل أوقات الفراغ: إن وجود مكتبة في البيت تعمل على الانتفاع الجدي بأوقات الفراغ للأبناء، بدلاً من تبديدها في اللهو واللعب وارتياد الجلوس في الطرقات. يقول الإمام الحسين - عليه السلام: «احتفظوا بكتبكم فإنكم سوف تحتاجون إليها»، وقال أيضاً: «اكتب وبثَّ عِلمك في إخوانك، فإن متَّ فأورث كتبك بنيك، فإنه يأتي على الناس زمان هرج لا يأنسون فيه إلا بكتبهم».

فعلى المربي أن يضع بين يدي الأبناء مكتبة وفيها كتب تفي بمطالب المطالعين، وتلبي رغباتهم في الاطلاع على جميع الحقائق، والتوسع في المعلومات، أو ابتغاء المتعة بآثار الأدب، وتكون هذه المكتبة حسب ميول الأبناء، فمن سن السادسة إلى الحادية عشرة تكون قصص خرافية أو رمزية على ألسنة الحيوان والطير، وقصص فكاهية، أو قصص واقعية من الحياة، وخاصة حياة الأطفال وتجاربهم وألعابهم ورحلاتهم، وقصص عن عجائب الحيوان وعاداتها، وعادات الأطفال وأساليب معيشتهم في شعوب العالم المختلفة.

ومن سن الحادية عشرة إلى الرابعة عشر، تكون نفس الموضوعات السابقة في أسلوب أرقى، كوصف عادات الناس وتقاليدهم وأساليب معيشتهم، ونوفِّر لهم إلى جانب ذلك الكتب العلمية المبسَّطة، ومجموعة من القصص الإسلامية التي تتكلم عن

سيرة الأبطال وحكايات الأبرار، مع الاهتمام بكتب السيرة النبوية، وتاريخ التراث الإسلامي. كما يجب أن تشمل المكتبة مجموعة من المجلات الإسلامية الهادفة، وسيرة مشاهير الرجال وشهيرات النساء في البيئة المحلية والشعوب الأخرى.. وغيرها من الكتب.

وفي هذا المجال يقول الجاحظ: «متى كان الأديب بارعاً، وكانت مواريثه كتباً بارعة وآداباً جامعة، كان الولد أجدر أن يرى التعلُّم حظاً، وأجدر أن يسرع التعليم إليه، ويرى تركه خطأ، وأجدر أن تجري من الأدب على طريق قد أُنهج له، ومنهاج قد وُطئ له، وأجدر أن يسري إليه عِرْقٌ من نجله، وسَقْي من غرسه، وأجدر أن يجعل بدل الطلب لكسب النظر في الكتب والاختلاف في سماع العلم إلا وقد بلغ بالكفاية وغاية الحاجة».

أولاً: أهمية القراءة في تحصيل المعارف:

«القراءة هي الأداة الأقدم والأفضل بين كل ما أنتجته عبقرية الإنسان من وسائل التلقين، وإن الشعب القارئ سوف يكون أكثر وعياً وقوة على مواجهة التحديات، ومن الضروري أن نحث أبناءنا على القراءة أكثر مما نتيح لهم فرصة مشاهدة التلفاز مثلاً، والقراءة هي السلوك التي ينبغي أن يلجأ إليها المرء في أوقات الفراغ.

والقراءة ضرورة حققها الإنسان الذي ميَّزه الله عن سائر المخلوقات بنعمة العقل والبيان، ليتيسر له تبادل الأفكار مع أفراد

مجتمعه وسائر الناس. لذا اهتمت الدول الراقية بالقراءة اهتماماً بالغاً من قديم الزمان، وحرصت على تعليم أبنائها فنونها داخل المدارس وخارجها، لترتقي بأبنائها إلى أرفع درجات الكمال والتحضر، كما أن القراءة خير ما يتيح للعقل أن يقارن ويوازن، ومن ثم يستنبط ويستدل ويستخلص، ومن ثَمَّ يكون لهذا أثره في السلوك بالقول والكتابة والعمل.

ثالثاً: تعليم الأبناء القراءة:

لقد تناول الباحثون والعلماء القراءة من نواحيها المختلفة بالدراسة والبحث من حيث أنواعها، وقد توصلوا إلى عدة حقائق منها: أن القراءة لا يمكن أن تصبح عادة بالضغط والإكراه، وإنما هي استجابة طبيعية لإشباع حاجات نفسية تدفع الأبناء إلى القراءة، لذلك يجب أن نضع بين أيدي أبنائنا كتباً جميلة شائقة الموضوع، حتى تصبح القراءة متعة وعادة منذ الصغر. يقول جورج شهلا وآخرون: «يجب أن نُعوِّد المتعلِّم القراءة الممتعة المتواصلة، وأن نعهد له مسبكها، فمهارة القراءة لا ترسخ في الذهن إلا بالمران والاستعمال، فإذا أُغريَ الولد بمطالعة الكتب التي تلائم سنه وميوله، ودُرِّب على القراءة فتعودها وهو على مقاعد الدراسة، رافقته هذه العادة الحميدة كل أيام حياته».

وهناك نقطة مهمة يجب علينا عدم إغفالها، وهي العلاقة

بين حب القراءة والاطلاع بين التحصيل الدراسي، وذلك لأنه لا يمكن أن نرتفع بمستوى التحصيل الدراسي لطلابنا ما لم نحبب إليهم القراءة والاطلاع، وذلك بربط المادة التي يقرأونها بحياتهم، وأن تكون متمشية مع قيمهم وعاداتهم، وأن تمس أحاسيسهم ومشاعرهم.

ومن أجل تحقيق هذه العادة وتحصيلها، نبدأ بتعويد أطفالنا قراءة المعلومات الخفيفة من مختلف المعارف والفنون والآداب، مثل القصص والسير والرحلات وغيرها، ويجب تعويدهم وتدريبهم أثناء القراءة فهم طريقة تسلسل الأفكار فيما تقع تحت نظرهم للاستفادة من المطالعة، ونعلمهم أن يكتبوا مختصراً لما قرأوه، وهو ما يُسمَّى بالتلخيص، لأنهم إذا عادوا للقراءة بعد التلخيص، سهل عليهم فهم الموضوع وتعمّقه.

ثانياً: تربية العقل:

إن اهتمام المسلمين بالقراءة والكتابة جاء تلبية للأمر الإلهي في قوله تعالى: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَـٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥﴾ [العلق ١ - ٥].
وكان رسول الله ﷺ دائماً يشجع المسلم على تعلم القراءة والكتابة حتى تنمو قدرات العقل وطاقاته، فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: «لما فتحت مكة، قام رسول الله ﷺ وألقى خطبة، فقام رجل من اليمن

يُقال له أبو شاة، وقال يا رسول الله ﷺ. . اكتبوا لي، فقال رسول الله ﷺ: «**اكتبوا لأبي شاة**»[1] يعني الخطبة.

يقول عز الدين فراج: «والأمر بالقراءة موجه لعقل الإنسان، فهو الوعاء القابل للنمو والتربية بالعلم والمعرفة واكتساب الخبرة الحياتية، وتوجه البحث العلمي وتربط الباحثين في شتى أنحاء المعمورة برباط قوي، وبذلك يسير موكب العلم والمعرفة نحو أهدافه السامية».

---

(١) رواه البخاري (١/ ٣٩، ٣/ ١٦٥)، ومسلم في الحج (٤٤٧، ٤٤٨)، وأبو داود (٢٠١٧، ٣٦٤٩)، والترمذي (٢٦٦٧)، والإمام أحمد (٢/ ٣٣٨).

الفصل الثالث

التربية الأخلاقية في الأسرة

١ - ملامح التربية في المراهقة وأهميتها.

٢ - الإطار التربوي لمراحل النمو عند الجنسين حتى البلوغ.

٣ - الآثار السلبية للعلاقات الجنسية المحرمة.

٤ - بين منظومة الأخلاق ومنظومة الدين.

ملامح التربية في المراهقة وأهميتها

المراهقة: خصائص المرحلة ومشكلاتها

تعد المراهقة من أخطر المراحل التي يمر بها الإنسان ضمن أطواره المختلفة التي تتسم بالتجدد المستمر، ومكمن الخطر في هذه المرحلة التي تنتقل بالإنسان من الطفولة إلى الرشد، هي التغيرات في مظاهر النمو المختلفة (الجسمية والفسيولوجية والنفسية والعقلية والاجتماعية والانفعالية)، ولما يتعرض الإنسان فيها إلى صراعات متعددة، داخلية وخارجية.

*** مفهوم المراهقة:**

ترجع كلمة «المراهقة» لغة إلى الفعل العربي «راهق» الذي يعني الاقتراب من الشيء، فراهقَ الغلامُ فهو مُراهق، أي: قارب الاحتلام، ورهقت الشيء رهقاً، أي: قربت منه. والمعنى هنا يشير إلى الاقتراب من النضج والرشد.

أما المراهقة في علم النفس فتعني: «الاقتراب من النضج الجسمي والعقلي والنفسي والاجتماعي»، ولكنه ليس النضج نفسه؛ لأن الفرد في هذه المرحلة يبدأ بالنضج العقلي والجسمي والنفسي والاجتماعي، ولكنه لا يصل إلى اكتمال النضج إلا بعد سنوات عديدة قد تصل إلى ١٠ سنوات .

وهنالك فرق بين المراهقة والبلوغ، فالبلوغ يعني «بلوغ المراهق القدرة على الزواج، أي: اكتمال الوظائف الجنسية عنده، وذلك بنمو الغدد الجنسية، وقدرتها على أداء وظيفتها»، وعلى ذلك فالبلوغ ما هو إلا جانب واحد من جوانب المراهقة.

ويشير ذلك إلى حقيقة مهمة، وهي أن نمو الطفل لا ينتقل من مرحلة إلى أخرى فجأة، ولكنه تدريجي ومستمر ومتصل، فالمراهق لا يترك عالم الطفولة ويصبح مراهقاً بين عشية وضحاها، ولكنه ينتقل انتقالاً تدريجياً، ويتخذ هذا الانتقال شكل نمو وتغير في جسمه وعقله ووجدانه.

وجدير بالذكر أن وصول الفرد إلى النضج الجنسي لا يعني بالضرورة أنه قد وصل إلى النضج العقلي، وإنما عليه أن يتعلم الكثير والكثير ليصبح راشداً ناضجاً.

وللمراهقة والمراهق نموه المتفجر، مما يمكن أن نوصفه بأنه نوع من النمو البركاني، حيث ينمو الجسم من الداخل فسيولوجياً وهرمونياً وكيماوياً وذهنياً وانفعالياً، وعضوياً من الخارج والداخل معاً.

*** مراحل المراهقة:**

قسم العلماء «المراهقة» إلى ثلاث مراحل، هي:

١ - مرحلة المراهقة الأولى (١١ - ١٤ عاماً). وتتميز بتغيرات سريعة.

٢ - مرحلة المراهقة الوسطى (١٤ - ١٨ عاماً). وهي مرحلة اكتمال التغيرات.

٣ - مرحلة المراهقة المتأخرة (١٨ - ٢١ عاماً)، حيث يتجه الشاب أو الفتاة لأن تصبح إنساناً راشداً بالمظهر والتصرفات.

ويتضح من هذا أن مرحلة المراهقة قد تمتد لتشمل أكثر من عشرة أعوام من عمر الفرد، كما أنها تختلف في مراحلها من مجتمع إلى آخر، ففي بعض المجتمعات تكون قصيرة، وفي بعضها الآخر تكون طويلة.

*** علامات بداية مرحلة المراهقة وأبرز خصائصها وصورها الجسدية والنفسية:**

بوجه عام تطرأ ثلاث علامات أو تحولات بيولوجية نفسية على المراهق، إشارة لبداية هذه المرحلة عنده، وهي:

١ - **النمو الجسدي**: حيث تظهر قفزة سريعة في النمو، طولاً ووزناً، تختلف بين الذكور والإناث، فتبدو الفتاة أطول وأثقل من الشاب خلال مرحلة المراهقة الأولى، وعند الذكور يتسع الكتفان بالنسبة إلى الفخذين، وعند الإناث يتسع الفخذان بالنسبة للكتفين والخصر، وعند الذكور تكون الساقان طويلتين بالنسبة لبقية الجسد، وتنمو العضلات، وعند الفتيات تظهر الأثداء، بالإضافة إلى تغير في الصوت، ونمو الشعر، وكل ذلك مظاهر للمراهقة وليس البلوغ.

٢ - **النضج الجنسي**: يتحدد النضج الجنسي عند الإناث بظهور الدورة الشهرية، ولكنه لا يعني بالضرورة ظهور الخصائص الجنسية الثانوية التي قد تظهر لاحقاً (مثل: نمو الثديين وظهور الشعر تحت الإبطين وعلى الأعضاء التناسلية)، أما عند الذكور، فالعلامة الأولى للنضوج الجنسي هي زيادة حجم الخصيتين، وظهور الشعر حول الأعضاء التناسلية، مع زيادة في حجم العضو التناسلي.

٣ - **التغير النفسي**: إن للتحولات الهرمونية والتغيرات الجسدية في مرحلة المراهقة تأثيراً قوياً على الصورة الذاتية والمزاج والعلاقات الاجتماعية على الفرد، فظهور الدورة الشهرية عند الإناث، يمكن أن يكون لها ردة فعل معقدة، تكون عبارة عن مزيج من الشعور بالمفاجأة والخوف والانزعاج، في حين أنه من يتم تهيئتها قد تتجاوز تلك المشاعر السلبية وقد تتحول إلى الابتهاج أحياناً. وذات الأمر قد يحدث عند الذكور عند حدوث القذف المنوي الأول. أي.. مزيج من المشاعر السلبية والإيجابية، والملفت للنظر هنا، أن أكثرية الذكور يكون لديهم علم بالأمر قبل حدوثه، من خلال الأصدقاء في حين أن معظم الإناث وبسبب خلق الحياء.. يتكلن على أمهاتهن في الحصول على المعلومات، أو يبحثون عنها في المصادر والمراجع المتوافرة.

*** مشاكل المراهقة:**

يقول الدكتور عبد الرحمن العيسوي: «إن المراهقة تختلف من فرد إلى آخر، ومن بيئة جغرافية إلى بيئة أخرى، ومن سلالة إلى أخرى، كذلك تختلف باختلاف الأنماط الحضارية التي يتربى في وسطها المراهق، فهي تختلف في مجتمع المدينة عنها في المجتمع الريفي، كما تختلف من المجتمع المتزمت الذي يفرض كثيراً من القيود والأغلال على نشاط المراهق، عنها في المجتمع الحر الذي يتيح للمراهق فرص العمل والنشاط، وفرص إشباع الحاجات والدوافع المختلفة.

ومرحلة المراهقة ليست مستقلة بذاتها استقلالاً تاماً، وإنما تتأثر بما مر به الطفل من خبرات في المرحلة السابقة، لأن النمو عملية مستمرة ومتصلة».

ولأن النمو الجنسي الذي يحدث في المراهقة ليس من شأنه أن يؤدي بالضرورة إلى حدوث أزمات للمراهقين، فقد دلت التجارب على أن النظم الاجتماعية الحديثة التي يعيش فيها المراهق هي المسؤولة عن حدوث أزمة المراهقة، فمشاكل المراهقة في المجتمعات الغربية أكثر بكثير من نظيراتها في المجتمعات العربية والإسلامية.

وهناك أشكال مختلفة للمراهقة، منها:

١ - مراهقة سوية خالية من المشكلات والصعوبات.

٢ - مراهقة انسحابية، حيث ينسحب المراهق من مجتمع الأسرة، ومن مجتمع الأقران، ويفضل الانعزال والانفراد بنفسه، حيث يتأمل ذاته ومشكلاته.

٣ - مراهقة عدوانية، حيث يتسم سلوك المراهق فيها بالعدوان على نفسه، وعلى غيره من الناس والأشياء.

والصراع لدى المراهق ينشأ من التغيرات الجسدية والنفسية التي تطرأ عليه في هذه المرحلة، فجسدياً يشعر بنمو سريع في أعضاء جسمه قد يسبب له قلقاً وإرباكاً، وينتج عنه إحساسه بالخمول والكسل والتراخي، كذلك تؤدي سرعة النمو إلى جعل المهارات الحركية عند المراهق غير دقيقة، وقد يعتري المراهق حالات من اليأس والحزن والألم التي لا يعرف لها سبباً، ونفسياً يبدأ بالتحرر من سلطة الوالدين ليشعر بالاستقلالية والاعتماد على النفس، وبناء المسؤولية الاجتماعية، وهو في الوقت نفسه لا يستطيع أن يبتعد عن الوالدين؛ لأنهما مصدر الأمن والطمأنينة، ومنبع الجانب المادي لديه، وهذا التعارض بين الحاجة إلى الاستقلال والتحرر، والحاجة إلى الاعتماد على الوالدين، وعدم فهم الأهل لطبيعة المرحلة وكيفية التعامل مع سلوكيات المراهق.. هذه التغيرات تجعل المراهق طريد مجتمع الكبار والصغار، فإذا تصرف كطفل سخر منه الكبار، وإذا تصرف كرجل انتقده الرجال، مما يؤدي إلى خلخلة التوازن النفسي للمراهق، ويزيد من المرحلة ومشاكلها.

وفي بحث ميداني ولقاءات متعددة مع بعض المراهقين وآبائهم، أجرته الباحثة عزة تهامي مهدي (الحاصلة على الماجستير في مجال الإرشاد النفسي) تبين أن أهم ما يعاني الآباء منه خلال هذه المرحلة مع أبنائهم:

- الخوف الزائد على الأبناء من أصدقاء السوء.
- عدم قدرتهم على التمييز بين الخطأ والصواب باعتبارهم قليلي الخبرة في الحياة متهورين.
- أنهم متمردون، ويرفضون أي نوع من الوصايا أو حتى النصح.
- أنهم يطالبون بمزيد من الحرية والاستقلال.
- أنهم يعيشون في عالمهم الخاص، ويحاولون الانفصال عن الآباء بشتى الطرق.

*** أبرز المشكلات والتحديات السلوكية في حياة المراهق:**

١ - **الصراع الداخلي**: يعاني المراهق من وجود عدة صراعات داخلية، ومنها: صراع بين الاستقلال عن الأسرة والاعتماد عليها، وصراع بين مخلفات الطفولة ومتطلبات الرجولة أو الأنوثة، وصراع بين طموحات المراهق الزائدة وبين تقصيره الواضح في التزاماته، وصراع بين غرائزه الداخلية وبين التقاليد الاجتماعية، والصراع الديني بين ما تعلمه من شعائر ومبادئ ومسلمات وهو صغير وبين تفكيره الناقد الجديد

وفلسفته الخاصة للحياة، وصراعه الثقافي بين جيله الذي يعيش فيه بما له من آراء وأفكار والجيل السابق.

٢ - **الاغتراب والتمرد**: يشكو المراهق من أن والديه لا يفهمانه، ولذلك يحاول الانسلاخ عن مواقف وثوابت ورغبات الوالدين كوسيلة لتأكيد وإثبات تفرده وتمايزه، وهذا يستلزم معارضة سلطة الأهل؛ لأنه يعد أي سلطة فوقية أو أي توجيه إنما هو استخفاف لا يطاق بقدراته العقلية التي أصبحت موازية جوهرياً لقدرات الراشد، واستهانة بالروح النقدية المتيقظة لديه، والتي تدفعه إلى تمحيص الأمور كافة، وفقاً لمقاييس المنطق، وبالتالي قد تظهر لديه سلوكيات التمرد والعناد والتعصب والعدوانية.

٣ - **الخجل والانطواء**: يؤدي التدليل الزائد والقسوة الزائدة إلى شعور المراهق بالاعتماد على الآخرين في حل مشكلاته، لكن طبيعة المرحلة تتطلب منه أن يستقل عن الأسرة ويعتمد على نفسه، فتزداد حدة الصراع لديه، ويلجأ إلى الانسحاب من العالم الاجتماعي والانطواء والخجل.

٤ - **السلوك المزعج**: قد يتسبب المراهق في بعض السلوكيات المزعجة، رغبة منه في تحقيق مقاصده الخاصة دون اعتبار للمصلحة العامة، وبالتالي قد يصرخ، ويشتم، ويسرق، ويركل الصغار، ويتصارع مع الكبار، ويتلف الممتلكات،

ويجادل في أمور تافهة، ويتورط في مشاكل، ويخرق حق الاستئذان، ولا يهتم بمشاعر غيره.

٥ - **العصبية وحِدَّة الطباع**: يتصرف المراهق من خلال عصبيته وعناده، ويريد أن يحقق مطالبه بالقوة والعنف الزائد، ويكون متوتراً بشكل يسبب إزعاجاً كبيراً للمحيطين به. وتشير الكثير من الدراسات العلمية إلى وجود علاقة قوية بين وظيفة الهرمونات الجنسية والتفاعل العاطفي عند المراهقين، بمعنى أن المستويات الهرمونية المرتفعة خلال هذه المرحلة تؤدي إلى تفاعلات مزاجية كبيرة على شكل غضب وإثارة وحدة طبع عند الذكور، وغضب واكتئاب عند الإناث.

ويوضح الدكتور أحمد المجدوب الخبير بالمركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية بالقاهرة مظاهر وخصائص مرحلة المراهقة، فيقول: يميل المراهق إلى «الغرق في الخيالات، وقراءة القصص الجنسية والروايات البوليسية وقصص العنف والإجرام، كما يميل إلى أحلام اليقظة، والحب من أول نظرة، ويمتاز المراهق بحب المغامرات، وارتكاب الأخطار، والميل إلى التقليد، كما يكون عرضة للإصابة بأمراض النمو، مثل: فقر الدم، وتقوس الظهر، وقصر النظر».

ويذكر الدكتور المجدوب من مظاهر وسلوكيات الفتاة المراهقة: «الاندفاع، ومحاولة إثبات الذات، والخجل من التغيرات التي حدثت في شكلها، وجنوحها لتقليد أمها في سلوكياتها، - وأحياناً تعاكسها

حال عدم اقتناعها بها - وتعيش تذبذب وتردد في عواطفها، فهي تغضب بسرعة وتصفو بسرعة، وتميل لتكوين صداقات مع الآخرين، وشعورها بالقلق والرهبة عند حدوث أول دورة من دورات الطمث، فهي لا تستطيع أن تناقش ما تحس من مشكلات مع أفراد الأسرة، كما أنها لا تفهم طبيعة هذه العملية».

ويشير الخبير الاجتماعي الدكتور المجدوب إلى أن هناك بعض المشاكل التي تظهر في مرحلة المراهقة، مثل: «الانحرافات الجنسية، والميل الجنسي لأفراد من نفس الجنس، والجنوح، وعدم التوافق مع البيئة، وكذا انحرافات الأحداث من اعتداء، وسرقة، وهروب»، موضحاً «أن هذه الانحرافات تحدث نتيجة حرمان المراهق في المنزل والمدرسة من العطف والحنان والرعاية والإشراف، وعدم إشباع رغباته، وأيضاً لضعف التوجيه الديني».

ويوضح المجدوب أن مرحلة المراهقة بخصائصها ومعطياتها هي أخطر منعطف يمر به الشباب، وأكبر منزلق يمكن أن تزل فيه قدمه؛ إذا انعدم التوجيه والعناية، مشيراً إلى أن أبرز المخاطر التي يعيشها المراهقون في تلك المرحلة هي: «فقدان الهوية والانتماء، وافتقاد الهدف الذي يسعون إليه، وتناقض القيم التي يعيشونها، فضلاً عن مشكلة الفراغ».

كما بين أن الدراسات التي أجريت في أمريكا على الشواذ جنسياً، أظهرت أن دور الأب كان معدوماً في الأسرة، وأن الأم

كانت تقوم بالدورين معاً، وأنهم عند بلوغهم كانوا يميلون إلى مخالطة النساء (أمهاتهم - أخواتهم - . . . .) أكثر من الرجال، وهو ما كان له أبلغ الأثر في شذوذه جنسياً».

طرق علاج المشاكل التي يمر بها المراهق:

اتفق خبراء الاجتماع وعلماء النفس والتربية على أهمية إشراك المراهق في المناقشات العلمية المنظمة التي تتناول علاج مشكلاته، وتعويده على طرح مشكلاته، ومناقشتها مع الكبار في ثقة وصراحة، وكذا إحاطته علماً بالأمور الجنسية عن طريق التدريس العلمي الموضوعي، حتى لا يقع فريسة للجهل والضياع أو الإغراء.

كما أوصوا بأهمية تشجيع النشاط الترويحي الموجه، والقيام بالرحلات والاشتراك في الأندية، كما يجب توجيههم نحو العمل بمعسكرات الكشافة، والمشاركة في مشروعات الخدمة العامة والعمل الصيفي. . . إلخ.

وأكدت الدراسات العلمية أن أكثر من ٨٠٪ من مشكلات المراهقين في عالمنا العربي نتيجة مباشرة لمحاولة أولياء الأمور تسيير أولادهم بموجب آرائهم وعاداتهم وتقاليد مجتمعاتهم، ومن ثَمَّ يحجم الأبناء عن الحوار مع أهلهم؛ لأنهم يعتقدون أن الآباء إما أنهم لا يهمهم أن يعرفوا مشكلاتهم، أو أنهم لا يستطيعون فهمها أو حلها.

وقد أجمعت الاتجاهات الحديثة في دراسة طب النفس، أن الأذن المصغية في تلك السن هي الحل لمشكلاتها، كما أن إيجاد التوازن بين الاعتماد على النفس والخروج من أسلوب النصح والتوجيه بالأمر، إلى أسلوب الصداقة والتواصي وتبادل الخواطر، وبناء جسر من الصداقة لنقل الخبرات بلغة الصديق والأخ لا بلغة ولي الأمر، هو السبيل الأمثل لتكوين علاقة حميمة بين الآباء وأبنائهم في سن المراهقة.

وأثبتت دراسة قامت بها (GSSW) المدرسة المتخصصة للدراسات الاجتماعية بالولايات المتحدة على حوالي ٤٠٠ طفل، من سن الخامسة وحتى سن ٢٤ عاماً في لقاءات مختلفة، أن المراهقين في الأسرة المتماسكة ذات الروابط القوية التي يحظى أفرادها بالترابط واتخاذ القرارات المصيرية في مجالس عائلية محببة يشارك فيها الجميع، ويهتم جميع أفرادها بشؤون بعضهم البعض، هم الأقل ضغوطاً، والأكثر إيجابية في النظرة للحياة وشؤونها ومشاكلها، في حين كان الآخرون أكثر عرضة للاكتئاب والضغوط النفسية.

حلول علمية:

ولمساعدة الأهل على حسن التعامل مع المراهق ومشاكله، نقدم فيما يلي نماذج لمشكلات يمكن أن تحدث، مع حل علمي لها.. سهل التطبيق لكل منها.

* **المشكلة الأولى**: وجود حالة من «الصدية» أو السباحة ضد تيار الأهل بين المراهق وأسرته، وشعور الأهل والمراهق بأن كل واحد منهما لا يفهم الآخر.

- **تحليل المشكلة**: تقول الأستاذة منى يونس - اختصاصية علم النفس: إن السبب في حدوث هذه المشكلة يكمن في اختلاف مفاهيم الأبناء، واختلاف البيئة التي نشأ فيها الأهل، وتكونت شخصيتهم خلالها وبيئة الأبناء، وهذا طبيعي لاختلاف الأجيال والأزمان، فالوالدان يحاولان تسيير أبنائهم بموجب آرائهم وعاداتهم وتقاليد مجتمعاتهم، وبالتالي يحجم الأبناء عن الحوار مع أهلهم؛ لأنهم يعتقدون أن الآباء إما أنهم لا يهمهم أن يعرفوا مشكلاتهم، أو أنهم لا يستطيعون فهمها، أو أنهم - حتى إن فهموها - ليسوا على استعداد لتعديل مواقفهم.

ومعالجة هذه المشكلة: لا تكون إلا بإحلال الحوار الحقيقي بدل التنافر والصراع والاغتراب المتبادل، ولا بد من تفهم وجهة نظر الأبناء فعلاً لا شكلاً، بحيث يشعر المراهق أنه مأخوذ على محمل الجد ومعترف به وبتفرده - حتى لو لم يكن الأهل موافقين على كل آرائه ومواقفه - وأن له حقاً مشروعاً في أن يصرح بهذه الآراء. والأهم من ذلك أن يجد المراهق لدى الأهل آذاناً صاغية وقلوباً متفتحة من الأعماق، لا مجرد مجاملة، كما ينبغي أن نفسح له المجال ليشق طريقه بنفسه حتى لو أخطأ، فالأخطاء طريق للتعلم،

وليختر الأهل الوقت المناسب لبدء الحوار مع المراهق، بحيث يكونا غير مشغولين، وأن يتحدثا جالسين، جلسة صديقين متآلفين، يبتعدا فيها عن التكلف والتجمل، وليحذرا نبرة التوبيخ، والنهر، والتسفيه.

وليحاول الوالدان الابتعاد عن الأسئلة التي تكون إجاباتها «بنعم» أو «لا»، أو الأسئلة غير الواضحة وغير المباشرة، وليفسحا له مجالاً للتعبير عن نفسه، ولا يستخدما ألفاظاً قد تكون جارحة دون قصد، مثل: «كان هذا خطأك» أو «ألم أنبهك لهذا الأمر من قبل؟».

* **المشكلة الثانية**: شعور المراهق بالخجل والانطواء، الأمر الذي يعيقه عن تحقيق تفاعله الاجتماعي، وتظهر عليه هاتين الصفتين من خلال احمرار الوجه عند التحدث، والتلعثم في الكلام وعدم الطلاقة، وجفاف الحلق.

- **تحليل المشكلة**: إن أسباب الخجل والانطواء عند المراهق متعددة، وأهمها: عجزه عن مواجهة مشكلات المرحلة، وأسلوب التنشئة الاجتماعية الذي ينشأ عليه، فالتدليل الزائد والقسوة الزائدة يؤديان إلى شعوره بالاعتماد على الآخرين في حل مشكلاته، لكن طبيعة المرحلة تتطلب منه أن يستقل عن الأسرة ويعتمد على نفسه، فيحدث صراع لديه، ويلجأ إلى الانسحاب من العالم الاجتماعي، والانطواء والخجل عند التحدث مع الآخرين.

ولعلاج هذه المشكلة: ينبغي توجيه المراهق بصورة دائمة وغير مباشرة، وإعطاء مساحة كبيرة للنقاش والحوار معه، والتسامح معه

في بعض المواقف الاجتماعية، وتشجيعه على التحدث والحوار بطلاقة مع الآخرين، وتعزيز ثقته بنفسه.

* **المشكلة الثالثة**: عصبية المراهق واندفاعه، وحدة طباعه، وعناده، ورغبته في تحقيق مطالبه بالقوة والعنف الزائد، وتوتره، الدائم بشكل يسبب إزعاجاً كبيراً للمحيطين به.

- **تحليل المشكلة**: يرى الدكتور عبد العزيز محمد الحر، أن لعصبية المراهق أسباباً كثيرة، منها أسباب مرتبطة بالتكوين الموروث في الشخصية، وفي هذه الحالة يكون أحد الوالدين عصبياً فعلاً، ومنها أسباب بيئية، مثل نشأة المراهق في جو تربوي مشحون بالعصبية والسلوك المشاكس الغضوب.

كما أن بعض المراهقين يتمتعون بفظاظة وعدوانية، والتصرف معهم بعنف، يؤدي بهم إلى أن يتصرفوا ويتكلموا بالطريقة نفسها، بل قد يتمادوا للأشد منها تأثيراً، فالمراهقون يتعلمون العصبية في معظم الحالات من الوالدين أو المحيطين بهم، كما أن تشدد الأهل معهم بشكل مفرط، ومطالبتهم بما يفوق طاقاتهم وقدراتهم من التصرفات والسلوكيات، يجعلهم عاجزين عن الاستجابة لتلك الطلبات، والنتيجة إحساس هؤلاء المراهقين بأن عدواناً يمارس عليهم، يؤدي إلى توترهم وعصبيتهم،ويدفعهم ذلك إلى عدوانية السلوك الذي يعبرون عنه في صورته الأولية بالعصبية، فالتشدد المفرط هذا يحولهم إلى عصبيين ومتمردين.

وهناك أسباب أخرى لعصبية المراهقين كضيق المنزل، وعدم توافر أماكن للهو، وممارسة أنشطة ذهنية أو جسدية، وإهمال حاجتهم الحقيقية للاسترخاء والراحة لبعض الوقت.

ولعلاج هذه المشكلة: يرى الدكتور الحر أن علاج عصبية المراهق يكون من خلال منحه الأمان، والحب، والعدل والاستقلالية، وبنفس الوقت التعامل الحزم، فلا بد للمراهق من الشعور بالأمان في المنزل، والأمان من مخاوف التفكك الأسري، والأمان من الفشل في الدراسة. والأمر الآخر هو الحب.. فكلما زاد الحب للأبناء زادت فرصة التفاهم معهم، فيجب ألا نركز في حديثنا معهم على التهديد والعقاب. والعدل في التعامل مع الأبناء ضروري؛ لأن السلوك التفاضلي نحوهم يوجِد أرضاً خصبة للعصبية، فالعصبية ردة فعل لأمر آخر وليست المشكلة نفسها. والاستقلالية مهمة، فلا بد من تخفيف السلطة الأبوية عن الأبناء، وإعطائهم الثقة بأنفسهم بدرجة أكبر، مع المراقبة والمتابعة عن بعد، فالاستقلالية شعور محبب لدى الأبناء.. خصوصاً في هذه السن. ولا بد من الحزم مع المراهق، فيجب ألا يترك يفعل ما يريد بالطريقة التي يريدها، وفي الوقت الذي يريده، ومع من يريد، وإنما يجب أن يعي أن مثل ما له من حقوق، فإنه عليه واجبات يجب أن يؤديها، وأن مثل ما له من حرية، فللآخرين حريات يجب أن يحترمها.

* **المشكلة الرابعة**: ممارسة المراهق للسلوك المزعج، كعدم مراعاة الآداب العامة، والاعتداء على الناس، وتخريب الممتلكات والبيئة والطبيعة، وقد يكون الإزعاج لفظياً أو عملياً.

- **تحليل المشكلة**: من أهم أسباب السلوك المزعج عند المراهق: رغبته في تحقيق مقاصده الخاصة دون اعتبار للمصلحة العامة، والأفكار الخاطئة التي تصل لذهنه من أن المراهق هو الشخص القوي الشجاع، وهو الذي يصرع الآخرين، ويأخذ حقوقه بيده لا بالحسنى، وأيضاً الإحباط والحرمان والقهر الذي يعيشه داخل الأسرة، وتقليد الآخرين والاقتداء بسلوكهم الفوضوي، والتعثر الدراسي، ومصاحبة أقران السوء.

أما مظاهر السلوك المزعج، فهي: نشاط حركي زائد يغلب عليه الاضطراب والسلوكيات المرتجلة، واشتداد نزعة الاستقلال والتطلع إلى القيادة، وتعبير المراهق عن نفسه وأحاسيسه ورغباته بطرق غير لائقة (الصراخ، الشتم، السرقة، القسوة، الجدل العقيم، التورط في المشاكل، والضجر السريع، والتأفف من الاحتكاك بالناس، وتبرير التصرفات بأسباب واهية، والنفور والنصح، والتمادي في العناد..).

ولعلاج هذه المشكلة: ينبغي تبصير المراهق بعظم المسؤوليات التي تقع على كاهله، وكيفية الوفاء بالأمانات، وإشغاله بالخير والأعمال المثمرة البناءة، وتصويب المفاهيم الخاطئة في ذهنه، ونفي العلاقة المزعومة بين الاستقلالية والتعدي على الغير،

وتشجيعه على مصاحبة الجيدين من الأصدقاء ممن لا يحبون أن يمدوا يد الإساءة للآخرين، وإرشاده لبعض الطرق لحل الأزمات ومواجهة عدوان الآخرين بحكمة، وتعزيز المبادرات الإيجابية إذا بادر القيام بسلوك إيجابي يدل على احترامه للآخرين من خلال المدح والثناء، والابتعاد عن الألفاظ الاستفزازية، والبرمجة السلبية، وتجنب التوبيخ قدر المستطاع.

* **المشكلة الخامسة**: تعرض المراهق إلى سلسلة من الصراعات النفسية والاجتماعية المتعلقة بصعوبة تحديد الهوية ومعرفة النفس تقوده نحو التمرد السلبي على الأسرة وقيم المجتمع، ويظهر ذلك في شعوره بضعف الانتماء الأسري، وعدم التقيد بتوجيهات الوالدين، والمعارضة والتصلب في المواقف، والتكبر، والغرور، وحب الظهور، وإلقاء اللوم على الآخرين، التلفظ بألفاظ نابية.

- **تحليل المشكلة**: إن غياب التوجيه السليم، والمتابعة اليقظة المتزنة، والقدوة الصحيحة يقود المراهق نحو التمرد، ومن أسباب التمرد أيضاً عيش المراهق في حالة صراع بين الحنين إلى مرحلة الطفولة المليئة باللعب، وبين التطلع إلى مرحلة الشباب التي تكثر فيها المسؤوليات، وكثرة القيود الاجتماعية التي تحد من حركته، وضعف الاهتمام الأسري بمواهبه، وعدم توجيهها الوجهة الصحيحة، وتأنيب الوالدين له أمام إخوته أو أقربائه أو أصدقائه، ومتابعته للأفلام والبرامج التي تدعو إلى التمرد على القيم الدينية والاجتماعية والعنف.

ولعلاج هذه المشكلة: يرى كل من الدكتور بدر محمد ملك، والدكتورة لطيفة حسين الكندري أن علاج تمرد المراهق يكون بالسماح للمراهق بالتعبير عن أفكاره الشخصية، وتوجيهها نحو البرامج الفعَّالة لتكريس وممارسة مفهوم التسامح والتعايش في محيط الأندية الرياضية والثقافية، وتقوية الوازع الديني من خلال أداء الفرائض الدينية، والتزام الصحبة الصالحة، ومد جسور التواصل والتعاون مع أهل الخبرة والصلاح في المحيط الأسري وخارجه. ولا بد من تكثيف جرعات الثقافة الإسلامية، حيث إن الشريعة الإسلامية تنظم حياة المراهق، لا كما يزعم أعداء الإسلام بأنها تكبت الرغبات وتحرم الشهوات. والاشتراك مع المراهق في عمل أنشطة يفضلها، وذلك لتقليص مساحات الاختلاف، وتوسيع حقول التوافق، وبناء جسور التفاهم، وتشجيع وضع أهداف عالية مشتركة، واتخاذ القرارات بصورة جماعية مقنعة، والسماح للمراهق باستضافة أصدقائه في البيت، والحرص على التعرف إليهم والجلوس معهم لبعض الوقت، والحذر من البرمجة السلبية، وتجنب عبارات: أنت فاشل.. عنيد.. متمرد.. اسكت يا سليط اللسان.. أنت دائما تجادل وتنتقد.. أنت لا تفهم أبداً...إلخ؛ لأن هذه الكلمات والعبارات تستفز المراهق وتجلب المزيد من المشاكل والمتاعب؛ ولا تحقق المراد من العلاج.

المراهقة: التعامل مع المرحلة وفق النظرية الإسلامية

* كيف عالج الإسلام مرحلة المراهقة؟

يقول الدكتور أحمد المجدوب، أن الرسول ﷺ قد سبق الجميع بالتعامل المسبق مع المراهقة بقوله: «**علموا أولادكم الصلاة لسبع، واضربوهم عليها لعشر، وفرقوا بينهم في المضاجع**»[1]، ويربط د. المجدوب ذلك بالدراسة التي أجراها عالم أمريكي يدعى «ألفريد كنسي» بعنوان «السلوك الجنسي لدى الأمريكيين»، والتي طبقها على ١٢ ألف مواطن أمريكي من مختلف شرائح المجتمع، أثبتت أن ٢٢٪ ممن سألهم عن أول تجربة لممارسة الجنس قالوا: إن أول تجربة جنسية لهم كانت في سن العاشرة، وأنها كانت في فراش النوم، وأنها كانت مع الأخ أو الأخت أو الأم!!

ويستطرد د. المجدوب قائلاً: «وانتهت الدراسة التي أجريت في مطلع الأربعينات، إلى القول بأن الإرهاصات الجنسية تبدأ عند الولد والبنت في سن العاشرة».

النظرية الإسلامية في التربية:

تقوم النظرية الإسلامية في التربية على أربعة أسس، هي: تربية الجسم، وتربية الروح، وتربية النفس، وتربية العقل. وهذه الأسس الأربعة تنطلق من قيم الإسلام، وتصدر عن القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، ونهج الصحابة رضوان الله عليهم، والسلف

(١) سبق تخريجه.

الصالح رحمهم الله، في المحافظة على الفطرة التي فطر الله الناس عليها بلا تبديل ولا تحريف، فمع التربية الجسمية تبدأ التربية الروحية الإيمانية منذ نعومة الأظفار.

وقد اهتم الإسلام بالصحة النفسية والروحية والذهنية، واعتبر أن من أهم مقوماتها التعاون والتراحم والتكافل.. وغيرها من الأمور التي تجعل المجتمع الإسلامي مجتمعاً قوياً في مجموعه وأفراده، وفي قصص القرآن الكريم ما يوجه إلى مراهقة منضبطة تمام الانضباط مع وحي الله - عز وجل -، وقد سبق الرسول ﷺ الجميع بقوله: «**لاعبوهم سبعاً، وأدبوهم سبعاً، وصادقوهم سبعاً، ثم دع الحبل على الغارب**».

وقد قدم الإسلام عدداً من المعالم التي تهدي إلى الانضباط في مرحلة المراهق، مثل الطاعة.. بمعنى طاعة الله وطاعة رسوله ﷺ وطاعة الوالدين ومن في حكمهما، وقد أكد القرآن الكريم هذه المعاني في وصية لقمان الحكيم لابنه وهو يعظه قائلًا: ﴿يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣].

أضف إلى ذلك: «الاقتداء بالصالحين، وعلى رأس من يقتدي بهم رسول الله ﷺ فالإقتداء به واتباع سنته من أصول ديننا الحنيف، قال الله عز وجل: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١].

كما اعتبر الإسلام أن أحد أهم المعالم التي تهدى إلى الانضباط في مرحلة المراهقة التعاون والتراحم والتكافل؛ لأنه يجعل الفرد في خدمة المجتمع، ويجعل المجتمع في خدمة الفرد، فعن النعمان بن بشير - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: «**مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى**»(١).

ولم ينس الإسلام دور الأب في حياة ابنه، وكذلك تأثير البيئة التي ينشأ فيها الفتى في تربيته ونشأته، فقد روي في الصحيحين فعن رسول الله ﷺ أنه قال: «**كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهوّدانه أو ينصرانه أو يمجّسانه**»(٢).

ويشير الدكتور محمد سمير عبد الفتاح (أستاذ علم النفس، مدير مركز البحوث النفسية بجامعة ألمانيا)، إلى أن «المراهق يحتاج إلى من يتفهم حالته النفسية، ويراعي احتياجاته الجسدية، ولذا فهو بحاجة إلى صديق ناضج يجيب عن تساؤلاته بتفهم وعطف وصراحة، وصديق يستمع إليه حتى النهاية دون مقاطعة أو سخرية أو شك، كما يحتاج إلى الأم الصديقة والأب المتفهم».

وفي حديثه للموقع الإلكتروني السابق ذكره، يدعو الخبير النفسي الدكتور سمير عبد الفتاح أولياء الأمور إلى «التوقف الفوري عن

(١) رواه البخاري (٦٠١١)، ومسلم (٢٥٨٦).

(٢) رواه البخاري (١٣٨٥)، ومسلم (٢٦٥٨).

محاولات برمجة حياة المراهق، ويقدم بدلاً منها الحوار، والتحلي بالصبر، واحترام استقلاليته وتفكيره، والتعامل معه كشخص كبير، وغمره بالحنان، وشمله بمزيد من الاهتمام».

وينصح الدكتور عبد الفتاح الأمهات بضرورة « إشراك الأب في تحمل عبء تربية أولاده في هذه المرحلة الخطيرة من حياتهم»، ويقول للأم: «شجعي ابنك وبثي التفاؤل في نفسه، وجملي أسلوبك معه، واحرصي على انتقاء الكلمات كما تنتقي أطايب الثمر»، ويوجه النصح للأب قائلاً: «أعطه قدراً من الحرية بإشرافك ورضاك، لكن من المهم أن تتفق معه على احترام الوقت وتحديده، وكافئه إن أحسن كما تعاقبه إن أساء، وحاول أن تتفهم مشاكله والبحث معه عن حل، واهتم بتوجيهه إلى الصحبة الصالحة، وكن له قدوة حسنة ومثلاً أعلى، واحترم أسراره وخصوصياته، ولا تسخر منه أبداً». ويضيف موجهاً كلامه للأب: «صاحِبْه وتعامل معه كأنه شاب، واصطحبه إلى المسجد لأداء الصلاة، وخاصة الجمعة والعيدين، وأجب عن كل أسئلته مهما كانت بكل صراحة ووضوح ودون حرج، وخصص له وقتاً منتظماً للجلوس معه، وأشركه في النشاطات الاجتماعية العائلية كزيارة المرضى وصلة الأرحام، ونمِّ لديه الوازع الديني، وأشعره بأهمية حسن الخلق».

كما ينصح الدكتور عبد الفتاح الأمهات بمراعاة عدد من

الملاحظات المهمة في التعامل مع بناتهن في مرحلة المراهقة، فيؤكد بداية أن على الأمهات أن يتعلمن فن معاملة المراهقات، ويقول للأم: «أعلميها أنها تنتقل من مرحلة الطفولة إلى مرحلة جديدة تُسمَّى مرحلة التكليف، وأنها كبرت وأصبحت مسؤولة عن تصرفاتها. قولي لها: إنها مثلما زادت مسؤولياتها فقد زادت حقوقها، وإنها أصبحت عضواً كاملاً في الأسرة تشارك في القرارات، ويؤخذ رأيها فيما يخصها، وتوكل له مهام تؤديها للثقة فيها وفي قدراتها، وعلميها الأمور الشرعية كالاغتسال، وكيفية التطهر، سواء من الدورة الشهرية أو الإفرازات».

ويضيف د. عبد الفتاح كلامه للأم: «ابتعدي عن مواجهتها بأخطائها، وأقيمي علاقات وطيدة وحميمة معها، ودعمي كل تصرف إيجابي وسلوك حسن صدر عنها، وأسري لها بملاحظاتك، ولا تنصحيها على الملأ، فإن لكل فعل ردة فعل مساوٍ له في القوة ومضاد له في الاتجاه، واقصري استخدام سلطتك في المنع على الأخطاء التي لا يمكن التجاوز عنها، واستعيني بالله وادعي لها كثيراً، ولا تدعي عليها مطلقاً، وتذكري أن الزمن جزء من العلاج».

ويضيف الدكتور سمير عبد الفتاح قائلاً: «افتحي قناة للاتصال معها، واجلسي وتحاوري معها لتفهمي كيف تفكر، وماذا تحب من الأمور وماذا تكره؟ واحذري أن تعامليها كأنها ند لك، ولا تقرني نفسك بها، وعندما تجادلك أنصتي لملاحظاتها وردي عليها

بمنطق وبرهان، وإذا انتقدت فانتقدي تصرفاتها ولا تنتقديها هي كشخص، وختاماً.. استعيني بالله ليحفظها لك ويهديها».

*** فهم المرحلة.. تجاوز ناجح لها:**

إن المشاكل سابقة الذكر، سببها الرئيس هو عدم فهم طبيعة واحتياجات هذه المرحلة من جهة الوالدين، وأيضاً عدم تهيئة الطفل أو الطفلة لهذه المرحلة قبل وصولها. ولمساعدة الوالدين على فهم مرحلة المراهقة، فقد حدد بعض العلماء واجبات النمو التي ينبغي أن تحدث في هذه المرحلة للانتقال إلى المرحلة التالية، ومن هذه الواجبات الآتي:

١ - إقامة نوع جديد من العلاقات الناضجة مع زملاء العمر.

٢ - اكتساب الدور المذكر أو المؤنث المقبول دينياً واجتماعياً لكل جنس من الجنسين.

٣ - قبول الفرد لجسمه أو جسده، واستخدام الجسم استخداماً صالحاً.

٤ - اكتساب الاستقلال الانفعالي عن الوالدين وغيرهم من الكبار

٥ - اختيار مهنة، والإعداد اللازم لها.

٦ - الاستعداد للزواج وحياة الأسرة.

٧ - تنمية المهارات العقلية والمفاهيم الضرورية للكفاءة في الحياة الاجتماعية.

٨ - اكتساب مجموعة من القيم الدينية والأخلاقية التي تهديه في سلوكه.

*** تهيئة المراهق:**

ولتحقيق واجبات النمو التي حددها العلماء، وحاجات المراهق في هذه المرحلة، على الأهل تهيئة ابنهم المراهق لدخول هذه المرحلة، وتجاوزها دون مشاكل، ويمكن أن يتم ذلك بخطوات متعددة، منها:

١ - إعلام المراهق أنه ينتقل من مرحلة إلى أخرى، فهو يخرج من مرحلة الطفولة إلى مرحلة جديدة، تعني أنه كبر وأصبح مسؤولاً عن تصرفاته، وأنها تُسمَّى مرحلة التكيف، لأن الإنسان يصبح محاسباً من قبل الله - تعالى - ولأنه وصل إلى النضج العقلي والنفسي الذي يجعله قادراً على تحمل نتيجة أفعاله واختياراته.

وأنه مثلما زادت مسؤولياته فقد زادت حقوقه، وأصبح عضواً كاملاً في الأسرة.. يشارك في القرارات، ويؤخذ رأيه، وتوكل له مهام يؤديها للثقة فيه وفي قدراته.

٢ - أن هناك تغيرات جسدية، وعاطفية، وعقلية، واجتماعية تحدث في نفسيته وفي بنائه، وأن ذلك نتيجة لثورة تحدث داخله استعداداً أو إعداد لهذا التغير في مهمته الحياتية، فهو لم يعد طفلاً يلعب ويلهو، بل أصبح له دور في الحياة، لذا فإن

إحساسه العاطفي نحو الجنس الآخر أو شعوره بالرغبة يجب أن يوظف لأداء هذا الدور، - فيما يخص المشاعر العاطفية والجنسية - لأن له دوراً هاماً في إعمار الأرض، وتحقيق مراد الله تعالى في خلافة الإنسان، فهي مشاعر سامية إذا أحسن توظيفها في هذا الاتجاه. لذا يجب أن يعظم الإنسان من أجلها، وهذه العواطف والمشاعر لها طريقها الشرعي من خلال الزواج، فنحن نحدد الجهة الصحيحة لتفريغها وتوجيهها.

٣ - أن يعلم المراهق الأحكام الشرعية الخاصة بالصيام والصلاة والطهارة والاغتسال، ويكون ذلك مدخلاً لإعطائه الفرصة للتساؤل حول أي شيء يدور حول هذه المسألة، حتى لا يضطر لأن يستقي معلوماته من جهات خارجية يمكن أن تضره أو ترشده إلى خطأ أو حرام.

٤ - التفهم الكامل لما يعاني منه المراهق من قلق وعصبية وتمرد، وامتصاص غضبه، لأن هذه المرحلة هي مرحلة الإحساس المرهف، مما يجعل المراهق شخصاً سهل الاستثارة والغضب، ولذلك على الأهل بث الأمان والاطمئنان في نفس ابنهم، وقد يكون من المفيد القول مثلاً: «أنا أعرف أن إخوتك يسببون بعض المضايقات، وأنا نفسي أحس بالإزعاج، لكن على ما يبدو أن هناك أمراً آخر يكدرك

ويغضبك، فهل ترغب بالحديث عنه؟» لأن ذلك يشجع المراهق على الحديث عما يدور في نفسه.

٥- إشاعة روح الشورى في الأسرة؛ لأن تطبيقها يجعل المراهق يدرك أن هناك رأياً.. ورأياً آخر معتبراً لا بد أن يحترم، ويعلمه ذلك أيضاً كيفية عرض رأيه بصورة عقلانية منطقية، ويجعله يدرك أن هناك أموراً إستراتجية لا يمكن المساس بها، منها على سبيل المثال: الدين، والتماسك الأسري، والأخلاق والقيم.

*** التعامل مع المراهق علم وفن:**

قدمت الخبيرة الاجتماعية الدكتورة مُنى يونس[(١)]، وصفة علاجية وتوجيهات عملية لأولياء الأمور، في فنون التعامل مع أبنائهم وبناتهم المراهقين، فتقول: «إياكم أن تنتقدوهم أمام الآخرين، وأنصتوا لهم باهتمام شديد عندما يحدثوكم ولا تقاطعوهم، ولا تسفهوا آراءهم».

وفي حديثها للموقع الإلكتروني، تدعو الدكتورة منى يونس أولياء الأمور لتجنب مخاطبة أبنائهم وبناتهم المراهقات بعدد من العبارات المحبطة بل والمحطمة مثل: (أنا أعرف ما ينفعك، لا داعي لأن تكملي حديثك... أستطيع توقع ما حدث، فلتنصتي إليّ الآن دون أن تقاطعيني، اسمعي كلامي ولا تناقشيني، يا للغباء...

(١) حاصلة على جائزة الدكتور شوقي الفنجري للدعوة والفقه الإسلامي عام ١٩٩٥م.

أخطأت مرة أخرى!، يا كسولة، يا أنانية، إنك طفلة لا تعرفين مصلحتك..) وتقول: «لقد أثبتت الدراسات أن عبارات المديح لها أثر إيجابي في تحسين مستوى التحصيل الدراسي لدى أطفال كانوا يعانون من صعوبات التعلم ونقص التركيز».

وتضرب الدكتورة منى مثالاً ببعض عبارات المديح المحببة إلى قلوب الأبناء والبنات من المراهقين، مثل: (بارك الله فيك، ما شاء الله، رائع، يا لك من فتاة، أحسنت، لقد تحسنت كثيراً، ما فعلته هو الصواب، هذه هي الطريقة المثلى، أفكارك رائعة، إنجاز رائع، يعجبني اختيارك لملابسك، استمر، إلى الأمام، أنا فخور بك، يا سلام، عمل ممتاز، لقد أحسنت برغبتك الصادقة في تحمل المسؤولية، أنت محل ثقتي، أنت ماهر في هذا العمل،...)، وتدعو الآباء إلى استعمال أساليب التشجيع والثناء الجسدية، مثل (الابتسامة، الاحتضان، مسك الأيدي، اربت على كتفه، المسح على الرأس،...).

* * *

الإطار التربوي لمراحل النمو عند الجنسين حتى البلوغ

مراحل النمو عند الجنسين حتى البلوغ في الإطار التربوي

* العلاقة بين الجنسين في مراحل النمو المختلفة:

من الطبيعي أن يتعامل الولد مع موضوع الجنس بعفوية ومن دون تعقيدات عالم الكبار. فمن خلال حبه للاستطلاع والمعرفة يبدأ الولد اهتمامه بجسده وبما يشعر به، وهذا يعني أن الاهتمام بالجنس لا يبدأ عادة بشكل فجائي وإنما بشكل متدرج وبطيء. ومن البداية الحسنة أن يجيب الأهل على تساؤلات ولدهم عن الجنس والأعضاء الجنسية منذ المرحلة التي يبدأ فيها طرح مثل هذه الأسئلة. ويعين هذا البدء المبكر الولد كما يعين الأهل الذين قد يشعرون بحرج شديد عندما يؤخرون الإجابة «حتى يكبر الولد». فإجابة ولد في الثالثة من عمره بأسلوب بسيط يفهمه أسهل من الحديث معه وهو في الثالثة عشرة من عمره. وحاول أن تساعد الولد على اكتساب المعلومات الصحيحة ولكن وفق طبيعة عمره ومرحلة نموه. وساعده كذلك على تقبل هذه المعلومات كما يتلقى منك معلومات عن الأمور الحياتية الأخرى. وبذلك يتعلم الولد أيضاً الصراحة والانفتاح مع والديه.

ومن الطبيعي بين الثالثة والسادسة من العمر أن يبدأ الولد بلمس أعضائه التناسلية لأنه في مرحلة اكتشاف هذه الأجزاء من جسده، وقد يشعر ببعض المتعة من هذا اللمس. وقد نجده يمد يده تحت ملابسه ليلعب بنفسه. وفي كثير من الأحيان قد يفعل هذا من دون تركيز ولا انتباه بينما عقله منشغل في عمل آخر. ولا يدرك الولد في معظم الحالات طبيعة ما يفعل. ويتكرر هذا عند الذكور والإناث.

وبالنسبة للعلاقة بين الجنسين، فقبل سن التميز والذي قد يكون حول التسع سنوات، نجد الصبيان يلعبون بشكل عفوي وطبيعي، ولكن مع النمو تبدأ القيم الاجتماعية بتوجيه الصبي وتوجيه البنت إلى نوعية العلاقة بالجنس الآخر. وبشكل طبيعي يميل الأولاد في هذه السن للعب مع من هم في سنهم وجنسهم واهتماماتهم، وغالباً أن البنات مع البنات والصبيان مع الصبيان. ويفضل ألا نضع في ذهن الولد مشكلة كبيرة فيما يتعلق بالعلاقة مع الجنس الآخر، وأن يبقى هناك مجال للعلاقة الطبيعية غير المتوترة كالزيارات الاجتماعية والأسرية، ودون انفعال أو تعقيد للأمور، طالما أن الضوابط الأخلاقية والشرعية واضحة وممارسة في الأسرة.

وفي أثناء نمو الصبي والبنت يتضح لكل منهما دوره في الحياة ومسؤوليته السلوكية والأخلاقية، ويلتزم كل منهما بالأخلاق المتعارف عليها في الوسط الاجتماعي المحيط بهما.

اللعب الجنسي بين الأولاد:

مع ظهور التغير في الجسد قبيل البلوغ ومع سن المراهقة، ورغبة البعض بلفت النظر لذلك.. وأحياناً التساهل في لمس الأجساد الأخرى مع الشعور باللذة، وخطورة أن يكون ذلك مع البالغين المنحرفين، واستحسان الطفل المتعة باللمس مما يعرضه لأمور سيئة كالاغتصاب، وقد يتطور الأمر لتحوله إلى مرض المتعة الجنسية، فلا بد من الاستعداد المبكر والتنبيه لتلك الخطورة.

ولا شك أن أفضل علاج هو الوقاية من تلك الظاهرة، ويحسن بنا هنا وضع بعض التوجيهات التربوية كما يلي:

- علِّم طفلك في سنٍّ مبكرة أن جسده ملك له فقط، وأنه ليس لأحد غيره لمسه، إلا والديه عند الغسل في الحمَّام، أو التنظيف أو التلبيس، أو عند مراجعة الطبيب.
- علِّمه أن عليه أن يرفض طلب غيره بلمس جسده أو خلع ملابسه.
- انتبه - كأب - إلى الأولاد وهم يلعبون، وخاصة بوجود أولاد كبار، من دون إثارة للشكوك، أو إحداث قلق لا مبرر له عند الأطفال، إذا انعزل الأولاد في مكان بعيد للعب، فينبغي أن تنادي عليهم ليأتوا ويلعبوا في مكان قريب تسهل فيه الرقابة دون إثارة للشكوك.
- تذكَّر أن توعية الأبناء لنموهم الجسدي والجنسي وخاصة حين

يصل الأولاد إلى سن البلوغ هي مسؤولية الوالدين، فإن إهمال ذلك قد يجعل الأولاد فريسة للمعلومات الخاطئة والمشوَّشة التي قد يسمعونها من الآخرين، أو عرضة للأوهام والخرافات التي يكتسبها الولد من هنا وهناك.

- الابتعاد عن الاحتكاك المباشر بين الأجساد حتى ولو كان عبر حائل في سن التمييز.
- التفريق بين الذكور والإناث في الفراش نياماً أو أيقاظاً في سن العاشرة.
- علِّمه قبول نفسه وجسده فقد يسخر بعض الأطفال من جسد الآخر (شكل الصدر، كبر أو صغر العضو التناسلي، ظهور الشعر. .إلخ) مما تبعث فيه روح التحدي أو الخجل، فيمارس ممارسات شاذة لإثبات نفسه وجدارته ويعرض نفسه لعبث الآخرين!.
- علِّمه التحلِّي بالعفة وضبط النفس والحشمة وما تدعو إليه التعاليم الإسلامية.

ولا بد من تعليم البنت والصبي في مرحلة البلوغ التغيرات التي ستطرأ على أجسامهما من نمو الثديين، ونمو شعر العانة، والدورة الشهرية عند البنت، والاحتلام الليلي عند الشباب.

ويجب أن يفهم الناشئ أن نمو الأعضاء الجنسية شيء طبيعي، وأسماء تلك الأعضاء ووظائفها يحسن أن تشرح في شيء من البساطة والاختصار، مع تحاشي الإفاضة في الوصف عن الحد

الضروري، وهذه المعلومات يجب أن تعطى بشكل حقائق علمية مجرّدة عن أي انفعال يصاحبها.. سروراً كان أو اشمئزازاً، وأسئلة الطفل يجب أن يكون جوابها بنفس الصيغة وبنفس الطريقة.

إن مصارحة الناشئين تعطينا فرصة لإفادتهم عمّا يختص بالأحكام الدينية المتعلقة بتلك الأعضاء والإفرازات، كالطهارة والغسل والصلاة والصوم.. إلى غير ذلك.

ويمكن تلخيص المسائل الهامة، التي يحتاج الناشئون إلى النصح والإرشاد فيها في النقاط الآتية:

١ - **العناية بصحة الفرد الجنسية**: ويدخل تحت ذلك كل ما يختص بالفرد ويؤثر في صحته وعقله، فيجب على المراهقين معرفة الحقائق الخاصة بالتغيرات الجسمية والعقلية والوجدانية التي تنتابهم قبل المراهقة، كما يجب أن يدرسوا شيئاً عن العادة السرية وأسبابها وآثارها السلبية، ومن المفيد أن يعرف البنات شيئاً عن كيفية العناية بأنفسهن وقت الحيض، إلى غير ذلك.

٢ - **الاحتياط للمسائل الجنسية الاجتماعية**: وهي لا تخص الفرد وحده بقدر ما تمس المجتمع ككل.

٣ - **السلوك المحمود في المسائل الجنسية تجاه الجنس المقابل**، وموقف الدين والقانون نحوهما، ثم دراستها من الوجهات الطبية والنفسية والاجتماعية.

٤ - **الزواج والعوامل التي تؤدي إلى نجاحه وفشله**.

٥ - **العلاقات بين البنين والبنات**: أهمية التقاليد، والجاذبية بين الجنسين، واعتقاد الحب، وتطوره إلى هيام وهمس، وخطورة الاتصال الجنسي غير المشروع، والحمل غير المشروع.

٦ - **النمو والتغيرات**: العناية الصحية في دور المراهقة من الوجهة الجسمية والعقلية والاجتماعية والنفسية

٧ - **التناسل**: عمل الأعضاء الجنسية والغدد الجنسية، تكوّن المني والبويضة، والتلقيح.

توصيات تربوية للآباء والأمهات :

* الحرص على مطالعة بعض الكتب العلمية في مجال التربية الجنسية، لتساعد على تثقيفهم ثقافة رشيدة. وحبذا أيضاً حضور بعض الندوات، التي تجمع بين أخصائيين في الطب وعلم النفس وعلم الاجتماع وعلماء الدين.

* إن التعتيم وإغلاق الأفواه لا يحقّق استقامة، بل يفتح الباب على مصراعيه لمعلومات خاطئة أو مغرضة، من مصادر غير موثوق بها (زملاء أو زميلات أو خدم، أو كتب مضللة).

* تقديم المعلومات الضرورية التي لها صلة بالجنس، ولكنها تقدم بالقدر المناسب في الوقت المناسب، وبطريقة مناسبة، دون تحرج أو حساسية، مع الحرص على الإجابة بيسر عن كل استفسار من جانب الطفل.

* ينبغي على الوالدين في مرحلة البلوغ توفير الجو الصالح لينشأ كل من الابن والبنت نشأة صحيحة، ويعبران مرحلة البلوغ في سلام، ومن ذلك:

- إشغال الشاب والفتاة بأنشطة متوالية مفيدة، تقضي على وقت الفراغ الذي يتيح التفكير الشاذ أو السلبي، وتستنفذ الطاقة الداخلية.
- تهيئة الفرص لانطلاق البالغ في نشاطات متنوعة: رياضية.. فنية.. ثقافية.. اجتماعية. فهذه كفيلة في معظم الحالات بعلاج ضغط الدافع الجنسي، وبالأخص الأنشطة الرياضية.
- عند صيام الوالدين - أو أحدهما - صيام تطوع، يشجع البالغ على المشاركة في الصوم، فإن ذلك مما يخفف من ضغط الدافع الجنسي.
- تيسير الفرص للعب الطفل، ومصاحبة من هم في مثل سنه، لا أكبر كثيراً ولا أصغر كثيراً، حذراً من التعرض للوقوع في الشذوذ الجنسي، أي تعرض الصغير لعبث الكبير به، أو تعرض الكبير لإغراء العبث بالصغير.
- استعانة الوالدين بأقارب أو أصدقاء كبار صالحين للتقارب مع أبنائهم، وشرح ما صعب عليهم شرحه بسبب الحياء أو عدم تفاعل الأبناء حتى ولو بشكل مفتعل أو تمثيل ليكونوا المرجع الثاني بعد الوالدين، وعدم اضطرارهم للاستعانة بأقرانهم أو أصدقاء سوء يريحونهم نفسياً.

- لدى بلوغ الحُلم، ينبغي تطبيق الحديث الشريف: «**فرّقوا بينهم في المضاجع**» وذلك:

١ - باستقلال البنات بغرفة للنوم، والبنين بغرفة، وإن لم يكن، فلكل فراشه الخاص به، المنفصل عن فراش الآخر.

٢ - استقلال كل صبي وكل بنت بغطاء، إذا كان لا بد من فراش واحد لاثنين.

٣ - تحقيق الأمان للأطفال من التعرض لمناجاة الخدم والخلوة بهم. وتحقيق الأمان للأطفال من التعرض للخلوة بأقارب أو جيران، أكبر كثيراً أو أصغر كثيراً.

٤ - توثيق صلة الأب بالأبناء، والأم بالبنات، صلة فكرية ونفسية تساعد على التفاهم المستمر، وتبادل الآراء، والمصارحة بما يدور بخلدهم من أفكار، وبما لديهم من أسئلة، وبما يعانون من مشكلات اجتماعية أو جنسية.

البلوغ ومظاهره:

تبقى الأجهزة التناسلية في الذكر والأنثى، هاجعة طوال فترة الطفولة، ولكي تبدأ الحياة الجنسية التناسلية، لا بُد لهذا السُّبات أن ينتهي، ولهذه الهجعة أن تستفيق.

وبما أن الخصيتين والمبيضين هما الغُدتان التناسليتان الهامتان، فلا بُد من إيقاظهما من سُباتهما الطويلة، لتؤديا الوظيفة المنوطة

بهما، وهي إبقاء الحياة الإنسانية، على ظهر الأرض، حتى قيام الساعة.

*** وقت البلوغ :**

يختلف من أُمَّةٍ إلى أخرى، كما يختلف بين الفتى والفتاة، فالفتاة أسرع نمواً من الفتى، فتبلغ في العادة قبل بلوغه، وإن كان نمو الفتى يستمر بعد أن يتوقف نمو أخته، حتى يُصبح الفتى أطول وأعرض وأقوى، بعد أن كان أقصر من تلك التي كانت في سنه.

فعند الفتيات يتراوح سن البلوغ بين (٩ - ١٨) سنة، وعند الفتيان يتراوح بين (١١ - ١٨) سنة، وغالباً ما يحدث البلوغ في بلداننا - سواء عند الفتيان أو الفتيات - بين سن (١٢ - ١٥) سنة.

*** العوامل المؤثرة في البلوغ:**

إن العوامل المتحكمة في وقت البلوغ كثيرة، منها:

١ - **طبيعة مناخ البلاد التي يعيش فيها**: ففي البلاد الحارة، يكون البلوغ مبكراً أكثر منه في البلاد الباردة، وقد لاحظ المختصون، أن البلوغ لدى الفتى قد يُبكِّرُ جداً فيكون تاماً في سن الثانية عشرة في المناطق الحارة، وقد يتأخر في بعض المناطق الباردة إلى سن الثامنة عشرة.

وكذلك بلوغ الفتاة قد يُبكِّر في البلاد الحارة، فيكون في

التاسعة، وقد يتأخر في المناطق الباردة إلى سن الثامنة عشرة. . وكل ذلك يُعتبر طبيعياً ولا يحتاج إلى علاج.

٢ - **العوامل الوراثية**: فيختلف من فرد إلى آخر حسب الأسرة التي ينتمي إليها.

٣ - **التغذية**: فسوء التغذية يؤثر على الحيض تأثيراً مباشراً. وقد يمنعه.

٤ - **الحالة الصحية العامة**: فصاحب الجسم القوي، يبلغ قبل صاحب الجسم الهزيل الضعيف.

٥ - **حالة النشاط الغددي في الجسم**: فعندما تُؤدِّي الغدد التناسلية وظائفها دون خلل، يحدث البلوغ في الوقت المحدد، أما إذا حدث خلل في النشاط الغددي (مثل نقص الإفراز) يتأخر البلوغ عن وقته المحدد.

*** أسباب البلوغ:**

من المعلوم أن جميع غدد الجسم بما فيها الغدد التناسلية، تخضع للغدة النخامية (التي يسميها البعض ملكة الغدد)، الواقعة أسفل المخ في جوف بقاع الجمجمة.

ولكن الغُدة النخامية نفسها واقعة تحت تأثير منطقة هامة بالمخ تدعى «تحت المهاد»، ولا تزال هذه المنطقة من المخ تُرسل أوامرها إلى ملكة الغدد أثناء الطفولة، تمنعها من إرسال هرموناتها

المنشطة والمغذية للغدد التناسلية. حتى إذا قدَّر الله أن يبلغ الفتى أو الفتاة، أمر هذه المنطقة من المخ، أن توقف رسائلها المثبطة للغدد النخامية، فتتوقف تلك الرسائل فوراً، وعندئذ ينطلق العقال الذي كان يكبت الغدة النخامية ويكبح جماحها، فتعلم أنه قد آن الأوان لها أن ترسل هرموناتها المنشطة المغذية لغدد التناسل، فتفعل ذلك سريعاً.

وكلمة هُرمون تعني رسولاً... وهذه الهرمونات ليست إلا رسلاً كيماوية تنتقل عبر الدم من غدة إلى أخرى، أو من غدة إلى بقية الجسم، وتؤثر فيه تأثيراً شديداً.

وتُفرز الغدة النخامية عدَّة هرمونات تتحكم في جميع الغدد الصماء في الجسم، ولا تتوقف عن هذا الإفراز منذ أن يولد الطفل، بل قبل أن يولد، حتى يموت، إلا في الغدد التناسلية، فإن الإفراز لا يتم إلا بعد البلوغ.. أي عندما تتوقف الأوامر المثبِّطة من منطقة المخ المسماة «تحت المهاد» عندئذ ترسل الغدة النخامية، هرموناتها إلى الخصيتين في الذكر، وإلى المبيضين في الأنثى.

* **علامات البلوغ:**

ذهب المختصون إلى أن البلوغ، يَثْبُت بظهور علامة من العلامات الآتية:

١ - **الاحتلام**: وهو نزول سائل من الفتاة أو المني من الفتى، نتيجة رؤية حلم جنسي في المنام. قال الرسول ﷺ: «**رُفع القلم عن ثلاثة: عن النائم حتى يستيقظ وعن الصبي حتى يكبر، وعن المجنون حتى يعقل أو يفيق**»[(١)] ، ورُفع القلم يعني عدم التكليف بالتكاليف الشرعية، من صلاة وصيام ودعوة إلى الله، وأمر بمعروف ونهي عن منكر.. وغيرها.

٢ - **الحيض**: يثبت البلوغ للفتاة بالحيض، لقول رسول الله ﷺ: «**لا يَقبلُ الله صلاة حائض إلا بخمار**».[(٢)] أي: لا يقبل الله تعالى الصلاة من الفتاة إذا بلغت - والحيض إشارة إلى البلوغ - إلا وهي مُرتدية الزي الشرعي (ملابس الصلاة) ويعني الخمار، وهو كل ما يغطي الرأس والعنق وكل الجسد.

٣ - **إفرازات خاصة بالأنثى**: هناك نوعان من الهرمونات التي تفرزها الغدة النخامية، وتؤثر على المبيضين:

- **النوع الأول**: الهرمون المُنشِّط والمُنمِّي للخلايا التناسلية الموجودة في المبيضين حتى تفرز البويضة F.S.H .

- **النوع الثاني**: الهرمون المُنمِّي والمنشط للجسم الأصفر L. H وتقوم الغدة النخامية بتنمية هذا الجسم الأصفر، لأن

(١) رواه أبو داود (٤٤٠١)، والإمام أحمد في المسند (٦/ ١٠٠، ١٠١)، والنسائي (٦/ ١٥٦)، وابن ماجة (٢٠٤١)، وابن حبان (١٤٢).

(٢) رواه الإمام أحمد في المسند (٦/ ١٥٠)، وأبو داود (٦٤١)، والترمذي (٣٧٧)، وابن ماجة (٦٥٥)، وابن حبان (١٧١١).

له وظيفة هامة هي إفراز مادة «البروجسترون» أو هرمون الحمل الذي يُهيِّئ الرحم للحمل.

وفي هذه الفترة - فترة ما قبل الزواج - فإن الجسم الأصفر يتوقف عن إرسال هرموناته، فيحزن الرحم لذلك، ويبكي دماء، وذلك هو الحيض، وهو أول علامات البلوغ للفتاة وأهمها، فسبحان الذي أحسن كل شيء خلقه!.

٤ - **نبات الشعر حول القُبُل**: والمقصود بالشعر.. الشعر المُتجعد الخشن، لا مطلق الشعر، فإنه موجود في الأطفال.

٥ - **مظاهر جسدية عند الذكر**: تُرسل الغدة النخامية هرموناً يُنبه الخلايا الخلالية (أي الموجودة خلال القنوات وفيما بينها) فتقوم هذه الخلايا الخلالية بإفراز مادة في منتهى الأهمية، تُحوِّل الصبي إلى فتى، تلك المادة السحرية هي هرمون «التستستيرون» (Testosterone)، فيقوم هذا الهرمون بتنمية العضلات، وجعلها مشدودة مفتولة، وتقوية العظام، وإقامة هيكلها بصورة تخالف هيكل الأنوثة، فسبحان الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى!.

٦ - **مظاهر جسدية عند الأنثى**: يبدأ جسد الأنثى بتقسيمه الملفت للنظر من عرض الأرداف ومنطفة الحوض، وظهور الأثداء والتي تختلف بأحجامها بحسب الجانب الوراثي والإفرازات الهرمونية، فضلًا عن نعومة الملمس في الوجه وسائر الجسد.

٧ - **إتمام خمسة عشر سنة**: لحديث عبدالله عمر- رضي الله عنهما - قال: «عُرِضْتُ على النبي ﷺ يوم أُحُد وأنا ابن أَرْبَعَ عَشَرَةَ سنة ولم أحتلم فلم يَقْبَلْني، ثم عُرِضْت عليه يوم الخندق وأنا ابن خَمْسَ عَشَرَةَ سنة فَقَبِلَني»[1].

٨ - **الفائدة من معرفة وقت البلوغ**: اهتم العلماء كثيراً بمعرفة البلوغ، لما يترتب عليه من الأحكام الدنيوية والأخروية، وما يتعلّق به من حقوق العباد ورب العباد، فمتى صار الفتى رجلاً، والفتاة امرأة، أصبح كل منهما مخاطباً بجميع التكاليف الشرعية في العبادات والمعاملات، وأصبح كل منهما مسؤولاً أمام الله عز وجل عن كل صغيرة وكبيرة يقوم بها.

إن الإسلام يُحمِّل الأبوين أولاً وآخراً مسؤولية مصارحة الأولاد في هذه الأمور المهمة، حتى يكونوا على توعية كاملة وفهم عميق في كل ما يتصل بحياتهم الجنسية وميولهم الغريزية، وكل ما يترتب على ذلك من واجبات دينية وتكاليف شرعية. فكم سمعنا عن فتيان بلغوا سن الشباب وهم في جنابة دائمة لكونهم لا يعلمون ما يترتب على الاحتلام والجنابة من الأحكام! وكم سمعنا عن فتيات بقين سنين عدّة وهنَّ غير طاهرات لكونهنَّ لا يعلمن ماذا يترتب على الجنابة والحيض من أمور!

---

(١) رواه البخاري (٢٦٦٤)، ومسلم(١٨٦٨)، وأبو داود (٤٤٠٦، ٤٤٠٧)، والترمذي (١٧١١)، والنسائي (٦/ ١٥٥، ١٥٦)، والإمام أحمد (٢/ ١٧)، وابن ماجة (٢٥٤٣).

وربما تُصلي البنت ويُصلي الولد وهما في جنابة أو في حال عذر، ويظنان أنهما يؤديان حق الله في الطاعة والعبادة!! إذن فمن المسؤول عن مصارحة الأولاد (الذكور والإناث) جنسياً، وتوعيتهم غريزياً قبل أن يناهزوا سن الاحتلام، ويشارفوا على البلوغ؟

لا شك أن الأبوين مسؤولان أولاً، ثم من يشرفون على تعليمهم وتربيتهم في المدارس وفي المعاهد ثانياً.

* أقسام الماء الذي يخرج من الرجل والمرأة عند البلوغ:

١ - **المني**: وهو ماء أبيض لزج يميل إلى الصُفرة، ويُشبه مادة بياض البيض الجاف، ويخرج عادة عند الشهوة.

ويبدأ وقت إنتاج المني منذ البلوغ ويستمر حتى الشيخوخة ويلزم خروجه بشهوة .

وإذا أصاب الملابس يُستحب غسله إن كان رطباً، وفركه إن كان يابساً، لقول السيدة عائشة - رضي الله عنها: «كنت أفرك المني من ثوب رسول الله ﷺ إذا كان يابساً، وأغسله إذا كان رطباً»[(١)].

٢ - **المَذي**:

هو ماء أبيض شفاف لزج يخرج عند الشهوة الجنسية، بسبب التفكير الجنسي، أو النظر، أو المصافحة، أو الكلام مع

---

(١) رواه أبو داود (٣٧٢)، والنسائي (١/١٥٦)، والإمام أحمد في المسند (٦/ ١٣٢، ٢١٣).

الجنس الآخر، أو لأسباب مرضية، وقد يخرج ولا يشعر الإنسان بخروجه.

وهو غير موجب لغسل البدن، بل يغسل الشخص ذكره، ويتوضأ إن أراد الصلاة، وإذا أصاب ملابسه اكتفى فيه بالرش بالماء، لقول الرسول ﷺ: «**إذا رأيت المذي فاغسل ذكرك**»[1]، ولقوله للمقداد عندما سأله عن المذي: «**إذا وَجَدَ ذلك فلينضح فرجه وليتوضأ وضوءه للصلاة**»[2].

٣ - الوَدي:

هو ماء أبيض يخرج بعد البول عند الإمساك، أو بعد حمل شيء ثقيل، أو لأسباب مرضية.

وهو غير موجب لغسل البدن، وحكمه حكم المذي سواء بسواء.

*** العادة السريَّة «الاستمناء»:**

هي تصريف الطاقة الجنسية عن طريق مُداعبة الأعضاء التناسلية، وقد سُميت العادة السرية لأن ممارستها تتم غالباً في الخفاء والسرية.

(١) رواه ابن حبان (١١٠٢).

(٢) رواه ابن حبان (١١٠١)، ومسلم (٣٠٣)، وأبو داود (٢٠٧).

سبب انتشارها:

إن السبب الرئيس في انتشارها وتفشيها هو ما يلاحظه أولئك من مظاهر الفتنة والإغراء، في أزياء النساء، ومشيتهنَّ الخليعة، وتبرجهنَّ المثير في الشوارع والمتنزهات وفي كل مكان، بالإضافة إلى ما يرونه في وسائل الإعلام ما يُهيِّج الغريزة، ويُسقط العفاف والشرف، ويقتل النخوة والغيرة والحميَّة.

أمَّا ما يقرؤونه في الكتب والمجلات والصحف، من القصص الغرامية والإثارات الجنسية، وأحياناً المجلات والأفلام شبه الخلاعية أو الإباحية والجنسية، فهي من أشد المؤثرات على صحة الشباب النفسية والعقلية والخلقية.

وهذه المثيرات وحدها تكفي لانحراف الفتى والفتاة في طريق الزنا والفاحشة، والانزلاق في متاهات الفساد والرذيلة.

آثارها:

١ - الإرهاق الشديد من أي مجهود يقوم به من يمارسها، ويشكو من التعب والضعف الجسماني من أي عمل يوكل إليه، لأنها تصرف طاقة كبيرة جداً.

٢ - تُصيب يديه رعشة خفيفة، حتى أنه قد لا يستطيع التحكم في حركة الأصابع، وذلك عند التمادي والمبالغة في استعمالها.

٣ - احتقان وتضخم البروستاتا، وزيادة حساسية قناة مجرى البول، الأمر الذي يؤدي في النهاية إلى سرعة قذف المني، والتهاب البروستاتا، مع حدوث حرقان عند التبول.

وستنعكس سرعة القذف بسبب التمادي في الاستمناء على الاستمتاع عند الجماع حيث يكون القذف سريعاً فلا يستمتع الشاب كثيراً بالجماع.

قول العلماء فيها:

أ - حكم ممارستها:

ذهب جمهور العلماء إلى أن الاستمناء حرام.

ب - التعامل مع الشهوة الجامحة:

يقول العلامة سيد قطب - رحمه الله : «هنالك حُريَّة إنسانية تليق بتكريم الله للإنسان، تلك هي حُريَّة الانتصار على هوى النفس والانطلاق من أسر الشهوة، والتصرف بها في توازن تثبت معه حرية الاختيار والتقدير الإنساني، وهنالك حُرية حيوانية، هي هزيمة الإنسان أمام هواه، وعبوديته لشهوته، وانفلات الزمام من إرادته، وهي حرية لا يهتف بها إلا مخلوق مهزوم الإنسانية، مستعبد يُلبس عبوديته رداءً رائعاً من الحرية!!.

وإن الذي أودع نفسه الاستعداد لجَيَشَان الهوى، هو الذي أودعها الاستعداد للإمساك بزمامه، ونهى النفس عنه، ورفعها عن جاذبيته، وجعل له الجنة جزاء ومأوى حين ينتصر ويرتفع ويرتقي»[(١)].

---

(١) سيد قطب، تفسير «في ظلال القرآن» (٨/ ٤٥٠).

الآثار السلبية للعلاقات الجنسية المحرمة

الانحراف الجنسي والممارسات المحرَّمة

عندما خلق الله عزَّ وجل الإنسان، خَلَقَهُ لكي يسكن هذه الأرض ويعمرها، وينظر في ملكوت السماء والأرض، ويبحث فيما حوله من أسباب الحياة والنمو والاستمرار. ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ﴾ [العنكبوت: ٢٠] .

ولما كان استمرار الجنس البشري ووجوده على هذه الأرض شرطاً أساساً في عمارتها، فقد اقتضت الحكمة الإلهية أن يجعل الجنس والتزاوج وسيلة لهذا البقاء والاستمرار للجنس البشري، وجعل الله عز وجل الوسيلة السليمة لممارسة الجنس واستمرار البشرية هي الزواج الصحيح والسليم.

وقد وضع ضوابط معينة لتيسير هذا الزواج للجميع، لكي تستقر الحياة الاجتماعية، ويعيش الناس حالة الاستقرار التي تشجع الإنسان على البناء والإعمار. ولكن.. ولأسباب كثيرة وظروف شتى، تفشَّت أنواع مختلفة من الانحرافات الجنسية والممارسات الشاذة.

ومن هذه الانحرافات «الزنا»، وهو انحراف جنسي أخلاقي، كون الذي يمارس عملية الزنا إنما هو خلاف ما ارتضاه الله لعباده من علاقة زواج صحيحة وسليمة.

ومن هذه الممارسات الشاذة اللواط والسحاق وإتيان الغلمان، وقد أصبحت هذه الانحرافات منتشرة بشكل خاص في بلاد الغرب، حيث أصبح الشاذون يتمتعون بحقوق معينة، وقد أنشأوا لهم نقابات وجمعيات خاصة. أما في البلاد التي ما زالت تعتبر الإسلام هو الدستور والمنهج، فإن هذه الانحرافات والممارسات الشاذة تعتبر قليلة جداً قياساً إلى الدول التي تخلّت عن دينها وأخلاقها.

ولذلك.. حيثما يوجد الالتزام الأخلاقي.. تكون الأمراض الجنسية أقل ما يمكن، وحيثما يوجد التفلّت والإباحية.. يكون انتشار هذه الأمراض بشكل كبير ومريع.

*** الـزنـا:**

الزنا هو وطء الرجل المرأة في فرجها من غير نكاح ولا شبهة نكاح بمطاوعتها. والزنا من المشاكل الاجتماعية التي يغار الإنسان فيها على عرضه، وربما أدت إلى القتل انتقاماً ودرءاً للعار كما كان يحدث في الجاهلية، وربما في بعض المجتمعات المعاصرة حتى اليوم.

والزنا من المشاكل التي تتفشى في مجتمع أصبحت الرذيلة معلماً من معالمه، وفي مجتمع انتشر فيه الاختلاط الماجن، والإباحية والرقص، والصور المثيرة، والغناء الفاحش، والنظر المريب، وكل ما من شأنه أن يثير الغريزة أو يدعو إلى الفحش.

أمَّا في المجتمعات التي تتخذ من الإسلام منهجاً ودستوراً لها، فما زالت هذه الظاهرة قليلة الوجود، وتعتبر دخيلة وليست أصيلة فيها.

والزنا من المشكلات الاجتماعية التي تسبب الكثير من الأمراض والأخطار الخُلقية والاجتماعية والجسدية، والتي سنتطرق إليها فيما بعد.

لذلك ولتجنب كل هذه المظاهر والمخاطر دعا الإسلام إلى الزواج، وحبَّبَ فيه، لأنه هو أسلم طريقة لتصريف الغريزة الجنسية، وهو الوسيلة المثلى لإخراج سلالة يقوم على تربيتها الزوجان، ويتعهدانها بالرعاية، وغرس عواطف الحب والود والطيبة والرحمة والنزاهة والشرف والإباء وعزة النفس، وللوصول إلى هذا مُنع أي طريق يوصل إلى الزنا، ومُنع أي تصرف يمكن أن يثير الشهوة والغريزة في النفس. ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ٣٢]، لم يقل لا تزنوا.. ولكن قال: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا﴾ أي: لا تسلكوا أي طريق يوصل إلى الزنا.

ومن هذه الطرق التي منعها الإسلام وحذَّر منها:

١ - حظر الإسلام الخلوة بالأجنبية.

٢ - حرَّم الإسلام النظر إلى الجنس الآخر بشهوة.

٣ - حرَّم الإسلام النظر إلى العورات.

٤ - حرَّم الإسلام الاختلاط الماجن، والرقص والغناء الفاحش، والصور المثيرة، وكل ما من شأنه أن يثير الغريزة.

٥ - حرَّم الإسلام على المرأة أن تتبرج وتتعطر وتخرج كي يراها الرجال من غير المحارم على هذا الحال.

٦ - أمر الإسلام بغض البصر، وارتداء اللباس الشرعي، والالتزام بالوقار والاستقامة وحسن الخلق، واستشعار مراقبة الله عزَّ وجل.

* المخاطر التربوية للانحرافات الجنسية:

١ - المخاطر الخُلُقية:

إن الزنا واللواط عاملان أساسيان في انتشار الفساد والرذيلة في المجتمع وسوف تفشى الرذيلة، إضافة إلى أنهما من الأسباب التي تؤدي إلى حدوث عدة أمور من أهمها:

١ - انتشار الشباب الشارد والغارق في الشهوة، والمغمور في المسكرات والمخدرات.

٢ - وجود الجيل المتحلل المائع المريض، وتجار الشهوات والغرائز، وبيع الفتيات وتأجير البغايا.

٣ - انتشار عصابات القتل والخطف والاغتصاب الجنسي، وعصابات التهريب والمخدرات.

٤ - انتشار أوكار الدعارة والمواخير وأفواج المومسات.

٥ - انتشار الأغاني الفاحشة وكتب الجنس ومجلات العُري والإباحية.

وهذه المخاطر هي التي دفعت الرئيس الروسي الأسبق «خروتشوف» عام١٩٦٢م إلى التصريح بأن مستقبل روسيا في خطر، وأن شباب روسيا لا يؤتمن على مستقبله لأنه مائع منحل غارق في الشهوات، وفي الوقت نفسه صرَّح الرئيس الأمريكي الأسبق «كيندي» أيضاً بأن مستقبل أمريكا في خطر لأن شبابها منحل غارق في الشهوات، ولا يقدر المسؤولية الملقاة على عاتقه، وأنه من بين كل سبعة شبان يتقدمون للتجنيد يوجد ستة غير صالحين.. لأن الشهوات التي أغرقوا فيها أفسدت لياقتهم الجسمية والنفسية.

٢ - المخاطر الاجتماعية:

إن الاسترسال في الفاحشة سوف يؤثر على الفرد والأسرة والمجتمع، وهذا يتجلى في الآتي:

١ - تهديد الأسرة بالزوال، فالشباب يشبعون نهمهم - ذكوراً وإناثاً - بالحرام، فلا يوجد عندهم وقت للإنجاب وتكوين أسرة، وبالتالي انخفاض النسل.

٢ - اختلاط الأنساب وتزايد اللقطاء أو مجهولي الأبوين أو الأبناء غير الشرعيين.

٣ - شقاء الرجل والمرأة على السواء، فلا يجدان الحياة الهانئة، خصوصاً بعد مرحلة الشباب، ولا يجدون العيش المستقر.

٣ - المخاطر الاقتصادية:

إن تفشي الفاحشة سبب رئيس في انهيار الاقتصاد، وذلك لأسباب عدة:

١ - ضعف القوى عند الأفراد المدمنين على الفاحشة، فلا يستطيعون النهوض بأعباء العمل على الوجه الأكمل.

٢ - قلة الإنتاج لأن الأموال تتبدد في طريق الشهوات، وإشباع نهم الغريزة والجنس، لا في طريق الإنتاج ومصلحة الاقتصاد.

٣ - اتخاذ الكسب غير المشروع، لأن الإنسان الماجن الذي ليس له من تقوى الله رادع، يريد أن يحصل على المال لإشباع نهمه المادي من أي طريق، طريق الربا والميسر، أو طريق الرشوة والاختلاس، أو طريق الاتجار بالأعراض والمصورات الماجنة والأفلام الخليعة، والاتجار بالمسكرات والمخدرات.. وغير ذلك.

كل هذا يؤدي لتحطيم اقتصاد البلاد، وتعطيل المكاسب المشروعة، ويعيش المجتمع أسير الاستغلال واللصوصية، وعبدة الشهوة واللذة والهوى.

٤ - المخاطر الصحية:

وتتجلى في الأمراض المتنقلة عن طريق الجنس، هذه الأمراض التي أصبحت حديث الصحف والإذاعات في شتى أنحاء العالم،

وخاصة بعد أن ظهر الطاعون الجديد كما يُسمونه، وهو مرض «الإيدز»، ورغم التقدم العلمي الكبير وتقدم تقنيات العلاج الحديث، فما زالت الأمراض الجنسية آخذة بالازدياد، وسبب ذلك هو انتشار الزنا واللواط واقتراف الفواحش.

وسنستعرض أهم هذه الأمراض في الصفحات القادمة، حتى ندرك حجم المخاطر التربوية الهائلة بأبعادها الاجتماعية والاقتصادية والخلقية والصحية، باعتبار أن التربية هي الوعاء الجامع لهذه الأبعاد.

الأمراض الفيروسية الناتجة من العلاقات المحرمة بين الجنسين(*):

بعد اكتشاف البنسلين في أثناء الحرب العالمية الثانية والمضادات الحيوية في الأربعينيات وبداية الخمسينيات من القرن العشرين، بدا للأطباء وكأنهم سينتصرون على أكثر الأمراض المعدية انتشاراً في العالم، وهي الأمراض الجنسية «التناسلية».

ولكن منذ الستينات من ذلك القرن، فَقَدَ الأطباء هذا الأمل، وأصبحوا يواجهون زيادة كبيرة ومرعبة في الأمراض الجنسية في جميع أنحاء العالم.

(*) د. محمد علي البار، (مستشار مركز الملك فهد للأبحاث الطبية، كلية الطب، جامعة الملك عبدالعزيز بجدة)، الأمراض الجنسية.. أسبابها وعلاجها، الطبعة الرابعة، (جدة، السعودية: دار المنارة، ١٩٨٧م).

وتختلف الأمراض الفيروسية في درجة انتشارها وفي أنواعها المختلفة من بلد إلى آخر، ومن منطقة إلى أخرى، بل ومن وقت إلى آخر في نفس البلد. لقد كان تعريف الأمراض التناسلية أو الزهرية (V. D.) منذ عام ١٩١٧م وحتى هذه اللحظة يتركز حول الأمراض الآتية: السيلان، الزهري، القرحة الرخوة، الالتهاب البلغمي التناسلي، الورم المغبني الحبيبي.

ويفرض القانون في البلاد الغربية وبعض البلاد التي كانت مستعمرة للغرب أن يبلِّغ الطبيب عن هذه الأمراض للجهات الصحية المسؤولة، كما يفرض على المريض أن يتداوى، ويفرض عليه أيضاً أن يُبلِّغ عمَّن اتصل بهم وبهنَّ جنسياً حتى يتم التعرف عليهم ومعالجتهم.

ومنذ الستينيات من هذا القرن، بدأ التحول في مفهوم الأمراض الزهرية (V. D.)، وبدأ استخدام اسم الأمراض الجنسية بدلاً عن الأمراض الزهرية أو التناسلية، على اعتبار أن اسم الأمراض الزهرية (V. D.) قد ارتبط في الأذهان بنوعية من الحقارة والامتهان وشعور بالذنب، مما جعل كثيراً من المرضى المصابين بهذه الأمراض يتجنبون هذه العيادات المسماة بهذا الاسم.

وألحقت في معظم المستشفيات في الغرب عيادات الأمراض الزهرية بوحدات أمراض الجهاز البولي والتناسلي، وأشيع استعمال اسم الأمراض الناتجة عن الجنس Sexually Transmitted Diseases .

ولم تعد الأمراض الجنسية مقتصرة على الأمراض الخمسة السابقة، فقد ظهرت إلى السطح أمراض جديدة لم تكن معهودة من قبل، أو أمراض كانت معلومة، ولكن الحالات التي تُصاب بها قليلة جداً، ومن هذه الأمراض[1]:

- مرض فقدان المناعة «الإيدز».
- مرض التهاب الكبد الفيروسي.
- مرض «الهربس» التناسلي.
- مرض التهاب مجرى البول من غير السيلان N.G.U، والذي يسببه عادة ميكروب الكلاميديا أو ميكروب الميكوبلازما.
- مرض «ثآليل التناسل» (Genital Warts).
- مرض جرب التناسل وقمل العانة.
- مرض الترايكومونس الذي يسببه طفيلي وحيد الخلية من السوطيات.
- مرض الكانديدا الذي يسببه فطر الكانديدا.
- ميكروبات سخية من فصيلة Streptococci B.
- ميكروبات هيموفيليس المهبلية Haemo Philus Vaginalis .

(١) ماندل ودوجلاس وبينت، الأمراض المعدية (The Principals and Practice of Infectious Diseases)، ١٩٧٩م.

ولا يزال الطب يرى جديداً كل يوم، والقائمة تتسع لتضيف ميكروبات لم تكن معهودة من قبل.

ويشير الأطباء إلى أن الميكروبات التي تسبب الأمراض الجنسية تنتقل من الفم (اللعاب) والجماع والقناة الشرجية ونقل الدم أو تعاطي المخدرات بحقن غير معقمة.

كل هذه الأمور الغريبة والشاذة تحصل بسبب فقدان القيم الأخلاقية، وفقدان الروابط الاجتماعية، وموجة الإباحية والتحلل. ويذكر السير هنري يلوليز Sir Henry Yellowlees في مؤتمر الأمراض الجنسية المنعقدة في لندن: «لقد سجلت معظم أقطار العالم زيادة كبيرة في الأمراض الجنسية، وخاصة أن معظم المصابين من صغار السن والشباب.

وكل هذا يتناقض ظاهرياً مع تقدمنا الطبي الباهر، وزيادة معرفتنا بهذه الأمراض، وزيادة مقدرتنا على مداواتها. ويرجع السبب في ذلك إلى **تغير أخلاقيات المجتمعات**، وإلى وجود مجتمعات جديدة بأخلاقيات مختلفة، وإلى زيادة الانتقال والسفر من أجل العمل أو المتعة»[(١)].

وقد اهتمت أيضاً منظمة الصحة العالمية WHO بالأمراض الجنسية وعقدت عدة مؤتمرات عالمية حول هذا الموضوع.

---

(١) يونيو ١٩٧٥م.

ويقول الدكتور شوفيلد Schofeild في كتابه الأمراض الجنسية (الطبعة الثالثة): إن الأمراض الجنسية هي أكثر الأمراض الوبائية انتشاراً في العالم اليوم، وعدد الحالات يزداد عاماً بعد عام باضطراد رغم التقدم الطبي الهائل في مجال التشخيص والعلاج.

الفئات التي تُصاب بالإيدز:

تختلف الفئات التي تُصاب بالإيدز من بلد إلى آخر، ففي الولايات المتحدة وأوروبا يتصدر الشاذون جنسياً القائمة، حيث يشكلون أكثر من ٧٠٪ من المصابين. بينما نجد في إفريقيا الوسطى وزائير وما حولها أن المصابين أساساً هم من الزناة الذين ينتقلون من أحضان بغي إلى أخرى، وأن البغايا هُنَّ المصدر الأساسي لهذا المرض. وأن الإصابات تكاد تقتصر على هاتين الفئتين (الزناة والعاهرات). والإصابات الناتجة عن الحقن الوريدية تقدر بـ ١٧٪، بينما نجد أن الإصابات القليلة التي نتجت عن نقل الدم فتقدر بـ ٤٪.

ولنتذكر قول رسول الله ﷺ: «**لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يعلنوا بها، إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن مضت في أسلافهم الذين مضوا**»[١].

---

(١) أخرجه الحاكم والبزار وابن ماجة.

وأخيراً.. اقرأ هذه المقولة لأحد المصابين بالإيدز:

«إنك لا تعيش آلام الإيدز فقط، ولكنك تعيش منبوذاً من المجتمع، وحتى إذا مت فإنهم يرفضون تجهيز جثتك. ولا شيء يجعلك تشعر بالتعاسة أكثر من هذا»[١].

* * *

(١) فيليب لانزراتا، نقلاً عن التايم الأمريكي، عدد ٤ يوليو ١٩٨٣م.

بين منظومة الأخلاق ومنظومة الدِّين

إنَّ القرآن الكريم يضم أحد الأوعية الشاملة للأخلاق العملية، وقد سبق للإمام «الغزالي» أنه قام بجهد متميز في تصنيف آيات القرآن الكريم حسب الأخلاق العلمية، وقد جاء العالم الأزهري خريج السوربون «محمد عبدالله دراز» والذي كانت دراسته العليا حول «دستور الأخلاق في القرآن الكريم»، فأخذ يصنف الآيات القرآنية وفق الأخلاق العملية، فهناك «الأخلاق الفردية» والتي تنتظم فيها المفاهيم الخلقية الذاتية مثل صفاء الروح، والاستقامة، والعفة، والسيطرة على الشهوات، وكبت الغضب، والإخلاص، والوداعة، والتواضع، والتحفظ في إصدار الأحكام، والامتناع عن الشك، والمثابرة، والتحمّل، والاقتداء بالمثل الطيب... إلخ.

وهناك «التحريمات» التي تؤكدها الآيات التي تمنع الانتحار، وبتر الأعضاء أو تشويه الجسم، وتحرم الكذب، والنفاق، والبخل، والإسراف، والتفاخر، والتعالي، والحرص على متاع الدنيا، والحسد، والفسق،... إلخ.

ثم يورد الآيات التي تتصل «بالأخلاق العائلية»، ويصنفها تحت أقسام الواجبات نحو الآباء والأبناء، والواجبات نحو الزوج،

والواجبات نحو الأقارب، والميراث.. وتحت كل قسم هناك أقسام فرعية.

وهناك «الأخلاق الاجتماعية» مثل تحريم القتل، والسرقة، والاختلاس، والقرض بفائدة (الربا)، وتبديد مال اليتامى، والخيانة، ... إلخ.

وفي نفس الاتجاه الأمر برد الوديعة، وكتابة الدين، ومراعاة العهود، وشهادة الصدق، وإقرار الوئام بين الناس، والتعاطف مع الآخرين، والإحسان إلى الضعفاء، وتحرير الرقيق، ... إلخ.

وهناك الآيات التي تنظم «قواعد التأدب»، كالاستئذان قبل الدخول، وخفض الصوت، والمبادرة بالتحية، والرد على التحية بأحسن منها، وحسن الهندام، وحسن اختيار الحديث.

وهناك أيضاً «الأخلاق الخاصة بالدولة»، وفيه توجد الآيات التي توضح العلاقة بين الحاكم والمحكوم، والآيات التي تنظم العلاقات الخارجية... إلخ.

وفي مجال «الأخلاق الدينية» لدى الفرد نفسه التي تتحدث عن تنظيم واجبات الفرد نحو ربه سبحانه وتعالى.

وهكذا نرى أن «الواجب» يقوم على فكرة «القيمة» التي نستمدها من «مثل أعلى»، وأن العقل والوحي مظهران لتلك الحقيقة الأساس التي تعتبر المصدر الحقيقي «للإلزام الخلقي».

من جهةٍ أخرى . . لا مكان للأخلاق بدون عقيدة، والعقيدة هنا تتصل بالأخلاق ذاتها، ومعناها الإيمان بالحقيقة الأخلاقية كحقيقة قائمة بذاتها «تسمو» على الفرد، وتفرض نفسها عليه بغض النظر عن أهوائه ومصالحه ورغباته. غير أن موضوع هذه العقيدة يمكن تصوره بطريقتين مختلفتين: ففي حين أن «الملحد العقلاني» يقف نظره عند فكرة جامدة، أو عند مفهوم مجرّد، أو عند كيان أخرس لا حياة فيه، نجد أن المؤمن يتعرف في هذا النداء الداخلي على صوت «معبوده»، ويترجم في ثنايا قلبه الرسالة السماوية لخالقه. ونجده خلف الفكرة يلمح حقيقة حية ومؤثرة، ويشعر أنه مرتبط بها ارتباطاً عضوياً، ويستمد منها على الدوام القوة والنور، ويشعر نحوها بأعمق مشاعر الاحترام ممزوجة بأرق مشاعر الحب. هذه الشعلة العاطفية التي تحرك «إيمانه العقلي»، تغذي؛ في الوقت نفسه «طاقاته الخلاقة». وهو حين يتوقف أو يسقط لا ييأس، لأنه سيعاود الوقوف على قدميه ومتابعة المسيرة، معتمداً على تلك القوة الهائلة التي يستمد منها العون. وبذلك يمكن القول أن الأخلاق لا تجد مكاناً أكثر خصوبة، تزدهر فيه، من ضمير المؤمن.

ويمكن القول، حقيقة لا مجازاً، إن «الواجب مقدّس».

واستطراداً لما سبق، هناك موقف القرآن الكريم من عمل الإنسان ومقياس الحكم عليه . . إن موقفه في هذا المجال واضح ومحدّد كل التحديد، فما يهتم به ليس هو التنفيذ المادي للأمر، وإنما «النية

الكامنة وراء الفعل»، والمبدأ الذي يضعه القرآن الكريم كشرط للحكم على قيمة أعمالنا «التنزه المطلق»، بحيث يكون الهدف الوحيد للعمل هو ابتغاء وجه الله تعالى. إننا لا نجد فيه تعبيراً يقترح لنشاطنا غايات نفعية حتى ولو كانت مشروعة، فالتصرفات الحكيمة إذا كانت غايتها الذات، والإخلاص للآخرين. . ليست إلا إضافات لا تقوم بذاتها، وإنما بالاستناد إلى المبدأ الأول وهو العمل من أجل كسب رضا الله تعالى.

والحاسة الخُلُقية انبعاث داخلي فطري، وأن القانون الأخلاقي قد طُبع في النفس الإنسانية منذ نشأتها ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝﴾ [الشمس: ٧ - ٨]. والواقع أن الإنسان العادي يستطيع أن يميز - إلى حد ما - في كل ما يقوم به من أنواع السلوك، بين ما هو «خير» وما هو «شر»، وبين ما هو «محايد» لا ينفع ولا يضر، وذلك مثلما يميز في عالم المحسوس بين «الجميل» و«القبيح» و«المجرَّد» من كل تعبير. ولا يقتصر الأمر فقط على المعرفة، بل إن مظهر الفعل الحسن أو الفعل القبيح يثير فينا مشاعر جدّ مختلفة، فنمتدح بعض أنواع السلوك، ونستهجن بعضها الآخر.

غير أن هذا القانون الأخلاقي المطبوع فينا ناقص وغير كافٍ، ليس فقط لأن العادة، والوراثة، وأثر البيئة، والمصالح المباشرة تفسد نوازعنا التلقائية، وتلقي أنواعاً من الظلال على نور بصيرتنا الفطرية، وليس فقط لأن شواغل الحياة في الدنيا تستوعب الجزء

الأكبر من نشاطنا الواعي، بل إن ممارسة الأخلاق في أحسن الظروف الملائمة تواجه صعوبة أخرى رئيسة.. وهي أن الضمير إذا اقتصر على مصادره الفطرية وحدها، وجد نفسه عاجزاً - في غالب الأحيان - عن أن يقدم، «قاعدة» ذات طابع عام، تستأثر باعتراف الجميع. فإذا تجاوزنا حدّاً معيناً، نجد أن «اليقين» الأخلاقي قد ترك مكانه للاحتمالات والتردد والمتاهات.

وهذا هو السبب الذي من أجله بعث الله في الناس، من حين لآخر، نفوساً متميزة ملهمة بالوحي الرباني، وتستطيع على مدى التاريخ الإنساني أن تضطلع برسالة إيقاظ الضمائر، وإزالة الغشاوة عن النور الفطري الذي أودعه الله فينا.

وهذه النفوس المصطفاة، بتعاليمها الدقيقة التي تلقنها للناس، تعمل على حصر الاختلافات بينهم في أضيق نطاق ممكن، وخاصة بالنسبة لتقدير الحكم الأخلاقي. وهكذا يجد النور الفطري ما يكمله ويقويه من وحي النور الإلهي «نور على نور». غير أن هذا التعليم الإيجابي لا يلقى علينا كأمر تعسفي أو تحكمي مجرّد عن كل ما يبرره ويكسبه الصيغة الشرعية، بل نجده على العكس يقدم إلينا مدعماً بميزتين:

الأولى: فهو من ناحية يخاطب ضمائرنا ليحصل على موافقتها.

الثانية: يبرز المثل «الأعلى» في ذاته ليدعّم به شرعيته.

هاتان الميزتان شرط مزدوج وضروري لتأسيس مفهوم «القانون الأخلاقي»، ذلك أن القانون - أي قانون - إذا لم يحصل على موافقة الناس فإنه يظل غريباً عنهم ولا يعترفون به. مثل هذا القانون يستطيع أن «يرغمهم» ولكنه لا يستطيع أن «يلزمهم» أخلاقياً. ومن ناحية أخرى إذا لم تكن موافقتنا تقوم أساساً على «الحقيقة في ذاتها»، فإن القانون الذي نخضع له لا يكون إلا حالة «شخصية» أو «نسبية»؛ وكأننا بذلك نجري وراء ظل القانون.

من الاستطراد النظري السابق، يجمل بنا أن نتوقف لنوضح الآتي:

أولاً : **المنظومة الأخلاقية**، نجدها في جميع الحضارات، وقد كانت متفاوتة في الدرجة أو في الإلزام.. لكنها كانت قائمة. ويقول علماء الإنسانيات (الأنثروبولوجيا) أن جميع الحضارات قامت على قيم، وأن هذه القيم كانت تشكل الإطار العام لتعاملات الناس مع أنفسهم أو مع الدولة أو مع غيرهم.

فلا ينكر أحد أن الحضارة اليونانية - كما يقول العقاد - كانت تهتم بتكوين «الفرسان»، وتعمل على تحلّيهم بأخلاق الفرسان، من الشهامة والنجدة، وبتكوين الجسم الرياضي عامة، والتحلّي بمنظومة القيم الرياضية من التحمل والقوة وتسجيل المعدل القياسي في المباريات، كما أن الحضارة المصرية القديمة، كانت تركّز على العلم والمثابرة عليه،

والحرص على بلوغ الهدف تقرباً للفرعون، فضلاً عن نبوغها في مسائل الهندسة والفلك والتحنيط.

ويذكر «ابن خلدون» أن كل حضارة لها قيمها الخاصة بها.. فكرية أو فلسفية أو مادية، وأن كل حضارة دالت - يعني زالت - لأنها لم تعد مشغولة بأسس أخلاقياتها التي نشأت عليها. ولم يستثن من ذلك الأمة الإسلامية، التي ذكر أنها قامت على منظومة جامعة لكل الفضائل والخلال، ويوم أن تنكبت عن هذه السجايا فقدت قوتها.

ثانياً : أن الإسلام جاء يكمل المنظومة الأخلاقية التي قامت قبله، والتي كانت في حالة نقصان واضح.. خاصة في مسائل البعث والنشور والجزاء، وكذلك في مسائل العدل والرحمة... إلخ.

من هنا جاء الهادي «محمد بن عبدالله» ﷺ ليتمم هذه الخصال التي كانت بداياتها موجودة.

ثالثاً : ما زالت المدنية المعاصرة تحمل قيماً - هي من الإسلام - مثل قيمة الوقت، والعمل، وحب العمل والإتقان فيه، والمواعيد، والإبداع، والمهارة، وتسجيل الأعلى لصالح الفريق أو المجتمع، والعمل الجماعي، وحب الوطن، والدفاع عنه، والتطوع، والتبرّع، ومراعاة أصحاب ذوي العاهات والاحتياجات الخاصة مثل الذين لديهم إعاقات

سمعية أو بصرية أو تخلف ذهني، ورعاية الموهوبين أو الفائقين.

كل هذا نجده في المدنية الحديثة - وهي من صميم الدين الإسلامي - ولا غرو أن يكون ذلك امتداداً للحضارة الإسلامية الزاهرة التي كانت في يوم من الأيام هي المصدر الذي شع هذه القيم الإيجابية النافعة.

رابعاً : في مسائل الحث على الزواج، كان قول الرسول ﷺ واضحاً فيمن يرشح للزواج أن يكون من ذوي الخلق ومن ذوي الدين **«إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه»**، ورحم الله الشيخ محمد الغزالي عندما قال: «كم من مُتديّن خال من الرحمة، وكم من مُنتسب للإسلام يتكلم فيه وهو ينفّر الناس من الدِّين، وكم من هؤلاء من يضيّع الوفاء بالوعد. من هنا فلا بد أن يكون واضحاً هذه الفروق التي أسلفنا الحديث عنها.

خامساً: على الناس ألَّا تنخدع بالمظهر دون الجوهر، ولا تغتر بالشكل دون المخبر، وعليها أن تعي جيداً مقياس المعدن النفيس من غيره، والحكم على هذا المعدن أو ذاك.. هل صاحبته في سفر، أو عاملته بالدينار؟! أما أن يكون ممن يصلون فقط، فإن هذا غير كاف لمعرفة ذوي الأخلاق السامقة.

سادساً: إن مساحة الأخلاق في الإسلام واسعة جداً طالما أنها ذات

صلة بالنفع، وهي الإطار العام لكل عمل ناجع وناجح، والقاعدة المعروفة تقول: «حيثما تكون المصلحة فثم شرع الله»، لأن الدين جاء أصلاً لتحقيق المصلحة للناس جميعاً، فكل من يحقق هذا.. فعنده خصيصة من الأخلاق، والتي تبدأ من إفشاء السلام، وتنتهي عند الإيثار.

سابعاً: كل واجب يقابله حق، وهكذا منظومة الأخلاق، مجموعة من الحقوق تكافئ تماماً مجموعة الواجبات، لكي تكتمل دائرة التعامل البشري تحت هداية السماء.

ولكن منظومة الدين بها واجبات وتكاليف يقابلها جزاء وحساب، ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾ [النجم: ٣٩] ، ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾﴾ [الزلزلة: ٧-٨] ، والترابط قائم بين المنظومتين، لأن القاسم المشترك فيها تلك الكمالات الخُلُقية التي بها تعمر الحياة.

لكن هناك فرق آخر.. وهو أن الإتيان بهذه الأخلاق في منظومة الدين يكون الأصل فيها الإخلاص لله تعالى، وليس خوفاً من قانون أو لائحة أو دستور، إنما الخوف من الله تعالى، والرجاء في عفوه سبحانه وتعالى، والطمع في ثوابه سبحانه وتعالى.. أي أن الأخلاق هنا موجهة أو مقيدة بالإسلام.. بإسلام المرء نفسه كلية لله تعالى، وذلك يكون العمل مقبولاً إذا توفر هذا الركن مع السير والاتباع على هدي الرسول محمد ﷺ.

الفصل الرابع
التربية الجمالية في الأسرة

١ - التربية الجمالية وأهميتها.

٢ - دورة الوسائط التربوية في التربية الجمالية .

التربية الجمالية وأهميتها

تعريف التربية الجمالية:

إن التربية الجمالية ما هي إلا تربية الإنسان على الإبداع، وتربية النفس البشرية على الجمال تدخل الإنسان إلى عالم الحرية والمتعة، وهي بذلك تختلف عن التربية الأخلاقية والدينية التي تدخل ضمن عالم الوجوب والإلزام والتكليف والنواهي. لذلك فقد أقرن العلماء مثل «سانتيانا» التربية الجمالية بالعمل الفني، بينما التربية الأخلاقية بالعقل والأخلاق التي يدخل بها الجد والمشقة.

وبذلك يكون التذوق الجمالي ليس مجرد إدراك حسي، وإنما هو إدراك للقيمة الجمالية الذي يكون ثابتاً وغير متغير مثل الإدراك الحسي، ومن خلال تربية الإنسان على التربية الجمالية والتذوق الجمالي نقيّم الحياة الأخلاقية على مبدأ الكمال الذي يتحقق من خلال تحقيق التوافق الذاتي مع الطبيعة والأفعال الإيجابية.

الجمال هو الحُسن والصفات المقبولة التي تتفاوت معاييرها من شخصٍ إلى آخر، ومن مجتمع وبيئة إلى أخرى، فكل فرد له أفكاره ومبادئه الخاصة التي على أساسها يقيم الجمال ونسبته. والجمال هو الإحساس الذي يظهر عندما يبلغ الشيء قدراً من الإتقان والكمال.

والجمال يدخل السرور إلى النفس البشرية، كما إنه يبعث وعوداً بالسعادة إلى الناظر إليه.. فقط من الإدراك الحسي له.

ويعود الشعور بالجمال إلى الآراء الشخصية والمقارنات الخاصة بكل فرد وانتماءاته وأذواقه واهتماماته ونظرته إلى نسبة الجمال، فما نعتبره جميلاً قد لا يكون كذلك في المجتمعات الأخرى أو عند الأجيال السابقة أو الأصغر سناً. فكل فرد له منظوره الخاص به عن الجمال فيقيمه حسب تفسيره وشعوره وتحليله وحاجاته واستماعه وتأثيره عليه.

ومن منطلق اهتمام العلماء بالجمال فقد نشأ عند الفلاسفة فرع يُسَمَّى «علم الجمال»، وعند علماء النفس فرع آخر يطلق عليه «سيكولوجية الجمال» أو «الاستاطيقا»، وهي كلمة يونانية تعني الإحساس، وتدرس مدى تأثير الجمال على النفس البشرية والأحاسيس والمشاعر.

وقد عرف معجم «وبستر» الجمال على أنه «المجال الذي تعامل مع وصف الظواهر الفنية والخبرة الجمالية وتفسيرها». وقد ربط كثير من العلماء الجمال بالمعرفة والندرة والإبداع والحيوية وخصوصاً بالخيال والقدسية واستخدام الإشارات والانبهار والدهشة.

وقد أكد الفيلسوف «كانت» والذي يعتبر مؤسس «علم الجمال» في كتابه «نقد مملكة الحكم» على أن الجمال لا يكون إلا إذا ارتبط الشكل بالمضمون، كما أنه يؤمن بثنائية العقل والإحساس لتحديد

جمالية الأشياء، فالعقل لا يدرك جمال الأشياء إلا إذا تعاون مع الأحاسيس لإدراك الواقع الجميل للأشياء. والجمال شيء محبب للإنسان المؤمن، وبإدراكنا للجمال ندرك جمال خالق الكون ومبدعه، فالجمال رحمة من الله سبحانه وتعالى، ومن الممكن تنمية هذه الرحمة عن طريق التعرض للجمال وإدراكه في المخلوقات الطبيعية التي خلقها الله سبحانه وتعالى، والمواقف التي يتعرض لها الإنسان.

إن المتفكر في جمال المخلوقات والطبيعة، يتأمل الإبداع الكوني للواحد الأحد سبحانه وتعالى، ومنها ندرك جمال الصانع والخالق سبحانه الذي تعجز كل العقول عن الإتيان بمثل صنعه، والتأمل في صنع الخالق متعة وباب من أبواب المعرفة الإلهية والكونية: ﴿ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَـٰذَا بَـٰطِلًا سُبْحَـٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [آل عمران : ١٩١]، وتسهم هذه المواقف في تعلم الفرد أصول الحياة، وطرق التعامل مع الأفراد في البيئة التي ينتمي إليها وذلك عن طريق التأمل الذي يدفع إلى الأمل، ومن ثم التحسين والوصول إلى الحق.

أهمية التربية الجمالية:

التربية الجمالية ما هي إلا تربية النفس البشرية على تحقيق توازن

للشخصية من جميع جوانبها العقلية والجسدية والانفعالية والاجتماعية والوجدانية في إدراك جمال الكون، ومن ثم إدراك جمال خالق هذا الكون ورحمته. إن الوراثة والطبيعة لا تهب التربية الجمالية للإنسان، بل هي تتكون من مسيرة الفرد الحياتية، وما يتعرض له ويكتسبه خلال حياته. فالتربية الجمالية هي تربية الذوق وبلورة علاقته بالبيئة المحيطة به. وإن تربية الطفل على القدرة على إثارة خياله وإبداعه وتحفيز التفكير لديه، مع تعزيز وجدانه وربطه بالمجتمع الذي ينتمي إليه، وتعاطفه مع أفراده المحيطين به، وتصوره لصور مختلفة من التعاون والتفاعل معهم، يصل به إلى ابتكار أنماط سلوكية صحيحة وجميلة في التعامل مع نفسه ومع أفراد أسرته ومجتمعه.

وبما أن الإنسان هو المخلوق الوحيد على وجه الأرض الذي تقع على عاتقه مسؤولية إثبات إنسانيته بخلاف المخلوقات الأخرى كالحيوانات، وذلك من خلال تصرفاته وتحركاته وردات فعله تجاه المواقف المختلفة التي تصادفه ويتعرض لها خلال حياته، من هذا المنطلق.. فإن الإنسان يجب أن يتعرض للتربية الجمالية منذ الصغر ليقترب من جوهر الإنسان، ويرتقى اجتماعياً ويقدر الإرث الثقافي والاجتماعي، الاقتصادي والجمالي الذي حصل عليه من مجتمعه.

إن للتربية الجمالية دوراً كبيراً في تنمية العديد من النواحي لدى الطفل، نذكر منها:

١ - استثارة الدهشة لدى الطفل وتحفيز اكتشاف المجهول لديه.

٢ - تحقيق التربية الوجدانية للسمو بالروح لاستيعاب القيم الإنسانية، واكتساب الفضائل، وإحياء الخير.

٣ - تنمية الحس الجمالي وتطوير المشاعر والحاجات الثقافية.

٤ - تربية الحواس وما يتبعها من ملمس ورؤية ومسمع وتذوق وشم.

٥ - التعود على التعبير عن الانفعالات والمواقف.

٦ - التعود على الهدوء النفسي وما يترتب عليه من راحة نفسية وحياة مفعمة بالحيوية.

٧ - إدراك الجمال عن طريق التعامل مع الألوان والأشكال والأحجام المختلفة في الطبيعة.

٨ - التعرف على الأنواع المختلفة للفن لرفع مستوى التذوق الجمالي والثقافة الجمالية.

٩ - تنمية قوة الملاحظ والإبداع.

١٠- توظيف عالم الخيال في التعبير والتذوق الجمالي والفني.

١١- تنمية التعبير عن الانفعالات والمواقف والأفكار بطريقة ايجابية محببة للنفس البشرية، والابتعاد عن العنف اللفظي والجسدي.

إن الجمال غير قادر على حل المشاكل، ولكنه يساعد النفس البشرية على التغلب على الأزمات النفسية، والصراعات اليومية،

التي يعانيها الفرد فيشعر بالأمل والتفاؤل والتمسك بالحياة المليئة بالجمال، إنَّ الجمال لا يمكن أن نجده إلا في عالم العقيدة والإيمان والأخلاق الحميدة. والإنسان منذ ولادته يحكم على الأشياء من الناحية الأخلاقية، فيحدد حسب مفهومه ومنظوره للشيء.. الخير من الشر، والحسن من القبيح، والضار من النافع، وهذا الذي يجعل الإنسان يستحق وصف كائن أخلاقي.

كما أن التربية الجمالية تسهم في إغناء الإنسان بالآتي:

١ - إغناء الفكر والنفس بالأحاسيس وتهذيبها.

٢ - تعليم وإدخال المشاعر النبيلة إلى حياة الإنسان.

٣ - إيجاد التوازن في الشخصية.

٤ - إشباع الحاجات العاطفية

٥ - مقارنة المواقف الحياتية للاقتناع بقيمة ما نملك من جمال وأخلاق.

٦ - الإحساس بالثقة والتفاؤل.

الفنون والتربية الجمالية:

تسهم التربية الجمالية في إكساب الطفل المهارات الفنية والجمالية المختلفة، على سبيل المثال الرسم والتمثيل.. وبقية الفنون، إذ أن للفنون دور في تطبيق التربية الجمالية، والتي ذكرها أفلاطون على أن

لها قدرة هائلة في تكوين وتشكيل الشخصية، كما أشاد «ابن رشد» بدور الفنون بتثقيف النفس وتمرينها على الفضائل الخلقية. ففي تعلم بعض الفنون يمر الفرد بعدة مراحل يتم بها اكتشاف المتعة في المحاولة لاجتياز الصعوبات لإتقان العمل الممتع، وبذلك يكون التعامل مع التفاصيل والتركيب والارتجال والاستماع والتواصل غير اللفظي.

كما تعمل الفنون على تنمية قدرة الطفل على التعبير الفني وربطه ببيئته عن طريق ممارسة ألوان من الفنون الشعبية، ويتعلم اللغة تعليماً سليماً بترديد الأغاني والأناشيد خاصة في مجال النطق. ويربط الخبرات المقررة عليه في السنة الدراسية بمادة التربية الفنية ومحاولة التعليم عن طريق اللعب والاستمتاع، والتنمية وروح المشاركة الجماعية مع إمكانية اكتشاف ذوي الاستعدادات والميول الفنية ورعايتهم، مع عدم إغفال تنمية الشعور الديني، وتعميق القيم والمبادئ الإسلامية، وترديد الأناشيد الدينية والوطنية باستمرار، وفي المناسبات الخاصة.

دور الرسم في تعزيز التربية الجمالية:

ولا نغفل دور الرسم الكبير في تطوير شخصية الطفل وتنمية الناحية الجمالية لديه. فمنها يتعلم الأطفال تنمية القدرة البصرية، وتذوق العلاقات الجمالية، مع إتاحة الفرصة للإبداع والابتكار دون

اللجوء للتقليد والنقل والتقيد، كما تتم توعيتهم بالبيئة المحيطة بهم، ويكون ذلك ممكنا بمراعاة توفير الخامات والأدوات، وطرق تقديمها وعرضها، مع معرفة كيفية توجيه الطفل في اختياراته الجمالية، ومعرفة المهارات الفنية كخلط الألوان والتعبير عن الطبيعة والأضواء والظلال. وينبغي مراعاة العوامل الآتية:

* الفروق الفردية.
* الاندماج مع المجموعة للابتعاد عن الأنانية.
* عدم التدخل أو النقد السلبي لأعمالهم.
* إتاحة الفرصة للاكتشاف واكتساب الخبرات والتجريب.
* محاولة إدخال التكنولوجيا المتطورة في تذوق الناحية الفنية والجمالية مع مراعاة العادات والقيم الخاصة بالمجتمع.
* توجيه الأطفال نحو التعبير.
* إتاحة الفرصة لتوظيف خيال الطفل.

دور التمثيل واللعب الإيهامي في تنمية التربية الجمالية:

التمثيل واللعب الإيهامي أو الخيالي أو التصوري هو من أقوى الألعاب التي تساعد الطفل على النمو اللغوي والعقلي، مع تميزه بالإمتاع والمساهمة في الإعداد للحياة. إضافة إلى كونه مسرحاً يخضع لمجموعة من المبادئ والأنشطة الفنية والإيقاعية وفق مناهج ديناميكية هادفة، وهي أنشطة تستمد أهميتها من تنوعها وتغاير

مستوياتها، أبرزها اللعب، تشخيص وتقمص الأدوار، والارتجال، ومسرح الدمى المتحركة والعرائس وخيال الظل وتقنيات الحكاية[1].

ويُسهم التمثيل واللعب الإيهامي في:

* تكوين العلاقات بين الأطفال.
* تنمية الإحساس بأهمية القوانين في المجتمع.
* تعديل السلوك الخاطئ لدى الأطفال.
* تخفيف العبء عن الأهل في شرح النقاط المهمة والصعبة في الحياة، فالطفل من خلال اللعب والتمثيل وبتدخل بسيط من الأهل وفي الوقت المناسب قد ينمو لديه مفهوم معين يعينه على الاندماج في المجتمع بطريقة أفضل وأسهل.
* إعطاء الطفل الفرصة للتجربة واختبار عدة محاولات ومواقف.
* إسقاط المشكلات والهموم والأحزان عوضاً عن كتبها والتعرض للضغوط النفسية.
* تقمص الشخصيات المختلفة والتي يعتبرها عظيمة وذا معنى كبير لديه.
* اكتساب الطفل القدرة على انتظار الدور واحترام المشاركة.
* تعريف الطفل بأدوار الأفراد في المجتمع.

---

(١) (الخوالدة ، والترتوري، ٢٠٠٦م).

دور اللّغة التشكيلية في تعزيز التربية الجمالية (مجال الخطوط والألوان):

إن اللغة التشكيلية لها دور فعال في تعزيز التربية الجمالية، وذلك لأن الفن الحديث يتحدث عن مضمون نفسه، فاللوحات التشكيلية خطاً أو رسماً. تعطي ناظرها صدمة جمالية تُلجم اللسان عن البحث عن المعنى فيما تراه، وتترك البراءة تنظر لهذا الفن لتتعلم منه فن الجمال. والإنسان الذي يستخدم لغة الخط واللون في التعبير عن نفسه هو إنسان حر في الجوهر والفكر والفعل، وهذه الحرية دافع له للوجود والإبداع ومعرفة حقوقه وواجباته تجاه فنه وأدبه وتذوقه للمناظر الجميلة التي يعبر عنها.

التربية الجمالية ومرحلة صياغة الطفل:

إن أول ركيزة في غرس التربية الجمالية تكمن في تكوين الوعي الأخلاقي وحب الخير والصدق والجمال والقيم المطلقة، والابتعاد عن المراءاة، والتعود على العادات المرغوبة. ولضمان سلوك أخلاقي يتمتع بالتربية الجمالية، يجب عدم تلقين الأطفال كيفية التصرف بطريقة حسنة ولبقة بدون استيعاب المعنى أو المغزى. فمن الضروري تعليم الطفل بأن سلوكه الأخلاقي الجميل والصحيح سيصحبه إلى التمتع بأخلاقيات جميلة وسوية تدمجه مع المجتمع، وتشعره بالرضا عن النفس، ويكون ذلك مع الاهتمام بالجوانب الآتية:

١ - الاهتمام بدوافع الطفل وميوله الداخلية واهتماماته عند تهذيب الطباع، والتدريب على الطاعة وتكوين العادات.

٢ - إدماج الطفل في الجماعة، سواء باللعب، أو المحادثة، أو العمل الجماعي، لما له من مردود نفسي جيد، يمكنه من الإحساس بالرضا عن النفس، وحب عمل الخير، ومن ثم القدرة على التعاون، والتضامن والصداقة.

٣ - إكساب الطفل اللغة، والتي هي المرجع الأساسي التي تمكنه من التعبير عن الذات، والتصريح بمكنونات نفسه، وكذلك بإبداء الرأي والاستماع للنصيحة.

٤ - احترام شخصية الطفل، مما يغرس به شخصية عطوفة ورقيقة وواثقة من نفسها، وقادرة على التعامل مع الآخرين.

٥ - تقوية ملكة الإدراك، والقدرة على الملاحظة للمثاليات المحيطة بالطفل، عن طريق التأمل، واستخدام النقد البناء.

مرحلة ما بعد صياغة الطفل:

إذا تم إكساب الطفل السلوكيات المطلوبة السابقة لتكوين شخصية سوية قادرة على الاندماج مع أفراد الأسرة والمجتمع، فإن سمات وشخصية الطفل تبدأ بالبحث عن الجمال الداخلي للصفات والشخصية، وكذلك الجمال الخارجي المحيط به والمتمثل بالبيئة، وهذا يكون انطلاقاً من أهمية العوامل التهذيبية التي يتم توجيهها

من قبل الكبار المحيطين بالأطفال، ويراعى في ذلك:

* سن الطفل
* الاحتياجات والاهتمامات الخاصة بالطفل
* القيم التربوية المحيطة بالطفل
* الميول الشخصية للطفل الفرد
* التطورات النفسية للطفل
* الفروق الفردية

وتكمن التربية الجمالية ورعايتها في تربية الطفل على عدة أمور تهذب النفس البشرية، وتضفي عليها الناحية الأخلاقية وثقافة المجتمع الذي ينتمي إليه، ومنها:

أ - التربية على الصدق:

إن تعويد الطفل على الصدق يُنَمِّى لديه جمالية التعبير عن الأحاسيس والأفكار والتذوق الجمالي والسمو الأخلاقي للتصرفات والتعامل مع الآخرين.

ب - التربية على الاستقلال:

إن التعبير عن الرأي والمبادرة بعمل أو اكتشاف شيء أو لعبة أو محسوس من البيئة يشجع الطفل على الاستقلالية والقدرة على اكتساب المعلومات بإيجابية، ودون ضغوط أو نواهي. كما أن

إتاحة الفرصة للتعبير عن الانفعالات والمشاعر تسهم في تكوين الشخصية وتعزيز القدرة على الملاحظة والرؤية الدقيقة والنقد والتذوق الفني الهادف، والقدرة على التفكير والتأمل في بديع صنع الله[1].

ج - تربية وتهذيب انفعالات وعاطفة الطفل

ليس الجمال بمئزر فاعلم وإن رديت بردا

إن الجمال محاسن ومناقب أورثن حمدا

إذا تم تدريب الطفل على تذوق التربية الجمالية وتطبيقها في حياته اليومية، فإنها تسهم في ترشيد انفعالات الطفل، وانتقاء التصرفات الحميدة المدروسة التي تتماشى مع رغبات المحيطين، دون الشعور بالإحباط أو عدم الرضا.

ومن العناصر التي تؤثر في ترشيد انفعال الطفل باستخدام التربية الجمالية:

١ - **البيئة المحيطة بالطفل.**

٢ - **البيئة الاجتماعية.**

٣ - **جنس وعمر الطفل.**

(١) الخوالدة، والترتوري، ٢٠٠٦م.

د - التربية على تقدير الحس الأخلاقي

إن التربية الجمالية تكتمل حبيبات عقودها عند تعويد الطفل على الحس الأخلاقي، ويتحقق ذلك باستمرار جمال البيئة المحيطة بالطفل بما تزخر به من ثقافة وطبيعة وعادات وتقاليد ومواهب مكتسبة وحاجات مشبعة من قبل المحيطين به. إن تشجيع الطفل عند ممارسة أو اكتساب خلق جميل أو عادة سلوكية محببة أو مرغوبة لها التأثير القوي والفعَّال في تقدير الطفل لنفسه، وبالتالي محاولة إعادة الخبرة أو اكتساب خبرة مماثلة رغبة منه بالوصول إلى الإحساس بالمتعة والكمال الذاتي.

هـ - التربية الجمالية والأخلاق الإسلامية

إن التأمل في مخلوقات الله تهذب النفس البشرية، وتعودها على شكر النعم، والإحساس بالجمال الإلهي. والفضائل الأخلاقية جمالٌ كلها، كما أنّ الرذائل الأخلاقية قبحٌ كلّها، فالتحلي بأية مكرمة أخلاقية هو زينة أبدية يتقلَّدها الإنسان في الدار الدّنيا، ويأتي مقلَّداً بها في اليوم الآخر أيضاً، ولأنّ الجمال الظاهري أمر نسبيّ، لكنّ الأمم لا تختلف في أنّ الجمال يكمن في الحبّ، والعفو، والعفّة، والمعروف، والخير، والحقّ، والتعاون، والكرم، والشجاعة، والتواضع، والإحسان.

كما أنّها لا تختلف في أنّ القبح يكمن في الكذب، والسرقة،

والاعتداء على الشرف، والتكبّر والتجبّر، والعدوان، والتلاعب بالقانون ومخالفة الأنظمة، وعقوق الوالدين، والغش.

لقد هدف الإسلام إلى تربية المسلم تربية جمالية تم ذكرها في القرآن الكريم، وفي أحاديث الرسول ﷺ، وكذلك في سيرة الصحابة رضي الله عنهم.

نقرأ في سورة ق: ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا﴾ [ق: ٦] ثم أضاف ﴿وَزَيَّنَّٰهَا﴾ فيقول: ﴿بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ﴾، وهذا مظهر آخر من مظاهر جمالها أنه ليس فيها **فروج**، أي ليس فيها ثغرات، وليس فيها فتحات وشقوق. ﴿وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ﴾ [ق: ٧]، والشيء **البهيج**، أي الشيء الجميل الذي إذا رآه الناظر والمتأمل أُدْخِلَ عليه البهجة والسرور.

والحديث هنا عن جنّات الدنيا، والمقصود بوصفها أنها جنّات هو لفت النظر إلى جمالها، فالجنّات عادة وصف يراد به إظهار جمال الشيء، وجمال الطبيعة، وجمال البساتين.

﴿وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَٰتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ۝١٠﴾ [ق: ١٠]، هذه كلها أوصاف جمالية لأن النخل باسقات، ولها طلع نضيد، هذا ليس حديثاً عن الثمار، وعن الأكل والشرب والرزق الذي نأخذه من النخيل، ولكنه يصفها وصفاً يبرز معالم جمالها.

وتقدّم لنا الأحاديث الشريفة هي الأخرى تربية جمالية واسعة، فالأحاديث التي تحث على ترتيب الشعر وتقليم الأظافر ووضع الطيب وتجنّب الروائح الكريهة لأنّها تخدش حاسّة الشم، وتنهي عن الأكل أو الشرب في الإناء المكسور، وتدعوا إلى النظافة والوضوء والغسل حتّى لا نخدش حاسّة النظر، وقد جاء في الأثر:

- تبسّمك في وجه أخيك صدقة.
- جمالُ الرجل حِلمُه.
- جمالُ الرّجل الوقار.
- جمالُ المؤمن ورعه.
- جمالُ العبد الطاعة.
- جمالُ الحرّ تجنّب العار.
- جمالُ الغني القناعة.
- جمالُ الإحسان ترك الامتنان.
- جمالُ المعروف إتمامه.
- جمالُ العالم عمله بعلمه.
- جمالُ العلم نشره.
- لا جمال أحسن من العقل.
- صورة المرأة في وجهها.
- صورة الرجل في منطقه.

- جمال اللباس لباس التقوى.
- ويتمثل الجمال في نوعين، الجمال الظاهر الذي يظهر في حسن الطلعة والنظافة والأناقة والزينة، وجمال الباطن الذي يتجلّى في حسن السمت وهو الوقار وطلاقة الوجه وجمال البيان ورجاحة العقل والأخلاق الفاضلة الحميدة، أي أن هناك جمالين: **جمالاً مادياً حسّياً، وجمالاً روحياً معنوياً**.

ولذا.. نرى أن الجميل الذي يتصف بالأخلاق الحميدة يحاول أن يضيف إلى رصيده رصيداً لا ينفد من حسن خُلق، وحسن عمل، وحسن عقل، وحسن تصرّف وحسن معاشرة، وحسن أمومة أو أبوة، وقد كان الرسول الكريم ﷺ يدعو ربه «**اللَّهُمَّ كما حسنت خَلْقي فحسّن خُلُقي**»،[1] ولأن النفس البشرية أدركت أنّ الجمال الحقيقي هو سحر الشخصية وجاذبيتها لا السطح الظاهر منها.

* * *

(١) فتح الباري (١٠/٤٥٦)، والدر المنثور (٢/٧٣)، وإتحاف السادة المتقين (٥/١١٣)، وكنز العمال (٥١٩٧).

دور الوسائط التربوية في التربية الجمالية

دور الفرد في تنمية التربية الجمالية لديه:

إن القدرة على الاستفادة من الخبرة الثقافية المكتسبة، تحتاج إلى مهارة ترجمة النصائح والمواعظ إلى مواقف سلوكية وتربوية، تظهر مدى اكتساب الفرد للتربية الجمالية، ومدى قدرته على تطبيقها واستخدامها وتنفيذها والتعبير عنها في المواقف الحياتية المختلفة. مع أن التجارب التي يمر بها الفرد يكون بها الكثير من المتناقضات، تتنوع بين سارة ومحزنة، ومخيفة ومريحة، وسلبية وإيجابية، وطويلة أو قصيرة مدى التأثير.. إلا أن لها تأثيراً في حياة الفرد، ولا يمكن أن تمر بدون ترك أثر في تصرفاته أو سلوكياته، والتعبير عن هذه المؤثرات من خلال التصرفات سواء كانت إيجابية أو سلبية.

وتقع على عاتق الشخص السويّ تنمية سلوكياته ليتماشى مع جماليات التربية المرغوبة والمحببة في مجتمعه. وبما أن التربية الجمالية هي شيء مكتسب وليس موروثاً، فإن الفرد يستطيع تنمية التربية الجمالية لديه بجوانب عدة نذكر منها:

* إثراء اللاشعور بالمواقف الإيجابية لضمان سلامة ردود الأفعال عند التعامل بمواقف مشابهه.

* أخذ العبرة والعظة من الدين الإسلامي، ودراسة جماليات التصرف عند الأنبياء عليهم السلام كافة، والرسول الكريم ﷺ خاصة، وكذلك الصحابة الكرام رضوان الله عليهم.
* تنمية العواطف الإيجابية في التعامل مع العلاقات الإنسانية.

دور الأسرة في تنمية التربية الجمالية لدى الطفل:

إن الأسرة هي أساس وجود الطفل، وهي أول من يستقبله في مراحل حياته الأولى، وتمده بالحب والحنان والعطف والرعاية، وتحاول أن توفر له جميع مقومات الراحة والسعادة، بما في ذلك فرص اللعب المثمر المفيد، وكذلك التعرض للمواقف الحياتية المختلفة، لتكون الركيزة الأساسية التي من خلالها يكتسب الطفل عاداته وتقاليده وقيمه، التي يستطيع أن يتكيف بها مع المجتمع المحيط به. وبما أن الإنسان يُخلَق بفطرة سليمة، فإن الأسرة لها دور كبير في إكساب الطفل السلوك الأخلاقي المناسب والصالح، وتدريبه تدريباً طويلا عليه، مع استمرار المحاولة والتجربة، حتى يتكيف مع نفسه وبيئته، ويكوِّن الخبرة الصحيحة التي تصقل معرفته وتبدي أعماله ومهاراته على أنها متماشية مع المجتمع الذي ينتمي إليه.

وللأجداد قدرات جديرة بالاهتمام، وقدرات عالية في إدارة الحوار والاستماع والرد، ويرجع ذلك إلى وفرة الخبرة الحياتية والشخصية، والقدرة على استرجاع المعلومات في المواقف

المناسبة، لإسداء النصيحة التي تهذب وتربي الطفل حسب القيم الاجتماعية المرغوبة. من هذا كله يستطيع الطفل اكتساب الخبرات الجمالية في فن التعامل مع الكبار، واحترام آراءهم وأفكارهم، وكذلك الاستفادة من خبرتهم بالإضافة إلى[١]:

- زيادة الفهم.
- الاستعداد والإنصات.
- الاحترام.
- الحب تجاه كبار السن عامة وأجداده خاصة.
- سماع وتعلم القصص والأساطير والحكايات الشعبية.
- تقوية الملاحظة والاكتشاف.
- معرفة تاريخ وحياة الأجداد الشخصية للتحدث عنها بفخر واعتزاز.

وعند مراجعة أهداف تكوين الأسرة، نرى أنها تتكون في عدة أمور، نذكر منها[٢]:

- تنشئة طفل في بيت أقيم على تقوى الله فيقتدي بذلك، إذ يكتسب ويطبق تلك العادات التي يمارسها أبواه من خلال المعايشة اليومية، ومن ثم يقتنع بعقيدتهما الإسلامية حين يصبح واعياً ويقتدي بالأخلاقيات التي نشأ عليها.

---

(١) تشينكويتي، ١٩٩٥م.

(٢) النحلاوي، ١٩٩٦م.

- تحقيق السكن النفسي والطمأنينة، فالحق سبحانه وتعالى يقول: ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ [الروم:٢١]، وذلك لضمان العيش في جو صحي خال من القلق والعقد والأمراض النفسية التي تضعف شخصيته، وتسبب له الكثير من المشاكل.
- تلبية رغبة الرسول ﷺ بإكثار نسل المؤمنين ليباهي بنا الأمم يوم القيامة، في قوله ﷺ: «**تناكحوا.. تناسلوا.. فإني مباه بكم الأمم يوم القيامة**»[١].
- إشباع الحاجة إلى المحبة عند الأطفال، وذلك من خلال العطف عليهم ومداعبتهم، لضمان النشأة السليمة، والنمو النفسي والاجتماعي المتوازن.
- المحافظة على فطرة الطفل من الزلل، قال رسول الله ﷺ: «**ما نحل والد ولداً من نَحْلٍ أفضل من أدبٍ حسن**»[٢].

وحتى نضمن تربية جمالية وأخلاقية وإسلامية جيدة، يجب أن نعرف أن من أهم ركائز الأسرة التربوية الآتي[٣]:

١ - التربية الإيمانية، وما بها من تعليم الطفل:

---

(١) انظر الشفا للقاضي عياض (١/ ١٩٠)، ط. الفارابي، وكشف الخفاء ومزيل الإلباس فيما اشتهر على ألسنة الناس للعجلوني (١/ ٣٨٠).
(٢) رواه الترمذي (١٩٥٧)، وقال عنه: غريب.
(٣) الزحيلي، ١٤٢٠ هـ.

- توحيد الله وحبه وشكره على نعمه وأفضاله.
- تدريسه للقرآن الكريم نطقاً وحفظاً.
- حب الرسول ﷺ والإيمان بأنه خاتم الرسل، والاهتمام بسنته الشريفة، وحفظ ما تيسر من أحاديثه لينشأ الطفل نشأة سليمة.

٢ - التدريب على ممارسة العبادات، كصلاة وصيام.

٣ - ممارسة الرياضة وتقوية الأبدان.

٤ - التربية الخُلُقية، كالآداب الحميدة والأخلاق الإسلامية التي هي وعاء الدِّين «**الخُلُق وعاء الدِّين**»[١]، ومعاملة الناس بطريقة إسلامية تتسم بالرحمة والتسامح وحسن التعامل والصدق والصراحة في القول، والأمانة والحلم والأناة وعفة اللسان، وصفاء النفس من الأحقاد. قال عليه الصلاة والسلام: «**أكرموا أولادكم وأحسنوا أدبهم**»[٢]. وكذلك تدريب الأبناء على بر الوالدين واحترامهم، والأدب مع الأسرة، والإخوة والجيران والأصدقاء، ثم مع الناس، وذلك يسهم في تنمية مشاعر الطفل وتهذيب حواسه وعواطفه.

٥ - التربية الاجتماعية، أي التكيف مع الوسط الاجتماعي المحيط بالإنسان، سواء الصغار أو الكبار، أو الأصدقاء أو الجيران.

---

(١) كنز العمال (٥١٣٧).

(٢) رواه ابن ماجة (٣٦٧١).

فيكون لدى الولد الجرأة الأدبية لإثبات الذات دون خجل أو تردد.

٦ - التربية العاطفية، وتشمل معاملة الطفل بالرأفة والرحمة والمداعبة، والتقبيل، ومسح الرأس، وتقديم الهدايا، والبشاشة في الاستقبال والوداع، والعناية بالطفل مع الاعتدال في الحب والكره.

٧ - التربية العقلية، وزيادة المعرفة، وتكليفه بالأمور المنزلية، ووضع الحلول والاختيارات، وإرشاده إلى سبيل الرشد والهداية مع استخدام العقل والتفكير السليم.

٨ - التربية الجمالية، وذلك بالمحافظة على الجمال والزينة، والعناية بالأجسام والمنازل، ونظافة الشوارع والحدائق والمرافق العامة.

٩ - التربية الجنسية السليمة، مع تعويد الطفل على آداب الاستئذان في البيت وغيره، وعلى غض البصر، والتحذير من المخاطر والأخطار والمثيرات الجنسية، وصرف نشاط الولد وفراغه إلى الأعمال المفيدة، كالعلم والرياضة والسباحة والرماية وركوب الخيل، وكذلك التبكير بالزواج عصمة من الانحراف.

دور المدرسة في تنمية التربية الجمالية لدى الطفل:

للمدرسة دور كبير في العملية التعليمية والتربوية على حد سواء،

وعليها تقع مسؤولية تنمية الجوانب المختلفة في التربية الجمالية، مع عدم إغفال الفروق الفردية للأطفال، والمراحل العمرية، وإمكاناتهم التعبيرية، والقدرة على استخدام المفردات اللغوية، فضلًا عن الميول والاهتمامات والرغبة في التعلم.

ويتركز دور المدرسة في تعليم الطفل الناحية الجمالية بأداء الأدوار الآتية:

١ - تنمية قدرات الأطفال الإبداعية، ويكون ذلك بالسماح له بالاستكشاف والمحاولة والخطأ، دون استخدم أسلوب المعاقبة أو التوبيخ.

٢ - تنمية التذوق الجمالي من خلال الرحلات.

٣ - حثه على التحدث، وإبداء الرأي، والمقارنة، والدخول في مناقشات وحوارات دون التعرض للاستهزاء أو السخرية.

٤ - تنمية مستوى الثقافة الجمالية باستخدام أسلوب قصصي سليم ومبدع، مع الابتعاد عن قصص الخرافات والأساطير المؤذية لشخصيته، والتركيز على قصص البطولات والشخصيات المحببة التي تُنمي وتصقل السلوكيات المرغوب بها في المجتمع.

٥ - تنمية الوعي النقدي من خلال التذوق الفني، ومن خلال تنمية مجالات الجمال لدى الأطفال، وتقدير القيمة الجمالية للإنسانية

والطبيعة.

٦ - تنمية الإدراك والفهم الواعي للأشياء التي يراها الطفل ويتلمسها.

٧ - تنمية السلوك المبتكر، وفهم عملية الابتكار.

٨ - تشجيع الطفل على السلوكيات المرغوبة، مثل: الاستئذان، والتعاون، وحب العمل الجماعي، والمنافسة الشريفة، وكذلك المحافظة على النظافة الشخصية والعامة.

٩ - تشجيع أي سلوك سليم أو تربوي بغض النظر للنتائج النهائية.

١٠- تنمية الشعور بالرضا عن النفس والأداء والمهارات التي يمتلكها وطرق تطويرها.

١١- نشر السعادة والإثارة والشغف في بيئة الطفل التعليمية، لتكون عامل جاذب لتعلم السلوك التربوي المرغوب.

١٢- تشجيع الطفل على عمل لوحات جدارية، أو تزيين غرفة الفصل، أو أدوات ووسائل التعليم، لتعبر عن الحس الجمالي لديه.

١٣- تشجيع الطفل على التفكير والبحث والنضج وإدراك العلاقات، وتفجير الطاقات لبناء شخصيته.

١٤- تعهد ميول الأطفال وتوجيهها ورعايتها بما يتفق مع القيم السائدة والتقاليد المتعارف عليها، لخلق جماليات التعامل والتصرف السليم.

دور المجتمع في تنمية التربية الجمالية لدى الأفراد:

للمجتمع دور ريادي في تهذيب نظرة وتذوق الفرد للجمال إن كان على الصعيد الشخصي، أو نظرته للآخرين، أو المخلوقات الأخرى من مختلف الكائنات، وتقديره لها، والإحساس بجمالها، والعمل على حفظ هذا الجمال وتنميته وتذوقه، و محاولة الاستمتاع به إن كان باستخدام الحواس أو تملكه. ويجب تدريب الأفراد على احترام البيئة المحيطة بهم، من خلال المحافظة عليها وعلى قيمتها الجمالية.

إن بيئة الطفل تعتبر من المؤثرات المهمة في حياة الطفل، لأنها توفر لهم حاجاتهم الأساسية، وتساعدهم على النمو الطبيعي والاندماج مع الجماعة. وللطفل عدة بيئات ينتمي إليها مثل: الأسرة، والمدرسة، والجيران، والأصدقاء، والأقارب، والطبيعة المحيطة به من هواء وماء ويابسة وحيوانات، والأماكن الترفيهية، والعاملين الذين يعملون في مجتمعه، والمرافق العامة والخاصة. ويجب أن يتعلم طرق المحافظة على بيئته والاندماج معها بالطرق التربوية السليمة التي تتماشى مع عادات وقيم مجتمعه، ويكون ذلك بعدة طرق:

١ - تذكير الناس بأهمية المحافظة على نظافة الطرق، وقد أكد الإسلام على ذلك حيث قال رسول الله ﷺ: «**الإيمان بضعٌ وسبعونَ شعبةً، فأفضلها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة**

الأذى عَن الطريق»[1]، وفي ذلك دليل على احترام الإسلام على أن تكون بيئتنا وطرقنا نظيفة جميلة نقية، محفوظة مما يفسدها أو يشوهها. كما أن محاولات الدولة في ترشيد استهلاك الماء والكهرباء ما هي إلا توجه حضاري دلل عليه الإسلام، حتى في عملية الوضوء للصلاة، وكمية الطعام المستهلكة، ولبس الملابس، وتذكير الناس بأن الليل للراحة والسكون، والنهار هو لتقسيم المعاش والعمل، وفي ذلك تهذيب للنفس البشرية في عملية التقنين والاستهلاك.

٢ - استخدام وسائل الإعلام في ترشيد وتذكير أفراد المجتمع بكل ما هو مرغوب وحضاري، وذلك عن طريق:

- الإعلان في أجهزة الإعلام السمعية والمرئية والمقروءة، والحرص على أن تشمل المدفوعة والمجانية، لضمان وصول المعلومة لكل طبقات المجتمع.
- وسائل الإعلام وما بها من مسلسلات موجهة بطريق مباشر وغير مباشر لتعم الفائدة لكل الأعمار.
- الندوات المتنوعة التي تأخذ دوراً كبيراً في نشر المعلومة بطريقة أكاديمية راقية، يرغب بها الكثير من أولياء الأمور أو موظفي الدولة وطلبة المدارس.
- المؤتمرات وتبادل الخبرات بين الدول المختلفة، وأخذ نقاط

(١) سبق تخريجه.

القوة، ومحاولة الابتعاد عن الأخطاء الخفية التي يمكن تجنبها، تلافياً لإضاعة الوقت بالوصول إلى الأهداف المرجوة في تطوير المجتمع.

- تعزيز دور وسائل الأدب والفن كالمسرح والشعر والرسم والنحت في ترسيخ التربية الجمالية لدى الأفراد.

٣ - العمل على تقوية الوازع الديني، وذلك من خلال ربط الطفل بالقرآن والمسجد والصحبة الصالحة، ووضع قدوة جيدة لهم، ومراقبة أفعالهم وأقوالهم.

كما يجب على المسؤولين في المجتمع عند تبني أي فكرة موجهة للشعب والبدء في ترسيخها. . مراعاة الأصالة والوضوح، وارتباط ما ينبهون إليه بالمجتمع والدِّين الإسلامي، وعدم المبالغة في التعبير، والاستفادة من خبرات الآخرين، مع عدم الخروج عن تعاليم الدِّين الإسلامي، لتكون الفكرة محببة ومرغوبة، ولا تتعرض للاستهجان والنقد السلبي، مع مراعاة توفير الأجواء الملائمة، واختيار أوقات المناسبات بشكلٍ مدروس وصحيح لضمان التفاعل والعطاء النافع.

* الأسباب التي تؤدي إلى فقر التربية الجمالية:

للأخلاق جمال أخاذ، ربما يفوق جمال الطبيعة وجمال الوجوه، فالكلمةُ الطيبة سحر لا ينسى، وللموقف النبيل أثر رائع يزداد توهجاً مع الأيام. وهناك العديد من المؤثرات في المجتمع المحيط بنا، والتي تؤدي إلى فقر التربية الجمالية لدى الأفراد والمجتمع، منها:

أ - الأفلام والمسلسلات:

من العوامل الخطيرة التي تؤدي إلى ابتعاد الفرد عن التربية الجمالية ما يشاهده في دور السينما وعلى شاشات التلفاز من روايات بوليسية، وأفلام خليعة، وما يشاهده من صور فاضحة، ومجلات ماجنة، وقصص مثيرة، وهي بجملتها تشجع على الانحراف والإجرام، وهي كذلك تفسد أخلاق الكبار، فكيف بالمراهقين والأطفال الصغار. وما لا يختلف عليه اثنان.. أن لمثل هذه الأجواء الفاسدة، والمشاهد الآثمة، أثراً في نفوس الشباب المراهقين، بحيث يتوجهون نحو الرذيلة والفساد والابتعاد عن جماليات الأخلاق في الحياة.

ب - البيئة غير الصالحة:

الأسرة هي الوحدة الاجتماعية الأولى التي تهدف إلى المحافظة على النوع الإنساني، وتقوم على المقتضيات التي يرتضيها العقل البشري والقواعد التي تقررها المجتمعات المختلفة[1] والأسرة مظلة إنسانية ضرورية لبناء النفس، وممارسة المعيشية الهانئة في الحياة. والأسرة كمؤسسة اجتماعية هي اللبنة الأولى في البناء الاجتماعي لأي مجتمع. وقد تضافرت عوامل عديدة في العصر الحاضر على تقليص دور الأسرة، وتحجيم دورها، مما أفرز ظواهر لم تكن معروفة عند سلف هذه الأمة.. مثل التطرف،

(١) بدوي، ١٩٨٢م.

والتعصب، وإدمان المخدرات أو على الأقل تعاطيها، وجنوح الأبناء إلى العنف أو إلى العقوق، وعدم التحلي بالأخلاق التربوية أو الجمالية.. وغير ذلك من الظواهر السلبية التي لو قامت الأسرة بدورها المنوط بها على الوجه الأكمل لما ظهرت هذه الظواهر السلبية. ويرجع ذلك لعدة أسباب، منها عدم الشعور بالأمن والإحساس بالخوف، والتوتر، والقلق، والشعور بالألم(١).

ج - مستوى المعيشة:

قد يؤدي الفقر الذي يخيم على بعض البيوت إلى انحراف الشباب، وانتهاج أسلوب الخشونة في الحياة، فالشاب حين لا يجد في البيت ما يكفيه من غذاء وكساء، فإنه لا شك سيلجأ إلى مغادرة البيت بحثاً عن الرزق، وقد تتلقفه أيدي السوء، وتحيط به هالة الشر والانحراف، فينشأ في المجتمع فاقدا للعناصر الجمالية التي تحلي سلوكه.

كما أن الناحية الجمالية لا تصبح أولوية في حياته لأنه يريد أن يعيش فقط:

د - ضعف الوازع الديني:

وقد يتعجب كثير من الآباء من وجود ضعف الوازع الديني عند

---

(١) أماني عبد المقصود، ١٩٩٩م.

أبنائهم، ويتساءلون عن كيفية تسلل ذلك إلى عقول أولادهم وقلوبهم؟ وجواب ذلك: أن المدرسة المعاصرة وما بها من مناهج لا تخلو من أفكار غير سليمة في بعض البلاد الإسلامية، ووسائل الإعلام وما تبثه للمشاهدين من أفلام هابطة، ومناظر ولا تراعي حرمة الدِّين، ولا قيم المجتمع وتراثه، بجانب الغزو الثقافي عبر القنوات الفضائية، ذلك الغزو الجديد الذي يفعل ما لا تفعله القنابل والمتفجرات. . إنه يهدم العقائد الصحيحة، والأخلاق الكريمة، والعادات الحسنة، والشيم الحميدة(١).

هـ - الصحبة السيئة:

من العوامل الأساس التي تؤدي غالباً إلى انحراف الشباب، عدم الاستفادة من وقت الفراغ الذي يتحكم في الأحداث والمراهقين. فمن المعلوم أن الطفل منذ نشأته مولع باللعب، ميال إلى المغامرة، محبّ للفسحة والتمتع بالمناظر الطبيعية، فيجب على المُربِّين أن يستغلوا هذه الظاهرة في الأطفال، وإلا فإنهم سيختلطون غالباً بقرناء سوء، ورفقاء شر، ويؤدي ذلك حتماً إلى شقائهم وانحرافهم، والرسول ﷺ يقول: «**نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس، الصحة والفراغ**»(٢).

---

(١) الشنتوت، ١٩٩٤م.

(٢) البخاري في صحيحه ٥/ ٢٣٧٥، كتاب الرقاق، ١٤٠٧.

إن الخلطة الفاسدة ورفاق السوء من العوامل الكبيرة التي تؤدي إلى انحراف الشباب، ولا سيما إذا كان الشباب ضعيف العقيدة، متميع الخلق.. فسرعان ما يتأثر، وسرعان ما يكتسب العادات السيئة، والأخلاق القبيحة. وقد أشارت الدراسات المتعددة إلى أن معظم المشكلات التي تصب في مجال الانحرافات السلوكية، ولا سيما التعصب والتطرف، مصدرها غياب الوعي باستغلال الوقت وشغل الوقت بما يفيد، ثم يأتي بعد ذلك الرفاق(1).

قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ۝٢٧ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ۝٢٨ لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ۝٢٩﴾ [الفرقان: ٢٧ - ٢٩].

وعن أبي موسى رضي الله عنه، عن النبي ﷺ أنه قال: «**إنما مثل الجليس الصالح والجليس السوء، كحامل المسك ونافخ الكير: فحامل المسك.. إما أن يحذيك، وإما أن تبتاع منه، وإما أن تجد منه ريحاً طيبة، ونافخ الكير.. إما أن يحرق ثيابك، وإما أن تجد منه ريحاً خبيثة**»(2).

قال ابن حجر: وفي الحديث النهى عن مجالسة من يتأذى بمجالسته في الدِّين والدنيا، والترغيب في مجالسة من ينتفع

(1) إبراهيم الشافعي، ١٩٩٨م، ٢٠٠٣م.
(2) رواه البخاري (٢١٠١)، ومسلم (٢٦٢٨)، ويُحْذِيك: أي يُعْطيكَ.

بمجالسته فيهما، والجليس صيغة مبالغة من كثرة المجالسة والملازمة، ولا شك أن للجليس أثراً تراكمياً متدرجاً على شخصية المرء وأخلاقه[١].

و - افتقار المناهج المدرسية للعناصر الجمالية:

أدى افتقار بعض المناهج الدراسية للعناصر الجمالية إلى ظهور الكثير من المشكلات السلوكية لدى التلاميذ، مما تعكس خللاً ما في أسلوب التربية في المدرسة أو البيت أو المجتمع. وهذه المشكلات السلوكية لدى التلاميذ إذا لم يبادر التربويون بالبحث عن أسبابها وطرق علاجها، ستؤدي بالتلميذ إلى سوء التكيف الشخصي والاجتماعي في المدرسة وخارجها. وهذه المشاكل تعكس وجود خلل في نواتج السياسة التعليمية.

ز - ضعف العلاقات الإنسانية:

يجب على الإنسان أن يكون أهلاً لتحمل هذا اللقب، لما يتصف به من أخلاقيات وسمات تجعله مؤهلاً للتعامل مع الآخرين، وأداء رسالته في الحياة والتي تتمثل بإعمار الأرض وعبادة الله سبحانه وتعالى. وقد كان الإسلام من أول الحضارات التي اهتمت بالعلاقات الإنسانية وهذبت السلوك الإسلامي في التعامل مع الآخرين.

(١) النعيمي، ١٤١١هـ.

فقد جاء في صحيح البخاري، أن الرسول ﷺ قال: «**ليس الشديد بالصرعة، إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب**»[1].
وعن أنس رضي الله عنه، أن الرسول ﷺ قال: «**يسروا ولا تعسروا، وبشروا ولا تنفروا**»[2]. والعلاقات الإنسانية ليست مجرد كلمات مجاملة تقال للآخرين، وإنما هي بالإضافة إلى ذلك تفهم لقدرات الأفراد وطاقاتهم وظروفهم ودوافعهم وحاجاتهم، واستخدام كل هذه العوامل لحفزهم على العمل. ولضمان علاقات إنسانية سوية، فعلى الفرد أن يتأكد من سلامة سلوكياته مع الآخرين، وذلك من خلال فن الاستمتاع، واحترام مشاعرهم، وتقدير أعمالهم ومجهودهم، وتزويدهم بالأخبار والأفكار، وتفهم شخصيته وتفرده بالطباع الخاصة به، وتدريبه على ما يتطلبه منه المجتمع، وإرشاده لما هو مطلوب ومرغوب، واستمرارية الاتصال به، وعدم قطع الصلات، وأخيراً.. تكريمه على أفعاله وتواجده معنا.

والعلاقات الإنسانية تعني جميع الصفات التي تميز الإنسان عن غيره من الكائنات الحية، وهي بذلك تعبر عن جملة التفاعلات بين الناس سواء كانت إيجابية كالاحترام، والتواضع، والتسامح، والرفق أم سلبية كالتكبر، والظلم، والجور، والقسوة.

---

(١) رواه البخاري (٦١١٤)، ومسلم (٢٦٠٩).
(٢) رواه البخاري (٦٩)، ومسلم (١٧٣٤).

وقد عرّف الشلالدة (١٤٠١هـ) العلاقات الإنسانية بأنها «المعاملة الطيبة التي تقوم على الفضائل الأخلاقية والقيم الإنسانية السوية، التي تستمد مبادئها من تعاليم الأديان السماوية، وترتكز على الصبر والإقناع والتشويق، القائم على الحقائق المدعمة بالأسانيد العلمية، وتجافي التضليل والخداع بكافة مظاهره وأساليبه».

وعرفها الضحيان بأنها «سلوك مثالي من القائد أو المشرف مع من تحت إشرافه من حيث المعاملة الحسنة، لما يحقق الأهداف المشتركة للإدارة والأفراد العاملين».

وقد حدد لنا ديننا الشريف كيفية التعامل مع الآخرين، وذلك بالتزام التواضع، والتشجيع، والتعاون، والشورى، واتخاذ القدوة الحسنة، والشعور بالمسؤولية، والتراحم، والتعاون، وكل ذلك بهدف الوصول إلى علاقات إنسانية سوية مع الآخرين.

ومع انتشار الحضارات الغربية وامتدادها إلى الدول الإسلامية، ودخول الفضائيات، والإنترنت، وتسابق الأفراد للحصول على المعلومة، وتقلص الأسرة الممتدة وانتشار الأسرة النووية، وتباعد مسافات الأهل، ومن ثم الدخول في متاهات إثبات الذات والاعتماد على النفس.. مما أبعد الأفراد عن الآخرين، وأضعف العلاقات الإنسانية.

ح - العيش في عالم متطور وسريع:

إن التغيرات الاجتماعية السريعة وغير المتوازنة حيث يسيطر على العصر الحديث سمة التطور السريع والمتلاحق، وحدوث فجوات بين الدول المتقدمة والدول النامية، وعلى مستوى المجتمع الواحد توجد فجوات واسعة بين الطبقات في المال، والمكانة، والشهرة.. هذه التغيرات السريعة لا مكان فيها لمتخاذل، أو متغافل، أو جاهل، وهنا يقع العبء على كاهل البناء النفسي للفرد الذي يشعر بالقلق على يومه ومستقبله، ويجعله يشعر بفقدان الأمان، والسعي لامتلاك أكبر ثروة، وتحصيل أعلى مكانة اجتماعية تجعلهم بمأمن من الخوف من المستقبل. إلّا أن كل ذلك يسحب من رصيد الهدوء والإحساس بالأمان والسكينة التي تجعل الفرد يشعر بالسعادة والرضا، والتمتع بالحياة المحيطة به، والمحافظة على هدوءه، والتأمل بالجماليات، واكتساب العادات الجميلة.

ط - التغيير الثقافي والاجتماعي:

التغيير الذي طرأ على المجتمعات المسلمة المعاصرة واندماجها مع الحضارات الغربية، أظهر الخلل في عدم تحديد المنظور المستقبلي لمجتمعاتها، مع عدم وضوح الرؤية لنوع الإنسان الذي تريده تلك، وتصورهم للمجتمع المرغوب به. فالنظريات الثقافية أصبحت مرجعاً للسياسات الثقافية العامة التي يتم من خلالها مواجهة تحديات المستقبل ومتغيراته. ومن منطلق الرغبة في

مسايرة الحضارات الغربية والتطور البشري، فإن الثقافة الإسلامية بدأت تأخذ مسار الثقافة العلمية المعاصرة، وقد كان إغفال المحافظة على التراث والهوية الإسلامية عنصراً أساسياً في فقدان التربية الجمالية. بالإضافة إلى ذلك فإن لفقدان الكثير من العناصر الثقافية أثر في وجود التربية الجمالية في المجتمعات الإسلامية، نذكر منها:

- المعرفة والتقنية العالمية المتزايدة، والصراع مع الثقافات المالكة لها.
- حاجات الأطفال والناشئين الثقافية، وفقدان التوازن بين الثقافة المحلية والثقافة العالمية.
- ضعف أدب الأطفال العربي والإسلامي، وعدم دمجه بطريقة عملية في مناهج التدريس.
- فقدان الأسرة الممتدة لاحترامها، مع تغير النظرة في رعاية الوالدين والتراحم والتكافل الاجتماعي.
- إندثار الحِرَف القديمة.
- فقدان العلاقات بين الجيران والأصدقاء.

* * *

الفصل الخامس
الوسائط والبيئات التربوية
ودورها في المجتمع

١ - وسائط تربوية: المسجد - الديوانية - الجمعيات.

٢ - المدرسة كوسيط متعدد الأغراض.

٣ - من وسائط التربية.. الإعلام.

وسائط تربوية
المسجد - الديوانية - الجمعيات

تعتبر الوسائل التربوية روافد أساسية لمفاهيم التربية وقيمها، ومجالات تطبيقية لأصول التربية ومنطلقاتها، وهي تقوم بأدوار كثيرة نحو تحقيق أهداف التربية وغاياتها المعروفة، كما أنها تمثل رئات التربية غير النظامية التي تُسهم إلى حدٍ كبير في تخفيف العبء علىٰ التعليم النظامي. من هنا. . فإن هذه المؤسسات - الوسائط - تُعدُّ من أهم الأوعية الحافظة لكل ما تنشده التربية من إعداد وتعليم للمتعلم عبر مراحل حياته الدراسية المختلفة، فضلًا عن أنها تمثل همزة وصل بين التربية وبين غاياتها.

ومن المؤسسات (الوسائط) الأسرة، والمسجد، والمدرسة، والديوانية، والنادي، والرابطة، وجمعيات النفع العام كجمعية المعلمين والمهندسين. . وما شابه ذلك، كما أن منها وسائل الإعلام المقروءة والمسموعة والمرئية، والشبكة العنكبوتية (الإنترنت) وهذه في حد ذاتها تضم مجموعة من وسائل المعرفة.

وسنستعرض هنا بعض الأدوار المهمة التي تقوم بها هذه الوسائط، والتي نركز فيها - كأمثلة - على المسجد والديوانية وجمعيات النفع العام.

أولاً: المسجد:

لا شك أن للمسجد في الإسلام دوراً متعدد الجوانب، فقد كان ساحة تعليم، وساحة إعداد للحروب في سبيل الله، كما كان مكاناً لأداء العبادات والتي على رأسها الصلاة، باعتبارها الفريضة الأولى الواجبة عند المسلمين، ونظراً لقيام المسجد بمهمات متعددة تربوياً وتعليمياً، فإننا نعتبره أحد الوسائط التي لا غنى للفرد عنها، ويكفي أن يكون ارتياده للمسجد خمس مرات في اليوم يلتقي فيها المسلم مع أقرانه المسلمين ويتفقدهم، ويُسمع، ويستمع، ويتبادل أحوال إخوانه في السراء والضراء، ويتلقى فيه التوجيهات والنصائح سواء في درس أو حلقة علم أو في الخطب المنبرية يوم الجمعة. ويمكن إيجاز وظائف المسجد بالآتي(١): -

١ - إقامة الصلوات الخمس في جماعة بالمسجد، وصلوات النوافل والسنن والمستحبات.

٢ - تنمية الوعي الديني لدى المصلين.

٣ - تنمية الوعي الاجتماعي والتربوي والصحي.

٤ - تكوين رأي عام مستنير حول القضايا الراهنة التي تهم المسلمين عامةً، وأهل البلد خاصةً، وأهل المنطقة بوجه أخص.

---

(١) النظام التربوي، اللجنة التربوية، اللجنة الاستشارية العليا، الديوان الأميري، الوثيقة الأولى، ص ٥٤ - ٥٧، فبراير ١٩٩٩م.

٥ - تقوية الروابط الاجتماعية بين أهل المنطقة وإصلاح ذات بينهم.

٦ - الإسهام في حل المشكلات الاجتماعية والصحية والتربوية على هدى من الشريعة الإسلامية.

٧ - توفير الرعاية المناسبة لشباب المسجد من النواحي الروحية والجسمية والنفسية والاجتماعية والتربوية، ومساعدتهم على اكتساب المهارات والمعارف المناسبة لأعمارهم وروح العصر الذي يعيشونه.

٨ - تنمية العلاقات الأسرية وصلة الرحم بين أهل المنطقة.

٩ - تصحيح المفاهيم المغلوطة عند الناس في أمور الدِّين والدنيا.

١٠- توعية أهل المنطقة بالمناسبات الدينية والاجتماعية والوطنية وتنمية ثقافاتهم الإسلامية.

وحتى يمكن للمسجد أن يقوم بهذه الوظائف، ويحقق أدواره كوسيط في مجال التربية والتوعية الدينية والترابط الاجتماعي بطريقة إجرائية ميسرة إن شاء الله، ينبغي الاهتمام بالآتي(١):

١ - حسن اختيار إمام المسجد، المؤهل علمياً، المتفقه في أحكام الدِّين، وتدريبه أثناء الخدمة على الأساليب العصرية في التواصل مع الناس والدعوة إلى الله.

٢ - ضرورة الاهتمام بمرافق المسجد، خاصة مكتبة المسجد،

(١) المرجع السابق.

وحجرة المحاضرات والندوات ولقاءات أهل المنطقة في المناسبات الاجتماعية والدينية.

٣ - تخطيط أنشطة كل مسجد، وتحديد أهدافها التربوية والاجتماعية والدينية، ومتابعة تنفيذها بمعرفة إمام المسجد وأهالي المنطقة، وتوفير الاعتمادات المالية اللازمة لتنفيذها عن طريق تبرعات أهل الخير، والجمعيات التعاونية، وجمعيات النفع العام وغيرها. ويمكن أن تتضمن أنشطة المسجد دروساً في أصول الدِّين وفروعه، كالعقيدة والتفسير والفقه والحديث، وتقوية التلاميذ الضعفاء في المدارس، وتوعية الأهالي بالواجبات الزوجية والأسرية، وعمل دورات تدريبية في إكساب المهارات في تنشئة الأطفال والصلاة والوضوء والحج والعمرة والعلاقات الأسرية والزوجية، مع وضع برامج دراسية في تقوية الناشئة في اللغة العربية وعلومها المختلفة، وفي تحسين الخط.. وغير ذلك.

٤ - الاهتمام بخطبة الجمعة في كل مسجد، وتقديمها بأسلوب تتوافر فيه عناصر التشويق، وربطها بالحياة التي يعيشها الناس، واعتمادها على التيسير أكثر من التنفير، وعلى التفاؤل أكثر من التشاؤم؛ لزيادة ثقة المصلين بأنفسهم وبدينهم، وتنمية دوافعهم إلى مزيد من الصلاح والتقوى.

٥ - تدعيم صلة المسجد بالمدارس والديوانيات في كل منطقة عن طريق زيارة تلاميذ المدارس للمسجد، وزيارة إمام المسجد للمدارس، والمشاركة في أنشطتها الثقافية والدينية والاجتماعية. كما يمكن لإمام المسجد أن يقوم بدور كبير في أنشطة الديوانيات والتفاعل مع أبناء المنطقة في أفراحهم وأحزانهم، فيزداد إقبالهم عليه، وتجاوبهم معه في أمور الدِّين والدنيا.

٦ - إنشاء مكتب اجتماعي في أحد مساجد المنطقة، تكون مهمته تقديم الاستشارات الاجتماعية والنفسية والتربوية والأسرية لأبناء المنطقة.

٧ - تعزيز دور المسجد في القضايا الاجتماعية والشرعية، وخاصة أن له دوراً ملحوظاً في حياة الناس.

٨ - تنوير بعض أئمة المساجد والدعاة بشأن التعميم في الفتوى الذي يطلق على بعض القضايا دون سند شرعي، مما يعيق الفهم السليم لأحكام الشريعة الإسلامية.

ثانياً: الديوانية:

يظل للديوانية دورها البالغ في تحقيق الأهداف المجتمعية للتربية، إذ تبين أنها نمط فريد في منطقة الخليج والعالم العربي، فهي تشكل إحدى العادات الموروثة، والتقاليد المتأصلة في

التركيبة الاجتماعية، وقد وجد أن لها دوراً هاماً في حياة أفراد المجتمع الكويتي - على سبيل المثال - فهي ملتقى ثقافي وفكري وأدبي وسياسي وترويحي. ويتعرف المسؤولون إلى الكثير من آراء الناس ومطالبهم ومشاكلهم من متابعة ما يدور داخل الديوانيات. وحتى تأخذ الديوانية موقعها في تحقيق أهداف التربية، يمكن إجراء الآتي[١]:

١ - الاستفادة من الديوانيات في تغذية الروّاد بالمفاهيم التربوية ذات البُعد الأخلاقي، من خلال زيارات المُربّين والمفكرين وعلماء الشريعة، ومشاركتهم في مناقشة القضايا التربوية، وتنمية اتجاهات إيجابية في حياتهم اليومية.

٢ - توعية الناس بأهمية الديوانية في المجتمع، وتبصيرهم بالآثار السلبية التي تنتج عن إساءة استخدام الديوانية من البعض. وذلك عن طريق وسائل الإعلام المرئية والمسموعة والمقروءة.

٣ - تشجيع ظاهرة ديوانية العائلة الأسبوعية أو الشهرية التي توفر جواً اجتماعياً داعماً لصلة الرحم.

٤ - تشجيع ظاهرة ديوانية الحي، بحيث يتوافر الجو الملائم لحسن الجوار، وإصلاح ذات البين.

---

(١) من النظام التربوي، مرجع سابق، بتصرف.

ثالثاً: جمعيات النفع العام:

لا شك أن لجمعيات النفع العام أدواراً عديدة في مختلف المجالات الاجتماعية والتربوية، وهي في معظمها تقوم بدور مكمل لدور الحكومة في مجال تنمية المجتمع، وتوعية المواطنين بأمور دينهم ودنياهم، كما امتد نشاط بعضها إلى خارج البلاد كما في الكويت - على سبيل المثال - مما يمثل وجود تواصل إسلامي عند أهل الكويت مع غيرهم من المسلمين، وذلك يعزز تمسك الشعب الكويتي بدينه، وحبه للغير، ورعاية الأخوة في الدِّين، ونشر أعمال الخير والبر التي حث عليها ديننا الإسلامي الحنيف.

بجانب ما تَقَدم، ولزيادة الدور الإيجابي لهذه الجمعيات في تنمية المجتمع وتحقيق أهداف وغايات التربية، فبالإمكان القيام بالآتي[1]:

١ - التنسيق بين جمعيات النفع العام العاملة في تنمية المجتمع والتربية والإرشاد، بما يساعد على تكامل جهودها، ويمنع تكرارها في المجال أو المكان الواحد، ويؤدي إلى انتشارها في جميع المناطق. ومما يفيد في ذلك تكوين لجنة عليا أو مجلس أعلى أو اتحاد لجمعيات النفع العام، تكون مهمته رسم سياسة عليا لهذه الجمعيات، وتوزيع المسؤوليات

(١) النظام التربوي، مرجع سابق، صفحة ٧٣، بتصرف.

والتنسيق بينها بما يكفل استمراريتها، ويحقق أهدافها الاجتماعية والتربوية.

٢ - إيجاد قنوات اتصال بين اللجنة المقترحة ووزارة التربية وجميع الجهات المعنية بذلك، وجمعيات النفع العام، لمناقشة القائمين على هذه الجمعيات حول إمكانية إضافة البُعد التربوي والتوجيهي الإرشادي إلى أهداف جمعياتهم ونشاطاتهم، حتى يمكنها الإسهام في المناشط التربوية الهادفة بين أعضائها، وفي مجالاتها المهنية بخاصة، وفي المجتمع بعامة.

٣ - التنسيق بين المؤسسات الحكومية وجمعيات النفع العام في مجالات تنمية المجتمع، وبخاصة في الأنشطة الموجهة إلى الأطفال والشباب والمرأة والأسرة، وفي دروس التقوية وبرامج التدريب والتأهيل، حتى تتكامل الجهود الأهلية والحكومية في هذه المجالات، وتستمر في تحقيق أهدافها التربوية.

وسوف يُسهم في هذا التنسيق تكوين فرق عمل من المتخصصين في كل مجال من مجالات الرعاية؛ لإعداد البرامج المناسبة لكل فئة في ضوء قيم التربية، وما توصل إليه العلم الحديث، وإعطاء جمعيات النفع العام مسؤولية تنفيذ بعض هذه البرامج مع توفير الدعم المالي اللازم لها.

٤ - تشجيع جمعيات النفع العام على الحضور في المحافل الدولية، وفتح قنوات الاتصال مع الجمعيات والنقابات المماثلة في المجتمعات الأخرى لزيادة الاحتكاك والتواصل مع الغير، واكتساب الخبرات في النشاط الأهلي، وإبراز دور في العمل الاجتماعي التربوي، والنهوض بالمهن التي تختص بها كل جمعية، وسوف يفيد في ذلك التوسع في تمثيل هذه الجمعيات في الوفود الرسمية والشعبية إلى المؤتمرات والندوات والحلقات النقاشية العربية والدولية[١].

* * *

(١) المرجع السابق، ص٧١.

المدرسة كوسيط متعدد الأغراض

مع تقدم وتعقد المجتمعات، واتساع متطلبات الحياة، وتراكم الخبرات، وتعدد الحاجات، وتطور التراث الثقافي في كميته ونوعه، لم تعد الأسرة كافية لتقوم بكل أعباء التربية، وأصبح من المستحيل على جيل الصغار أن يكتسب الخبرات عن طريق المشاركة في نشاط الكبار.

وخوفاً على التراث الثقافي الذي كونته الجماعة عبر السنين من الضياع، والذي صار أساس وجودها ومصدر كيانها، حرصت على تعليمه للصغار لتؤكد استمراريتها.

لذلك أصبح من الضروري وجود مؤسسة خاصة وهي «**المدرسة**» لتتولى تعليم الصغار ذلك التراث، وتقوم بمهمة إعداد الأجيال في شؤون الحياة، حتى يتكيفوا مع المجتمع، مما ساعد على ذلك اختراع المجتمع وتراثه في شكل مكتوب.

فالمدرسة - إذاً - هي مؤسسة اجتماعية ثقافية تربوية، أوجدها المجتمع لتنقل إلى أجياله القادمة مُثُله العليا، وخبراته وتراثه ومعتقداته، ثم إنها تهيئ أجياله الصاعدة لتحقيق آماله وأمانيه[1].

---

(١) للزيادة راجع: التربية المعاصرة.. طبيعتها وأبعادها الأساسية، محمود شفشق وآخرين، دار القلم، الكويت، ١٩٧٤م.

وقد مرَّت هذه البيئة التربوية الخاصة بكل تطورات المجتمع، وتأثرت بعدة عوامل وخاصة الدينية والاقتصادية والسياسية والاجتماعية.

والمدرسة في أول عهدها كانت من شأن رجال الدِّين والكُهّان. ثُمَّ تطورت إلى مدرسة خاصة وأخرى عامة. وقد أسهمت عبر القرون في تربية النشء ورفع شأن العلم. وكبر شأنها، وعظمت أهميتها، مما جعل «أرسطو» الفيلسوف والمعلم اليوناني يقول: «إن من يربي الأطفال بجودة ومهارة، لأحق بالاحترام والإكرام من الذين ينجبونهم».

ويقول «بسمارك»: «إن الذي يدير المدرسة، يدير مستقبل البلاد». ويعتقد «جون ديوي» بأن المدرسة بإمكانها تغيير نظام المجتمع إلى حدٍ معين. وهذا عمل تعجز عنه سائر المؤسسات الاجتماعية الأخرى[(١)].

وإدراكاً لأهمية التربية في حياة المجتمع، أخذت الدولة على عاتقها مسؤولية المدرسة، ولا سيما بعد النهضات القومية التي ظهرت في معظم أجزاء العالم، حيث إن من شأن الدولة أن تتأكد من عدم حرمان أي كائن إنساني من التكوين الفكري والمهني والخُلقي والروحي، اللازم لحياته، وذلك ليقوم بدوره المطلوب منهم في المجتمع.

---

(١) المرجع السابق.

كما أن معظم الدول قد أيقنت أن الهيئات الخاصة، مهما بلغت من حسن التنظيم والإمكانيات، يتعذَّر عليها أن تضطلع بأعباء التربية وحدها.

لذلك حرصت كل دولة على فتح المدارس والمعاهد، والتوسع فيها، وإعداد المعلمين، ووضع القوانين، وتنظيم المناهج، وتوفير كل الخدمات التعليمية تحت قيود الإشراف الفني في إدارات متخصصة. وأصبحت المدرسة هي المؤسسة المتخصصة بإعداد النشء، وأخذ الكثير من الآباء والمسؤولين ينظرون إليها باعتبارها المنظمة التربوية الوحيدة.

الوظائف التربوية للمدرسة :

تعتبر المدرسة أهم مؤسسة تربوية، أوجدها المجتمع لتنقل تراث الأجيال السابقة للأجيال الحاضرة واللاحقة. كما أنها تطور هذا التراث، وذلك بتسجيل كل ما يبتكره الفكر من معارف وعلوم وفنون، وتضيفه إليه، فتثري التراث الإنساني، وتربط الماضي بالمستقبل، كما أنها تُصفّي وتُبسّط المعارف، وتُوسّع أُفق الأفراد، وتُنمي مداركهم.

كل هذه الوظائف كانت وما تزال منوطة في عنق المدرسة، غير أن التطور الحضاري والتقدم المعرفي، وازدهار العلوم في كل ميادين الحياة.. كل ذلك حمَّل المدرسة وظائف جديدة، فعملت على

ترويض عقول النشء بدراسات متنوعة، وخصصت لأجسامهم تمرينات مفيدة، وساهمت في صقل سلوكهم بأخلاق وعادات واتجاهات حسنة يرضاها المجتمع. ثم اهتمت المدرسة بنفسية الطفل وميوله وقابلياته، فسعت إلى تيسير النمو الطبيعي لقدراته وإمكاناته. أو كما ورد في وثيقة الأهداف العامة للتربية في دولة الكويت، من أن المدرسة قد عملت جدياً على تدعيم النشاط الذاتي الحر للتلاميذ، ومساعدتهم في النمو المتكامل لكافة نواحي شخصياتهم وتشجيعهم على الابتكار، وتيسير عملية تكيفهم مع بيئاتهم وتفهمهم الصحيح لقوى البيئة ومكونات المجتمع[١].

وتعتبر المدرسة اليوم المؤسسة التربوية الرئيسة التي تخدم المؤسسات التربوية الأخرى كالبيت والمجتمع، ويعتبرها البعض بأنها المسؤولة الأولى على التربية والتكوين والتطوير بكل أشكاله وتخصصاته، وهي تقوم بالوظائف الآتية[٢]:

١ - تستطيع أن تدعم بعض المعتقدات الحميدة، والقيم والاتجاهات الحسنة التي تكونت في البيت.

٢ - يمكنها أن تمحي بعض العادات السيئة التي اكتسبها الطفل قبل دخوله المدرسة.

---

(١) انظر: وثيقة الأهداف العامة للتربية، وحدة المناهج، وزارة التربية، (الكويت: ١٩٧٦م).

(٢) إبراهيم ناصر، مقدمة في التربية، ص١٨٥ - ١٨٦.

٣ - تستطيع تعليم الطفل طرق التفاعل الإيجابي مع الغير، وتكوين علاقات اجتماعية مع الآخرين.

٤ - يمكن للمدرسة - من خلال الأنشطة المتعددة الهادفة - أن تزيل بعض ما يعلق في نفس الطفل من صراعات نتيجة للاضطرابات المنزلية التي قد يعانيها الطفل.

٥ - يمكنها أن تدرب الطفل على ممارسة بعض العلاقات الإنسانية القائمة على أسس سليمة.

إن دور المدرسة - خاصة في عملية التنشئة الاجتماعية - دور خطير، فهي تشارك بقسط كبير في بناء شخصية الطفل، وفي إقامة علاقات اجتماعية سوية مع الآخرين، وفي تدريبه على الأخذ والعطاء.

كما أن للمدرسة دوراً علاجياً، ودوراً وقائياً، فواجبها حماية التلميذ من الاضطرابات الانفعالية، وأن تعالج التلاميذ الذين يصلون إليها وهم في عدم توافق أو تكيف، نتيجة لظروف خاصة تكون قد صادفتهم قبل التحاقهم بالمدرسة.

والمدرسة تقي النشء من كل ما يعوق النمو السليم من كل نواحيه: العقلي والاجتماعي والانفعالي، زيادة على ما تزوده به من مهارات وقيم ومعارف متعددة، ومن خبرات لفظية (اللغة)، وحركية، وعقلية، واجتماعية.. ومن فنونٍ شتى.

ويمكن تلخيص عمل المدرسة اليومي في مجالات رئيسة ثلاثة هي:

أ - المجال الروحي والأخلاقي.

ب - المجال الوطني.

ج - المجال العلمي والحضاري.

إن ترجمة الأهداف التي تسعى الأمة إلى تحقيقها من خلال نظامها التربوي في سلوك الناشئة وتوجيهاتهم، مؤدية إلى إكسابهم المعارف والمهارات والاتجاهات التي تعينهم على تحقيق الخير لأنفسهم، والإسهام في تنمية مجتمعهم، وإبلاغهم المعارف والفنون وفق الإطار المناسب للرسالة التربوية (يتم على المستوى الإجرائي التنفيذي في المدرسة).

ومن هنا كان نجاح قيادة عملية التربية في المدرسة، وتوظيف إمكاناتها لتحقيق هذه الأهداف على نحو فعَّال، مرتبطاً بمجموعة من التوجهات والإجراءات التي من أهمها[1]:

١ - أن يدار مجتمع المدرسة على أساس الشورى، التي تسعى لأن تمنح كل عامل فرصة ليسهم برأيه وجهده في نطاق اختصاصه، من خلال توفير آليات تكفل ذلك، كإنشاء المجالس (مجلس إدارة المدرسة، مجلس الطلبة، مجلس الآباء أو أولياء الأمور) وتفويض السلطة للمستويات الأدنى.

(١) انظر: النظام التربوي، مرجع سابق.

٢ - أن يراعى في اختيار قيادات الإدارة المدرسية أن يكونوا من المشهود لهم بالسلوك القويم، وتحمل المسؤولية، واتّزان الشخصية، والقدرة على تقوية العلاقات الإنسانية وتعزيزها.

٣ - أن تتحلى قيادة الإدارة المدرسية بالخلق العالي، والمسلك النظيف، الذي يؤهلها أن تصبح قدوة حسنة للآخرين، والحرص على العلاقات الإنسانية الكريمة مع العاملين في تواضع وعطاء، والأخذ بمبدأ الرفق لا العنف، واستشعار الأُخُوَّة لا التعالي، وتقديم حسن الظن والصدق قولاً وعملاً ليتوافر في البيئة المدرسية مناخ من التوجيه التربوي يشجع على البذل والإجادة، والأخذ بمبدأ الشورى وآلياته بما يوفر ضمان استمرار القيادة المدرسية في الالتزام بمستوى القيادة المطلوبة في العمل التربوي.

٤ - توافر برامج فعّالة لمواصلة التنمية لقيادات الإدارة المدرسية، لاكتساب الأساليب الفعّالة في نظام الإدارة المدرسية المطورة، وتعرف حاجات المجتمع ودور الإدارة المدرسية في تلبيتها، وسُبُل معونة المعلمين على القيام بمسؤولياتهم، وتوافر التوجيه الديني في المجتمع المدرسي.

٥ - ربط الإدارة المدرسية بشبكة معلومات متصلة بمجال مسؤولياتها ومهامها.

٦ - أن تعمل الإدارة المدرسية على توافر برامج لإشباع الثقافة

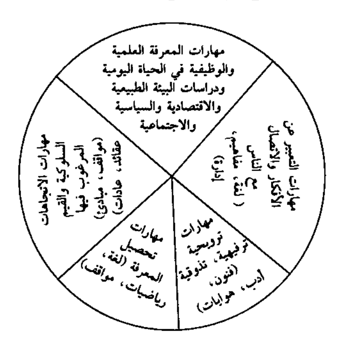
والتوجه التربوي للطلبة من خلال خطة مدروسة، تقوم على دراسة المرحلة العمرية للطلبة، وما يلائمها من توجيهات وثقافة، وتوفير وسائل مختلفة لتحقيق ذلك مثل: الندوات والمحاضرات والكتيبات ودعوة الكفاءات العلمية في مجال التوجيه التربوي، واستغلال المناسبات الدينية في إحياء الشعائر بمشاركة الطلبة، والتنسيق مع المؤسسات الدينية في المجتمع المحلي للمدرسة كمسجد الحي، ومراكز تحفيظ القرآن الكريم، ومؤسسات النفع العام.. وغيرها، لاستخدام إمكاناتها في تنمية المكتسبات التربوية لدى الطلبة.

٧ - تزويد أولياء الأمور والأسر المحيطة بالمدرسة بالإصدارات ذات الصلة التربوية الهادفة لمعاونتهم على التنشئة الاجتماعية على هدي الشريعة الإسلامية.

٨ - أن يسعى المهتمون والمختصون، بإشراف وزارة التربية ومبادرتها، وبالتعاون مع الوزارات المعنية كالأوقاف والإعلام ومراكز البحوث على توفير المراجع والمصادر المؤسسية (الكتب الأم) التي يمكن أن يرجع إليها مدراء المدارس في نظم الإدارة الفاعلة المستقاة من النظريات التربوية، والتجربة الإنسانية الصالحة.

٩ - وضع برنامج تثقيفي واضح للمدارس في مجال توعية الأسرة، مصحوبة ببرامج سلوكية أخرى للطلبة، تجنباً للعنف، وتؤدي إلى الانضباط، وحسن السلوك بصفة عامة.

١٠- الاستفادة من مراكز المعلومات والمصادر الأخرى في المجتمع، للحصول على معلومات كمية عن حالات الانحراف السلوكي، وتوصيل ذلك للآباء لمشاركة أولياء الأمور والمجتمع في البرامج العلاجية والإثرائية الماسة[1].



ضرورة التكامل بين المدرسة والمجتمع:

تشترك مؤسسات عديدة مع المدرسة في العملية التربوية، أي في عملية التشكيل الاجتماعي للفرد، والمدرسة إزاء هذه المؤسسات الاجتماعية تكون أداة استكمال، فهي تكمل ما بدأه البيت، وتهيئ

(١) المرجع السابق.

للمؤسسات الأخرى الأنشطة المختلفة، كما أنها تتطلَّب تعاوناً دائماً من أجل خير الطفل.

والمدرسة عليها أن تتصل باستمرار بأولياء أمور الأطفال، والجدير بالبيت أن يتجاوب مع ما يتعلمه أطفالها بالمدرسة، فيحدث بينها اتساق وتكامل وانسجام. كما أن المدرسة هي أداة تصحيح، فهي تصحح الأخطاء التربوية التي قد يكتسبها الطفل قبل التحاقه بالمدرسة، كما أنها تتلافى النقص، وتملأ الفراغ، بما لديها من الفنيين والمربين المتخصصين.

ومن هنا.. فالمدرسة مطالبة كذلك بتنسيق أنشطتها واتجاهاتها، واتجاهات الوسائط الأخرى المطالَبة هي أيضاً بتنظيم أنشطتها إزاء عمل المدرسة.

والمدرسة أيضاً أداة تنسيق، فهي تحاول أن تنسق بين ما تقوم به، وما تقدمه المؤسسات الأخرى من أنشطة تربوية. لذلك، لا بُدَّ لها أن تبقى باتصال دائم مع الوسائط التربوية الأخرى؛ وتتعاون معها في سبيل تحسين وتنظيم العمل التربوي، فتستغل كل الخبرات التي يتعلمها الطفل من هذه المؤسسات، وتعمل على تنظيمها في وحدة متناسقة.

وهكذا يتكامل عمل المدرسة بأنشطة الوسائط التربوية، فجدير بالمعلم ربط الخبرات والمهارات والمشاهدات والزيارات، وكل الأحداث خارج المدرسة، ليصبه في بوتقة منهاجه، ليقدم إلى

التلاميذ التجارب والخبرات، فتبقى شخصياتهم متكاملة مستقيمة، بعيدة عن النزوات والصراعات والتردد والتناقض.

فينبغي أن لا نتجاهل ما يجري في المجتمع اليوم، فالمدرسة تتفاعل مع أحداث المجتمع، وتشارك في تطوره، وكما يؤثر البيت وتؤثر المدرسة على تشكيل الإنسان وتربيته، فإن للمجتمع بمؤسساته ووسائله تأثيرات لا يمكن إغفالها. وتتعدد المؤثرات الاجتماعية وتعمل كلها في عملية التشكيل الاجتماعي للفرد، وتغيير سلوكه، وهي مستمرة ومتصلة بكل مواقف الحياة المتداخلة التي يمارس فيها نشاطه وأدواره الاجتماعية.

وهكذا فالمدرسة هي واحدة من بين المؤسسات التي تمارس تأثيرها على شخصية الفرد وعلى اتجاه المجتمع، حيث أن الأفراد يتعلم بعضهم من بعض، بواسطة الأفكار التي يتعاملون بها، وبتفاعلهم المستمر تحت تأثير الثقافة المشتركة[١].

وتبدأ هذه المؤثرات منذ الميلاد - أو قبله - وتستمر طوال الحياة، ولا تستغرق المدرسة منها سوى جزء صغير ومحدد نسبياً.

فالطفل يلتحق بالمدرسة مشبعاً بالعادات والتقاليد، والأفكار والرموز، وبلغة واتجاهات تعبر عن نفسها في نموه العقلي والجسماني والانفعالي. ثم هو لا يعيش في المدرسة وحدها..

(١) سعد موسى أحمد وآخرين، المدخل إلى علوم التربية، ص ١٩٩.

بل هو يختلط بأترابه وأقربائه خارجها، فيكتسب خبرات عديدة ومتنوعة. ثم بعد نهاية أيامه الدراسية، فهو يعيش في مجتمع له ثقافة ومعاملات وقوانين وعادات.

ومن هنا يمكن القول بأن التربية مسؤولية البيئة كلها، لا مسؤولية المدرسة فقط. ومعنى ذلك أيضاً مسؤولية الجميع، أي أن تأثيرها يتضمن كل أفعال الكبار في الصغار[١].

* * *

(١) محمد الهادي عفيفي، في أصول التربية، ص ٢٢٧ - ٢٣٢.

من وسائط التربية.. الإعلام

كثرت وسائل الإعلام في العصر الحديث وتنوعت، وانتشرت انتشاراً واسعاً، لم يسبق للعالم أن عرف مثلها في تاريخه.

ويقصد بوسائل الإعلام تلك المؤسسات - الرسمية وغير الرسمية - التي تنشر الخبر والحدث والثقافة، على نطاق واسع، ولأغراض كثيرة. والذي يهمنا - هنا - هو الجانب التربوي، حيث لها دور كبير في تكييف الفرد مع الجماعة.

ومن هذه المؤسسات:

أ - الصحافة:

وهي أقدم الوسائل الإعلامية، وقد تطورت في السنوات الأخيرة تبعاً للتقدم التقني في الطباعة والنشر والتوزيع، وزاد تأثيرها في الجماهير، حيث جعلت الأفكار والآراء والأحداث البعيدة والقريبة شركة عامة بين الناس جميعاً،

وجعلت الخبر والثقافة في متناول الجميع، بأزهد الأثمان، وفي كل وقت، حيث هناك الصحف الصباحية، والمسائية.. اليومية والأسبوعية، والنصف شهرية، والشهرية..إلخ، وتبعاً لسرعة وسهولة الاتصال، انتشرت بين كل فئات المجتمع، فكثر ضغطها،

بل هناك بعض الصحف أصبحت توجه الرأي العام المحلي والدولي، بما تنشره من أخبار وتحاليل وآراء. واستعملت لذلك كل الوسائل السيكولوجية، والسوسيولوجية، والتقنيات المختلفة لنشر الثقافة والآراء والاتجاهات، في كل الميادين، وصارت لها بالتالي سلطة عظيمة بين الجماهير، وأسماها بعضهم «بصاحبة الجلالة» لما لها من نفوذ وتأثير. ومن هنا كان تأثيرها التربوي، على كل المستويات، فزادت في الرصيد الثقافي في الجماعات، ووسعت في نطاق الخبرات.. فبواسطتها يعرف الناس كثيراً من الحوادث البعيدة والأخبار الطريفة، والمعلومات المتنوعة، وخاصة في النشرات المتخصصة والمجلات العلمية، والدوريات الفنية.

ب - الإذاعـــة:

وهي الصحافة المسموعة - إن صحت التسمية - ولها نفس صفات الصحافة المقروءة، ولكنها تمتاز بصفات زائدة عن سابقتها، حيث أنها تستطيع أن تعلم الأميين الذين لا يعرفون القراءة، كما تستطيع أن تخاطب ذوي الثقافات العالية، في برامجها الخاصة التي تقدم عصارة التفكير البشري في صورته الرائعة، وتخاطب كل الطبقات والمستويات الشعبية.. إنها مدرسة المجتمع.. بدون ثمن.

ويمكنك أن تختار المحطة واللغة والبرامج الملائمة من كل أنحاء

العالم، فكم أصبح صغيراً هذا العالم الذي يحمله جهاز صغير.. زهيد الثمن.

إن دخول المذياع (الراديو) حياتنا لهو أكبر حدث عرفته الإنسانية، بتأثيره المباشر وغير المباشر، في العقول والعواطف والسلوك، وذلك بما يذيعه من برامج ثقافية متنوعة، ينعكس تأثيرها في خبراتنا وأعمالنا. إنه المربي المسموع الذي يتكلم في كل الأوقات، بمختلف الأساليب، وبشتى اللغات، أنَّى كنت. إنه يقدم المتعة والترويح والاستمتاع الفني بكل فنون العلم، دون جهد ولا إرهاق، زيادة على استعماله في العملية التربوية المباشرة بالمدارس، حيث خصصت برامج تكمل عمل المعلم، وفي بعض الدول تقوم الإذاعة المدرسية برسالة لا تقل عن المدرسة ذاتها.

جـ - السينما:

عند اختراع السينما التي عُدَّت أحسن وسيلة للترفيه وأمهر آلة إعلام بخصائصها المتنوعة، اعتبرت في وقتها معجزة لها تأثيرها على تشكيل سلوك الأفراد، بما تعكسه من جوانب ثقافية للمجتمع، وخاصة أنها يمكنها أن تنقل إلى الصغار والكبار أشياء قد يصعب الوصول إليها، أو أنها لا توجد في دائرة تفاعلاتهم، وخاصة جاذبيتها التي تملكت القلوب والعقول. فهي مسرح ماهر تعرض أدق الصور وفنياتها، وتعالج المشاكل المتنوعة. وبواسطتها مكنت من التعرف على عادات وتقاليد وثقافات وأحداث غابرة أو

حاضرة، أو حتى مستقبلية خيالية. وهكذا أصبحت صناعة الأفلام المتنوعة والمتخصصة من أهم العناصر الثقافية والعلمية والإعلامية.

د - التلفزيون:

بعد معجزة المذياع الذي استطاع تجاوز المسافة واختراق الأبعاد بالصوت، وظهور التصور السينمائي، جاءت معجزة التلفاز الذي تخطى الحواجز بالصوت والصورة معاً، يحمل إليك العالم بكل أشكاله وألوانه، يحمله إلى قعر دارك.. وإذا بك تشاهد الأحداث البعيدة والقريبة أحسن مما كنت حاضراً فيها.

وإذا كان لفيلم السينما الأثر في تربية الإنسان، فتأثير التلفزيون التربوي يتعداه بما ينتجه من برامج تعليمية وترفيهية وثقافية متنوعة مثل برامج تعليم اللغات، والبرامج التعليمية المختلفة، والبرامج العلمية المتخصصة.. ينقل إليك العالم المثقف في أجمل صوره دون أن تتحرك من منزلك، فأنت تأخذ دروساً في كل الميادين، وتكتسب خبرات ومهارات ونصائح بواسطة العرض الجيد والشيّق، والأسلوب الجذّاب، حسب المبادئ السيكولوجية الحديثة في عملية التعلم، أي بدون ضغط ولا إكراه وتعب وإرهاق. ومنها تلك التمثيليات والمسلسلات المسلية والتربوية الهادفة، والأمثلة عديدة وكثيرة،منها ما يختص بالمرأة والطفولة والطبيعة والعالم البعيد والقريب.

إن تأثير هذا الجهاز بانطلاقته الفضائية كبير وواسع على الكبار

والصغار، وخاصة أن الشباب والأطفال والشيوخ صاروا يقضون ساعات من نهارهم وليلهم أمامه.. يسمعون ويشاهدون. وعن طريق الأذن والعين تدخل المؤثرات وتعمل - بصورة طبيعية وسهلة - على تشكيل عقل الإنسان. ولا ننسى الدائرة المغلقة أي التلفزيون التعليمي الذي دخل المدارس والجامعات، وما شمل من دروس ومحاضرات، لا يمكن أن تقدر بثمن في ميادين التربية والتعليم.

وهناك بعض المربين قد خاف من هذا التأثير القوي والعميق، خاصة وأنه ينقل عادات وتقاليد أقوام إلى أقوام أخرى مختلفة، فقاموا بدراسات واستقصاءات عديدة حول تأثير التلفزيون وجاذبيته.. خيره وشره وميادينه.

ولا بُدَّ هنا من ذكر كلمة حول الفيديو الذي دخل هو أيضاً كل بيت، وصار الإنسان يملك الأفلام العديدة والمتنوعة أو يستأجرها بأزهد الأثمان، هذا الجهاز له أيضاً تأثير التلفزيون أو يتعدّاه.

هـ - الانترنت:

استطاع الانترنت أن يحدث نقلة ملفتة للنظر في مجال الإعلام، فظهرت المواقع التي تعرف الأفلام قبل عرضها في التلفزيون، ودور السينما وبأسعار زهيدة وأحياناً مجاناً، وظهرت المواقع المخلة بالأدب العام والأخلاق، وظهرت المواقع العلمية والثقافية، وكلها بلا شك ذات أثر تربوي «خطير».

*** الإعلام التربوي:**

لا يخفى أن الإعلام التربوي يمثل مساحة كبيرة من الاهتمام، فهو الوجه المعبّر عن الإنجازات التربوية، والموجه لمقاصد وأهداف التربية.

والمقصود بالإعلام التربوي بأنه الاستثمار الجاد والأمثل لوسائل وتقنيات الاتصال: الإعلام المؤسسي (تلفزيون - إذاعة)، أو الإعلام الصحفي، أو الإعلام الإلكتروني (الانترنت)، لتعريف قطاعات المجتمع بما يحدث من تطورات ومستجدات على الواقع التربوي، ورصد ومتابعة القضايا والظواهر الاجتماعية والتربوية التي تنشأ في الواقع التربوي، وصولاً إلى تحقيق أهداف النظام التربوي المنشود، وفق تصورات أحكام الشريعة الإسلامية السمحاء[١].

ويهدف الإعلام التربوي إلى الآتي:

- تحقيق أهداف النظام التربوي، وذلك لكافة مفرداته.
- غرس وتنمية القيم والمبادئ والمفاهيم التربوية الهادفة بين مختلف قطاعات المجتمع، والمحافظة على ثقافته وشخصيته العربية والإسلامية المتميزة.
- إبراز ما تضمنه الدستور للمواطنين من حقوق وواجبات.

---

(١) النظام التربوي، مرجع سابق.

- توعية قطاعات المجتمع بأهداف النظام التربوي، ودور المؤسسات التربوية.
- ربط المؤسسات التربوية مع مختلف قطاعات المجتمع، وخاصة الأسرة والمسجد، والمؤسسات الإعلامية كالصحافة والإذاعة والتلفزيون، للمساهمة في تحقيق أهداف النظام التربوي.
- المساهمة في حل المشكلات التي تعترض العملية التربوية.
- إبراز دور المعلم ومكانته الاجتماعية، وتعزيز احترامه في المجتمع، وتقدير جهوده.
- بث روح التنافس والبحث العلمي عن طريق إجراء المسابقات العلمية والثقافية بين الطلبة.
- تشجيع الطالب على إبداء رأيه فيما يتصل بحاضره ومستقبله.
- الإعلان عن إنجازات الإدارة التربوية والإدارات المدرسية المختلفة في تطوير الأفكار والأساليب التربوية.
- الإعلان عن أنظمة وأنشطة الإدارة التربوية والأنشطة المدرسية.
- التأكيد على دور الأسرة في تعاونها مع المدرسة في تنشئة الطالب تنشئة سليمة.
- تحقيق التكامل والتنسيق بين الرسالة التربوية داخل المدرسة وخارجها.

ومن الأفضل أن يشترك التربويون والإعلاميون في عمل دراسات

تحليلية حول العلاقة بين الإعلام والتربية، وصولاً إلى إيجاد استراتيجية واضحة المعالم والأسس والأساليب، لإعلام تربوي يخدم العملية التربوية البنّاءة في المجتمع، ويسهم في تحقيق الأهداف التربوية.

وأخيراً.. فقد اقتضت الحاجة إلى أن يتم التنسيق بين وزارتي الإعلام والتربية، لإقامة دورات تدريبية للقائمين على هذا المجال في كل من الوزارتين، لإيجاد إعلام تربوي فعَّال ومنتج وبناء[١].

* * *

(١) المرجع السابق.

كشاف المفاهيم

الموضوع — الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع **الصفحة**

الموضوع **الصفحة**

الموضوع	الصفحة	الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة	الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة	الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

ختام وصلة

أما الختام فهو منطلق لترجمة مفاهيم التربية إلى واقع، حتى تكون أداة طبيعية في تهيئة الأجواء لاستكمال تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية، فضلًا عن أنها صلة لمفاهيم جديدة في الجزء السادس، والذي يحفل بمجالات النفس البشرية وحالاتها في مستوى «السّواء» - كما يقول علماء النفس - وما يعتريها من صعود وهبوط في سلّم الترقي نحو مرضاة الرب سبحانه وتعالى، حيث تمثل دائماً المحور الأساس في الموسوعة.

إنها الصلة التي تكاد تكون القاسم المشترك بين كافة علوم التربية، والتي نراها كجزء من قسمات هذا الجزء الخامس امتداداً لما سبق واستطراداً لما هو قادم.

هيئة التحرير

المراجع

أولاً - القرآن الكريم وعلومه:

١ - **القرآن الكريم**.

٢ - ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي، "**تفسير القرآن العظيم**"، (مصر: عيسى البابي الحلبي، دار إحياء الكتب المصرية، (د.ت)، و(بيروت: مؤسسة الريان، ١٩٩٦م).

٣ - البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، "**معالم التنزيل**"، ط ٤، (الرياض، المملكة العربية السعودية: دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م).

٤ - القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي، "**الجامع لأحكام القرآن**"، ط ١٣، (القاهرة: طبعة مصورة بالأوفست عن طبعة دار الكتب المصرية، دار الكتاب العربي، ١٣٨٧ هـ، ١٩٦٧م).

٥ - قطب، سيد قطب، "**في ظلال القرآن**"، ط ١٣، (القاهرة: دار الشروق، ١٩٨٧م).

ثانياً - كتب السنة النبوية وشروحها:

٦ - ابن الأثير، أبو السعادات مجد الدين المبارك بن محمد الجزري بن الأثير، "**جامع الأصول في أحاديث الرسول ﷺ**"، تحقيق عبد القادر الأرنؤوط، (بيروت: مطبعة دار الفكر، ١٤٠٣هـ).

٧ - ابن حجر، الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، **"فتح الباري في شرح صحيح البخاري"**، (القاهرة: دار الريان للتراث، ١٤٠٩هـ - ١٩٩٤م).

٨ - ابن حنبل، الإمام أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، **"مسند أحمد"**.

٩ - ابن ماجة، محمد بن يزيد القزويني، **"سنن ابن ماجة"**، ترقيم وعناية محمد فؤاد عبد الباقي، عيسى الحلبي، (القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، د.ت).

١٠ - أبو يعلى الموصلي، أحمد بن علي بن المثنى بن يحيى التميمي الموصلي **"مسند أبي يعلى الموصلي"**، ط ١، (دمشق: دار المأمون للتراث، ١٤٠٤هـ).

١١ - الألباني، محمد ناصر الدين الألباني، **"السلسلة الصحيحة"**، ط ١، (الرياض: مكتبة المعارف، ١٤٢٥هـ).

١٢ - الألباني، محمد ناصر الدين الألباني، **"صحيح الجامع الصغير وزياداته"**، ط ٢، (بيروت: المكتب الإسلامي، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م).

١٣ - الأندلسي، بقي بن مخلد الأندلسي، **"مخطوط"** جزء فيه لكل واحد من الصحابة من الحديث (د.ت).

١٤ - البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، **"الأدب المفرد"**، (الهند، : الدار القويمة ١٣٨٤هـ، و طشقند: ١٣٩٠هـ).

١٥ - البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، **"صحيح البخاري"**.

١٦ - البنا، أحمد عبد الرحمن البنا الشهير بالساعاتي، "**الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني**"، ط ٣، (القاهرة: دار الشهاب، ١٤٠٤هـ).

١٧ - البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر البيهقي، "**سنن البيهقي الكبرى**"، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، (مكة المكرمة: مكتبة دار الباز، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م).

١٨ - الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، "**سنن الترمذي**"، ط ١، (بيروت: دار المعرفة، ٢٠٠٢م).

١٩ - الحاكم، أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري المعروف بابن البيع، "**المستدرك على الصحيحين**"، (القاهرة: مطبعة الحلبي، د.ت)، (بيروت: دار الكتاب العربي، د. ت).

٢٠ - الحكيم، الترمذي الحكيم، "**نوادر الأصول في معرفة أحاديث الرسول ﷺ**"، تحقيق عبد الرحمن عميرة، (بيروت: دار الجيل، ١٩٩٢م).

٢١ - السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، "**الجامع الصغير**"، تحقيق أحمد محمد شاكر، (القاهرة: مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ١٣٥٦هـ)، وتحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، ط (٢)، (القاهرة: مطبعة الحلبي، ١٣٨٨ هـ / ١٩٦٨ م).

٢٢ - الصنعاني، أبو برك عبد الرزاق بن همام الصنعاني، "**المصنف لعبد الرزاق**"، ط ١، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، (كراتشي، باكستان: المجلس العلمي، ١٣٩٠هـ / ١٩٧٠م).

٢٣ - الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، "**المعجم الكبير**"، ط

١، تحقيق حمدي السلفي، سلسلة إحياء التراث الإسلامي (٣١)، (العراق: ، وزارة الأوقاف، مطبعة الوطن العربي،١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠م).

٢٤ - النووي، أبو زكريا يحيى بن شرف النووي، "**شرح النووي على صحيح مسلم**" ط ٣، (بيروت: دار القلم، ١٤٠٧ هـ)، وتحقيق عبدالله أحمد أبو زينة، (القاهرة: دار الشعب، والمطبعة المصرية ومكتبتها، د.ت).

ثالثاً - كتب الفقه:

٢٥ - ابن القيم الجوزية، شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر الزرعي الدمشقي، "**تحفة المودود في أحكام المولود**"، ط ١، تحقيق عبد القادر الأرناؤوط، (دمشق: مكتبة دار البيان، ١٣٩١هـ / ١٩٧١م)، وعناية بسام الجابر، ط ١، (بيروت: دار البشائر، ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٩ م).

٢٦ - ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، "**الفتاوى**"، (بيروت: إحياء التراث، د. ت).

٢٧ - ابن سلام، أبو عبيد القاسم بن سلام، "**الأموال**"، (بيروت: مؤسسة ناصر للثقافة، ١٩٨١م).

٢٨ - القرضاوي، يوسف القرضاوي، "**فقه الزكاة**"، ط ٢، (مؤسسة الرسالة، ١٣٩٣هـ / ١٩٧٣م).

رابعاً - التاريخ والتراجم والسير والمعاجم:

٢٩ - ابن الأثير، أبو الحسن على بن محمد بن محمد المعروف بابن الأثير، "**أسد الغابة في معرفة الصحابة**"، ط ١، (بيروت: دار إحياء التراث العربي،١٤١٧هـ / ١٩٩٦م).

٣٠ - ابن القيم، ابوعبد الله محمد بن أبي بكر الزرعي الدمشقي، "**مدراج السالكين**"، (د. ت).

٣١ - ابن القيم الجوزي، "**الوابل الصيب**" (د. ت).

٣٢ - ابن القيم الجوزي، "**تلقيح مفهوم أهل الأثر**" (د. ت).

٣٣ - ابن حجر، الحافظ أحمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني، "**الإصابة في تمييز الصحابة**"، (طبع الكانتخانة المصرية، طبعة مصورة من نسخة مغربية، د.ت).

٣٤ - ابن حجر، الحافظ أحمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني، "**تهذيب التهذيب**"، (بيروت: طبعة دار المعرفة، ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م)، و (بيروت: طبعة دار الفكر، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م).

٣٥ - ابن حزم، أبو محمد بن أحمد بن سعيد بن حزم، "**أسماء الصحابة الرواة**"، (د.ت).

٣٦ - ابن سعد، محمد بن سعد، "**الطبقات الكبرى**"، (القاهرة: طبعة دار التحرير، ودار الشعب، وطبعة لجنة النشر الإسلامية)، و (بيروت: دار صادر، ١٩٥٧ م).

٣٧ - ابن عبد البر، "**الاستيعاب في معرفة الأصحاب**"، ط ١، تحقيق علي محمد البجاوي، (بيروت: دار الجيل، ١٤١٢هـ).

٣٨ - ابن كثير، الحافظ بن الفداء إسماعيل بن كثير القرشي، "**البداية والنهاية**"، (د. ت).

٣٩ - ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور، "**لسان العرب**"، (بيروت: دار الهلال، د.ت).

٤٠ - الدمشقي، عرفان العشا حسونة الدمشقي، "**نساء في ظل رسول الله ﷺ**" (د.ت).

٤١ - الذهبي، الإمام شمس الدين الذهبي، "**سير أعلام النبلاء**"، تحقيق شعيب الأرناؤوط وزميله، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤١٣ هـ).

٤٢ - الذهبي، الإمام شمس الدين الذهبي، "**ميزان الاعتدال في نقد الرجال**"، ط ١، (بيروت: دار الفكر، ١٩٩٩م).

٤٣ - الزركشي، بدر الدين الزركشي، "**الإجابة لإيراد ما استدركته عائشة على الصحابة**" (د.ت).

٤٤ - شاهين، عاطف صابر شاهين، "**نساء حول الرسول ﷺ**"، (المنصورة، مصر: دار الغد، د.ت).

٤٥ - الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، "**تاريخ الأمم والملوك**"، (د.ت).

خامساً - المراجع العربية:

٤٦ - إبراهيم، نبيلة إبراهيم، "**الدراسات الشعبية: بين النظرية والتطبيق**"، (القاهرة: المكتبة الأكاديمية، ١٩٩٤م).

٤٧ - أبو الرب، محمد خليل أبو الرب، "**التربية الفنية وطرق تدريسه**"، ط ١، (عمَّان: منشورات جامعة القدس المفتوحة، ١٩٩٦م).

٤٨ - أبو العصاري، فهد بن إبراهيم أبو العصاري، "**لمحات عن الإرهاب في العصر الحاضر**"، (المدينة المنورة، د.ت).

٤٩ - أبو المعاطي، كمال جودة أبو المعاطي، "**وظيفة المرأة في نظر الإسلام**"، (القاهرة: دار الهدى للطباعة، ١٩٨٠م).

٥٠ - أبو ريان، محمد علي أبو ريان، "**فلسفة الجمال ونشأة الفنون الجميلة**"، ط ١، (الإسكندرية: دار المعارف الجامعية، ١٩٩١م).

٥١ - أبو ريان، محمد علي أبو ريان، "**مقدمة في علم الدارسات الجمالية**"، (الإسكندرية: دار المعارف الجامعية، ١٩٩٧م).

٥٢ - أحمد، سعد موسى أحمد وآخرون، "**المدخل إلى علوم التربية** "، (د.ت).

٥٣ - إسماعيل، محمد عماد الدين إسماعيل، "**الأنماط السلوكية**"، (القاهرة: د.ت).

٥٤ - أيوب، حسن أيوب، "**السلوك الاجتماعي**"، ط ٤، (دار البحوث العلمية، د.ت).

٥٥ - البار، محمد علي البار، "**الأمراض الجنسية: أسبابها وعلاجها**"، ط ٤، (جدة، السعودية: دار المنار، ١٩٨٧م).

٥٦ - بركات، حليم بركات، "**الاغتراب والثورة في الحياة العربية**"، مواقف، العدد الخامس، السنة الأولى، (بيروت، د. ت).

٥٧ - البغدادي، محمد رضا البغدادي، "**الأنشطة الإبداعية للأطفال**"، (القاهرة: دار الفكر العربي، ٢٠٠١م).

٥٨ - بيو تشكويتي، ترجمة فوزي عيسى، "**التربية الأخلاقية في رياض الأطفال**"، (القاهرة: دار الفكر العربي، ١٩٩٥م).

٥٩ - التركيت، سوسن التركيت، "**الأطفال واللعب**"، (الكويت: مكتبة الفلاح، ٢٠٠٣م).

٦٠ - جريندر، جورج جريندر، "**العنف والرعب في وسائل الإعلام الجماهيري**"، (إصدار المنظمة الدولية للتربية والعلوم والثقافة "يونسكو"، ١٩٨٨م).

٦١ - الجوهري، محمد الجوهري، "**الانثروبولوجية: أسس نظرية وتطبيقات عملية**"، (الإسكندرية: دار المعرفة الاجتماعية، ١٩٨٩ م).

٦٢ - حسن، سيد دسوقي حسن، "**ثغرة في الطريق المسدود: دراسة في الانتماء والبعث الحضاري**"، (القاهرة: دار آفاق الغد، ١٩٨١م).

٦٣ - حسن، عدنان حسن، "**تربية الولد في مرحلة الطفولة**"، (دار المجتمع للنشر والتوزيع، د.ت).

٦٤ - الحسين، أسماء بنت عبد العزيز الحسين، "**أسباب الإرهاب والعنف والتطرف: دراسة تحليلية**"، (الرياض: كلية التربية للبنات، د.ت).

٦٥ - حوى، سعيد حوى، "**جند الله: ثقافة وأخلاقاً**"، ط ٤، (القاهرة: مكتبة وهبة، ١٩٩٣م).

٦٦ - خضرة، محمود خضرة، "**تاريخ التفكير الجمالي**"، (دمشق: جامعة دمشق، ٢٠٠٠م).

٦٧ - الخوالدة، محمود عبد الله الخوالدة، "**التربية الجمالية: علم نفس الجمال**"، (الأردن: دار الشروق، ٢٠٠٥م).

٦٨ - الخولي، سناء الخولي، "**الزواج والعلاقات الأسرية**"، (د.ت).

٦٩ - الديوان الأميري، "**الشباب في الكويت: الاتجاهات العامة والتوعية**"، (الكويت: الدراسات والبحوث الاستشارية لصاحب السمو أمير البلاد، ١٩٨٦م).

٧٠ - رشيد، عدنان رشيد، "**دراسات في علم الجمال**"، (بيروت: دار النهضة العربية، ١٩٨٥م).

٧١ - الرشيدي، منيرة الرشيدي، "**العنف المدرسي**"، (الكويت: كلية التربية، جامعة الكويت، د.ت)

٧٢ - رمضان، كافية رمضان، "**ثقافة الطفل**"، (الكويت: جامعة الكويت، ١٩٨٤م).

٧٣ - سالم، فاطمة الزهراء سالم، "**الأسرة والمواطنة: التعليم للمواطنة**"، مجلة الهلال، (القاهرة: كلية التربية، جامعة عين شمس، سبتمبر ٢٠٠٧م).

٧٤ - سالم، محمد عزيز نظمي سالم، "**الإبداع في علم الجمال**"، (بيروت: دار المعارف، ١٩٧٨م).

٧٥ - سالم، محمد عزيز نظمي سالم، "**القيم الجمالية**"، (بيروت: دار المعارف، ١٩٧٨م).

٧٦ - سالم، محمد عزيز نظمي سالم، "**القيمة الجمالية والالتزام**"، (الإسكندرية: مؤسسة شباب الجامعة، ١٩٩٦م).

٧٧ - السروتي، محمد السروتي، "**العناية الإسلامية بتربية الأطفال: تميُّز وعطاء**"، مجلة البيان، العدد ٣٩، (السعودية: ٢٠٠٧ م).

٧٨ - سويد، محمد نور سويد، "**منهج التربية النبوية للطفل**"، (د.ت).

٧٩ - الشافعي، إبراهيم الشافعي، "**أثر برنامجين مقترحين على الاتجاهات التعصبية.. دراسة عملية، تشخيصية، إرشادية**"، دكتوراه غير منشورة، (مصر: كلية التربية، جامعة طنطا، د.ت).

٨٠ - الشافعي، إبراهيم الشافعي، "**بعض المحددات الشخصية لذوي الاتجاه التعصبي من طلاب الجامعة**"، المؤتمر الدولي الثالث للعلوم الاجتماعية، (الكويت: كلية العلوم الاجتماعية، جامعة الكويت، ٦ ديسمبر ٢٠٠٣م).

٨١ - الشبل، علي بن عبد العزيز بن علي الشبل، "**الجذور التاريخية لحقيقة الغلو والتطرف والإرهاب والعنف**"، (د.ت).

٨٢ - الشربيني، عصام الدين حامد الشربيني، "**التدخين والكحول والمخدرات: آثارها وحماية الشباب منها**"، ألقي في مكة المكرمة بمناسبة مرور خمسة وعشرين عاماً على إنشاء رابطة العالم الإسلامي، (مكة المكرمة: صفر ١٤٠٨هـ، أكتوبر ١٩٨٧م.

٨٣ - شفيق، محمد شفيق وآخرون، "**التربية المعاصرة وطبيعتها وأبعادها الأساسية**"، (الكويت: دار القلم، ١٩٧٤ م).

٨٤ - الشلالده، عوض حسين الشلالده، "**العلاقات الإنسانية ودورها في السلوك الإنساني**"، ط ١، (١٤٠١ هـ، ١٩٨١ م).

٨٥ - الشنتوت، خالد محمد الشنتوت، "**كيف نحمي أولادنا من رفاق السوء والمخدرات**"، (المدينة المنورة: مطابع الرشيد، ١٩٩٤م).

٨٦ - الشهري، غدير خالد محمد الشهرى، وشهد علي المطاوعة، "**عبدة الشيطان**"، (الكويت: كلية التربية، جامعة الكويت، د.ت).

٨٧ - صالح، عدنان حسن صالح، "**مسؤولية الأب المسلم في تربية الولد**"، (دار المجتمع، د.ت).

٨٨ - عبد الظاهر، محمد عبد الظاهر، "**المشكلات التي يتعرض لها تلميذ التعليم الأساسي**"، (مصر: كلية التربية، جامعة طنطا، د.ت).

٨٩ - عبد الغني، نعمات عبد الغني، "**ما هو شكل العلاقة بين الشباب كمفهوم اجتماعي والعولمة كبعد حضاري**"، الشباب والعولمة، المجلة الالكترونية، الأزمنة العربية، العدد ٢٨٠،
http//:www.ocloczminoc.info/issue288/33.htm
(١٥ أكتوبر ٢٠٠٤ م).

٩٠ - عبد القادر، محمود عبد القادر، "**التوافق النفسي والاجتماعي لشباب الكويت ومشكلاته**"، (الكويت: رابطة الاجتماعيين، ١٩٧٥ م).

٩١ - عبداللطيف، فاتن عبداللطيف، "**نمو الطفل والتعبير الفني**"، (الإسكندرية: المكتب العلمي للنشر والتوزيع، ١٩٩٩م).

٩٢ - عبد المقصود، أماني عبد المقصود، "**الشعور بالأمن النفسي وعلاقته بأساليب المعاملة الوالدية لدى التلاميذ**"، (د.ت).

٩٣ - عبده، مصطفى عبده، "**مدخل إلى الفلسفة والجمال**"، ط ٣، (القاهرة: مكتبة مدبولي، ١٩٩٩م).

٩٤ - العجمي، نواف محسن العجمي، "**ظاهرة البويات**"، (الكويت: كلية التربية، جامعة الكويت، د.ت).

٩٥ - عزام، إدريس عزام، "**بعض المتغيرات المصاحبة لاغتراب الشباب عن المجتمع الجامعي**"، مجلة العلوم الاجتماعية، العدد الأول، (الكويت: ربيع ١٩٨٩م).

٩٦ - عفيفي، محمد الهادي عفيفي، "**في أصول التربية**"، (د.ت).

٩٧ - العقاد، عبير العقاد، "**أضواء على تربية الأولاد منذ الصغر**"، مجلة البيان، العدد ٣٥، (الرياض، السعودية: د.ت).

٩٨ - العناني، حنان عبد الحميد العناني، **"الفن والدراما والموسيقى في تعليم الطفل"**، (عمّان: دار الفكر، ٢٠٠٢م).

٩٩ - الغزالي، الإمام أبو حامد الغزالي، **"إحياء علوم الدين"**، الطبعة الأميرية، (د.ت).

١٠٠ - الغزالي، محمد الغزالي، **"خلق المسلم"**، ط ١، (دمشق: دار القلم، ٢٠٠٤م).

١٠١ - القبس، لوموند ديبلوماتيك، النشرة العربية، العدد السابع، (الكويت: يوليو ٢٠٠٧م).

١٠٢ - كحالة، عمر رضا كحالة، **"المرأة في القديم والحديث"**، ط ٣، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٨٥م).

١٠٣ - كلية التربية الأساسية، **"الطفل في الإسلام"**، إشراف ومراجعة محمد المأمون محمد علي المحرزي، (دولة الكويت: ٢٠٠٠م).

١٠٤ - اللجنة الاستشارية العليا للعمل على استكمال تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية، الديوان الأميري، **"النظام التربوي"**، الوثيقة الأولى، (الكويت: فبراير ١٩٩٩م).

١٠٥ - اللويحق، عبد الرحمن بن سعد اللويحق، **"الغلو في الدين في حياة المسلمين المعاصرة"**، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٩٢م).

١٠٦ - ماندل، ماندل ودوجلاس وبينت، **"الأمراض المعدية"**، (د. ت).

١٠٧ - مبرة الآل والأصحاب، **"شذى الياسمين"**، (دولة الكويت: د.ت).

١٠٨ - مجاهد، مجاهد عبد المنعم مجاهد، **"دراسات في علم الجمال"**، (مصر: مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٨٠م).

١٠٩ - المحارب، رقية بنت محمد المحارب، "**الإرهاب والعنف والتطرف في الكتاب والسنة**"، (الرياض: الأقسام الأدبية - كلية التربية للبنات، د.ت)

١١٠ - المحرزي، محمد المأمون محمد علي المحرزي، "**نظرات في الفكر التربوي الإسلامي**"، إشراف ومراجعة الدار الأكاديمية، (د.ت).

١١١ - المحرزي، محمد المأمون محمد علي المحرزي، "**الموازين الفقهية ومقاصد الشريعة وأوزانها النفسية في مجال الوقاية من اختلال الصحة النفسية**"، مجلة الزهراء، (القاهرة: جامعة الأزهر، ١٩٩٨م).

١١٢ - المحرزي، محمد المأمون محمد على المحرزي، "**رؤية رسالية**"، بحث مقدم للمؤتمر الأول، لقسم علم النفس بكلية التربية الأساسية، الهيئة العامة للتعليم التطبيقي والتدريب، المجلد الثاني، (الكويت: ١٣/٤/١٩٩٨ م).

١١٣ - مكتب المتابعة، "**دراسات وقضايا من المجتمع العربي الخليجي**"، سلسلة الدراسات الاجتماعية والعمالية، (البحرين: ١٩٨٦ م).

١١٤ - ناصر، إبراهيم ناصر، "**مقدمة في التربية**"، (د.ت).

١١٥ - ناصر، بهير أحمد ناصر، "**ورقة عمل مقدمة لمشروع تحقيق التوازن الثقافي**"، اللجنة الاستشارية العليا للعمل على تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية، الديوان الأميري، (الكويت: يونيو ٢٠٠٧م).

١١٦ - النحلاوي، عبدالرحمن النحلاوي، "**أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع**"، (دمشق: دار الفكر، ١٩٩٦م).

١١٧ - النعيمي، عبد العزيز النعيمي، "**المراهقون**"، (الرياض: دار طيبة، ١٤١١هـ).

١١٨ - هويدي، فهمى هويدي، "**الإعلام وثقافة الوسط**"، من موقع بوابة العرب، ٢٤٧٩ (٢٣ يوليو ٢٠٠٥م).

١١٩ - الهيتى، هادي نعمان الهيتى، "**ثقافة الأطفال**"، سلسلة عالم المعرفة، العدد ١٢٣، (الكويت: ١٩٩٨م).

١٢٠ - الواعي، توفيق الواعي، "**النساء الداعيات**"، ط ١، (الكويت: معهد الدراسات الإسلامية، ١٩٨٩م).

١٢١ - وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، "**الفكر الإسلامي المعاصر بين البناء والهدم**"، ندوة مستجدات الفكر الإسلامي الرابعة، (الكويت: ١٩٩٥م).

١٢٢ - وزارة التخطيط، "**السمات الأساسية للسكان والقوى العاملة**"، (الكويت: ٣٠/٦/٢٠٠٦م).

١٢٣ - وزارة التربية، إدارة التخطيط، "**مفكرة الجيب للبيانات الإحصائية عن التعليم في دولة الكويت للعام الدراسي ٢٠٠٠م/ ٢٠٠١م**"، (الكويت: نوفمبر ٢٠٠٠م).

١٢٤ - اليونسكو، " المبادئ الموجهة للتربية على القيم المخصصة للارتقاء بالبعد الإنساني والدولي للتربية"، (١٩٨٨ م).

سادساً - المراجع الأجنبية References:

125 - Bronfen Petenner U. ,The Foun World of Childhood, phi. Deltoc Kappoc 67 (6) 430-436-(1986).

126 - Bronfen Petenner U. , The Origins of Alimation , Scientific American , (3-6-1974).

127 - Polk K. , The New Marginxl Youth, Crime and Delinguency, 30 (3) 462-480-(1984).

128 - Cullota T. , Early Adolescence.

129 - Alination and Education Theory into Practice, 33(2) .151-154, (1983).

130 - Sir Henry Yellowlees, The Principals and Practice of Infectious Diseases , (1979).



تم بحمد الله